

الحق ما لا يورث

في خمس الأجيال

وَمِنْ الْعَيْشِ

فِي الْمَكَرِ وَالْحِكْمَةِ

السَّلامَةُ لِلْمَعْلُومِ الْفَيْضِ الشَّيْخِ إِسْحَانَ وَرَحْمَةً

وَيْلَهُ

مُصْبِحَةُ الْإِخْلَاقِ

دَارُ الْكَلْبِ وَالْإِسْلَامِ

Princeton University Library



32101 084949443

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

الحق القائم بوقتها

في محاسن الأخلاق

قرة العيون

في المعارف والحكم

للعلامة المحمدية الفاضل الكاشاني قدس سره

ويليه

مصباح الأنظار

تحقيق

الحاج محسن عقیل

(ARECAF)

2269

.3546

.343

19896

كافة الحقوق محفوظة ومُسَجَّلة
الطبعة الأولى

١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ

PRINCETON UNIV LIBRARY PAIR>
32101 021180276

272 10953

الحق في الأختلاق
في حاسن الأختلاق

مقدمة المحقق

المؤلفات الثلاثة التي يحتضنها هذا الكتاب ، مؤلفات ثمينة ، وأسفار قيمة ، لكونها أولاً تتناول موضوعاً من أهم الموضوعات في واقع الانسان المسلم اليوم ، ألا وهو موضوع علم الأخلاق ، الأخلاق التي هي أسس بناء المجتمع الاسلامي ورفعته وسموه . وكما كانت الأخلاق العامل الأساسي في انتشار الدين الاسلامي وبلوغه أقاصي الغرب والشرق ، هي اليوم العامل الأساسي في بقاء الاسلام ديناً سامياً في أعلى القمم .

ولكونها ثانياً من ما أفاضت به قريحة عالم عَلمَ أثرى المكتبة الاسلامية بتراته وأسفاره وتآليفه القيمة ، وبلغت شهرته شهرة الشمس المشرقة في وضوح النهار ، وهو العالم العَلمَ المحدث ، الفيض الكاشاني (قدس سره) .

هاتين الأهميتين استوجبنا منا اعطاء هذه المؤلفات حقها الكامل من التحقيق والمراجعة ، وبهنا أن نشير في البدء - أمانةً - الى أن جهدنا المبذول على هذا الكتاب ، إنما هو تمة لما قام به المصحح السيد إبراهيم الميانجي الذي تولى الخطوة الأولى - كما أشار في مقدمته في الطبقات السابقة - بمقارنة مخطوطة هذا الكتاب - مع نسخ مخطوطة أخرى أثمرت نسخته المصححة هذه . وأنصبت جهدنا على هذا الكتاب لإنجاز أربعة أمور ، الأمر الأول : تصحيح ما برز به من أخطاء ناجمة عن سوء الطباعة ، والأمر الثاني : وضع الهوامش له من خلال

إرجاع الآيات الكريمة الى مصادرها في القرآن الكريم ، وكذلك إرجاع أحاديث،
الى مصادرها في أمّهات كتب الحديث والسنة النبوية الشريفة ، والأمر الثالث :
إبراز عوامل التنقيط ، والأمر الرابع : عنونة فصوله وتبويبها بالشكل اللائق بهذا
الكتاب ، هادفين من وراء ذلك اعطاء هذا الكتاب حقه الذي يستوجبه منّا ،
راجين المولى العليّ القدير أن يكون الحقائق والمصباح وقرّة العين لمن أراد
الإهداء والله من وراء القصد .

٢٢ / محرم / ١٤٠٩

٥ / تشرين أول / ١٩٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي نور قلوبنا بنور إيمان وعرفنا من أسرار الحديث والقرآن ^{الأسبق}
على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين أما بعد فيقول الفقيه
الملك محمد بن مرتضى المدعى بحسن آية الله لفق اذ كرمون الله في هذا الكتاب ^{الأسبق}
الذين ما يرتقى بر من كان له قلب لوالق السمع وهو شهيد المعارج اليقين وإنما اخذ
من كتاب الله تعالى وستة سيد المرسلين وأحاديث الأئمة المعصومين واضمفت أبي حنيفة
في كتب علماء الدين ولا سيما كتاب صاحب علوم الدين أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المطبوع
كما يصح لأن يكون بياناً لبيان ونفسياً للمعانيه ^{الأسبق} بمراد من وعزيمه مقرون مؤثر للعلماء ^{الأسبق}
سبيل الزيادة ^{الأسبق} بحيث بالمعانيه ووثقت على ستة مقالة في كل مقالة ابواب وفي كل باب
فصول ومن الله التوفيق المقالة الأولى في ما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلثة ابواب الباب
الأول في العلم اعلم ان السمع الحلق الطلق العلم العلوي والسفلي والفضل ما يتقرب به إلى الله
العلوي هو العلم ما لا الله سبحانه وهو الذي خلق سبع سموات وصور الارض وخلق من ينزل الامر
يلقوا ان الله على كل شئ قدير وان الله على كل شئ محيط ^{الأسبق} وقال شهيد الله ان الله لا اله الا
هو في الملكة واذا هو العلم وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقال وتلك الامثال نضربها للناس وما ينتهوا الا العالمون
وفي الحديث النبوي صلى الله عليه وآله وسلم النبوة وفيه الكرم خلقا في جبل يار رسول الله
ومن خلفا له فقال الذين ياتون من بعدى ويرون حليتي وسفاتي يوقى الحدي ^{الأسبق}

انتهى 570 ذكره

تأني

ان قال الذين طلب العلم والجهل به وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال وان قالوا
مستوم معصون لكم قد صمد عادل بينكم وقد صمد وسبق لكم والعلم عزون عند الله
فالمطوبون وعن السجادة لم يعلم الناس ما في طلب العلم للعبه ولو بسوق الحج وخوض ^{الأسبق}

رتبه مرتبه
بظهر من هذه

وهذا الكتاب من
الاسبق

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة المصحفة

المعاني فلك في المصنف في تلك المسئلة هذا هو الحق المبين ومذهب قدامنا الامامين ^{عليه السلام}
 للمعول في الدين وليس ان اشتبا الى اهل البيت ^{عليه السلام} وتسمى بالشيعة والامام في الاثنى عشر ^{عليه السلام}
 الاخذ بذلك فان خرج بهذا الطريق الى شيء من طرق الخالفين من غير ان يخرج من ^{عليه السلام}
 هذا الانتساب وهذه التسمية على وجهه وان لم يشهد بذلك ثم لا نعلم ان العلم بصدق ^{عليه السلام}
 اخبا والمصوبين ^{عليه السلام} انهم لا بد ان يكون كالعلم بوجودهم في الوضوح والامانة والقوة واتجاهها
 كقواته والآخرة اخبارا حاد لا يفيد الاثنا كلاكيف ولو زعمت ذلك فادراكك تستيقن ^{عليه السلام}
 لامن قوة ملكت بايمانهم ليست الكيرة علك بوجودهم ولا تواترها كقواته قطعا بل ادراكك ^{عليه السلام}
 بعد آت اليقين كالعلم لمراتب في القوة والضعف وانته زياد بان زيادة وزيف العقل المربوع
 واعتضادها كلها الاخر وان في الاحكام الشرعية يكفي بالقل وراية مع ان اكثر الضعفاء لا الحكامة
 ليست في القوة باقل من اخبا والامانة متساوستا فكل ما اطاعت اليه انفس من الاخذ ^{عليه السلام}
 تقلير وكل ما لم تسكن اليه فقدره في سنبله روى في الكافي اسناده عن ابي عبد الله ^{عليه السلام}
 عن اخذ ذلك الحديث بره من شوق بره منهم من لا شوق به قال ذا وروى عليكم حديث فوجين
 ثم شاهد من كتاب الله او من قوله رسول الله ^{عليه السلام} والذ الذي جاءكم بما ولج به وقيل بانها
 عندكم قال كل شيء مرود الى كتاب الله والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو ^{عليه السلام}
 وقد عيون الاخبار عن الرضا ^{عليه السلام} في حديث طويل قال في اخره بعد ذكر العرض على الكتاب
 ثم السنة ثم السنة والرد الى رسول الله ^{عليه السلام} وما تجدوه في شيء من هذه الوجوه فرددوا اليها ^{عليه السلام}
 فمن اولي بملك ولا تقبلوا فيه ما اراكم وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وانتم طالبون ^{عليه السلام}
 حق يا شيكم اليهم من عندنا وقد وردك الحديث على العمل بانها ^{عليه السلام} بل في قريه ما يفتح
 التواتر منها ما يدل على جواز الاخذ بها وان صدقت عن تقديرونها ما يدل على جواز العمل بها
 وان لم يصد عنهم في الواقع وهو قول الصادق ^{عليه السلام} سمع شيئا من الثواب على شئ
 فضعف كان لما جره وان لم يكن على الجسد وذلك لانه تسليم وطاعة وانقياد لا روية
 ولا اجتهاد وقال الصادق ^{عليه السلام} احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تستاجرون اليها وقال الفضل ^{عليه السلام}
 عمر اكتبه وبك ملك في اخرايك فان منت فاوردك كتبك بئيك فانما في على التماس

في الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد بنه الذي لفته قلوبنا بنور الايمان وعرفنا حيا سر احمد بن محمد بن واقرانه
 الصلوات على احمد بن سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين
 اتابعه فيقول الفقير المذنب محمد بن مرتضى المدعو محمد بن ابي عبد الله
 ابي اذكر بعون الله تعالى في هذا الكتاب من اسرار الدين ما لم يفتحه من كان
 له قلب او الفم السمع وهو شهيد الى معارج القبول واما اخذت من كتاب
 نقاش سيرة المرسلين واخذت من الاثنية المعصومين وايضا من كتاب
 وجدته في كتب علماء الدين ولا سيما كتابا جيا علم الدين لابي حامد
 محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما اصلح لادبكم من انما المبانة ونقش المعاني
 بنقير انظر ومن يد مستف من كتاب الغزالي على سبيل التوفيق وتتميم الحقائق
 ومنتقى على سنت مقالات في كل مقالة ابواب في كل باب فصول في كل
 التأييد المقالات الاولى في ما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلثة ابواب
 الاول في العلم اعلم ان السبب الكلي لعلوم العالم العلوي والنفسي افضل ما
 يتقرب به الى الله العلي هو العلم قال الله سبحانه وهو الذي خلق سبع سموات
 ومن الارض مثلها فيقول الامر بينهم لعل ان الله على كل شئ قدير وان
 الله بكل شئ عليم وقال شهداستانه لانه اله والمليك والاولو العلم
 قال

باب الغمام
 باب الفجر

نواظرة

الغمام

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة المعصية الثانية

الحقنا بقرآننا

في حاشية الأختلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور قلوبنا بنور الايمان ، وعرفنا من أسرار الحديث والقرآن ، والصلاة على محمد سيد المرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين .

أما بعد فيقول الفقير إلى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن أيده الله إني أذكر بعون الله تعالى في هذا الكتاب من أسرار الدين ، ما يرتقي به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد إلى معارج اليقين ، وإنما أخذته من كتاب الله تعالى وسنة سيد المرسلين وأحاديث الأئمة المعصومين ، وأضفت إليه ما وجدت في كتب علماء الدين ، ولا سيما كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لأن يكون بياناً لمبانيه وتفسيراً لمعانيه بتقرير أتقن ، ومزيد متقن ، مؤثراً للفرايد مخلياً سبيل الزوايد ، وسميته بالحقايق ورتبته على ستة مقالات ، في كل مقالة أبواب ، وفي كل باب فصول ، ومن الله التأييد .

المقالة الاولى

فيما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلاثة أبواب :

(الباب الاول في العلم)

في العلم اعلم أن السبب الكلي لخلق العالم العلوي والسفلي وأفضل ما يتقرب به إلى الله العلي هو العلم . قال الله سبحانه : ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾^(١) وقال : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾^(٢) وقال : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^(٣) وقال : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾^(٤) وقال : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾^(٥) .

وفي الحديث النبوي (ص) : « العلماء ورثة الأنبياء »^(٦) وفيه « اللهم ارحم خلفائي » ، قيل يا رسول الله : ومن خلفاؤك ؟ قال : « الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وستي »^(٧) .

وفي الحديث العلوي : « أن كمال الدّين طلب العلم والعمل به ، وأن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ، وأن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم ، والعلم مخزون عند أهله » [وقد امرتم بطلبه من أهله خ فاطمبوه]^(٨) .

وعن السّجّاد (ع) : « لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج »^(٩)

(١) سورة الطلاق : آية ١٢ . (٢) سورة آل عمران : آية ١٨ . (٣) سورة فاطر : آية ٢٨ .
(٤) سورة الزمر : آية ٩ . (٥) سورة العنكبوت : آية ٤٣ . (٦) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٠ .
(٧) عيون أخبار الرضا (ع) : ج ٢ ص ٣٦ . (٨) الكافي : ج ١ ص ٣٠ . (٩) الكافي : ج ١ ص ٣٥ .

وعن الباقر (ع): «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد» (١).

وعن الصادق (ع): «من علم خيراً فله مثل أجر من عمل به» (٢).

وعن الرضا عن آبائه عن النبي (ص) أنه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من أهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ، والمذاكرة به تسييح ، والعمل به جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبيل الجنة ، والمونس في الوحشة ، والصاحب في الغربة والوحدة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والمزين عند الاخلاء ، يرفع الله تعالى به أقواما فيجعلهم في الخير قادة ، تقتبس آثارهم ، وتقتدي بفعالهم ، وينتهي إلى آرائهم ، ترغب الملائكة في خلّتهم ، وبأجنتها تمسحهم ، وفي صلواتها تبارك عليهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه .

إنّ العلم حياة القلوب من الجهل ، وضياء الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الأخيار ومجالس الأبرار ، والدراجات العلى في الآخرة والاولى ، الذكر فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الرب ويعبد ، وبه توصل الأرحام ، ويعرف الحلال والحرام ، العلم امام العمل والعمل تابعه ، يلهم به السعداء ، ويحرمه الأشقياء ، فطوبى لمن لم يحرمه الله تعالى من حظه» (٣) والأخبار في فضيلة العلم وشرفه أكثر من أن تحصى .

الفصل الاول

في العلم وفضيلته

اعلم أنّ الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته ولغيره ، وما يطلب لذاته أشرف وأفضل ممّا يطلب لغيره ، وما يطلب لذاته ولغيره أشرف ممّا يطلب لذاته فحسب ، والمطلوب لغيره كالدنانير والدراهم ، فإنهما حجران لا منفعة فيهما ولولا أنّ الله عزّ وجلّ يسرّ قضاء الحاجات بهما لكانا والحصى بمنزلة واحدة ،

(١) الكافي ج ١ ص ٣٣ والدعوات للزّواندي ص ٦٢ .

(٢) الكافي ج ١ ص ٣٥ . (٣) امالي الطوسي : ص ٥٠٠ وعدة الداعي ص ٧٣ .

والذي يطلب لذاته كاللذات، والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن ، فإن سلامة الرجل مطلوبة من حيث إنه سلامة عن الألم ، ومطلوبة للمشي بها والتوسل إلى المأرب والحاجات .
وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيت له لذيداً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته ؛ ووجدته وسيلة إلى سعادة الدنيا والآخرة وذريعة إلى القرب من الله فانه لا يتوصل إليهما إلا به ، وأعظم الأشياء رتبة في حق آدمي السعادة الأبدية والقرب من الله ، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليهما ولا يتوصل إليهما إلا بالعلم والعمل ، ولا يتوصل إلى العمل أيضاً إلا بالعلم بكيفية العمل ، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأشياء وكيف لا ؟ وقد تعرف فضيلة الشيء بشرف ثمرته ، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بافق الملائكة ومقاربة الملأ الأعلى هذا في الآخرة ، وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى أن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشييوخهم ، لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة ، بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها ، هذه فضيلة العلم مطلقاً .

ثم تختلف العلوم باختلاف مراتبها في تفاوت لا محالة ففائلها بتفاوتها إلى أن ينتهي إلى معرفة الله تعالى بحقيقة اليقين [العلم خ] التي هي أصل كل معرفة راسخة .

قال الصادق (ع) : « لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما متع به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها ، وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطئون به بأرجلهم ، ولنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله ، إن معرفة الله تعالى انس من كل وحشة ، وصاحب من كل وحدة ، ونور من كل ظلمة ، وقوة من كل ضعف ، وشفاء من كل سقم .

ثم قال : قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها ، فما يردّهم عما هم عليه شيء مما هم فيه غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى بل ما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، فاسئلوا ربكم درجاتهم ؛ واصبروا على نوابب دهركم تدركوا سعيهم » (١) .

(١) الكافي : ج ٨ ص ٢٤٧ .

الفصل الثاني

العلم علما

العلم علما : علم الدنيا ، وعلم الآخرة . وعلم الدنيا ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب ، وعلم الآخرة علما : علم يقصد لذاته ، وعلم يقصد للعمل ليتوسل به إلى العلم المقصود لذاته ، فان اريد به الدنيا التحق بعلم الدنيا ، وعلم الآخرة محمود كله ، وأما علم الدنيا فمنه محمود ومنه مذموم ، أما العلم المقصود لذاته فهو نور يظهر للقلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل أسمائها ويتوهم لها معان مجملة غير متضحة .

فيتضح له ذلك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته التامات بقدر الامكان وبأفعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ، ووجه ترتيبه الآخرة على الدنيا ، والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ، وبمعنى الامامة والامام ، ومعرفة معنى الوحي والالهام ، ومعنى الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبيا ، وكيفية وصول الوحي الى النبي ، وحديث الملك مع الامام والمعرفة بملكوت السماوات والارض ، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والشفاعة والحساب ، ومعنى قوله عز وجل : ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾^(١) ومعنى قوله تعالى : ﴿وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾^(٢) ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ، ومعنى القرب منه ، والمقام في جواره ، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملائكة والانبيا ، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنة حتى يرى بعضهم بعضا كما يرى الكواكب الدري في جو السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله .

فان للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات ، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذي اعد لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء ، وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها ، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله سبحانه

(١) سورة الاسراء: آية ١٤ . (٢) سورة العنكبوت: آية ٦٤ .

الاعتراف بالعجز عن معرفته ، وبعضهم يدعي اموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل ، وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام ، وهو أنه سبحانه عالم قادر سميع بصير متكلم مريد .

فتعني بالعلم المقصود لذاته أن يرتفع الغطاء حتى يتضح جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا شك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان إلا أن مرآة القلب قد تراكم صداها وخيبتها بقاذورات الدنيا ، فلا بدّ من تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وعن معرفة صفاته وأفعاله ، وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكفّ عن الشهوات والافتداء بالأنبياء والأئمة (ع) في جميع أحوالهم ، فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقايقه .

ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتعلم والهدى والخشية والتقوى والفتنة والذكاء ، وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه منها بشيء إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار .

وهذا العلم الخفي هو الذي أراده النبي بقوله (ص) : « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجله الا اهل الاغترار بالله عز وجل ولم يتحمّله إلا أهل الاعتراف بالله ، فلا تحقروا عالماً أتاه الله علماً فان الله عز وجل لم يحقره إذ أتاه إياه » (١) .

وعن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : « إن من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله في نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه إلى أن قال : قد خلع سراويل الشهوات وتخلّى من الهموم إلا هما واحداً انفرد به ، فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى ، قد أبصر طريقه ، وسلك سبيله ، وعرف مناره ، وقطع غماره ، واستمسك من العرى باوثقها ، ومن الجبال بأمتنها ، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس » (٢) .

وفي كلام آخر له (ع) : « قد أحى قلبه وأمات نفسه حتى دقّ جليله ولطف غليظه ، وبرق له لامع كثير البرق ، فأبان له الطريق ، وسلك به السبيل وتدافعت الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة وتثبتت « تثبت خ » رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى

(١) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٤ .

(٢) نهج البلاغة : ص ١١٨ خطبة رقم ٨٧ « صبحي الصالح » .

وقال (ع) : « اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة » (٢) وقال (ع) : « تعلمت من رسول الله (ص) ألف باب من العلم ففتح لي من كل باب ألف باب » (٣) .

وسأله كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة فقال (ع) : « مالك والحقيقة ؟ قال : أولست صاحب سرك ؟ قال : بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح مني ثم أجابه عما سأل » (٤) وقال في رواية أخرى أنه (ع) « أخذ بيدي فاخرجني إلى الجبان فلما أصحرت نفس الصعداء ثم قال لي : يا كميل بن زياد إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عني ما أقول لك :

الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق إلى ان قال هاه إن ههنا لعلماً جما وأشار إلى صدره لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً غير مأمون عليه مستعملاً آلة الدين للدنيا ، ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه ، أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه (٥) ينقدح الشك في قلبه لا أول عارض من شبهة الأمة لاذا ولاذاك .

أو منهوماً باللذة سلس القياد للشهوة أو مغرئ بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء أقرب شبهها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامله .

اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة اما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لثلا تبطل حجج الله وبيئاته ، وكم ذا وأين اولئك ، اولئك هم والله الاقلون عدداً الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله حججه وبيئاته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعوه المترفون * وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الأعلى ، اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه آه آه شوقاً الى رؤيتهم » (٦) .

(١) نهج البلاغة : ص ٣٣٧ خطبة رقم ٢٢٠ . (٢) نهج البلاغة : ص ٥٢ خطبة رقم ٥ . (٣) الارشاد للمفيد : ص ٢٣ .

(٤) رجال النيسابوري كما في الروضات في ترجمة كميل كما في المحجة : ج ١ ص ٦٤ .

(٥) هكذا في النسخ وفي نهج البلاغة : أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه الخ والظاهر أن المراد منهم هو المقلد إذ لا بصيرة له في دقائق الحق وخفاياه ، لعدم علمه بالبرهان والحجة فينقدح الشك الخ « مج » .

(*) اي استصعبه المتعمون . (٦) نهج البلاغة : ص ٤٩٥ أبواب الحكم خطبة ١٤٧ .

وعن السجاد (ع) انه قال : « والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد اخا رسول الله (ص) بينهما فما ظنكم بسائر الخلق ، إن علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله [يتحمله خ] الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان قال : وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت فلذلك نسبتبه إلى العلماء » (١) .

اراد (ع) : « اهل التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا اهل بيت النسوان والصبيان والأهل والأولاد وفي الحديث النبوي ، أيضاً « سلمان منا أهل البيت » (٢) وفيه أيضاً « لو علم أبو ذر ما في بطن سلمان من الحكمة لكفره وفي رواية لقتله » (٣) .

وعن السجاد (ع) في أبيات منسوبة اليه :

إني لاكتم من علمي جواهره
 وقد تقدم في هذا أبو حسن
 يا ربّ جوهر علم لو أبوح به
 ولاستحل رجال مسلمون دمي
 كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
 إلى الحسين ووصى قبله الحسننا
 لقييل لي أنت ممن يعبد الوثنا
 يرون أقبح ما يأتونه حسنا
 وعن الباقر (ع) « الناس كلهم بهائم إلا قليل من المؤمنين » (٤) .

أقول : وتصديق ذلك قول الله سبحانه : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ظِلَالًا﴾ (٥) .

وعن الصادق (ع) « إن أمرنا سرّ مستور في سرّ مقنع بالميثاق من هتكه أذله الله » (٦) وقال (ع) : « إن أمرنا سرّ مستور في سرّ وسرّ مستسر وسرّ لا يفيد إلا سرّ وسرّ على سرّ مقنع بسرّ » (٧) ، وقال (ع) : « هو الحقّ وحقّ الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن ، وهو السرّ وسرّ المستسر وسرّ مقنع بالسرّ » (٨) وقال (ع) مشيراً إلى وجوب كتمان هذا السرّ : « التقيّة ديني ودين آبائي ، فمن لا تقيّة له لا دين له » (٩) ، وقال (ع) : « خالطوا الناس بما يعرفون ودعوهم بما ينكرون ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان » (١٠) .

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٠١ وبصائر الدرجات ص ٤٥ . (٢) عيون الأخبار : ج ٢ ص ٦٤ .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٤٠١ (٤) الكافي : ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٥) سورة الفرقان : آية ٤٤ . (٦) بصائر الدرجات : ص ٤٨ .

(٧) بصائر الدرجات : ص ٤٨ . (٨) بصائر الدرجات : ص ٤٩ .

(٩) المحاسن : ص ٢٥٥ ح ٢٨٦ . (١٠) بصائر الدرجات : ص ٤٦ .

الفصل الثالث العلم المقصود للعمل

وأما العلم المقصود للعمل ليتوسّل به إلى العلم المقصود لذاته فقسمان : أحدهما علم الاخلاق ، والثاني علم الشّرايع أما علم الاخلاق فهو علم أحوال القلب .

أما ما يحمد منها فكالصبر والشّكر والخوف والرجاء والتسليم والرضا والزّهد والتقوى والقناعة والسخاء والعتو والاحسان وحسن الظن وحسن المعاشرة وأداء الامانة والصّدق والاخلاص ومعرفة المنّة لله في جميع الأحوال ، فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب ثمراتها وعلاماتها ومعالجتها ما ضعف منها حتى يقوى من علم الآخرة .

وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور ، والغلّ ، والحقد والحسد ، والغش وطلب العلو ، وحبّ الثناء ، وحبّ طول البقاء في الدّنيا للتمتع ، والكبر ، والرّياء والغضب ، والانفة ، والعداوة ، والبغضاء ، والطمع ، والبخل ، والرغبة ، والبذخ ، والاشتر ، والبطر ، وتعظيم الأغنياء ، والاستهانة بالفقراء ، والفخر ، والخيلاء ، والتنافس والمباهاة ، والاستكبار عن الحق ، والخوض فيما لا يعني ، وحبّ كثرة الكلام ، والصّلف ، والمداهنة ، والعجب ، والاشتغال عن عيوب النّفس بعيوب النّاس ، وزوال الحزن من القلب ، وخروج الخشية منه ، وشدّة الانتصار للنفس اذا نالها ذل ، وضعف الانتصار للحقّ ، واتخاذ اخوان العالنية على عداوة السّر ، والامن من مكر الله في سلب ما أعطى ، والاتكال على الطاعة ، والمكر ، والخيانة ، والمخادعة ، وطول الأمل والقسوة ، والفظاظة ، والفرح بالدّنيا ، والاسف على فواتها ، والانس بالمخلوقين ، والوحشة لفراقهم إلا لاعانة منهم على الدّين ، والجفاء ، والطيش ، والعجلة ، وقلة الحياء ، وقلة الرّحمة .

وهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة وأضدادها وهي الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات .

فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين على من له أهلية ذلك ، وإلا فيقدر حوصلته ، لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها .

وأما علم الشرايع فهو علم بكيفية العبادة المشروعة من الطهارة ، والصّلاة والزّكاة ،

والصيام ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وأسرارها ، والعلم بالأحكام المحدودة من الحلال والحرام ، في المكاسب والمعاملات من البيع والشراء ، والرّبا ، والقرض ، والقراض والاجارة ، والشركة ، والمزارعة ، والمدينة والرهان ، والضمان ، والكفالة ، والوكالة ، والوديعة ، والاقرار ، والصلح ، والعطايا والبر ، والنكاح ، والفراق ، وقسمة الموارث ، والعلم بالحدود ، والتعزيرات ، والقصاص والديات ، وتجهيز الأموات ، والعلم بآداب الأكل والشرب واللباس والمسكن والتّحية ، والضيافة ، والطيب ، والكلام ، والمواخات ، والمعاشرة ، والسّفر ، والحقوق إلى غير ذلك .

وهو أيضاً فرض عين بقدر الاحتياج والذكاء ، وفرض كفاية للفتيا والقضاء وأمّا الطريق إلى تحصيل هذين العلمين أعني علم الأخلاق وعلم الشرايع فهو ممّا نتلو عليك فاستمع ، واتبع سبيل الذين هم مهتدون ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون .

الفصل الرابع

في علم الفقه والتّفقه في الدين

اعلم أنّ كلا من العلوم الثلاثة الاخروية يسمّى بعلم الدين وعلم الفقه وتعلمه تسمّى بالتّفقه في الدين ، قال الله عزّ وجل : «فلو لا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون»^(١) .

وقال الصادق (ع) لأصحابه : «عليكم بالتّفقه في دين الله ، ولا تكونوا أعرابا فإنّه من لم يتّفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يرك له عملاً»^(٢) ، وقال (ع) : «ليت السيّاط على رؤوس أصحابي حتّى يتّفقهوا في الحلال والحرام»^(٣) وقال (ع) : «إنّ آية الكذاب أن يخبرك بخبر السّماء والأرض والمشرق والمغرب فاذا سألته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء»^(٤) إلى غير ذلك ممّا في هذا المعنى .

فالتّفقه في الدّين عبارة من تحصيل البصيرة في المسائل الدّينية علمية كانت أو عملية باطنية أو ظاهرية ، متعلقة بالعبادات أو المعاملات ، فرضاً معرفتها أو العمل بها أو سنّة أو ادبا ، وغرضنا الان بيان كيفية هذا التحصيل فان الناس اختلفوا فيه حتّى أوقعوا الجماهير في التّيه ونحن بتأييد الله عزّ وجلّ نكشف عن وجه الحقّ فيه النّقاب بحيث لا يبقى معه شك ولا ارتياب

(١) سورة التوبة : آية ١٢٢ . (٢) الكافي ج ١ ص ٣١ . (٣) المحاسن : ص ٢٢٩ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٣٤٠ .

فنقول :

إن النَّاس كانوا في زمن رسول الله (ص) يأخذون العلم عنه بما يوحى إليه وأما بعده

فصاروا فرقتين :

فرقة قالوا بالاجماع الزور في تعيين الامام باتباع المتشابهات في العقائد والأحكام مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل ، واختيار المدلول قبل اختلاق الدليل ، وهم أصحاب أبي بكر بن أبي قحافة التيمي ، وعمر بن الخطاب العدوي ومن يحدو حدوهم من الذين قالوا بالاجتهاد والرأي في كل شيء فتبدل آراؤهم وتختلف علماؤهم إن يتبعون إلا الظن وما تهوى النفس وإن هم إلا يخرصون وهؤلاء صنفان : مجتهد ومقلد .

أما مجتهدهم فكيفية التفقه عنده استفراغ الوسع في تحصيل الظن فيما يحتاج إليه الناس من العلوم الدينية اصولية كانت أو فروعية من القوانين التي وضعوها والقواعد التي اخترعوها للاستعانة بها على الاستنباط من المتشابهات .

وأما مقلدهم فكيفية التفقه عنده بأن يأخذ من مجتهد ما استنبطه بنظره ولو بواسطة أو وسائط .

وفرقة قالوا بالنص من الله عز وجل في تعيين الامام والاقتصار على اتباع المحكمات في العقائد والاحكام وقوفا على ما جاء به الوحي والتنزيل ، واتقاء عما كاد يفضي إلى الضلال والتضليل ، وهم أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) الذين لا يقولون إلا على النصوص بالخصوص في كل شيء مسلمين لامامهم الآخذ علمه من الله ومن رسوله في كل ما أنهاء إليهم في شيء مطيعين لما أمرهم الله تعالى حيث قال : ﴿ فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾^(١) وحيث قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾^(٢) .

وأما ما ترى من اجتهاد لبعض متأخري أصحابنا وتدوينهم الاصول وخوضهم في الفضول فانما ذلك لشبهة جرت فيهم من مخالفيهم كما بينا وجهه في مسفوراتنا مع احتمال أن يكون سبب حدوثة فيهم أولا مصلحة رأوها ، ومما شاة مع مخالفيهم راعوها ، لئلا يزعموا أن دقائق العلم ليست فينا ، ثم صار ذلك شبهة لمن تأخر عنهم جرت فيهم ، ثم سرت في ذويهم وعلى التقديرين فليس ذلك قادحا في منزلتهم العليا ولا سببا للاحقهم بالفرقة الاولى ، حاشاهم عن

(١) سورة النحل : آية ٤٣ وسورة الأنبياء : آية ٧ . (٢) سورة النساء : آية ٥٩ .

ذلك ، فان لهم حقوقاً جمّة على الفرقة الناجية الجليلة ، بترويجهم المذهب الحقّ بمساعيهم الجميلة ، ورفعهم جلّ التقيّة عن كثير من العباد والبلاد أجزاءهم الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع أئمتهم يوم التناد.

وهؤلاء الفرقة الثانية يرجعون إلى امامهم في التفقه حين تيسّر لهم ذلك ، والا فهم أيضاً صنفان بصير ومستبصر ، وبعبارة اخرى فقيه ومتفقه ، وبعبارة ثالثة خاصي وعامي وإن شئت فسّمهما المجتهد والمقلد فلا مشاحة في الالفاظ .

أما بصيرهم وهو الذي له فهم وذكاء وقوّة قدسيّة وزهد في الدنيا وورع في الدّين ، فكيفيّة التفقه عنده أن يتبع محكمات الكتاب والسّنة ومحكمات أحاديث أهل البيت (ع) ممّا صحّ عنهم فيستفهم منها ما يجب اعتقاده وما يجب أن يعمل به ويشيده بشواهد عقله القويم وفهمه المستقيم ، ويؤيده بواردات ترد على ذهنه المصنّفى بأعماله الصالحة المرضيّة وقلبه المنور بنور أخلاقه المهذبة الزكية فان شرف العقل لا يخفى ولولاه لما عرف الشرع ، وكانه شرع من داخل كما أنّ الشرع عقل من خارج وهما يتعاضان ويتظاهران إلى أن يصيرا كأنهما متحدان .

وفي الحديث «ما أدّى العبد فريض الله حتّى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل»^(١) والعقلاء هم اولوا الالباب ، ولا تظنن أن خواص المؤمنين إنما آمنوا بالله واليوم الآخر بمجادلات المتكلمين وأدلة المجادلين ، هيهات هيهات ، وإنما عرفوا الله بمثل ما قلنا من تعاضد العقل والشرع واجتماع النور الداخِل مع النور الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشّمس في الرّؤية ، وإلى مثل هذا العقل اشير بقوله عزّ وجلّ : ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾^(٢) يعني نور العقل والشرع ، وفي الحديث «ليس العلم بكثرة التعلّم إنّما هو نور يقذفه الله في قلب من « يشاء خ » يريد الله أن يهديه»^(٣).

فهذا البصير إن تبين له الحكم بحيث لا شبهة فيه ولا ريب يعتريه أخذ به وشكر الله ، وإن اشتبه عليه الأمر وكل علمه إلى الله وإلى إمامه المنصوص عليه من الله وعمل فيه بالاحوط ، ولا يفتى في مثله بالحتم والبتّ .

قال الصادق (ع) : « اما أنه شر عليكم أن تقولوا بشيء ما لم تسمعه منا»^(٤) ، وقال (ع) «كلّ علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل ، وأشار بيده إلى بيته » .^(٥)

(١) الكافي : ج ١ ص ١٣ . (٢) سورة النور : آية ٣٥ . (٣) البحار : ج ١ ص ٢٢٥ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٤٠٢ .

(٥) بصائر الدرجات : ص ٥٣١ « ولكن ذكره عن أبي جعفر (ع) » .

فلا يخترع من تلقاء نفسه قاعدة كلية غير منقحة ولا مسموعة ليقع الاختلاف فيه كقاعدة حجّية خبر الواحد أو عدم حجّيته على الإطلاق التي لم يتحرّر محلّ التنازع فيها قطّ ولن يتحرّر إلى غير ذلك من القوانين المسماة عند أهلها باصول الفقه بل يطلب في كلّ مسألة أهمّته رواية خاصة يجوز التعويل عليها ، ودراية ناصّة تطمئنّ النفس اليها ، ولا يحكم بالمتشابه إلّا بالمشابه ، لأنّه المحكم فيه ولا يجوز « وكيف يجوز » ان يجعل المتشابه محكما وقد جعله الله متشابها ، فلا ينبغي تأويله ولا ردّه إلى أحد الطرفين كما يفعله الذي في قلبه زيغ .

وذلك لأن الله سبحانه جعل الامور ثلاثة كما ورد في الحديث النبوي (ص) : « أمر بين رشده فيتبع وبين غيّه فيجتنب ، ومتشابهات بين ذلك يرد حكمها إلى الله وإلى الراسخين في العلم العالمين بتأويله »^(١) ، فكيف يطلب الثني فيما حكم الله فيه بالتثليث مع أنّ في المتشابه حكما ومصالح يمتحن الله بها أصناف عباده ، ولا يجمع أيضاً بين الاخبار المتعارضة إلا بما أشار إليه المرويّ عنهم عليهم السلام من التفصيل الذي ينتهي إلى التخيير وبذلك ينجو البصير من الخلاف والاختلاف ، والقول بالرأي والجفاف فلا اجتهاد عنده ولا رأي ولا إجماع بل ليس معوله إلّا على الرواية والدراية والسّماع .

ومعنى الاجماع عنده ليس إلّا اتفاق قدماء الأصحاب على العمل بالنص المشهور بحيث صار من الضروريات حتى عند الجمهور كمسح الرجلين ونزع الخفين عند الوضوء فالاجماع عنده تابع للنص مؤيد له لا النص مستنبط من الاجماع كما اشتهر بين طائفة من أهل الخلاف والنزاع .

وإليه اشير في كلام الصادق (ع) في خبر تعارض الأخبار : خذ بالمجمع عليه بين أصحابك فإنّ المجمع عليه لا ريب فيه .

وأما عوام هذه الفرقة فكيفيّة تفقّهم أن يأخذوا مسائلهم عن خواصهم ولو بواسطة او وسائط إلّا أنّ اليوم اشتبه عليهم الأمر غاية الاشتباه لالتباس من ليس من الخواص بالخواص وإدخالهم أنفسهم في جملتهم فصارت العوام حائرين باثرين لا يهتدون إلى شيء ولا يدرون ايا من أي ، فالحزم لهم أن يرجعوا في ذلك إلى قوم متديّنين عارفين بأهل البصيرة ليعرفوهم إياهم ، فإن لم يتيسر فليستفت العاميّ من غلب على ظنه أنّه منهم وأنّه ممّن لا يبيع دينه بدنياه ، فإن أفتاه بحكم فليسأله هل هذا الحكم في كتاب الله أو سنة رسول الله أو حديث أحد من المعصومين (ع) فإن قال : نعم فليعمل به ، وإن قال : إنّه ليس في شيء منها بخصوصه وإنّما

(١) الكافي : ج ١ ص ٦٨ .

يستفاد بالاستنباط أو هو ممّا اجمعوا عليه من غير نص بلغني فيه أو نحو ذلك سأل غيره حتى يصادف من أجابه من القرآن والحديث بخصوص أو نصوص أو أشار له إلى الاحتياط أو التخيير فإن فع' العامي ذلك فهو المتفقه في تلك المسألة .

هذا هو الحق المبين ، ومذهب قدمائنا الاماميين ، وعليه المعول في الدين وليس لمن انتسب إلى أهل البيت (ع) ويسمى بالشيعة والامامي والاثني عشري إلا الأخذ بذلك ، فان خرج عن هذا الطريق إلى شيء من طرق المخالفين من غير عذر فقد خرج صدق هذا الانتساب وهذه التسمية على وجهه وإن لم يشعر بذلك .

ثم لا تظنن أن العلم بصدق نسبة مضمون أخبار المعصومين (ع) إليهم لا بد أن يكون كالعلم بوجودهم في الوضوح والانارة والقوة أو تواترها كتواتره وإلا فهي أخبار آحاد لا تفيد إلا ظنا ، كلا كيف ولو زعمت ذلك فما أراك تستيقن بامامتهم لأن قوة علمك بامامتهم ليست كقوة علمك بوجودهم ولا تواترها كتواتره قطعا بل أراك لم تعرف بعد إن اليقين كالظن له مراتب في القوة والضعف وأنه يزداد بازدياد نوري العقل والشرع ، واعتضاد كل منهما بالآخر ، وأن في الأحكام الشرعية يكتبني بأقل مراتبه مع أن أكثر الأخبار الاحكامية ليست في القوة بأقل من أخبار الامامة متنا وسندا فكلما اطمأنت إليه النفس من الاخبار تعمل به وكل ما لم تسكن إليه فذره في سنبله .

روي في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) : « أنه سئل عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به قال : إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص) وإلا فالذي جاءكم به اولى به » (١) .

وفيه بإسناده عنه (ع) قال : « كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف » (٢) .

وفي عيون الأخبار عن الرضا (ع) في حديث طويل قال في آخره بعد ذكر العرض إلى الكتاب ثم السنة ثم التخيير والرد إلى رسول الله (ص) : « وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردوه إلينا علمه فنحن اولى بذلك ولا تقولوا فيه بآرائكم وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا » (٣) .

(١) الكافي : ج ١ ص ٦٩ . (٢) الكافي : ج ١ ص ٦٩ . (٣) عيون الأخبار : ج ٢ ص ٢٠ .

وقد ورد في الحثّ على العمل بأخبارهم (ع) أخبار بلغت قريباً من مبلغ التواتر ، منها ما يدلّ على جواز الأخذ بها وإن صدرت عن تقيّة ، ومنها ما يدلّ على جواز العمل بها وإن لم يصدر عنهم (ع) في الواقع .

وهو قول الصادق (ع) : « من سمع شيئاً من الثّواب على شيء فصنعه كان له أجره وإن لم يكن على ما بلغه »^(١) وذلك لأنّه تسليم وطاعة وانقياد لا رأي فيه ولا اجتهاد .

وقال الصادق (ع) : « احتفظوا بكتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها »^(٢) ، وقال لمفضل بن عمر : « اكتب وبث علمك في إخوانك فإن مت فاورث كتبك بنيك ، فانه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم »^(٣) .

وقال صاحب زماننا (ع) : « وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليهم »^(٤) ، وبالجمله قد أذنوا في الأخذ بالأخبار والكتب والتسليم والانقياد ولم يأذنوا في الاخذ بالأراء والاجتهاد ، بل نهوا فليس لنا إلاّ الاتباع والاقتصار على السّماع من دون ابتغاء الدليل ، والله يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل .

الفصل الخامس

في النهي عن المناظرة والمجادلة

ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد أضعاف ما حمده الحامدون أن جعل لنا إماما بعد إمام ظاهراً فينا وإن كان مستوراً على أعدائنا إلى أن انقضى من الهجرة النبويّة مأتان وستون سنة ، ثمّ جعل للاخير بعد غيبته سفراء إلى قريب من تمام ثلاثمائة وثلاثين سنة وكان أصحابنا في هذه المدة المديدة يأخذون العلوم الدّينيّة ظاهرها وباطنها من معدنها على اطمئنان من قلوبهم وانشراح من صدورهم بقدر قابليتهم ومرتبتههم ومنزلتهم ، فأغناهم الله بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده ونجّاهم به من حيرة الحيران .

وبعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون إلى الاصول المأخوذة عنهم المشتتملة على أكثر ما يحتاج إليه النّاس حتّى شذ مسألة ضرورية لا يكون فيها حكم جزئي أو كلي عنهم (ع) وفق له من وفق .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٨٧ . (٢) الكافي : ج ١ ص ٥٢ . (٣) الكافي : ج ١ ص ٥٢ .

(٤) الاحتجاج : ج ٢ ص ٢٨٣ والامامة والتبصرة ص ٦٢ .

قال أمير المؤمنين (ع) : «يا معشر شيعةنا والمتحلين ولايتنا إياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن تفلتت منهم الأحاديث أن يحفظوها ، وأعييتهم السنة أن يعوها فاتخذوا عباد الله خولا وماله دولا ، فذلت لهم الرقاب وأطاعهم الخلق أشباه الكلاب ، ونازعوا الحق وأهله فتمثلوا بالائمة المعصومين الصالحين « الصادقين خ » وهم من الجهال الملاعين فستلوا عما لا يعلمون فانفوا ان يعترفوا بأنهم لا يعلمون فعارضوا الذين بأرائهم وصلوا فأصلوا ، أما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرجلين أولى بالمسح من ظاهرهما» (١) .

وعن الباقر (ع) : «من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحلّ وحرّم فيما لا يعلم» (٢) .

وعن الصادق (ع) أنه قيل له ترد علينا أشياء لا نعرفها في كتاب ولا سنة فننظر فيها ؟ قال : « لا ، أما أنك لو أصبت لم تؤجر وإن أخطأت كذبت على الله » (٣) .

وقال أمير المؤمنين (ع) في ذم اختلاف العلماء في الفتيا : « ترد على أحدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند إمامهم الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً وإلهمم واحد وكتابهم واحد ، ونيبهم واحد أفامرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه ؟ أم نهاهم عنه فعصوه ؟ أم أنزل الله سبحانه ديننا ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ؟ أم كانوا شركاء له فلمهم أن يقولوا وعليه أن يرضى ؟ أم أنزل الله ديناً تاماً فقصّر الرسول عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ، وفيه تبيان لكل شيء ﴾ (٤) وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (٥) وأن القرآن ظاهره أئنيق ، وباطنه عميق لا تنفي عجائبه ، ولا تنقصي غرائبه ، ولا تنكشف الظلمات إلا به » (٦) .

وعنه (ع) : «اعلموا عباد الله أن المؤمن (من خ) يستحل العام ما استحلّ عاماً أول ، ويحرم العام ما حرّم عاماً أول ، وأن ما أحدث الناس لا يحلّ لكم شيئاً مما حرّم الله عليكم ، ولكن الحلال ما أحلّ الله والحرام ما حرّم الله » (٧) .

(١) البخار : ج ٢ ص ٨٤ عن التفسير المنسوب للامام العسكري (ع) .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٥٧ . (٣) الكافي : ج ١ ص ٥٦ . (٤) سورة الانعام : آية ٣١ .

(٥) سورة النساء : آية ٨٢ . (٦) نهج البلاغة : ص ٦٠ خطبة ١٨ . (٧) نهج البلاغة : ص ٢٥٤ خطبة ١٧٦ .

الفصل السادس

في علم الكلام

وأما علم الكلام فحاصل ما يشتمل عليه من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة ، وإما مشاغبة بالتعلق بمتناقضات الفرق ، وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزديها الطباع وتمجها الاسماع ، وأكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدين .

ولم يكن شيء من ذلك مألوفاً في العصر الأول ، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ، ولكن اليوم صار ممّا لا بدّ منه حراسة لقلوب العوام من تخیلات المبتدعة ، وإنّما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدث حاجة الانسان على استیجار البدرقة في طريق الحجّ لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ، ولو تركت العرب عداوتهم لم يكن استیجار الحراس من شروط طريق الحجّ

والمتكلم إن تجرد للمناظرة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وإصلاحه لم يكن من جملة علماء الذين أصلاً ، إذ ليس عند المتكلم من الدين إلاّ العقيدة التي يشاركه ساير العوام فيها ، وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنّما يتمييز عن العامي بصفة المجادلة والحراسة ، فان معنى معرفة الله سبحانه وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه من العلوم الدنيوية فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجاً ومانعاً عنه وإنّما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدّمة للهداية حيث قال تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾^(١) .

قال أمير المؤمنين (ع) : « من طلب الدين بالجدل تزندق »^(٢) ، وروي أنّ رجلاً قال للحسين بن عليّ (ع) : « اجلس حتى نتناظر في الدين قال : يا هذا انا بصير بديني ، مكشوف عليّ هداي ، فان كنت جاهلاً بدينك فاذهب واطلبه مالي وللممارات »^(٣) .

وعن الباقر (ع) : « الخصومة تمحق الدين وتحبط العمل وتورث الشك »^(٤) ، وعن الصادق (ع) : « لا يخاصم إلاّ شاك أو من لا ورع له »^(٥) وعن الكاظم (ع) أنه قال لعليّ ابن يقطين : « مر

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٩ . (٢) كتاب الاعتقادات ص ٧٤ الملحق بشرح باب حادي عشر .

(٣) مصباح الشريعة باب ٤٨ . (٤) التوحيد : ص ٤٥٨ ح ٢١ . (٥) التوحيد : ص ٤٦٠ ح ٣٠ .

أصحابك أن يكفوا عن ألسنتهم ويدعوا الخصومة في الدين ، ويجتهدوا في عبادة الله عز وجل» (١) .

وعن الرضا (ع) أنه سئل في مكاتبة أنهم نهوا عن الكلام في الدين فتأول مواليك المتكلمون بأنه إنما نهى من لا يحسن أن يتكلم فأمّا من يحسن أن يتكلم فلم ينهه ، فهل ذلك كما تأولوا ؟ فكتب (ع) : «المحسن وغير المحسن لا يتكلم فيه فإن اثمه أكبر من نفعه» (٢) .

الفصل السابع

الجدال التي هي احسن والتي ليست بأحسن

إنما منعوا من الجدال والمناظرة لأنّ لهما آداباً وشروطاً لا بدّ من مراعاتها وآفات يجب التجنب عنها ، وقل من يهتدي إليها ويوفق لما يجب ، وإلا فالجدال بالتي هي أحسن مأمور به .

قال أبو محمّد الحسن العسكري (ع) : ذكر عند الصادق (ع) «الجدال في الدين وأن رسول الله (ص) والأئمة (ع) قد نهوا عنه فقال الصادق (ع) : لم ينه عنه مطلقاً ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن أما تسمعون الله يقول : ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ (٣) وقوله : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (٤) فالجدال بالتي هي أحسن قد امر به العلماء بالدين ، والجدال بغير التي هي أحسن محرم حرم الله على شيعتنا وكيف يحرم الله الجدال جملة ؟ وهو يقول : ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾ (٥) قال الله تعالى : ﴿تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (٦) فجعل علم الصدق الاتيان بالبرهان ، وهل يؤتى بالبرهان إلا في الجدال التي هي أحسن .

قيل يابن رسول الله : فما الجدال التي هي أحسن والتي ليست بأحسن ؟

قال : أمّا الجدال بغير التي هي أحسن فإن تجادل مبطلا فيورد عليك باطله فلا تردّه بحجة قد نصبه الله ولكن تجحد قوله أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به بطله فتجحد ذلك

(١) التوحيد: ص ٤٦٠ ح ٢٩ .

(٢) التوحيد: ص ٤٥٩ ح ٢٦ . (٣) سورة العنكبوت : آية ٤٦ . (٤) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٥) سورة البقرة : آية ١١١ . (٦) سورة البقرة : آية ١١١ .

الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة ، لأنك لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم ، وعلى المبطلين أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله ، أما الضعفاء فتغتم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل .

وأما الجدل بالتي هي أحسن وهو ما أمر الله به نبيه أن يجادل بها من جحد البعث بعد الموت وحياء الله له فقال الله حاكيا عنه : ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾^(١) وقال الله في الرد عليه ﴿ قل يا محمد : يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ﴾^(٢) إلى آخر السورة ، فأراد الله من نبيه أن يجادل المبطل الذي قال : كيف يجوز أن يعث هذه العظام وهي رميم ؟ فقال الله : ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ أفيعجز من ابتداءه لا من شيء « من لا شيء خ » أن يعيده بعد أن يبلى ؟ بل ابتداءه أصعب عندكم من إعادته .

ثم قال : ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾^(٣) أي إذا كمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب ثم يستخرجها فعرفكم أنه على إعادة ما بلى أقدر ، ثم قال : ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾^(٤) أي إذا كان خلق السموات والأرض اعظم وأبعد في أوهاكمم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي .

قال الصادق (ع) : فهذا الجدل بالتي هي أحسن ، لأن فيها قطع عذر الكافرين ، وإزالة شبههم وأما الجدل بغير التي هي أحسن فإن تجحد حقا لا يمكنك أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله ، وإنما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق ، فهذا هو المحرم لأنك مثله جحد هو حقا وجحدت أنت حقا آخر^(٥) .

(١) سورة يس : آية ٧٨ . (٢) سورة يس : آية ٧٩ - ٨٠ . (٣) سورة يس : آية ٨٠ .

(٤) سورة يس : آية ٨١ . (٥) الاحتجاج : ج ١ ص ١٥ .

الفصل الثامن العلم النافع وعلاماته

وللعلم النافع صفات وعلامات وآداب فمن الصادق (ع) في قول الله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^(١) قال : « يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم »^(٢) .

وعنه (ع) : «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمونه انعلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم »^(٣) .

وعن الرضا (ع) قال : « إن من علامات الفقه الحلم والصمت »^(٤) .

وعن الصادق « الرضا خ » (ع) قال قال أمير المؤمنين (ع) : «ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ألا لاخير في علم ليس فيه تفهم ، ألا لاخير في قراءة ليس فيها تدبر ، ألا لاخير في عبادة لافقه فيها ، ألا لاخير في نسك لا ورع فيه »^(٥) .

يعني أن الفقيه حقيقة ليس إلا من يكون عالماً بالمراد من الوعد والوعيد جميعاً عارفاً بالمقصود من الأوامر والنواهي جملة بملاحظة بعضها إلى بعض ، وإنما عرف الفقيه بهذه العلامات السلبية لأن أكثر من يسمّى عند الجمهور بهذا الاسم في كل زمان يكون موصوفاً بأضدادها ، فكأنه (ع) عرض بالعلماء السوء والفقهاء الزور وقد أبطل بكل علامة مذهباً من المذاهب الباطلة أو أكثر في الاصول والفروع .

(١) سورة فاطر : آية ٢٨ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٣٦ وعدة الداعي ص ٧٩ قوله : من صدق قوله فعله : المراد به من يكون ذا علم ومعرفة ثابتة مستقرة استقراراً لا يغلبه معه هواه والمعرفة الثابتة المستقرة كما تدعو إلى القول والإقرار باللسان تدعو إلى الفعل والعمل بالأركان ، والعالم بهذا المنى له خشية من ربه تؤدبه إلى الطاعة والانقياد قولاً وفعلاً (مرآة) .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٣٦ وأمالى الصدوق ص ٢٩٤ ج ٩ وروضة الواعظين ص ١٠ ودعائم الاسلام ج ١ ص ٨٠ .
(٤) الكافي : ج ١ ص ٣٦ . (٥) الكافي : ج ١ ص ٣٦ ومعاني الاخبار ص ٢٢٦ وتحف العقول ص ١٤٤ .

فبالأولى أبطل مذهب المعتزلة القائلة بإيجاب الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة في النار ،
ومذهب الخوارج المضيقيين في التكاليف الشرعية .

وبالثانية مذهب المرجئة ومن يجري مجراهم من المغترين بالشفاعة وصحة الاعتقاد .

وبالثالثة مذهب الحنابلة والاشاعرة ومن يشبههم كأكثر المتصوفة .

وبالرابعة مذهب المتفلسفة الذين اعرضوا عن القرآن وأهله وحاولوا اكتساب العلم
والعرفان من كتب قدماء الفلاسفة ومذهب الحنفيّة الذين عملوا بالقياس وتركوا القرآن
والحديث ، والعلم الذي ليس فيه تفهم كالعلم الظني والتقليدي ومجرد حفظ الأقوال والروايات
فانها ليس بعلم في الحقيقة .

وعن الباقر (ع) : «أنه سئل عن مسألة فاجاب فيها فقال الرجل : إن الفقهاء لا يقولون هذا
فقال : يا ويحك فهل رأيت فقيهاً قط إن الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا والراغب في الآخرة
المتمسك بسنة النبي (ص)»^(١) .

وعن الصادق (ع) قال : « طلبه العلم ثلاثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم : صنف يطلبه
للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل ، وصنف يطلبه للفقه والعقل .

فصاحب الجهل والمراء موزي مماري متعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم
وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلي من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه
حيزومه .

وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للاغنياء
من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه « لدينهم خ » حاطم ، فأعمى الله على هذا خبره « خيره
خ » وقطع من آثار العلماء أثره .

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه ، وقام الليل في حنسه
يعمل ويخشى وجلا داعياً مشفقاً ، مقبلاً على شأنه ، عارفاً بأهل زمانه مستوحشاً من أوثق إخوانه
فشدّ الله من هذا أركانه ، وأعطاه يوم القيامة أمانه»^(٢) .

وعن النبي (ص) العلماء رجلان : « رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج ، وعالم تارك لعلمه

(١) الكافي : ج ١ ص ٧٠ . (٢) الكافي : ج ١ ص ٤٩ .

فهذا هالك ، وان أهل النَّار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه ، وان أشدَّ أهل النَّار ندامة وحسرة رجل دعى عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة ، وأدخل الداعي النَّار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل أما اتباع الهوى فيصدَّ عن الحق وطول الامل ينسي الآخرة» (١) .

وعنه (ص) : «منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم ، ومن تناولها من غير حلها هلك إلا ان يتوب أو يراجع ، ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا ، ومن أراد به الدنياه في حظه» (٢) .

وعن السجاد (ع) : «مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم ، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلا كفراً ، ولم يزد من الله إلا بعداً» (٣) .

وعن الباقر (ع) : «من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس فليتبوا مقعده من النار ، إن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها» (٤) .

وعن الصادق (ع) : «العلم مقرون بالعمل فمن علم وعمل ومن عمل علم ، والعمل يهتف بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل عنه» (٥) .

وعنه (ع) : «إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم فان كلَّ محبٍ لشيء يحوط ما أحب» (٦) .

الفصل التاسع

في آداب المعلم

ينبغي للمتعلم أن يطهر نفسه أولاً من رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلوة السُّرور قربة الباطن إلى الله ، فكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار فكذلك لا يصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد تطهرته من خبائث الاخلاق وأنجاس الاوصاف .

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٤ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٤٦ . (٣) الكافي : ج ١ ص ٤٤ . (٤) الكافي : ج ١ ص ٤٧ .

(٥) الكافي : ج ١ ص ٤٤ عن الامام علي (ع) كما في عدة الداعي ص ٧٨ . (٦) الكافي : ج ١ ص ٤٦ .

قال النبي (ص) : « بني الذين على النّظافة »^(١) وهو كذلك ظاهراً وباطناً وقال الله تعالى : « إنما المشركون نجس » تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورتين على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أي باطنه ملطخ بالخبائث ، والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهمّ بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المال .

ولذلك قال رسول الله (ص) : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب »^(٢) والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات المردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنتى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ، ونور العلم لا يقذفه الله عز وجل في القلب إلا بواسطة الملائكة .

الفصل العاشر

الاخلاص بالعلم لله

وينبغي للمعلم أن يخلص تعليمه لله من غير طمع ، وأن يشفق على المتعلم وينصحه ويقصر على قدر فهمه ، وأن يبذل العلم لأهله ويمنع غير أهله .

فمن الصادق (ع) قال : « قام عيسى بن مريم خطيباً في بني إسرائيل فقال : يا بني إسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوا أهلها فتظلموهم »^(٣) وأن لا يقول ما لا يعلم .

سئل الباقر (ع) : « ما حق الله على العباد ؟ قال : « أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون »^(٤) وعن الصادق (ع) قال : « إن الله خصّ عباده بأيتين من كتابه أن لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردّوا ما لا يعلموا » وقال : « الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق »^(٥) وقال : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله »^(٦) ^(٧) .

(١) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٤٨ . (٢) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ١٥٩ .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٤٢ . (٤) الكافي : ج ١ ص ٤٣ والمحاسن : ص ٢٠٤ .

(٥) سورة الاعراف : آية ١٦٩ . (٦) سورة يونس : آية ٣٩ . (٧) الكافي : ج ١ ص ٤٣ .

وعنه (ع): «إياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك : إياك أن تفتي الناس برأيك ، وأن تدين بما لا تعلم»^(١) .

وعن الباقر (ع): «من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه»^(٢) .

أريد بالعلم ما يستفاد من الأنوار الالهية والالهامات الحقّة كما هو للأئمة (ع) ، وبالهدى ما يسمع من أهل بيت النبوة كما هو لنا ، وبملائكة الرحمة الهادون لنفوس الأخيار الى مقاماتهم في درجات الجنان ، وبملائكة العذاب السائقون لنفوس الأشرار إلى منازلهم في دركات الجحيم والنيران .

وعن الصادق (ع) « إذا سئل رجل منكم عما لا يعلم فليقل لا أدري ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكاً ، وإذا قال المسؤول لا أدري فلا يتهمه السائل »^(٣) .

الفصل الحادي عشر

في آداب المتعبد

وينبغي لمن أراد العبادة لله سبحانه أن يحصل أولاً العلم بكيفية تلك العبادة من مأخذه ، ومأخذ العلوم جميعاً أهل بيت النبوة الذين هم مهبط الوحي وينابيع الحكمة الأخذين علومهم من الله سبحانه .

سئل الباقر (ع) عن قول الله تعالى : ﴿ فلينظر الانسان إلى طعامه ﴾^(٤) ما طعامه ؟ قال (ع) : « علمه الذين يأخذون عن يأخذ »^(٥) ولما كان تفسير الآية ظاهراً لم يتعرض له وإنما تعرض لتأويلها .

وعن النبي (ص) : « من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح »^(٦) .

وعن الصادق (ع) : « العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٢ والمحاسن : ص ٢٠٤ . (٢) الكافي : ج ١ ص ٤٢ والمحاسن : ص ٢٠٥ .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٤٢ والمحاسن : ص ٢٠٦ . (٤) سورة عبس : آية ٢٤ .

(٥) الكافي : ج ١ ص ٥٠ . (٦) الكافي : ج ١ ص ٤٤ .

والسر في ذلك أن إصلاح القلب وتطهيره بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالأعمال البدنية ليست مقصودة بالذات ، لأنها كالأعدام للملكات ، والعدم لا يكون مطلوباً إلا بالعرض إنما المطلوب أن ينكشف له المعارف الحقيقية من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لكل إنسان بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك ، ولا تنكشف هذه المعارف إلا بأن يقع ذلك الإصلاح والتطهير على وجهه مأخوذاً عن صاحب الشرع صلوات الله عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسَّماع منه ، فمن اقتصر في سلوكه على مجرد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة ، فالتصفية تصير وبالآلية إذ تتحرك النفس بالخواطر الوهمية ويستولي عليها الوسواس النفسانية ، فيشوش القلب حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة ، والأفكار الصحيحة ولم يأخذ كيفية العبادة عن صاحب الشرع وخلفائه (ص) ، فيتشبث بالقلب خيالات ، فاسدة وتصورات باطلة وأوهام كاذبة وربما يتخيل في ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر والزندقة وفي زعمه أنها صحيحة حقة نعوذ بالله منه ، وربما يقتدي به غيره فيتعدى شره ويصير من الجاهلين المتنسكين القاصمين للظهر .

ثم مع ذلك قل ما يخلو من إعجاب بنفسه وافتخار بعلمه واغترار بعبادته ونظراً إلى سائر الناس بعين الاحتقار والازدراء وربما يتشحن بباطنه بأمراض نفسانية وهو غافل عنها غير ملتفت إلى معالجاتها وإزالتها ، وربما يظن الرزايل فضائل والعيوب كمالات كما أخبر الله سبحانه : ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (٢).

قال أمير المؤمنين (ع) : « قضم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغير يغترخ ل « الناس بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه » (٣).

وقال الصادق (ع) : « لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بالعمل » بعمل « فمن عرف دلته المعرفة على العمل ، ومن لم يعمل فلا معرفة له ألا إن الإيمان بعضه من بعض » (٤).

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٣ وأمالي الشيخ المفيد : ص ٤٢ وعن رسول الله (ص) « والعامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق لا يزيده سرعة السير من الطريق إلا بعداً » عدة الداعي ص ٧٤ .

(٢) سورة الكهف : آية ١٠٣ - ١٠٤ . (٣) العوالي : ج ٤ ص ٧٧ ح ٦٤ . (٤) أمالي الصدوق : ص ٣٤٤ ح ١٩ .

معناه أنّ كل معرفة تثمر حالاً ووصفاً في النفس ، وكل حال تحمل صاحبه على عمل وعبادة ، وكل عبادة تثمر حالاً آخر ووصفاً غير الأول ، وهو يثمر معرفة أخرى سوى الأولى ، وهكذا يتكامل إيمان المرء بالمعرفة والعبادة حتى بلغ الغاية وخلص من التعب والمشقة واستقر في مقام الأمن والراحة واصلاً إلى عين اليقين .

ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة ، فكأنما أضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي سبباً لأضائة قطعة أخرى منه وهكذا ، وفي الحديث النبوي (ص): «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم»^(٤) .

الفصل الثاني عشر

في ذم أهل البدع والاهواء

قد ورد في ذم أهل البدع والاهواء والجهال المتشبهين بالعلماء أخبار كثيرة عن أئمة الهدى سلام الله عليهم ولنورد منها نبذاً تكون انموذجاً لما سواها .

فعن الصادق (ع) قال : « قال رسول الله (ص) : إذا رأيتم أهل البدع والريب من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية ، وباهتوهم حتى لا يطمعوا في الفساد في الاسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله تعالى لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات »^(٢) .

وقال (ص) : « إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله »^(٣) .

وقال (ص) : « إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان. ولياً من أهل بيتي « موكلًا به خ » يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويردّ كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله »^(٤) .

وقال (ص) : « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار »^(٥) .

(١) البحار : ج ٤٠ ص ١٢٨ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٣٧٥ . تنبيه الخواطر ص ٣٩٧ .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٥٤ . (٤) الكافي : ج ١ ص ٥٤ . (٥) الكافي : ج ١ ص ٥٦ وأمالى المفيد : ص ١١ .

وقال أمير المؤمنين (ع) في خطبة له : « إنما بدؤ وقوع الفتن اهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا ، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجي ، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان ويجيئان معا ، فهنالك استحوذ الشيطان على اوليائه ونجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى » (١) .

وقال (ع) : « إن من أبغض الخلق إلى الله تعالى لرجلين : رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشعوف بكلام بدعة (٢) قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته .

ورجل قمش (٣) جهلا في جهال الناس عان (٤) بأغباش الفتنة قد سماه أشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوماً سالماً ، بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن (٥) واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره ، وإن خالف قاضياً سبقه لم يأمن ان ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله ، وإن نزلت به احدى المبهمات المعضلات هيأ لها حشوا من رأيه ثم قطع به ، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ لا يحسب العلم في شيء مما انكر ، ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً ، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره ، وإن أظلم عليه امر اکتتم به لما يعلم من جهل نفسه ، يكن الصواب لكيلا يقال له لا يعلم ، ثم جسر فقضى .

فهو مفتاح عشوات ، ركاب شبهات ، خباط جهلات ، لا يعتذر فيما لا يعلم فيسلم ، ولا

(١) الكافي : ج ١ ص ٥٤ .

(٢) في نهج البلاغة هكذا مشعوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة ، فهو الخ والمعجمة والمهملة ما قرء أيضاً قوله تعالى : « قد شغفها حباً » .

والظاهر أن المصنف (ره) نقل هذا الحديث عن الكافي وكم من اختلاف فيه بين ما نقله الكليني (قد) وما نقله السيد (ره) في النهج .

(٣) القمش جمع المتفرق من هاهنا وهاهنا .

(٤) من قولهم عنى فيهم أسيراً أي أقام فيهم على اسارة أو من عنى بمعنى تعب وفي بعض نسخ النهج غار من الغرور وهو الغفلة وفي بعضها عاد من العدو بمعنى السعي أو من العدوان والاغباش ظلمة آخر الليل .

(٥) في نسخ النهج من ماء آجن ، والماء الاجن المتغير الطعم واللون .

يغض في العلم بضرر قاطع فيغتم ، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم^(١) تبكي منه المواريث ، وتصرخ منه الدماء ، ويستحلّ بقضائه الفرج الحرام ، ويحرّم بقضائه الفرج الحلال ، لاملئء باصدار ما عليه ورد ولا هو أهل « ابهل خ » لما منه فرط من ادعائه علم الحق^(٢) وقال (ع) : « إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلى حق تلاوته ، ولا أنفق سلعة وأغلا ثمنا من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه ، ولا عندهم أنكر من المعروف ، ولا أعرف من المنكر »^(٣) .

وعن الصادق (ع) : « إن أصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس فلم يزدهم المقائيس من الحق إلا بعداً ، وإن دين الله لا يصاب بالمقائيس »^(٤) .

وعن الكاظم (ع) : « من نظر برأيه هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر »^(٥) .

ولما كان غرضنا في هذا الكتاب مقصوراً على حقايق العلوم الدينيّة اكتفينا بذلك ولم نتعرّض لأزيد منه ولا للعلوم الاخر .

وعن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : « العلم اكثر من أن يحاط به فخذوا من كل علم أحسنه »^(٦) وزاد في رواية اخرى : « فان النحل يأكل من كل زهر أزينه فيتولد جوهرا : أحدهما فيه شفاء للناس ، والآخر يستضاء به »^(٧) .

أقول : وتصديق ذلك في قول الله سبحانه : ﴿ فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هديهم الله وأولئك هم أولوا الأبواب ﴾^(٨) .

الباب الثاني

في العقايد

في العقايد اعلم أن العقايد لا يجوز أخذها إلا بوحي من الله سبحانه بواسطة الأنبياء ثم

(١) وفي بعض الروايات يذرو بالواو والهشيم النبت اليابس المنكسر؛ فالمعنى أن الريح كمالا تبالي في اطارة الهشيم وتبيديه وتمزيقه كذلك يفعل هذا الجاهل في الروايات .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٥٥ (٣) نهج البلاغة : ص ٦٠ خطبة رقم ١٧ .

(٤) الكافي : ج ١ ص ٥٦ والمحاسن : ص ٢١١ . (٥) الكافي : ج ١ ص ٥٦ .

(٦) غرر الحكم : ص ٨٣ ح ١٨٩٩ . (٧) غرر الحكم : ص ٢٧٣ ح ٥١٦٨ . (٨) سورة الزمر : الآية ١٧ - ١٨ .

الأوصياء مع ما فطر الناس عليه من المعرفة ، قال الله تعالى : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾^(١) فقد ورد ، ، أن المراد بها المعرفة ، وفي رواية التوحيد ، وفي الحديث النبوي (ص) : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »^(٢) .

والفطرة في الاصل الجبلية ، وهي عبارة عن العقل المطبوع الذي هو شرع من داخل كما أنّ الشرع عقل من خارج ، فإن العقل كالسراج والشرع كالزيت يمدّه فما لم يكن زيت لم يشعل السراج ، وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت ، وأيضاً العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولم ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر ﴿ قد جاءكم من الله نور^٣ وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل لسلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ﴾ فسحقاً لأقوام عزلوا عقولهم وأعرضوا عن رسلهم واتبعوا أهواءهم فضلوا وأضلوا .

ثم إن أعقل العقلاء نبينا (ص) وخير الشرايع شرعه وإنما أرسله الله وانزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط . فصعد بأمر الله وهدى الخلق إلى صراط الله ، وأرشدهم إلى معرفة صانعهم ويرم آخرهم ببيان وبرهان ناسبا عقولهم ، وتبهم على أدلة وحجج بلغت إليها أفهامهم وأتى كل طائفة من ذلك بما يصلح لعقله وفهمه من برهان وخطابة وجدال بالتي هي أحسن ومعجزة لمن له المعجزة أبين ليكونوا على بصيرة من أمرهم وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

ثم أكمل لهم امور دينهم بحيث لم يحتج أمته إلى آثار السالفين فيما يهمهم ويعينهم من أمر الدين وليس لقائل أن يقول : إنّ ثبوت الأنبياء والشرايع يتوقف على ثبوت الصانع وصفاته الكمالية فكيف يعرف الصانع وصفاته بالأنبياء والشرايع وذلك لأنه لو لم يكن صاحب هذا الكلام والبيان مقبول القول ومعصوم الفعال لكان فيها الحجة من حيث مطابقتها لمقتضى العقول السليمة ، فإن براهينه هي المتبعة وبيّناته وحججه هي الملزمة على أن ما يتوقف عليه الشرع من معرفة الصانع وصفاته يجري مجرى الضروريات التي يحكم بها كل من له أدنى مسكة ، قال الله عز وجل : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾^(٤)

(١) سورة الروم : آية ٣٠ .

(٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٥ .

(٣) سورة المائدة آية ١٦ .

(٤) سورة لقمان : آية ٢٥ .

فقد ثبت أن ما ورد في الشرع كاف في الاهتداء إلى سبيل الحق مع ما جبل عليه أهل السّلامة من العقل المطبوع ، فلا حاجة إلى تكلفات المتكلفين على اختلاف طبقاتهم وتشعب آرائهم وتناقض أهوائهم في إبداء الأدلة وأنها من الحجج على أمور الدين .

فأنهم جمعوا بين الجهل وسوء الأدب ، أما الجهل ، فلكونهم ما عرفوا موضع الدلالة فيما نصبه الحق دليلاً ، وأما سوء الأدب فمعارضتهم له سبحانه بما دخلوا فيه ممّا يزعمونه دليلاً فجعلوا نظرهم في الدين أتم في الدلالة ممّا دلّ عليه الحق تعالى عن ذلك ، أفأنزل الله ديننا ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه أم أنزل الله ديننا تاماً فقصر الرّسول عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول : ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾^(١) وفيه ﴿ تبياناً لكل شيء ﴾^(٢) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تنكشف الظلمات إلا به »^(٣) .

الفصل الاول

في الثقلين

لما ثبت أن خير هاد إلى الله سبحانه نبينا (ص) وقد ثبت أنه ترك من بعده لخلافته الثقلين : كتاب الله ، وعترته المصطفين وما أوصى أمته في ذلك إلا بالتمسك بهما كما استفاض به الأخبار من طريقي العامة والخاصة جميعاً على اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى .

وفي رواية « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض »^(٤) ومعنى عدم افتراقهما أن علم الكتاب كله هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعاً .

وفي رواية « إني امرؤ مقبوض وأوشك أن ادعى فاجيب وقد تركت فيكم الثقلين »^(٥) ، وفي أخرى « الأكبر منهما كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تزلوا ولا تضلوا ، والأصغر منهما عترتي لا تقتلوهم ولا تقهروهم فأنّي سألت اللطيف الخبير أن يردا عليّ الحوض

(١) سورة الانعام : آية ٣٨ .

(٢) سورة النحل : آية ٨٩ . (٣) ارشاد القلوب : ص ٨ .

(٤) اكمال الدين : ج ١ ص ٢٣٧ . (٥) اكمال الدين : ج ١ ص ٢٣٦ .

فأعطاني فقاهرهما قاهري وخاذلهما خاذلي ووليهما وليي وعدوهما عدوي»^(١) وفي رواية «وهما الخليفان بعدي»^(٢).

وسئل أمير المؤمنين (ع) عن معنى الحديث من العترة ، فقال : « أنا والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين (عليهم السلام) تأسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردا على رسول الله حوضه »^(٣) ، وفي رواية « من جعلهما أمامه قاده إلى الجنة ومن جعلهما خلفه ساقاه إلى النار » .

وفي الخبر المستفيض : « إن مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق »^(٤).

وفي الكافي عن الباقر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أمّتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي »^(٥) .

وعن الصادق (ع) عن آبائه قال : قال رسول الله (ص) : « أيها الناس إنكم في دار هدنة وأنتم على ظهر سفر والسّير بكم سريع وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يلبيان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود ، فأعدّوا الجهاز لبعث المجاز ، قال : فقام المقداد بن الأسود فقال : يا رسول الله ما دار هدنة ؟ قال : دار بلاغ وانقطاع ، فاذا التبتت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وما حل^(٦) مصدق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار .

وهو الدليل يدلّ على خير سبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل ، وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره أنيق وباطنه عميق ، له تخوم وعلى تخومه تخوم ، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائب ، فيه مصباح الهدى ومنار الحكمة ، ودليل على المعرفة لمن عرف الصّفة فليجل جال بصره ، وليبلغ الصّفة نظره ينج من عطب ، ويخلص من نشب ، فإنّ التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستتير في الظلمات بالنور ، فعليكم

(١) الطوائف : ص ٢٨ - ٢٩ كما في البحار ج ٢٣ ص ١٠٩ . . (٢) اكمال الدين : ج ١ ص ٢٣٦ .

(٣) اكمال الدين : ج ١ ص ٢٤٠ . (٤) امالي الطوسي : ص ٥٩ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٦٠٠ .

(٦) اي يمحّل بصاحبه اذا لم يتبع ما فيه ، اعني يسعى به الى الله تعالى ، وقيل معناه خصم مجادل كذا في الصافي .

بحسن التخلص وقلة التريص»^(١) .

وعنه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة ، وفيه كمال دينكم وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار»^(٢) .

وعن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم « من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتكذب الفتن»^(٣) .

وعنهم (ع) « من أخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه (ص) زالت الجبال قبل أن يزول ، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال رده الرجال»^(٤) .

قال محمد بن يعقوب الكليني (ره) بعد نقل هذا الحديث : « ولهذه العلة انبثقت على أهل دهرنا بثوق هذه الأديان الفاسدة والمذاهب المستبشعة « المستشعنة خ » التي قد استوفت شرايط الكفر والشرك كلها ، وذلك بتوفيق الله عز وجل وخذلانه .

فمن أراد الله توفيقه وأن يكون إيمانه ثابتاً مستقراً سبب له الأسباب التي تؤديه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه (ص) بعلم ويقين وبصيرة ، فذلك أثبت في دينه من الجبال الرواسي .

ومن أراد الله خذلانه وأن يكون دينه معارفاً مستودعاً نعوذ بالله منه سبب له أسباب الاستحسان والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة ، فذاك في المشية إن شاء الله تبارك وتعالى أتم إيمانه وإن شاء سلبه إياه ولا يؤمن عليه أن يصبح مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً ، لأنه كلما رأى كبيراً من الكبراء مال معه ، وكلما رأى شيئاً استحسنت ظاهره قبله .

وقد قال العالم (ع) : إن الله تعالى خلق النبيين على النبوة فلا يكونون إلا أنبياء ، وخلق الأوصياء على الوصية فلا يكونون إلا أوصياء ، وأعار قوماً إيماناً فان شاء تممه لهم وإن شاء سلبهم إياه ، قال : وفيهم جرى قوله : «فمستقر ومستودع»^(٥) ^(٦) .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٥٩٨ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٦٠٠ .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٧ (٤) الكافي : ج ١ ص ٧ .

(٥) سورة الانعام : آية ٩٨ . (٦) الكافي : ج ١ ص ٧ و ٨ .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : « لما أنزل الله على نبيه (ص) : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾^(١) قلت : يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟ فقال (ص) : هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السَّلَام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي بن علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم كنيسي وسميِّي حجة الله في أرضه وبقيته في عبادته ، ابن الحسن بن علي الذي يفتح الله تعالى ذكره على يده مشارق الأرض ومغاربها ، ذاك الذي يغيب عن شيعة وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته إلا من امتحن الله قلبه للايمان .

قال جابر : قلت له : يا رسول الله فهل يتفجع شيعة به في غيبته قال اي والذي بعثني بالنبوة يستضيئون بنوره ويتفجعون بولايته في غيبته كانتفاج الناس بالشمس وإن تجلجلها سحباب يا جابر هذا من مكنون سرِّ الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله^(٢) .

الفصل الثاني

في طريق فهم العقائد

اعلم أن الناس في فهم العقائد وقبولها على طبقات ومنازل بعضها فوق بعض ليسوا في درجة واحدة . وإنما كلف الله عباده بقدر ما أعطاهم من العقل والفهم والوسع .

قال الباقر (ع) : « إن المؤمنين على منازل ، منهم على واحدة ، ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلاث ، ومنهم على أربع ، ومنهم على خمس ، ومنهم على ست ، ومنهم على سبع ، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو ، وعلى صاحب الثنتين ثلاثا لم يقو^(٣) » وساق الحديث .

وقال الصادق (ع) : « الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل ، فمنه التام المنتهي تماما ، ومنه الناقص البين نقصانه ، ومنه الرجح الزائد رجحانه^(٤) » .

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .

(٢) كمال الدين : ج ١ ص ٢٥٣ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٤٥ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٣٤ .

وقال أيضاً « لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم أحد أحداً » (١) .

فينبغي أن يقدم إلى الصّبي في أول نشوه وتميزه « خ ل » ترجمة العقائد ليحفظها حفظاً ثم لا يزال ينكشف معناه في كبره شيئاً فشيئاً فابتدأه الحفظ ، ثم الفهم ، ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به وذلك ممّا يحصل في الصّبي بغير برهان ، فمن فضل الله على قلب الانسان شرحه في أول نشوه للايمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد والتعليم المحض .

نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الازالة بنقيضه لو القى إليه ولا بد من تقويته وإثباته في نفس الصّبي والعامي حتّى يترشح به ولا يتزلزل ، وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام ، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره ، وقراءة الحديث ومعانيه ، ويشتغل بوظائف العبادات .

فلا يزال يقوى اعتقاده ويزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه ، وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها ، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها ، وما يسري إليه من مشاهدة الصّالحين ومجالستهم ورؤية سيماهم وسيرتهم وهيأتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له ، فيكون أول التلقين كالقاء بذر في الصّدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربة له حتّى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السّماء .

وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشها الجدل أكثر ممّا يمّهده ، وما يفسده أكثر ممّا يصلحه ، والمشاهدة تفكيك في هذا بياناً وناهيك بالعيان برهاناً ، فقس عقيدة أهل الصّلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمتجادلين ، فترى اعتقادهم العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواعي « الدّواهي خ » والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيوط مرسل في الهواء تفيأه الريح مرّة هكذا ومرّة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليداً كما تلقف نفس الاعتقاد تقليداً ، ولا فرق بين التقليد في تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقن الدليل شيء والاستقلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه .

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٤ ح ١ .

ثم الصَّبي إذا وقع نشؤه على هذه العقائد إن اشتغل بكسب الدُّنيا لم يفتح له غيرها ، ولكنه سلم في الآخرة باعتقاد الحق إذ لم يكلف الشرع العرب أكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقائد ، فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوا أصلاً .

وإن إراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وكان أهلاً لذلك وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة، انفتح له أبواب « من خ ل » الهداية ويكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقياً لوعده تعالى إذ قال : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾^(١) وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية مقصد الصديقين والمقربين ، وله درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين .

وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطبِّ والفقه وسائر العلوم ، إذ تختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطر في الذكاء والفطنة ، فكما لا تنحصر تلك الدَّرجات فكذلك هذه ، وأما تفصيل متعلقات العقائد للخواص وكيفية المجاهدة لهم فقد أشرنا إليهما في الفصل الثالث من الباب الأول .

الفصل الثالث

أقل ما يجب اعتقاده

قال حجة الفرقة الناجية نصير الحق والدين محمد بن الحسن الطوسي طاب ثراه : أقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) ثم إذا صدق الرسول فينبغي أن يصدق في صفات الله واليوم الآخر وتعيين الامام المعصوم ، كل ذلك بما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد وبرهان .

أما في صفات الله فبأنه حيّ قادر عالم مرید متكلم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأما في الآخرة فبالإيمان بالجنة والنار والصراف والميزان والحساب والشفاعاة وغيرها ، ولا يجب عليه أن يبحث عن حقيقة الصفات وأن الكلام والعلم وغيرها حادث أو قديم ، بل لو لم تخطر هذه بباله ومات مؤمناً ، فإن غلب على قلبه شك أو إشكال فإن أمكن إزالته بكلام قريب

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .

من الأفهام وإن لم يكن قويا عند المتكلمين ، ولا مرضياً ، فذاك كاف ولا حاجة إلى تحقيق الدليل .

فان الدليل لا يتم إلا بذكر الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن أن يتشبت بالخاطر والقلب فيظنها حقّة لقصوره عن إدراك جوابها ، إذا الشبهة قد تكون جليّة والجواب دقيقا لا يحتمل عقله ، ولهذا ورد الزجر عن البحث والتفتيش والكلام وإنما زجروا ضعفاء العوام وأمّا أئمة الدّين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات .

ومنع العوام عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان عن شاطيء الدّجلة خوفا من الغرق ، ورخصة الأقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السّباحة إلا أنّ ههنا موضع غرور ومزلة قدم ، وهو أن كلّ ضعيف في عقله يظن انه يقدر على إدراك الحقايق كلها وانه من جملة الأقوياء ، فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون ، والصّواب منع الخلق كلهم إلا الشاذ النادر الذي لا يسمح الأعصار إلا بواحد منهم أو اثنين من « ممن خ » تجاوز سلوك أهل العلم في الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما أنزل الله وأخبر به رسول الله (ص) فمن اشتغل في الخوض فيه فقد أوقع نفسه في شغل شاغل .

إذ قال رسول الله (ص) حيث رأى أصحابه يخوضون بعد أن غضب حتى احمرت وجنتاه : أفبهذا امرتم ؟ تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا فما أمركم الله به فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا . فهذه تنبيه على منهج الحق .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « اتق الله وكن حيث شئت ومن أيّ قوم شئت فانه لا خلاف لأحد في التقوى والتمتقى محبوب عند كل فريق وفيها جماع كل خير ورشد إلى أن قال :

فالزم ما أجمع عليه أهل الصفاء والتقى من اصول الدّين وحقايق اليقين والرضا والتسليم ولا تدخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك ، وقد اجتمعت الامة المختارة بأن الله واحد ليس كمثله شيء وأنه عدل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال له في شيء من صنعه لم ولا كان ولا يكون شيء إلا بمشيئته وأنه قادر على ما يشاء ، وصادق في وعده ووعيده وأنّ القرآن كلامه ، وأنه كان قبل الكون والمكان والزمان ، وأنّ إحداثه وافناءه غيره سواء لا يزداد باحداثه علما ولا ينقص بافئائه « بفئائه خ ل » ملكه عزّ سلطانه وجلّ سبحانه ، فمن أورد

عليك ما ينقض هذا الاصل فلا تقبله وجرّد باطنك لذلك ترى بركاته وتفوز مع الفائزين» (١).

الفصل الرابع

في الاسرار التي يكتمها العلماء

اعلم أن الاسرار التي يكتمها العلماء « عن خ ل » من العوام ، منها ما يقصر عن إدراكه أفهامهم ولا يبلغ إليه عقولهم وذلك كالرّوح فانه من عالم الملكوت ، والعوام لم يتجاوز علمهم عن عالم الملك فاذا أفسوه إليهم يصير فتنة لهم قال الله تعالى : ﴿ويستلونك عن الرّوح قل الرّوح من امر ربّي وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ (٢).

ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا يكمل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين وسرّ القدر من هذا القبيل ولهذا منع من إفشائه ، ولا استبعاد في أن يكون ذكر بعض الحقايق مضرّاً ببعض الخلق كما يضر نور الشمس ببصائر الخفافيش ، وكما يضرّ ريح الورد بالجعل .

ومنها ما يكون بحيث لو ذكر صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكتنّى عنه على سبيل الاستعارة والرّمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقع ذلك الأمر في قلبه كما لو قال قائل : رأيت فلانا يقبّد الدّر في أعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها ، فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهره والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الانسان لم يكن معه درّ ولا كان في موضعه خنزير تفتن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس بذلك .

وكذلك ما ورد في الحديث «أما يخشى الذي رفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار؟» وذلك من حيث الصّوره لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى وهو كائن إذ حقيقة الحمار وخاصيته هي البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فأنهما متناقضان ، وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصّورة التي تتضمن عين المعنى أو مثله .

ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾ (٤) فانه تمثيل لتأثير قهرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها بأمر المطاع وإجابة المطيع والطائع .

(١) مصباح الشريعة : ص ٥٩ . (٢) سورة الاسراء ص ٨٥ . (٣) إحياء علوم الدين : ج ١ ص ٩٤ .

(٤) سورة فصلت : آية ١١ .

ومنه قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(١) وهو نوع من الكلام باطنا من دون حرف وصوت ، ومنه التعبير عن الصراط بالجسر الممدود بين الحنة والنار وعن الميزان بذي الكفتين إلى غير ذلك .

ومنها مثل ما يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له في تفاوت العلمان ، فيكون الأول كالقشر والثاني كالباب والآخر كالباطن ، وذلك كما يتمثل للانسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلمة أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول ، بل هو استكمال له فكذلك في العلم والايمان والتصديق ومن هذا القبيل أكثر العقائد .

الفصل الخامس

في تقليد العوام للعلماء

في تفسير الامام أبي محمد العسكري (ع) : « في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾^(٢) قال رجل للصادق (ع) « إذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعون من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره فكيف ذمهم الله بتقليدهم والقبول من علمائهم ؟ وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلدون علمائهم ، فاذا لم يجز لأولئك القبول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم .

فقال (ع) : بين عوامنا وعلمائنا وبين عوام اليهود وعلمائهم فرق من جهة وتسوية من جهة ، فأما من حيث استوا فان الله قد ذم عوامنا بتقليدهم علمائهم كما ذم عوامهم ، وأما من حيث افرقوا فلا قال : بين لي يا بن رسول الله :

قال (ع) : إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علمائهم بالكذب الصراح وبأكل الحرام والرشي وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه واعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعازف قلوبهم إلى أن من فعل « مثل خ ل » ما يفعلونه فهو فاسق ، ولا يجوز أن يصدق على الله ولا

(١) سورة النحل : آية ٤٠ . (٢) سورة البقرة : آية ٧٨ .

على الوسائط بين الخلق وبين الله فلذلك ذمهم لما قلدوا من قد عرفوا ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ولا العمل بما يؤذيه إليهم عمّن لا يشاهدونه ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله (ص) إذ كانت دلائله أوضح من أن يخفى وأشهر من أن لا يظهر لهم .

وكذلك عوام امتنا إذا عرفوا من فقهاءهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لاصلاح أمره مستحقا ، وبالترفق بالبر والاحسان على من تعصبوا له وإن كان للأذلال والاهانة مستحقاً ، فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة علمائهم .

فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظاً لدينه مخالفا لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه ، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم فان من ركب القبائح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منهم عناً شيئاً ولا كرامة لهم^(١) .

الباب الثالث

في معرفة النفس

في معرفة النفس ونعني بها الجوهر اللطيف الملكوتي الذي يستخدم هذا البدن الجسماني في حاجاته مسخراً له تسخير المولى لخدمه ، وهو ذات الانسان وحقيقته العالمة بالمعلومات ، وله في هذا البدن جنود جسمانية هي الأعضاء ، وجنود روحانية هي القوى قال الله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾^(٢) وقال نبينا (ص) : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »^(٣) ، وقال « أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه »^(٤) وقد يسمى هذا الجوهر الملكوتي بالروح لتوقف حياة البدن عليه ، وبالقلب لتقلبه في الخواطر ، وبالعقل لاكتسابه العلوم واتصافه بالمدركات وقد تستعمل هذه الالفاظ الأربعة في معان اخر تعرف بالقرائن .

ثم النفس توصف باوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها ، فاذا سكنت تحت الأوامر والنواهي وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله

(١) الاحتجاج : ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ . (٢) سورة الذاريات : آية ٢١ .

(٣) مصباح الشريعة : ص ١٣ . (٤) روضة الواعظين : ص ٢٠ .

تعالى : ﴿يا ايها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾^(١) وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للشهوة والغضب ومعرضة عليهما سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى : ﴿ولا اقسم بالنفس اللوامة﴾^(٢) وإن تركت الاعتراض واذ عنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء ، قال الله تعالى اخباراً عن يوسف (ع) : ﴿وما ابرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾^(٣) .

الفصل الاول

في الغضب والشهوة

اعلم أن جند الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقياداً تاماً فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي هو بصدده ، وقد يستعصيان عليه استعصاء بغبي وتمرد حتى يهلكاه ويستعبدها ، وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد ، وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكير وحقه أن يستعين بهذا الجند ، فإنه حزب الله على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان ، فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسراناً مبيهاً ، وذلك حال أكثر الخلق فإن عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه .

الفصل الثاني

تركيب الانسان من اربع شوائب

ثم اعلم أن الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصّقات السبعية والبهيمية ، والشيطانية ، والربانية . فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتّهجم على الناس بالضرب والشتيم .

ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهائم من الشرّ والحرص والشبق وغيره .

ومن حيث انه في نفسه أمر ربّاني كما قال الله تعالى : ﴿قل الرّوح من أمر ربّي﴾^(٤) فانه

(١) سورة الفجر : آية ٢٨ . (٢) سورة القيامة : آية ٢ . (٣) سورة يوسف : آية ٥٣ . (٤) سورة الاسراء : آية ٨٥ .

يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء والاستعلاء والتخصيص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالربانية والانسلال عن ربة العبودية والتواضع ، ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق الامور ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا قرن إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق من أوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك .

ومن حيث يختص عن البهايم بالتميز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريرا يستعمل التميز في استنباط وجوه الحيل والشّر ويتوصّل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ، ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين .

وكل انسان فيه شوب من هذه الاصول الأربعة أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب وكان المجموع في إهاب الانسان خنزير ، وكلب ، وشيطان ، وحكيم .

فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما لونه وشكله وصرته ، بل لجشعه وكلبه وحرصه .

والكلب هو الغضب فان السبع الضاري أو الكلب العقور ليسا كلبا ولا سبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر ، وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشعبه « شبقه خ » فالخنزير يدعو بالشرّة إلى الفحشاء والمنكر ، والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والايذاء .

والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه .

والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه ، إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهوراً تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم ، وإن عجز عن قهرها قهره واستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبادة كلب أو خنزير ، وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همهم البطن والفرج ومناقشة « منافسة خ » الأعداء .

الفصل الثالث

نتائج الانقياد للشهوة والغضب

أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها .

وأما طاعة كلب الغضب فينتشر منها إلى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصلف والاستشاطعة والتكبر والعجب والاستهزاء والغمز والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها .

وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجريزة والتلبس والغش والخبّ والخناء وامثالها .

ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقايق الأشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق كمال العلم وجلالته ، ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ، ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة وردّه إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف^(١) والمساعدة وأمثالها ، ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردّها إلى حدّ الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبيل والشهامة والوقار وغيرها .

والقلب في حكم مرآة قد اكتفتته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة إلى القلب .

أما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب صفاء « جلاء خ ل » واشراقاً ونوراً وضياء حتّى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين ، وإلى مثل هذا القلب الاشارة بقوله (ص) : « من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظاً »^(٢) ، وبقوله

(١) ظرف الرجل بالضم ظرافة فهو ظريف اذا حسن أدبه . م .

(٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٢ .

(ص) : « إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له واعظاً من قلبه »^(١) وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾^(٢) .

وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرّة بعد أخرى إلى أن يسودّ ويظلم ويصير بالكلية محجوباً عن الله تعالى ، وهو الطبع والرّين قال الله تعالى : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾^(٣) وقال الله ﴿ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى حيث قال تعالى : ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾^(٤) ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾^(٥) ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾^(٦) .

ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهيئ بالأخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليه فإذا قرع سمعه أمر الأخرة وما فيها من الأخطار دخل من اذن وخرج من الأخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك ، اولئك الذين يشوس من الأخرة كما يش الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة .

قال أمير المؤمنين (ع) : « إن الايمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض القلب كله ، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات زادت حتى يسودّ القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم ، وتلا : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾^(٨) .

وقال الباقر (ع) : « إن القلوب ثلاثة : قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر ، وقلب فيه نكتة سوداء والخير والشر فيه يعتلجان فأيهما كانت منه غلب عليه ، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره إلى يوم القيامة وهو قلب المؤمن »^(٩) .

وقال الصادق (ع) : « إن القلب ليكون في الساعة من الليل والنهار ليس فيه ايمان ولا كفر

(١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٢ . (٢) سورة الرعد : آية ٢٨ . (٣) سورة المطففين : آية ١٤ .

(٤) سورة الاعراف : آية ١٠٠ . (٥) سورة المائدة : آية ١٠٨ . (٦) سورة الشعراء : آية ١٠٨ .

(٧) سورة البقرة : آية ٢٨٢ . (٨) اورد صدر الحديث الشريف الرضي (رحمه الله في النهج باب مختار غريب كلامه

(٨) تحت رقم ٥ وفي كنز العمال ح ١٧٣٤ .

(٩) معاني الأخبار ص ٣٩٥ والكافي : ج ٢ ص ٤٢٣ .

كالثوب الخلق ثم قال إذا « أماخ » تجد ذلك من نفسك قال : ثم تكون النكته من الله في القلب بما شاء من كفر وإيمان « (١) .

الفصل الرابع

القلب مثال قبة لها ابواب

إن القلب مثاله مثال قبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب ، أو مثال هدف تنصب إليه السهام من الجوانب ، أو مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها أصناف الصور المختلفة فيترأى فيها صورة بعد صورة أو مثال حوض ينصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه ومداخل هذه الآثار المتجددة فيه في كل حال إما من الظاهر فالحواس الخمس ، وإما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان ، فانه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب ، وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الاكل أو بقوة المزاج ، والآثار تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال .

فالقلب دائماً في التغيير والتأثر من هذه الاسباب ، وأخص الآثار الحاصلة فيه هي الخواطر ، وأعني بالخواطر ما يعرض فيه الافكار والأذكار اما على سبيل التجدد ، وإما على سبيل التذكر ، والخواطر هي المحركات للارادات ، فان النية والعزم والارادة إنما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة ، فمبدء الافعال الخواطر ، ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك النية والعزم ، والعزم والنية تحركان الاعضاء .

والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني ما يضر في العاقبة ، وإلى ما يدعو إلى الخير أعني ما ينفع في الآخرة ، فهما خاطران مختلفان فالخاطر المحمود يسمى إلهاما والمذموم يسمى وسوسة وسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكا ، والسبب الداعي إلى الشر يسمى شيطانا ، واللفظ الذي به يتهيأ القلب لقبول إلهام الملك يسمى توفيقا ، والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا ، والملك عبارة عن خلق خلقه الله لافاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالنعيم ، والشيطان عبارة عن خلق شأنه الوعد بالشر بالأمر بالفحشاء والتخويف عند الهَم بالخير وبالفرق ، والقلب متجاذب بينهما .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٤٢٠ .

قال النبي (ص) : « في القلب لَمَتَان : لمة^(١) من الملك إبعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ولمة من العدو إبعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ومن وجد ذلك فليتعوذ من الشيطان ثم تلا : ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾^(٢) الآية^(٣) .

وقال (ص) : « قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرَّحْمَانِ^(٤) يقلبه كيف يشاء . كُنِيَ به عن سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير باستسخار الملك والشيطان ، فإنهما مسخران بقدرته في قلب القلوب كما أن أصابعك مسخرة لك في قلب الأجسام مثلا .

والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشيطان قبولاً متساوياً ، وإنما يترجح أحدهما على الآخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات وبمخالفتها فمهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ، ومهما انصرف إلى ذكر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم ، فالتطارد بين جندي الملائكة والشيطان في معركة القلب دائم الى ان يفتح القلب لأحدهما فيسكن ولا يستوحش ويكون اجتياز الثاني اختلاسا ، قال الله تعالى : ﴿ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾^(٥) .

الفصل الخامس

مكائد الشيطان

اعلم أنه قد تلبس لمة الشيطان بلمة الملك فان من مكائد الشيطان أن يعرض الشر في مكان « معرض خ » الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار؟ أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك؟ وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان زلق ولهجة مقبولة فكيف تكفر نعمه وتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة خلق الله سبحانه إلى الصراط المستقيم؟ فلا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطائف الحيل إلى أن يشغل بوعظ الناس .

(١) معناه النزول به والقرب منه ، وقيل : اللمة الهمّة تقع في القلب فما كان من خطرات الخير فهو من الملك ، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان (مجمع) .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٦٨ . (٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٧ .

(٤) العوالي : ج ١ ص ٤٨ واحياء علوم الدين : ج ١ ص ٩٤ . (٥) سورة الأعراف : آية ٢٠١ .

ثم يدعوه إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول : إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك عن قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ، فلا يزال يقرّر ذلك وهو في أثنائه يؤكد شواذب الرّيا وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر الى الخلق بعين الاحتقار ، فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول ، فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله تعالى بمكان وهو عند الله ممّن قال فيهم رسول الله (ص) : « إن الله ليؤيد هذا الدّين بأقوام لا خلاق لهم ، وإنّ الله ليؤيد هذا الدّين بالرجل الفاجر »^(١) .

الفصل السادس

في القلب لمتان

قال بعض أهل المعرفة إن الهام الملك ووسوسة الشيطان يقع في النفوس على وجوه وعلامات :

أحدها كالعلم واليقين الحاصلين من جانب يمين النفس ، ويقابله الهوى والشهوة الحاصلتان من جانب الشمال .

وثانيها كالنظر إلى آيات الآفاق والأنفس على سبيل النظام والاحكام المزيل للشكوك والاهام ، والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة العاقلة التي هي على الجانب الأيمن من النفس ، ويقابله النظر إليها على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشئة منها الشبهة والوسواس في الواهمة والمتخيلة التي على جانب الايسر منها ، فان الآيات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكليّة لأنها مبادي العلوم اليقينيّة ، والمتشابهات الوهميات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية لأنها مبادي المقدمات السفسطية .

وثالثها كطاعة الرسول المختار والأئمة الأطهار في مقابلة أهل الجحود والانكار وأهل التعطيل والتشبيه من الكفار ، فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين للخير ، ومن سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشورور .

(١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٩ .

ورابعها كتحصيل العلوم والادراكات التي هي في الموضوعات العالية والأعيان الشريفة كالإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر والبعث وقيام الساعة ومشول الخلايق بين يدي الله وحضور الملائكة والنبیین والشهداء والصالحين ، في مقابلة تحصيل العلوم والادراكات التي هي من باب الحيل والخديعة والفسفسطة والتامل في الامور الدنياوية الغير الخارجة عن دار المحسوسات ، فان الأول يشبه الملائكة الروحانية وجنود الرحمان الذين هم سكان عالم الملكوت السّماوي ، والثاني يشبه الابالسة المطرودة عن باب الله الممنوعة من ولوج السماوات المحبوسة في الظلمات المحرومة في الدنيا عن الارتقاء المحبوبة في الآخرة عن دار النعيم .

الفصل السابع

في ان الهم بالفعل يؤاخذ به أم لا

اعلم أن ما يخطر بالبال من السيئة فلا مؤاخذة عليه ، لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل والهيجان لأنهما أيضاً لا يدخلان تحت الاختيار ، وأما الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي أن يفعل فهذا مردّد بين أن يكون اضطراراً أو اختياراً ، والأحوال تختلف فيه فالاختيار منه يؤاخذ به والاضطراري منه لا يؤاخذ به .

وأما الهمّ بالفعل فانه يؤاخذ به إلا أنه إن لم تفعل فان تركه خوفاً من الله وندم على همّه كتبت له حسنة لأنّ همّه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة ، والهمّ على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله ، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه أشدّ من جدّه في موافقة الشيطان بموافقة الطبع ، فكتبت له حسنة لانه يرجح جهده في الامتناع وهمّه به على همّه بالفعل ، وان تعوّق الفعل لعائق او تركه لعذر لا خوفاً من الله تعالى كتبت عليه سيئة ، فانّ همّه فعل من القلب اختياري .

والدليل على هذا التفصيل ما ورد عن النبي (ص) : « قالت الملائكة : ربّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر فقال : ارقبوه فان عملها فاكتبوه عليه بمثلها ، وإن تركها فاكتبوه له حسنة إنما تركها لأجلي »^(١)

وعن أمير المؤمنين (ع) في قوله سبحانه : ﴿ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾^(٢) « إن هذه الآية عرضت على الأنبياء والامم السابقة فأبوا أن يقبلوها من ثقلها ، وقبلها

(١) صحيح مسلم : ج ١ ص ١١٨ . (٢) سورة البقرة : آية ٢٨٤ .

رسول الله (ص) وعوضها على أمته فقبلوها ، فلما رأى الله عز وجل منهم القبول على أنهم لا يطبقونها قال : أما إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي أن أرفعها عن امتك وقال : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، فظهر ان ما لا تدخل تحت الوسع لا يؤاخذ به ^(١) .

وعن النبي (ص) « وضع عن امتي تسع خصال : الخطأ ، والنسيان ، وما لا يعلمون ، وما لا يطبقون ، وما اضطروا إليه ، وما استكروهوا عليه ، والطيرة ، والوسوسة في التفكير في الخلق ، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد » ^(٢) .

وعن الباقر (ع) : « إن الله تعالى جعل لأدم في ذريته من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشرأ ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ، ومن عملها كتبت له سيئة » ^(٣) .

وفي رواية « إن العبد إذ أذنب ذنبا اجل من غدوة إلى الليل ، فان استغفر الله لم يكتب عليه » ^(٤) .

وسئل الصادق (ع) عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب يؤاخذ الله به ؟ فقال : « الله أكرم من أن يستغلق على عبده » ^(٥) .

وعنه (ع) « ما من مؤمن إلا وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم به ، وذلك قوله تعالى : ﴿إِلَّا اللَّمَمُ﴾ ^(٦) قال : واللمم الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه » ^(٧) .

وعن الكاظم (ع) « إن الله أيد المؤمن بروح تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي ، ويغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي ، فهي معه تهتز سرورا عند إحسانه وتسيخ في الثرى عند اساءته ، فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا ، رحم الله امرأأ هم بخير فعمله أو هم بشر فارتدع عنه ، ثم قال : نحن نؤيد الروح بالطاعة لله والعمل له » ^(٨) .

(١) الاحتجاج : ج ١ ص ٣٢٧ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٤٢٨ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٤٣٧ . (٥) الكافي : ج ٨ ص ٢٥٤ ح ٣٦٠ .

(٦) سورة النجم : آية ٣٢ . واللمم مقارنة الذنب كما في المصباح وصغار الذنوب كما في القاموس .

(٧) الكافي ج ٢ ص ٤٤٢ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ٢٦٨ .

المقالة الثانية

في مساوي الاخلاق وتهذيبها وفيها اربعة ابواب :

الباب الاول في معنى الخلق وتهذيبه

في معنى الخلق وتهذيبه ، اعلم أن الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فان كان الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سميت الهيئة خلقا حسنا ، وإن كانت الصادر منها أفعالا قبيحة سميت خلقا سيئا ، وإنما شرطنا الرسوخ لأن من يصدر عنه بذل المال مثلا على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ ، وإنما شرطنا السهولة وعدم الروية لأن من تكلف بذل المال لا يقال خلقه السخاء وليس عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إمّا لفقد المال أو لمانع آخر ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء فلا بدّ في الخلق الحسن من قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث .

أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصديق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات ، وبين الجميل والقبيح في الأفعال ، فإذا تحصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة ، والحكمة رأس الاخلاق الحسنة ، ومن يؤتى الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا .

وأما قوة الغضب والشهوة فحسنهما في أن يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حدّ ما تقتضيه الحكمة والدين .

وأما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع فالعقل منزلة منزلة الناصح المشير ، وقوته القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضى لأشارته والغضب والشهوة تنفذ فيهما الإشارة .

ومثال الغضب مثال كلب الصيد فانه يحتاج إلى أن يؤذّب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان النفس .

والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروّضاً وتارة يكون جموحاً فمن استقرت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصّة ، وحسن القوة الغضبيّة واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة ، وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة سمّي ذلك تهوراً وإن مالت إلى الضعف سمّي جبناً وخوراً^(١) ، وإن مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة سمّي شرها وإن مالت إلى النقصان سمّي خموداً ، والمحمود هو الوسط وهو العدل ، والطرفان رذيلتان مذمومتان ، والعدل إذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضدّ واحد وهو الجور ، وأما الحكمة فيسمّى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خباً^(٢) وجريزة ، ويسمّى تفریطها بلها ، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة .

فإذا امهات الاخلاق الحسنة الجميلة واصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربعة إلا رسول الله (ص) ولهذا قال الله تعالى مثنيا عليه : ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾^(٣) والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فينبغي أن يقتدي به فانه قال : « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق »^(٤) .

وقد أشار القرآن إلى هذه الاخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾^(٥) .

فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة ، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة ، والمجاهدة بالنفس هي

(١) الخور بالتحريك الضعف ، ص . (٢) الخب الخدعة .

(٣) سورة القلم : آية ٤ .

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٤٨ وج ٢ ص ١٤٣ وكنز العمال خ ٥٢١٧ . (٥) سورة الحجرات : آية ١٥ .

الشجاعة التي يرجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحدّ الاعتدال .

وقد وصف الله سبحانه قوما فقال : ﴿اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾^(١) إشارة إلى إن للشدة موضعا وللرحمة موضعا ، وليس الكمال في الشدة بكلّ حال ولا في الرحمة بكل حال .

الفصل الاول

في ان الطباع هل تتغير ام لا

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استنقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه ، فزعم أنّ الأخلاق لا يمكن تغييرها ، وأنّ الطباع لا يتغير ، واستدلّ عليه بأمرين :

أحدهما أنّ الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو الصورة الظاهرة ، فكما أنّ الخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فكذا الخلق الباطن .

والثاني أن حسن الخلق إنما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحبّ الدنيا وغيرها وهذا أمر ممتنع والاشتغال به تضييع زمان بغير فائدة ، فإن المطلوب هو قطع النفات القلب إلى حظور العاجلة وهو محال .

فنقول : لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال الله تعالى : ﴿قد أفلح من زكّوها وقد خاب من دسّها﴾^(٢) ولما قال رسول الله (ص) : « حسنوا أخلاقكم »^(٣) وكيف ينكر هذا في حق الأدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن ، إذ ينقل الطيبة من التوحش إلى الانس والكلب من شره الأكل من الصيد إلى التأدب والامسك ، والفرس من الجماع إلى السلاسة والانقياد ، وكل ذلك تغيير الأخلاق .

والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول : إن الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للادمي واختياره في أصله وتفصيله كالسما والكوكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجا وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله .

وإلى ما وجد وجودا ناقصاً وجعل فيه قوة الكمال بعد أن وجد شرطه ، وشرطه قد يرتبط

(١) سورة الفتح : آية ٢٩ .

(٢) سورة الشمس : آية ٩ - ١٠ . (٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٥٤ .

باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلا إن انضاف إليها التربية ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو اردنا سلاستهما وقودهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه وقد امرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله وليس المطلوب إلا ذلك دون القمع بالكلية .

وهيات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبله ولو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ، ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ، ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصل إلى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط .

فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور، وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته منقاداً للعقل ، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والأنبياء (عليهم السلام) لم ينفكوا عن ذلك قال سيدهم (ص) : « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر »^(١) وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى يحمر وجنتاه ولكن لا يقول إلا حقا فكان الغضب لا يخرج عن الحق قال الله تعالى : ﴿ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ﴾^(٢) ولم يقل والفاقدين الغيظ .

وربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط التي الفواحش ، وبالرياضة تعود إلى الاعتدال فدل على أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها .

الفصل الثاني

تهذيب الاخلاق بالمجاهدة

قد يكون اعتدال القوتين فطريا بحيث يخلق الانسان وينشأ كامل العقل حسن الخلق قد كفى

(١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٥٥ . (٢) سورة آل عمران : آية ١٣٤ .

سلطان الشهوة والغضب على عقله كالأنبياء والأئمة (ع) ، وقد يكون مكتسباً بالمجاهدة والرياضة بحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب .

فمن أراد أن يحصل لنفسه خلق الجود مثلاً فطريقه أن يتعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفاً مجاهداً لنفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعاً ويتيسر عليه فتصير نفسه جواداً ، ومن أراد خلق التواضع وغلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها يجاهد نفسه ، ويتكلف الى ان يصير ذلك خلقاً وطبعاً .

وجميع الاخلاق المحمودة شرعاً يحصل بهذا الطريق وغايتها أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً ، فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذل عن كراهية ، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ، ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السيئة ، وما لم يواظب عليها مواظبة من يشاق معها إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله (ص) : « جعلت قرة عيني في الصلاة »^(١) ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستئثار ، فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به .

نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة إلى تركه لا بالاضافة إلى فعله عن طوع ، ولذلك قال الله تعالى : « وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين »^(٢) وقال النبي (ص) : « اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي السر على ما تكره خير كثير »^(٣) ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان ، بل ينبغي أن يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر ، وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ، ولذلك « سئل رسول الله (ص) عن السعادة فقال : طول العمر في طاعة الله »^(٤) .

ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت ، فان الدنيا مزرعة الآخرة ، وكلما كانت العبادات أكثر

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٩١ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٥٧ والكافي : ج ٥ ص ٣٢١ .

(٢) سورة البقرة : آية ٤٥ . (٣) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٩١ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٥٧ .

(٤) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٩٢ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٥٧ .

لطول العمر كان الشواب أجزل والنفس أزمى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنما تتأكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات ، وغاية هذه الاخلاق أن ينقلع عن النفس حبّ الدنيا وترسخ فيها حبّ الله تعالى ، فلا شيء أحب إليه من الله تعالى ومن لقاته ، وكل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى يتحرك لا محالة على وفقها ، وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه أثر على القلب .

وطالب تزكية النفس لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرمها بعصيان يوم ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رانسا ، وصغار المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الايمان عند الخاتمة ، فلا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة ولا بصغر المعصية ، فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد تأثير ، وربما تحصل الأخلاق الحسنة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير ، والأخلاق السيئة بمشاهدة أرباب الأعمال السيئة ومصاحبتهم وهم قرناء السوء ، فان الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعاً .

فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً فهو في غاية الفضيلة ، ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى تعودها في غاية البعد من الله تعالى ، وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾^(١) ﴿وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾^(٢) .

الفصل الثالث

في عيوب النفس والبصيرة بها

اعلم أن الله إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه فمن كملت له بصيرته لم تخف عليه عيوبه ، وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه ، فمن أراد أن يقف على عيب نفسه فليطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليراقب أحواله وأفعاله ، فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينهه عليه أو يستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان

(١) سورة الزلزلة : آية ٧ - ٨ . (٢) سورة النحل : آية ٣٣ .

أعدائه ، فإن عين السخط تبدي المساوي كما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا
ولعل انتفاع الانسان بعدو شاحن يذكر عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مدهن يشي عليه
ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على
الحسد ، ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بد وأن تنتشر على
أستهم ، أو يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه بتركه ؛ وما يراه
محموداً يطالب نفسه به وينسب نفسه إليه ، فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب
نفسه .

وليعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرين
الآخر عن مثله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه ، فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من
غيره ، وناهيك بهذا تاديباً ، فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب
قيل لعيسى (ع) : « من أدبك ؟ فقال : ما أدبني أحد رأيت قبح الجهل فجانبته »^(١) .

الباب الثاني

فيما يؤدي الى مساوي الاخلاق

فيما يؤدي إلى مساوي الاخلاق من البطن والفرج واللسان ، اعلم أن الأخلاق إنما ترسخ
في النفس بتكرير الأعمال ، والأعمال إنما تصدر من القلب بتوسط الجوارح وكل جارحة تصلح
لأن يصدر منه الأعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة وأن يصدر منه الأعمال القبيحة المورثة
للاخلاق السيئة ، فلا بد من مراعاة القلب والجوارح بصرفهما إلى الخيرات ومنعهما من
الشور ، وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن والفرج واللسان .

ففي الحديث النبوي (ص) : « من وقى شر قلبه وذبحه ولقلقه فقد وقى »^(٢) والقبب
البطن ، والذذبذب الفرج ، واللقلق اللسان أما شهوة البطن فيها اخرج آدم وحواء من دار القرار

(١) تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٩٦ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٠٥ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٤ وارشاد القلوب : ص ١٠٣ .

إلى دار الذل والافتقار إذ نهيا عن أكل الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا منها فبدت لهما
سواتهما .

والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والافات ، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة
الشبق إلى المنكوحات ، ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه الذين هما
الوسيلة الى التوسع في المطاعم والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات
وضروب المنافسات والمحاسدات ، ثم يتولد من ذلك آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكائر
والكبرياء ، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والعداوة والبغضاء ، ثم يقضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام
البغي والمنكر والفحشاء .

وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد من بطن الشبع والامتلاء ، ولو ذلل العبد نفسه
بالجوع وضيق مجاري الشيطان لأذعن لطاعة الله ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به
ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى ، ولم يتكالب كل هذا التكالب على
الدنيا .

قال النبي (ص) : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه
وان كان هو فاعلا لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه وثلث لنفسه »^(١) .

وقال (ص) : « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت إذا كثر
عليه الماء »^(٢) .

وقال (ص) : « أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعاً وتفكيراً وأبغضكم إلى الله تعالى كل
نؤوم أكل شراب »^(٣) .

وقال الصادق (ع) : « إن البطن ليطفى من اكلة ، وأقرب ما يكون العبد إلى الله إذا خفّ
بطنه وأبغض ما يكون العبد إلى الله إذا امتلأ بطنه »^(٤) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « ما من شيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل
وهي مورثة شيئين : قسوة القلب وهيجان الشهوة ، والجوع ادم للمؤمن وغذاء للروح وطعام

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٤٦ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٧٧ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٤٦ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٧٧ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٧٧ . (٤) الكافي : ج ٦ ص ٢٦٩ .

للقلب وصحة للبدن»^(١) .

وقال لقمان لابنه : « يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة »^(٢) .

وبالجملة ففوائد الجوع كثيرة منها صفاء القلب ورقته والاستلذاذ بالطاعة ، والانكسار المانع عن المعصية والغفلة ، وذكر جوع يوم القيامة ، وكسر شهوة الفرج المستولية بالشبع ، ودفع النوم الذي يكّل الطبع ويضعّ العمر ويفوت القيام والتهجد وتيسر المواظبة على المطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد والأكل ودفع الأمراض الشاغلة عنها ، فورد في الحديث : «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء»^(٣) .

الفصل الاول

الاعتدال في شهوتي البطن والفرج

قد علمت أن المقصد الأقصى في جميع الأحوال والأخلاق هو الوسط وما ذكر في فضائل الجوع ربّما يومي إلى أنّ الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أنّ كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة والمنع منه على وجه يومي عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان ، والعالم يدرك أن المقصود هو الوسط لأنّ الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يطلب غاية الجوع حتّى يكون الطبع باعثا والشرع مانعاً فيتقوامان ويحصل الاعتدال ولما بالغ النبي (ص) في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم علم من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كلّه ويقوم الليل كله نهى عنه .

فاذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالاضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحسّ بثقل المعدة ولا يحسّ بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة ، وثقل الطعام يمنع العبادة وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها ، فالمقصود أن يأكل أكلا معتدلا بحيث لا يبقى للأكل فيه أثر ليكون متشبهاً بالملائكة ، فإنهم مقدّسون عن ثقل الطعام وألم الجوع ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾^(٤) والقوام فيه أن لا يأكل طعاما حتّى يشتهي ويرفع يده عنه وهو يشتهي .

(١) مصباح الشريعة : ص ٧٧ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٠٢ . (٣) مكارم الأخلاق : ص ٣٦٢ . (٤) سورة الاعراف آية ٣١ .

وأما شهوة الفرج فأنما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك لذته فيقيس بها لذات الآخرة ، فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجسام كما أن ألم النار أعظم آلام الجسد ، فالترهيب والترغيب يسوقان الخلق إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة مدركة فهذه فائدتها ، ولكن فيها من الآفة ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال فإن لها أيضاً إفراطاً وتفريطاً .

فإفراطها ما يقهر العقل حتى يصرف همه الرجل إلى التمتع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة ، أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش وقد ينتهي هذه الشهوة بمن غلب وهمه على عقله إلى العشق البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة وقد خلق العقل ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة محتالاً لأجلها ، وهو مرض قلب فارغ لا همه له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر وإلا فاذا استحکم عسر دفعه .

وتفريط هذه الشهوة إما بالعفة الخارجة عن الاعتدال أو بالضعف عن امتناع المنكوحه وهو أيضاً مذموم وإنما المحمود ان تكون معتدلة ومطبعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ، ومهما افترط فكسرها يكون بالجوع والنكاح قال رسول الله (ص) : « معاشر الشباب عليكم بالباء فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء »^(١) .

اعلم أن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحى منه ويخشى من اقتحامه ، وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على حشمة ، وليس في شيء من ذلك ثواب ، فانه ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر ففي هذه العوايق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة ، وهذه درجة الصديقين .

ولذلك قال رسول الله (ص) : « من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد »^(٢) وقال : « سبعة

(١) العوالي : ج ١ ص ٢٥٧ ح ٢٧ وصحيح البخاري : ج ٧ ص ٣ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٩٦ .

(٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٠ .

يظلمهم الله يوم لا ظلّ إلا ظله ، وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات حسب وجمال إلى نفسها فقال : إني أخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة ، وقد أثنى الله تعالى بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة قال الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ﴾ (١) ، (٢) .

وقال النبي (ص) : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله أعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه » (٣) ، وقال « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء » (٤) .

الفصل الثاني في اللسان وآفاته

وأما اللسان فانه من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يتبين الايمان والكفر إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ، ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات أو نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناوله وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضاء ، فان العين لا تصل إلى غير الألوان والصور ، والاذن لا تصل إلى غير الاصوات ، واليد لا تصل إلى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء .

واللسان رحب الميدان ليس له مرد ، ولا لمجاله منتهى ولا حد ، فله في الخير مجال رحب وله في الشر مجرى سحب ، فمن اطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكبّ الناس على مناخيرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم كما ورد في الحديث النبوي (ص) .

ولا ينجي من شر اللسان إلا أن يقيد بلجام المشرع فلا يطلق إلا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكف عن كل ما يخشى غايته في عاجله وآجله ، وعلم ما يحمده إطلاق اللسان فيه أو يذم غامض عزيز ، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الانسان

(١) سورة النور: آية ٣٠ .

(٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٠ . (٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٩٧ .

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٩٧ .

اللسان ، فإنه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في إطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوائله ، والحذر من مصائده وحيائله وأنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان .

ولذلك قال النبي (ص) : « من صمت نجا »^(١) وقال (ص) : « الصمت حكم وقليل فاعله »^(٢) ، أي هو حكمة وحزم وقال (ص) : « امسك لسانك فانها صدقة تصدق بها على نفسك ، ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يحرس « يخزن خ » لسانه »^(٣) وقال (ص) : « من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه »^(٤) .

ومر أمير المؤمنين برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف (ع) فقال : « يا هذا فانك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك فتكلم بما يعينك ودع ما لا يعينك »^(٥) .

وعن السجاد (ع) قال : « إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول : كيف أصبحتم ؟ فيقولون : بخير إن تركتنا ويقولون : الله الله فينا ويناشدونه ويقولون : إنما نشأب ونعاقب بك »^(٦) وعن الباقر (ع) : « إن شيعتنا الخرس »^(٧) .

وعن الصادق (ع) : « ان النوم راحة للبدن والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل »^(٨) وقال : « في حكمة « حكم خ » آل داود على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه »^(٩) ، وقال (ع) قال لقمان لابنه : « يا بني إن كنت زعمت أن الكلام من فضة فان السكوت من ذهب »^(١٠) وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « الكلام إظهار ما في قلب المرء من الصفاء والكدر والعلم والجهل »^(١١) قال أمير المؤمنين (ع) : « المرء مخبوء تحت لسانه »^(١٢) .

فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فان كان لله وفي الله فتكلم وإن كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة أخف مؤنة وأفضل منزلة وأعظم قدراً عند الله من الكلام في رضاء الله ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده ألا ترى أن الله عز وجل لم يجعل فيما

(١) تنبيه الخواطر ج ١ ص ١٠٤ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٣ وارشاد القلوب : ص ١٠٣ .

(٢) تنبيه الخواطر ج ١ ص ١٠٤ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٣ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ١١٤ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ١١٦ .

(٥) من لا يحضره الفقيه : ج ٤ ص ٢٨٢ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ١١٥ والخصال : ج ١ ص ٦ (٧) الكافي : ج ٢ ص ١١٣ .

(٨) من لا يحضره الفقيه : ج ٤ ص ٢٨٧ . (٩) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٠٦ .

(١٠) الكافي : ج ٢ ص ١١٤ . (١١) مصباح الشريعة . (١٢) روضة الواعظين : ج ١ ص ١٠٩ .

بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام ، وكذلك بين الرّسل والامم فثبت بهذا أنه أفضل الوسائل والطف العبادة ، وكذلك لا معصية اثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدّها ملامة وأعجلها سامة عند الخلق منه .

وسئل السجّاد (ع) عن الكلام والسكوت أيهما أفضل ؟ فقال : « لكل واحد منهما آفات فاذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت قيل : وكيف ذلك يا بن رسول الله ؟ قال : لأن الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت إنما بعثهم بالكلام ، ولا استحقت الجنة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ولا توقيت النار بالسكوت ، ولا يجنب سخط الله بالسكوت إنما ذلك كله بالكلام ما كنت لأعدل القمر بالشمس إنك تصف فضل السكوت بالكلام ، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت » (١) .

اعلم أن آفات اللسان كثيرة منها الخطاء والكذب والغيبة الغير المأذون فيهما وخلف الوعد والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايداء الخلق وهتك العورة وإفشاء السر والسخرية والاستهزاء وغير ذلك ، وهي سبابة إلى اللسان لا يثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على أن يلزم اللسان فيطلقه بما يجب ويكفه عمّا لا يجب ، فان ذلك من غوامض العلم وفي الخوض خطر وفي الصمت نجاة .

فلذلك عظم فضل الصمت مع ما فيه من جمع الهّم ودوام الوقار والفراغ في الفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة قال الله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » (٢) وقال تعالى : « لا خير في كثير من نجويهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » (٣) وقال النبي (ص) : « طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله » (٤) .

الفصل الثالث

في الكذب والغيبة

إنما قيدنا الكذب والغيبة بغير المأذونين ، لأن من الكذب والغيبة ما يجوز قال الصادق

(١) الاحتجاج : ج ٢ ص ٤٥ . (٢) سورة ق : آية ١٨ .

(٣) سورة النساء : آية ١١٤ . (٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٩ .

(ع) : « كل كذب مسؤول عن صاحبه إلا في ثلاثة : رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه ، ورجل أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا يريد بذلك الإصلاح. بينهما ، ورجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتم لهم (١) ، وكذا ورد عن النبي (ص) وورد « أن في المعارض لمندوحة عن الكذب » (٢) يعني بالمعارض التورية وذلك إذا اضطرت إليها .

وقال النبي (ص) : « من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له » (٣) ، وقال : « ليس لفاسق غيبة » (٤) وقال : « لي الواجد يحلّ عرضه وعقوبته » (٥) وقال : « لصاحب الحق مقال » (٦) وقد مرّ الحديث في وجوب غيبة أهل البدع والريب ليحذّره الناس ، وعن النبي (ص) : « أترعون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس ، اذكروه بما فيه يحذّره الناس » (٧) .

وفي معنى الغيبة خفاء لا بد أن تكشف الغطاء عنه فقد روي عن النبي (ص) : « إنه قال هل تدرون الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أ رأيت ان كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتّه ، فان لم يكن فيه فقد بهتّه » (٨) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « صفة الغيبة أن يذكر أحد بما ليس هو عند الله ويذم ما يحمده أهل العلم فيه وأمّا الخوض في ذكر غائب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وإن كره صاحبه إذا سمع به وكنت انت معافي عنه خالياً منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط أن لا يكون للقاتل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله ، وأمّا إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده وإن كان صواباً » (٩) .

أقول : وينبغي تخصيص هذا الحديث بما إذا لم يكن صاحبه عالماً بقبحه ساتراً على نفسه كارهاً لظهوره ، ويدلّ على ذلك ما روي عنه (ع) أيضاً أنه قال : « هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه أمراً قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حداً » (١٠) .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٤٢ . (٢) كنز العمال : خ ٨٢٤٩ وخ ٨٢٥٤ .

(٣) تحف العقول : ص ٣٨ والعوالي : ج ١ ص ٢٦٤ ح ٥٦ . (٤) كنز العمال خ ٨٠٧١ .

(٥) أحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٤٤ .

(٦) أحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٤٤ . (٧) أحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٤٤ .

(٨) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١١٨ وأحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٣٦ والترغيب والترهيب ح ٢ ص ٥١٥ .

(٩) مصباح الشريعة : ص ٢٠٤ . (١٠) الكافي : ج ٢ ص ٣٥٧ .

وعن الكاظم (ع) قال : « من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يفتبه ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته »^(١) .

وعن الصادق (ع) قال : « الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه وأما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا »^(٢) .

وخصّ بعض علمائنا تحريم الغيبة بغيبة من يعتقد الحق لأن أدلة الحكم غير متناولة لأهل الضلال فإن الحكم فيها منوط بالمؤمنين وبالآخ والمراد إخوة الايمان فلا يتناول من لا يعتقد الحق ، وعن الصادق (ع) قال : « إن أصل الغيبة يتنوع بعشرة أنواع : شفاء غيظ ، ومساعدة قوم ، وتهمة ، وتصديق خبر بلا كشفه ، وسؤ ظن ، وحسد ، وسخرية ، وتعجب ، وتبرّم ، وتزّين »^(٣) قال : « وإن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه ، وإن لم تبلغه فاستغفر له »^(٤) ، وسائر آفات اللسان مستغن عن البيان .

الباب الثالث

في الغضب

في الغضب والحقد والحسد اعلم أن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة إلا أنها لا تطلع إلا على الأفتدة ، وأنها لمستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ، وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين أو حمية الجاهلية والكبر الدفين من قلوب الجبارين التي لها عرق إلى الشيطان اللعين ، حيث قال : خلقتني من نار وخلقته من طين ، فمن شأذ الطين السكون والوقار ، ومن شأن النار التلظي والاشتغال^(٥) والحركة والاصطهار^(٦) ، ومن نتائج هذا الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ، ومقتضيهما^(٧) مضغة إذا صلحت صلح لها ساير الجسد .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٥٨ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٣٥٨ . (٣) مصباح الشريعة : ص ٢٠٥ . (٤) مصباح الشريعة : ص ٢٠٥ .

(٥) في النسخة المخطوطة المصححة الاستعار بدل الاشتغال وهو الموافق للقافية واستعيرت النار توقدت وتسعرت أيضاً قال تعالى : وإذا الجحيم سعرت .

(٦) الاصطهار الأذابة ، ومنه قوله تعالى : يصهر به ما في بطونهم والجلود .

(٧) في المخطوطة ومقيضهما وفي المخطوطة الاخرى ومقيضهما .

قال رسول الله (ص) : « الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل »^(١) ، وقال : « من كف غضبه كف الله عنه عذابه »^(٢) .

وقال الباقر (ع) : « إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن آدم وإن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض فان رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك »^(٣) .

وقال « أيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم إذا مسّت سكنت »^(٤) .

قال (ع) : « وكان أبي يقول : أي شيء أشد من الغضب إن الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة »^(٥) ، وقال (ع) : « من كف غضبه ستر الله عورته »^(٦) وقال : « ان في التوراة مكتوب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين غضبي »^(٧) .

وقال الصادق (ع) : « الغضب مفتاح كل شر »^(٨) .

وإنما ينبسط الدم عند الغضب إذا غضب الانسان على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار خوفاً ولذلك يصفر اللون ، وإن كان على نظير يشك فيه تردد بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب لطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع الموزيات الذي خلقت لأجله قبل وقوعها وإلى التنفي والانتقام بعد وقوعها . والانتقام قوة هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ، والناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال .

أما التفريط فيفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له ، وهو ناقص جداً ومن ثمراته عدم الغيرة على الحرم واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس ،

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٢ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٥٦ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٥ وفيه « من كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة » .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٤ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٢ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٣ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٣ وثواب الاعمال : ص ١٦٣ .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٣ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٣ وتحف العقول : ص ٣٦٢ .

والسخور والسكون عند مشاهدة المنكرات ، وقد وصف الله تعالى خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال : ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾^(١) وقال : ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم﴾^(٢) وإنما الشدة والغلظة من آثار قوة الغضب .

وأما الافراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتها فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار ، وسبب غلبتها قد يكون فطريا ، وقد يكون اعتياديا بأن يخالط قوماً يتبحجون^(٣) بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول أحدهم : أنا الذي لا أصبر على المحال ولا احتمل من أحد أمراً ومعناه لا عقل لي ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه فيرسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيعمى ويصم عن كل موعظة ولا يقدر الاستضاءة بنور عقله لانطفائه بدخان الغضب .

ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الافعال من الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمم الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته ليسكن غضبه حياء من قبح صورته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره ، فان الظاهر عنوان الباطن وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا فهذا أثره في الجسد .

وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام الذي يستحي منه ذوو العقول ويستحي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ .

وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير ؛ وربما سقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتره شبه الغشية ، وربما يضرب الجمادات والحيوان فيضرب القصعة على الأرض ويكسر المائدة إذا غضب عليهما وقد يتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبهما ويقول : إلى متى منك كانه يخاطب عاقلا .

وأما أثره في القلب فالحقد والحسد واطهار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور

(١) سورة الفتح : اية ٢٩ . (٢) سورة التوبة : آية ٧٣ وسورة التحريم : آية ٩ .

(٣) تبجح بتقديم المعجمة المشددة على المهملة : افتخر وتعظم وباهى .

والعزم على إفشاء العَمْر وهتك الاستار وغير ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط وينبغي لصاحبه أن يعالج نفسه من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أدق من الشعر وأحد من السيف ، فان عجز فليطلب القرب منه قال الله تعالى : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾^(١) فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله ، ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض .

الفصل الاول

دوافع الغضب

اعلم الانسان ما دام يحب ما يوافق ويحتاج إليه ويكره ما يخالفه ويتأذى منه فلا يخلو عن الغيظ والغضب بجملة طبعه فانه مهما اخذ منه محبوبه أو قصد بمكروه غضب لا محالة ، وهذا يختلف باختلاف الأشخاص وإنما المحبوب الضروري لكل أحد ما أشار إليه رسول الله (ص) بقوله : « من أصبح آمناً في سربه معافاً في بدنه ، وله قوت يومه ، فكأنما خيّر » حيزت خ « له الدنيا بحذافيرها »^(٢) .

فمن كان بصيراً بحقايق الامور وسلمت له هذه الثلاث وكل ما كان ضرورياً له خاصة يتصور أن لا يغضب في غيرها أعني يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل ، وذلك بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مدّة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقاً راسخاً فاما قمع أصل الغيظ من القلب وذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن ، نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جداً .

إن قيل : إنما الواجب التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب ، فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت فلا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام ، فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها من الله تعالى فلا يغضب على أحد من خلقه ، إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ، ومن وقع عليه ملك يضرب رقبتة لم يغضب على القلم

(١) سورة النساء : آية ١٢٩ . (٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٦١ وامالي الطوسي : ص ٥٩٩ .

فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضاً بحسن الظن بالله ، وهو أن يرى أن الكل من الله تعالى وأن الله لا يقدر له إلا بما فيه الخيرة ، وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفساد ، لانه يرى أن الخيرة فيه .

فنعول : إنّ هذا على هذا الوجه غير محال ، ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه إنما يكون كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعاً طبيعياً لا يندفع عنه ، ولو تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور رسول الله (ص) .

وعن أمير المؤمنين (ع) قال : « كان النبي (ص) لا يغضب للدينا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يبق على غضبه شيء حتى ينتصر له »^(١) ، فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة بل كل من غضب على من يأخذه ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها ، فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغيظ فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضروري أهم منه ، فلا يكون في القلب متسع للغضب ، لاشتغاله بغيره ، فان اشتغل القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه .

وهذا كما أن سلمان (رض) لما شتم قال : إن خفت موازيني فأنا شرّ مما تقول ، وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول ، فقد كان همه مصروفاً إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم ، فاذا يتصور فقد الغيظ إما باشتغال القلب بهمّم ، أو بغلبة نظر التوحيد ، أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يفتأ فيطفي شدة حبه لله غيظه ، وذلك غير محال في أحوال نادرة .

الفصل الثاني علاج الغضب

قد ثبت أن علاج كل علة بحسم مادتها وإزالة أسبابها ، والأسباب المهيجة للغضب هي :
الزهو^(٢) ، والعجب والفخر ، والهزل ، والهزء^(٣) والذل ، والتعير ، والممارسة ، والمضادة ،

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل .

(٢) الزهو ؛ الكبير والفخر ومنه حديث الشيعة لولا أن يدخل الناس زهولسلمت عليكم الملائكة قبلاً .

(٣) هزل في كلامه من باب ضرب ؛ مزح وهو ضدّ الجذ قال تعالى ﴿وما هو بالهزل﴾ . والهزؤ : السخرية والاستخفاف قال تعالى : ﴿لا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ .

والغدر ، وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهي بأجمعها أخلاق رديّة مذمومة شرعا ، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالتها بأضدادها .

فينبغي أن تمت الزهو بالتواضع ، والعجب بالمعرفة بنفسك ، والفخر بمعرفة أنه من الرذائل وإنما الفخر بالفضائل ، وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة ، وأما الهزة فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزئ بك ، وأما التعبير فبالحذر من قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة .

وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها إلى رياضة وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبورها ، ثم المواظبة على مباشرة الأضداد مدة مديدة حتى تصير بالعادة معروفة وهينة على النفس ، فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت عن الغضب الذي يتولد منها .

وعلاجه عند هيجانه الاستعاذة من الشيطان والجلوس إن كان قائما والاضطجاع إن كان جالسا ، والوضوء والغسل بالماء البارد فان الغضب من النار كذا ورد في الحديث النبوي (ص) وأن يتفكر فيما ورد في فضائل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال قال الله تعالى : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾^(١) وقال : ﴿الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾^(٢) وقال : ﴿ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقها الا الذين صبروا وما يلقها الا ذو حظ عظيم﴾^(٣) .

وقال النبي (ص) : « ما جرّع عبد جرعة أعظم قدراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله »^(٤) وقال الباقر (ع) : « من كظم غيظا وهو يقدر على إمضائه حشى الله قلبه أمناً وإيماناً »^(٥) وقال الصادق (ع) : « ما من عبد كظم غيظا إلا زاده الله عزا في الدنيا والآخرة »^(٦) وقال (ع) : « كفى بالحلم ناصراً »^(٧) وقال « اذا لم تكن حليماً فتحلم »^(٨) .

(١) سورة الاعراف : آية ١٩٩ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٣٤ . (٣) سورة فصلت : آية ٣٤ - ٣٥ . (٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٦٦ وتنبية الخواطر ج ١ ص ١٢٤ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ١١٠ وتنبية الخواطر : ج ١ ص ١٢٤ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ١١٠ .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ١١٢ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ١١٢ .

وأن يخوف نفسه بعقاب الله أحوج ما يكون إلى العفو ، وأن يحدث نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته ، وأن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب وأن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لاعلى وفق مراده .

وعن النبي (ص): «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى : منهم بطيء الغضب سريع الفيء^(١) فتلك بتلك ، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ، ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء»^(٢) .

الفصل الثالث

الحقد من نتائج الغضب

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً ، ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استئقاله والبغضة له والنفار عنه ، وأن يدوم على ذلك ويبقى قال رسول الله (ص) : « المؤمن ليس بحقود »^(٣) .

والحقد يثمر اموراً منها الحسد وهو أن يحمله الحقد على أن يتمنى زوال النعمة عنه فيغتم بنعمته ان أصابها ويسرّ بمصيبته ان نزلت به ، ومنها أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلاء ومنها أن يهجره وينقطع عنه وان طلبه المحقود وأقبل عليه ومنها أن يتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سرّ وهتك ستر وغيره ومنها أن يحاكيه استهزاء به وسخرية منه ومنها ايذاؤه بالضرب وما يولم بدنه ومنها أن يمنعه حقه من صلة الرحم أو قضاء الدين أو رد مظلمة ، وكل ذلك حرام .

واقل درجات الحقد أن يحترز من هذه الآفات ولكن يستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبه عن بغضه حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام لحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعانة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته ، فهذا كله ممّا تنقص من درجته في الدين ، ويحول بينه وبين فضل عظيم والأولى أن

(١) في المخطوطتين هنا زيادة : ومنهم سريع الغضب سريع الفيء . ولفظ الحديث مع ذلك لا يخلو من تشويش .

(٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٧١ . (٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٧١ .

يبقى على ما كان فان أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغاماً للشيطان فذلك مقام الصديقين .

قال رسول الله (ص) : « ألا اخبركم بخير خلائق الدنيا والاخرة ، العفو عن ظلمك ، وتصل من قطعك ، والاحسان إلى من اساء اليك ، وإعطاء من حرمك »^(١) وقال (ص) : « عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتعافوا يعزكم الله »^(٢) وقال الباقر (ع) : « الندامة على العفو أفضل وايسر من الندامة على العقوبة »^(٣) وعن النبي (ص) : « ان الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ، ولم ينزع من شيء إلا شانه »^(٤) وقال الباقر (ع) : « ان لكل شيء قفلاً وقفل الايمان الرفق »^(٥) وقال (ع) « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف »^(٦) وقال الصادق (ع) : « من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس »^(٧) وقال الكاظم (ع) : « الرفق نصف العيش »^(٨) .

الفصل الرابع

الحسد من نتائج الحقد

واعلم أن الحسد من نتائج الحقد كما أن الحقد من نتائج الغضب ، ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى قال الله تعالى في معرض الانكار . «أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله»^(٩) وقال عز وجل : «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم»^(١٠) وقال : «ان تمسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها»^(١١) وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم وما اداهم اليه من الرضا بقتله ثم ما أصابهم من ذلك .

وقال رسول الله (ص) : « الحسيد ياكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »^(١٢) قال

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٠٧ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ١٠٨ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ١٠٨ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ١١٩ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ١١٨ . (٦) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٧٥ والكافي : ج ٢ ص ١١٩ .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ١٢٠ .

(٨) تحف العقول : ص ٤٥ . (٩) سورة آل عمران : الآية ١٢٠ .

(١٠) سورة البقرة : الآية ١٠٩ . (١١) سورة آل عمران : الآية ١٢٠ (١٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٢٦ وارشاد

القلوب : ص ١٣٠ والكافي : ج ٢ ص ٣٠٦ وكنز الفوائد : ج ١ ص ١٣٦ .

(ص) : « قال الله تعالى لموسى بن عمران : يا بن عمران لا تحسدنَّ النَّاسَ على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدنَّ عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحسد ساخط لنعمي صاذاً لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني » (١) .

وقال (ص) : « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان ، فان كل ذي نعمة محسود » (٢) قال (ص) : « ثلاثة لا ينجو منهم أحد ، وفي رواية قلما ينجو منهم أحد : الظن ، والحسد ، والطيرة وساحدثكم بالمخرج من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض ، فاذا حسدت فلا تبغ » (٣) قال الصادق (ع) : « آفة الدين الحسد والعجب والفخر » (٤) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) « الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود كابليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولادم (ع) الاجتباء والهدى والرفع إلى محل حقايق العهد والاصطفاء ، فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود ، والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وما يضر المحسود الحسد ، والحسد أصله من عمى القلب وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابداً ولا توبة للحاسد لأنه مصرّ عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارضة به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الأصل وإن عولج » (٥) .

الفصل الخامس

معنى الحسد

معنى الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب زوالها منه فان من لم يحب زوالها ولا يكره دوامها عليه ولكن يشتهي لنفسه مثلها يسمى غبطة ، وقد يسمى منافسة قال الله تعالى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ (٦) والغبطة إن كانت في الدنيا فمباح ، وإن كانت في الدين فمندوب اليها .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٢٧ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٧٧ وتحف العقول : ص ٤٠ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٧٧ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٥) مصباح الشريعة : ص ١٠٤ . (٦) سورة المطففين : الآية ٢٦ .

قال النبي (ص): « المؤمن يغبط والمنافق يحسد »^(١) وقال « لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس »^(٢) سمي الغبطة حسداً وهذا كما قد يسمى الحسد منافسة فان أصاب النعمة كافر أو فاجر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإفساد ذات البين وايداء الخلق فلا يضر كراهتها عليه وحب زوالها منه من حيث إنه آلة للفساد لا من حيث إنها نعمة .

واسباب الحسد المذموم العداوة ، والتعزز ، والكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، وحب الرياسة ، وحب النفس وبخلها ، فانه انما يكره النعمة عليه إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير ، وإما أن يكون من حيث يعلم أنه سيتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز ، وإما ان تكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر ، وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيراً فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب ، وانما يخاف من فوات مقصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه ، وإما أن يكون بحب الرياسة التي يبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها ، وإما أن لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله وإن كانت النعمة لا تنتقل اليه .

وقد يجتمع هذه الاسباب أو أكثرها في شخص واحد ، فيعظم الحسد لذلك ويقوي قوة لا يقدر معها على الاختفاء والمجاملة فيهلك حجاب المجاملة ، ويظهر العداوة بالمكاشفة .

الفصل السادس

منشأ الحسد حب الدنيا

هذه الاسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من أغراضه نفر طبعه وأبغضه وثبت الحقد فيه . فعند ذلك يريد أن يستحقه ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه ، وإذ لا رابطة بين شخصين في بلدين متباينتين فلا يكون

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٧ وفيه « المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط » .

(٢) أخرجه ابن ماجة تحت رقم ٤٢٠٨ من حديث عبد الله بن مسعود .

بينهما محاسدة ، نعم إذا تجاوزا في مسكن أو سوق أو مسجد أو مدرسة تواردوا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ، ومنه ثور بقية الاسباب .

فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد ، والعابد يحسد العابد دون العالم ، والتاجر يحسد التاجر دون غيره إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب ، والمرأة تحسد ضرمتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد ام الزوج وابنته ، وذلك للتزاحم على المقاصد ، نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر لها .

ومنشأ جميع ذلك كله حب الدنيا ، فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين ، أما الآخرة فلا ضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة علم الآخرة فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى وصفاته وملائكته وأنبيائه وملكوته أرضه وسماؤه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً ، لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرف ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ ولا تنقص لذة أحد بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمره الافادة والاستفادة ، ، إذ معرفة الله بحر واسع لا ضيق فيه ، والمنزلة عند الله أيضاً لا ضيق فيها لان أجل ما عند الله من النعم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة ، بل يزيد الانس بكثرتهم .

نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا ، لأن المال هو أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخرين ، ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلا شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سبباً للمحاسدة .

الفصل السابع

الحسد من الامراض العظيمة

اعلم أنّ الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا يداوي أمراض القلب إلا بالعلم والعمل ، والعلم النافع لمرض الحسد أن تعرف تحقيقاً أنّ الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا ، وأنه لا ضرر به على المحسود في الدين ولا في الدنيا ، بل ينتفع به فيهما ، ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك ولا صديق عدوك فارقت الحسد لا محالة .

أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله وكرهت نعمته التي

قسمها لعباده وعدله الذي أقامه في مملكته بخفي حكمته ، واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان .

وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف إليه أنك غششت رجلاً من المؤمنين ، وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبيائه في حبهم الخير لعباد الله ، وشاركت إبليس وسائر الكفار في حبهم للمؤمنين البلبايا وزوال النعم ، وهذه خباثت في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار .

وأما كونه ضرراً في الدنيا عليك فهو أنك تتألم بحسبك وتتعذب به ولا تزال في كد وغم ، إذ اعداؤك لا يخليهم الله عن نعم يفضيها عليهم ، فلا تزال تتعذب بكل نعمة تريها ، وتتألم بكل بليّة تنصرف عنهم ، فتبقى محزوناً مغموماً متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهي لأعدائك وكما يشتهي أعداؤك لك ، فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محتك نقداً ولا تزول النعمة من المحسود بحسبك ، إذ لو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق الله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان أيضاً لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى : ﴿وَدَّتْ طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾^(١) بل ما قدره الله من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل قدره الله ولا حيلة في دفعه ، بل كل شيء عنده بمقدار ، ولكل أجل كتاب ، ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ، ولم يكن عليه إثم في الآخرة .

وأما أن المحسود ينتفع في الدين والدنيا فواضح ، أما منفعة في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه ، فهذه هدايا تهديها إليه بانتقاله حسناتك إلى ديوانه حتى تلقيه مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فأضفت له نعمة إلى نعمة ، وأضفت لنفسك شقاوة الى شقاوتك .

وأما منفعة في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ، ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من ألم الحسد ، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ، فالحسد ينبغي أن يحكم الحسد فكلما يتقاضاه من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه

(١) سورة آل عمران : آية ٦٩ .

بنقيضها ، فإن بعثه الحسد على القدر فيه كلف لسان المدح له والثناء عليه ، وإن حملة على التكبر ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه ، وإن بعثه على كفا الانعام عنه ألزم نفسه الزيادة في الانعام ، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه ، ومهما أحبه عاد الحاسد وأحبه وتولد بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد ويصير ما تكلفه اولاً طبعاً آخر ، والاصل في العلاج قمع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يعني كما يأتي بيانه .

الباب الرابع

في الرياء والكبر والعجب وعلاجهم

في الرياء والكبر والعجب اعلم أن الرياء بالعبادة حرام وصاحبه ممقوت عند الله قال الله تعالى : ﴿ويل للمصلين الذين هم عن صلوٰتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون﴾^(١) وقال تعالى : ﴿يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾^(٢) وقال عز وجل : ﴿كالذي ينفق ماله رياء الناس﴾^(٣) .

وقال رسول الله (ص) : يقول الله تعالى : « من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الاغنياء عن الشرك »^(٤) قال (ص) : « ان أدنى الرياء شرك »^(٥) وقال « سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف فيعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجاب لهم »^(٦) وقال (ص) : « إن الملك ليصعد بعمل العبد متبهاً به فإذا صعد بحسناته يقول الله تعالى : اجعلوها في سجين إنه ليس إياي أراد بها »^(٧) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا لله في غير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله إلى عمله »^(٨) وقال (ع) : « ثلاث علامات للمرائي ينشط إذا رأى الناس ، ويكسل إذا كان وحده ، ويحب أن يحمد في جميع اموره »^(٩) .

(١) سورة الماعون : آية ٤ - ٧ .

(٢) سورة النساء : آية ١٤٢ . (٣) سورة البقرة : آية ٢٦٤ .

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٧٥ . (٥) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٧٥ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٦ . (٧) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٨) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٧ . (٩) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٥ .

وعن الباقر (ع) : « الإبقاء على العمل أشد من العمل ، قيل : وما الإبقاء على العمل ؟ قال أن يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سرّاً ، ثم يذكرها فتمحى فكتبت له علانية ، ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء »^(١) .

وقال الصادق (ع) : « قال الله تعالى : أنا خير شريك من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصاً »^(٢) وقال : « كل رياء شرك إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله »^(٣) وقال (ع) في قول الله تعالى : ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾^(٤) قال « الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه ثم قال : ما من عبد أسر خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له خيراً ، وما من عبد يسر سرّاً فذهبت الأيام حتى يظهر الله له شراً »^(٥) .

وقال (ع) « ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسر سئماً ليس يرجع إلى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك والله عز وجل يقول : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾^(٦) إن السريرة إذا صحت قويت العلانية »^(٧) .

وقال : « من أراد الله بالقليل من عمله أظهر الله أكثر مما أراد ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبى الله عز وجل إلا أن يقلله في عين من سمعه »^(٨) .

ولا باس بالسّرور إذا كان قصده إخفاء الطاعة والاحلاص لله لكن لما اطلع الله عليه الخلق وعلم أن الله اطلعهم عليه وأظهر الجميل من حاله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره له والطفه به فإنه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾^(٩) .

وكذلك إذا استدل باظهار الله تعالى الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل

(١) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٦ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٥ وتفسير العياشي : ج ٢ ص ٣٥٣ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٣ . (٤) سورة الكهف : آية ١١٠ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٣ . (٦) سورة القيامة : الآية ١٤ .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٥ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٦ . (٩) سورة يونس : آية ٥٨ .

به في الآخرة قال رسول الله (ص): « ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة ، فيكون الأول فرحا بالقبول في الحال وهذا التفات إلى المستقبل »^(١) وكذا إذا ظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما ظهر آخرا ، وأجر السرّ بما قصده أولا ، ومن اقتدى به في طاعة فله أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، وكذا إذا فرح بطاعتهم لله في مدحتهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة .

روى أن رجلا قال لرسول الله (ص): « يا رسول الله اسرّ العمل لا احب أن يطلع عليه أحد فيطلع عليه فيسرني ، قال: لك أجران أجر السرّ وأجر العلانية »^(٢) وعن الباقر (ع): « أنه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسرّه ذلك قال : لا بأس ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر الله له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك »^(٣).

وكذا الكلام في كتمان المعاصي لا لأن يعتقد فيه الورع بل للتحمي عن الهتك أو لأن الستر مأمور به ويعرف بكرامة ظهورها من الغير أو لأنه يتألم بالذم فهو مباح لكونه جليّا أو لأن الناس شهداءه كما ورد ، ، أو لأن الذام يصير عاصيا ويعرف بتسوية ذمّه وذم غيره أو لخوف أن يقصد بسوء أو للحياء فهو كرم الطبع كما ورد : الحياء كله خير ، الحياء شعبة من الايمان ، أو لأن لا يقتدي به الغير أو حبه محبة الناس له ليعلم محبة الله له فان من أحبّه الله تعالى جعله محبوبا في قلوب الناس .

الفصل الاول

الرياء في العبادة

اعلم أن الرياء بالعبادة إنما ينشأ من حب لذة الحمد والفرار من ألم المذمة والطمع لما في أيدي الناس فمهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرّض له من العقاب والمقت والخزي ، وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة وما يحبط عليه من ثواب

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٨٩ وفي احياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٨٧ .

(٢) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٨٨ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٧ .

الأعمال لترك الرياء لا محالة مع أن العمل الواحد ربّما كان يترجح به ميزان حسناته لو اخلص ،
فاذا فسد بالرياء حوّل إلى كفة السيئات فترجح به ويهوى إلى النار هذا .

مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق ، فان رضاء الناس
غاية لا تدرك وكل ما يرضى به فريق يسخط فريق آخر ورضاء بعضهم في سخط بعض ، ومن
طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضاً عليه ثم أي غرض له في مدحهم
وايثار ذم الله لأجل حمدهم ولا يزيد حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم
القيامة .

وأما الطمع بما في أيديهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو مسخر للقلوب بالمنع والاعطاء ،
وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ، ومن طمع في الخلق لم يخل عن الدّل والخسة ،
وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة ، فاذا قرّر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها
فترت رغبته وأقبل على الله قلبه ، ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واطهار
الاخلاص لمقتوه ، وسيكشف الله عن سرّه حتى يبغضه إلى الناس ، ولو اخلص لله لكشف الله
لهم اخلاصه وحبّه إليهم وسخّرهم له وأطلق ألسنتهم بحمده والثناء عليه ، مع أنه لا كمال في
مدحهم ولا نقصان في ذمهم .

ثم ينبغي أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون
الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ، ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير
الله به ، وذلك وإن شق في بداية المجاهدة ، لكن إذا صبر عليه مدّة بالتكليف سقط عنه ثقله
وهان عليه بتوسط ألطاف الله وما يمده به عباده من حسن التوفيق والتأييد ، ولكن الله لا يغيّر ما
بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية والله لا يضيع اجر
المحسنين .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « أكثر ما يقع الرياء في النظر والأكل والكلام
والمشي والمجالسة واللباس والضحك والصلاة والحجّ والجهاد وقراءة القرآن وسائر العبادات
الظاهرة ، ومن اخلص لله باطنه وخشع له قلبه ورأى نفسه مقصرا بعد بذل المجهود ، وجد
الشكر عليه حاصلًا ويكون ممن يرجى له الخلاص من الرياء والنفاق إذا استقام على ذلك في
كل حال » (١) .

(١) مصباح الشريعة : ص ٣٢ .

الفصل الثاني

الرياء في امور أخرى

وأما الرياء بغير العبادات فقد يكون مستحبا وقد يكون واجبا إذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وأن لا يفعل ما يعاب عليه ، فلا يليق بذوي المروات أن يرتكبوا الامور الخسيسة بأنفسهم عند مشاهدة الناس وإن جاز لهم في الخلوة إلا أن ذلك يختلف باختلاف الأزمنة والبلاد والأشخاص من العباد ، فلا بد من مراعاة ذلك .

فعن الصادق (ع) : « أنه نظر إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا وهو يحمله ، فلما رآه الرجل استحى منه فقال (ع) : اشترته لعيالك وحملته إليهم ، أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن اشترى لعيالي الشيء ثم أحمله إليهم »^(١) .

أراد (ع) لولا مخافة أن يعيوني على ذلك ، مع أن جده امير المؤمنين (ع) كان يفعل مثله إلا أنه لما كان في زمان لا يعاب عليه بمثله جاز له أن يرتكبه وكان منقبة له وتعلima .

وروي « أن رسول الله (ص) أراد يوما ان يخرج على أصحابه فكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقيل له : أو تفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال : نعم إن الله يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم »^(٢) .

وقال امير المؤمنين (ع) : « ليتزين أحدكم لأخيه المسلم كما تزين للغريب الذي يحب ان يراه في أحسن الهيئة »^(٣) .

وقال الصادق (ع) : « الثوب النقي يكبت العدو »^(٤) ، وكل ذلك رياء محبوب .

الفصل الثالث

في الكبر وعلاجه

وأما الكبر فانه من نتایج العجب والتكبر ينشأ من الحقد أو الحسد أو الرياء وقد ذم الله التكبر في مواضع من كتابه .

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٢٣ .

(٢) مكارم الأخلاق : ص ٣٤ . (٣) الخصال : ج ٢ ص ٦١٢ (في حديث الاربعائة) .

(٤) الكافي : ج ٦ ص ٤٤١ .

قال الله تعالى : ﴿ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾^(١) وقال : ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾^(٢) .

وقال رسول الله (ص) : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر »^(٣) وقال : « من تعظم في نفسه واختال في مشيه لقي الله وهو عليه غضبان »^(٤) وقال الباقر (ع) : « الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه »^(٥) وقال الصادق (ع) : « الكبر أن تغمص الناس وتسفه الحق »^(٦) ، وفسر (ع) في رواية اخرى « سفه الحق بأن يجهل الحق ويطعن على أهله »^(٧) والغمص بتحقيق « تحقير خ » الناس والتجبر عليهم .

وقال (ع) : « ما من أحد تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه »^(٨) وقال : « إن في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكى إلى الله شدة حره وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فاحرق جهنم »^(٩) وقال « إن المتكبرين يجعلون في صور الذر »^(١٠) يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب »^(١١) وقال (ع) : « إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه »^(١٢) .

وعن النبي (ص) : « ما تواضع احد لله إلا رفعه الله تعالى »^(١٣) وعنه (ص) قال : « إنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة^(١٤) لأهله يدفع به الكبر عن نفسه »^(١٥) وعنه (ص) : « انه قال لأصحابه : ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا : وما حلاوة العبادة قال : التواضع »^(١٦) وعنه (ص) قال : « إذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم

(١) سورة الاعراف : آية ١٤٦ (٢) سورة غافر : آية ٣٥ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٣١٠ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣١٤ وتنبية الخواطر : ج ١ ص ١٩٨ .

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣١٧ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٣١٠ . (٧) الكافي : ج ٢ ص ٣١١ .

(٨) الكافي : ج ٢ ص ٣١٢ .

(٩) الكافي : ج ٢ ص ٣١٠ والمحاسن : ج ١ ص ١٢٣ . (١٠) الذر صغار النمل بحيث لا تكاد ترى .

(١١) الكافي : ج ٢ ص ٣١١ والمحاسن : ج ١ ص ١٢٣ (١٢) المحاسن : ج ١ ص ١٢٣ والكافي : ج ٢ ص ١٢٢ .

(١٣) امالي الطوسي : ص ٥٦ (١٤) المهنة الخدمة يقال : هو في مهنة اهله أي في خدمتهم .

(١٥) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٠١ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٣١٩ .

(١٦) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٠١ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٣١٩ .

المتكبرين فتكبروا عليهم ، فان ذلك لهم مذلة وصغار»^(١) .

وعن السجاد (ع) : « أنه مرّ على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغذون فدعوه إلى الغذاء فقال : أما لولا أنني صائم لفعلت ، فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع وأمر أن يتنوقوا^(٢) فيه ثم دعاهم فتغذوا عنده وتغذى معهم»^(٣) وعن الكاظم (ع) قال : « إن التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه»^(٤) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنتق عن حقايق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولأهل التواضع علامات يعرفها أهل السماوات من الملائكة وأهل الارض من العارفين قال الله تعالى : ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾^(٥) وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عبادة يرضاها ويقبلها إلاّ وبابها التواضع ، ولا يعرف ما في حقيقة التواضع إلاّ المقربون من عبادة المتّصلين بوحديته قال الله تعالى : ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾^(٦) وقد امر الله عزّ وجلّ خير خلقه وسيّد بريّته محمداً (ص) بالتواضع فقال عزّ وجلّ : ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾^(٧) والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء وأنهن لا يأتين إلاّ منها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلاّ للمتواضع في ذات الله»^(٨) .

الفصل الرابع في التكبر

التكبر قد يكون على الله كما كان لنمرود وفرعون ، وقد يكون على رسله كما كان لمن كان يقول : أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ، وقد يكون على سائر الناس بأن يستعظم نفسه ويستصغر غيره فاذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله واشمأز بجحده كما يكون لأكثر المناظرين في العلوم للغلبة والافحام ، ثم قد يكون بالعلم ، وقد يكون بالعبادة والورع ، وقد يكون بالحسب والنسب والجمال والمال والقوة وكثرة الانصار والاتباع .

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٠١ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٣١٩ .

(٢) تنوق في مطعمه وملبسه تجود وبالغ ، وفي الحديث : تنوقوا بأكفانكم فانكم تبعثون بها .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ١٢٣ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ١٢٤ .

(٥) سورة لاعراف : آية ٤٦ . (٦) سورة الفرقان : آية ٦٣ .

(٧) سورة الشعراء : آية ٢١٥ . (٨) مصباح الشريعة : ص ٧٢ .

والتكبر بالعلم له سببان : أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي والثاني أن يخوض في العلم وهو خبيث النفس ردي الأخلاق لم يهذب نفسه أولاً ولم يزكها بالمجاهدات ولم يروض نفسه في عبادة ربه ، فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم أي علم كان ، صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره .

وعلاجه أن يعلم أن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وحده ، وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله بغيضاً ، وقد أحب الله منه أن يتواضع فلا بد أن يكلف نفسه ما يحب مولاه وأن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أوكد وأنه يحتمل من الجهل ما لا يحتمل غيره من العالم ، وأنه من عصي الله من معرفة وعلم فجنايته أفحش إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم .

ولذلك قال رسول الله (ص) : « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فيندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتية ، وأنهى عن الشر وآتية »^(١) ، وقد مثل الله علماء اليهود بالحمار^(٢) ، وبلغم بن باعورا بالكلب^(٣) ، وقال عيسى بن مريم : « ويل للعلماء السوء كيف يتلظى عليهم النار »^(٤) وقال الصادق (ع) : « يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد »^(٥) .

وعلى العابد الورع أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه لما عرف من فضيلة العلم وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم ، يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه إن الحسنات يذهبن السيئات ، وأمر غير العالم في حقه مستور وإنما المدار على الخاتمة فعليه إن رأى من هو شر منه أن يقول : لعل هذا ينجو وأهلك أنا ، فلا يراه شراً منه خائفاً من العاقبة ، ويقول : لعل برّ هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلق كريم بينه وبين الله عز وجل فيرحمه ويتوب عليه ، ويختم له بأحسن الأعمال وبرّي ظاهر وذلك شرّ لي لا امن فيما اظهر من الطاعة أن يكون دخلتها الآفات فاحيطتها .

وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقياً وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل إلى

(١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٣٩

(٢) - حيث قال : مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا .

(٣) - في قوله تعالى : مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث الخ .

(٤) - الكافي : ج ١ ص ٤٧ (٥) الكافي : ج ١ ص ٤٧

أن يتكبر بحال من الأحوال ، نعم إذا غلبه الخوف رأى كل احد خيراً من نفسه ، وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى : ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾^(١) ، أي يؤتون بالطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها .

ومن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أمرين أحدهما أن هذا جهل من حيث تعززه بكمال غيره ولذلك قيل :

لان فخرت بأباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بش ما ولدوا

والمتكبر بالنسب إن كان خسيساً في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته كمال غيره ، بل لو كان الذي ينسب إليه حياً لكان أن يقول الفضل لي ومن أنت إنما أنت دودة خلقت من فضلي والثاني أن يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجدّه ، فان أباه القريب نطفة قدرة وجدّه البعيد تراب ذليل ، وعرف الله نسبه فقال : ﴿الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين﴾^(٢) وأما الكبر بالجمال فدواؤه ان ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ليرى من الفضائح ما يكدر عليه التعزّز بجماله ، فانه وكل به الاقدار في جميع أجزائه : الرّجيع في أمعائه ، والبول في مثانته ، والمخاط في أنفه ، والبصاق في فيه ، والوسخ في اذنه ، والدم في عروقه ، والصديد تحت بشرته ، والصنان^(٣) تحت إبطه ، يغسل الغايط كل يوم دفعة أو دفعتين بيده ، يتردّد إلى الخلاء كل يوم مرّة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلاً أن يمسه أو يشمه ، وفي أول أمره خلق من الاقدار الشنيعة الصّور ، من النطفة ودم الحيض ، وخرج من مجرى البول إلى الرحم مفيض دم الحيض ثم مجرى القدر ، ولو ترك نفسه في حياته يوماً لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار ، وسيموت فيصير جيفة اقدر من جميع الاقدار .

وأما التكبر بالقوة ، فيمنعه من ذلك أن يعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض وأنه لو توجّع عرق واحد من بدنه لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل ، وأنه لو سلبه الدّباب شيئاً لم يستنقذه منه ، وأن بقعة لو دخلت في أنفه أو نملة دخلت في اذنه لقتله ، وان شوكة لو دخلت رجله لأعجزته ؛ وأن حمى يوم تحلّل من قوّته ما لا ينجبر في مدّة ، ثم إنّ أقوى انسان لا

(١) سورة المؤمنون : آية ٦٠ (٢) سورة السجدة : آية ٧ و ٨

(٣) الصنان ؛ ذفر الابط بالخصوص ، ورائحة معاطن الجسد اذا تغيرت ؛ ومنه الحديث نعم البيت الحمام يذهب بالصنة .

يكون أقوى من حمار أو فيل أو جمل أو بقر ، وأي افتخار في صفة تسبقه البهايم فيها .

وأما التكبر بالغنى وكثرة المال والاتباع فذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان ، لا كالجمال والقوة والعمل ، وهذا أقيح انواع التكبر ، فأف لشرف يسبقه اليهود ، وأف لشرف يأخذه السارق والمتكبر يتمكن السلطان بناء امره على قلب هو اشدّ غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكلّ متكبر بأمر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل .

الفصل الخامس

الشفاء من الكبر

اعلم انه لا يتم الشفاء من الكبر إلا باستئصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب وذلك بان يعرف ربه وأنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا به ، وأن يعرف نفسه حقّ المعرفة ليعلم أنه بذاته أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل ، ولا يليق به إلا التواضع والذلّ والمهانة وتكفيه آية واحدة من كتاب الله عزّ وجلّ ان فتحت بصيرته ، قال الله تعالى : ﴿قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه ، فقدّره ، ثم السبيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا إذا شاء أنشره﴾^(١) نعم لو أكمله وفوض إليه الأمر وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدء والمنتهى ، ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبايع المتضادة ، من المرة والبلغم والرّيح والدّم ليهدم البعض من اجزائه البعض شاء أم أبى ، رضى أم سخط .

فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً يريد أن يعلم الشيء فيجهله ، ويريد أن يذكر الشيء فينساه ، ويريد أن ينسى الشيء فيغفل عنه فلا يغفل ويريد أن ينصرف قلبه إلى ما يهيمه فيحول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار ، فلا يملك قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ، ويكره الشيء ويكون حياته فيه ، يستلذ الأطعمة فتهلكه وترديه ، ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحببه ، ولا يأمن في لحظة من ليله ونهاره أن يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلق أعضائه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه ، وهو مضطر ذليل إن ترك ، وإن

(١) سورة عبس : الآية ١٧ - ٢٢ .

اختطف فهو عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من غيره ، فأى شيء أذل منه لو عرف نفسه ، وأنى يليق الكبر به لو لا جهله ، فهذا وسط أحواله فليتامل .

وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله : ﴿ثم أماته فأقبره﴾^(١) فيصير جيفة منتنة قدرة ، ثم تبلى أعضاؤه وصورته ، وتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه فتصير رميما رفاتا ثم يصير روثا في أجواف الديدان ، يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان ، فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان ، فما أحسنه لو ترك ترابا بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدائد البلاء ، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة ، ويخرج إلى أهله القيامة فينظر إلى قيامة قائمة ، وسما ممزقة مشققة ، وأرض مبدلة ، وجبال مسيرة ، ونجوم منكدره ، وشمس منكسفة ، وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد ، وجحيم تزر ، وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسّر ، ويرى صحايف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من قليل وكثير ونقيير وقطمير ، وهو معنى قوله عز وجل : ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾^(٢) فما لمن هذا حاله والتكبر ، بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر .

وأما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ، ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين .

فقد ورد أن رسول الله (ص) : « كان يأكل على الأرض ويقول : إنما أنا عبد اكل كما يأكل العبد »^(٣) .

وقيل لسلمان : لم لا تلبس جيّداً ؟ فقال : إنما أنا عبد فاذا اعتقت يوماً لبست أشار به إلى العتق في الآخرة ، وللمتواضع امتحانات يعرف لها تواضعه فلا بد أن يمتحن نفسه بها حتى يطمئن بأنه متواضع ، فانه قد يضمّر التواضع ويدعي البراءة من الكبر فاذا وقعت الواقعة عادت النفس إلى طبعها ، ونسيت وعدّها ، ثم المحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسر ، فان كلا طرفي الامور ذميم ، وأحبّ الامور إلى الله أوسطها ، وهو أن يعطى كلّ ذي حقّ حقه وهو العدل .

(١) سورة عبس آية ٢١ .

(٢) سورة عبس آية ٢٢ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٣٦

الفصل السادس

في العجب

وأما العجب فهو إعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم فإن كان خائفاً على زوالها مشفقاً على تكدرها ، أو يكون فرحاً بها من حيث إنه من الله من دون إضافتها إلى نفسه فليس بمعجب ، فإن أضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه ان له عند الله حقاً وأنه منه بمكان ويستبعد أن يجري عليه مكروه سمي إدلالاً بالعمل ، فكأنه يرى لنفسه على الله دالة ، وكذلك قد يعطي غيره شيئاً فيستعظمه ويمنّ عليه ، فيكون معجباً فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلاً عليه قال الله تعالى في معرض الإنكار : ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيرتكم﴾^(١) وقال عز وجل : ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾^(٣) وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل ، وقد يعجب الإنسان بعمل هو مخطيء فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه قال الله تعالى : ﴿أفمن زين له سوء عمله فرأاه حسناً﴾^(٤) وقال النبي (ص) : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه »^(٥) وقال (ص) : « إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك »^(٦) وقال (ص) : « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب »^(٧) .

وقال الصادق (ع) : « إن الله تعالى علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمناً بذنب أبداً »^(٨) وقال « ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه »^(٩) وعنه (ع) قال : « اتى عالم عبداً فقال له : كيف صلاتك ؟ فقال : مثلي يسأل عن صلاته وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا قال : وكيف بكاؤك ؟ قال : أبكي حتى تجري دموعي فقال العالم إن ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلل إن المدلل لا يصعد من عمله شيء »^(١٠) .

(١) سورة التوبة : آية ٢٥ (٢) سورة الحشر : آية ٢ (٣) سورة الكهف : آية ١٠٤ (٤) سورة فاطر : آية ٨

(٥) العوالي : ج ١ ص ٢٧٣ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٤٤

(٦) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٤٤ (٧) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٤٥

(٨) الكافي : ج ٢ ص ٣١٣ والاختصاص : ص ٢٤٢ (٩) الكافي : ج ٢ ص ٣١٣ (١٠) الكافي : ج ٢ ص ٣١٣

وعن الباقر (ع) قال : دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والاخر فاسق فخرجوا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق ، وذلك إنّه دخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدلّ بها فتكون فكرته في ذلك ، وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله ممّا صنع من الذنب»^(١)

وقال النبي (ص) : قال موسى لابليس : «أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه فقال : إذا أعجبتة نفسه ، واستكثرت واستكبرخ » عمله ، وصغر في عينه ذنبه»^(٢) وقال(ص) : « قال الله تعالى لداود : « بشر المذنبين وأنذر الصّديقين » قال داود : كيف ابشر المذنبين وانذر الصّديقين ؟ قال : يا داود بشر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب ، وأنذر الصّديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم ، فأنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك»^(٣) .

وعن الكاظم (ع) أنه سئل عن العجب الذي يفسد العمل ، قال (ع) : « العجب درجات منها أن يزین للعبد سوء عمله فراه حسنا فيعجبه فيحسب أنه يحسن صنعا ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمنّ على الله والله عليه فيه المن»^(٤) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بم يختم له ، فمن أعجب بنفسه وفعله فقد ضلّ عن نهج الرّشاد وادعى ما ليس له ، والمدعي من غير حق كاذب وإن خفي دعواه وطال دهره فانه أوّل ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم أنه عاجز فقير ويشهد على نفسه لتكون الحجّة عليه أوكد كما فعل ابليس والعجب نبات حبّها الكفر وأرضها النفاق وماؤها البغي وأغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار ، فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النّفاق ولا بدّ من أن يثمر ويصير الى النار»^(٥) .

الفصل السابع

آفات العجب

اعلم أن آفات العجب كثيرة منها أنه يدعوا إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما أشرنا إليه ومنها أنه يدعو الى نسيان الذنوب وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها

(١) لكافي : ج ٢ ص ٤١٤ (٢) الكافي : ج ٢ ص ٣١٤ (٣) الكافي : ج ٢ ص ٣١٤

(٤) الكافي : ج ٢ ص ٣١٣ (٥) مصباح الشريعة : ص ٨١

وتلافيها بل يظن أنها تغفر له وأما العبادات فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ، ثم إذا أعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعاً ، فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقيّة عن الشوايب قلّما تنفع .

وإنما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه ، ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منةً وحقا بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطيّة من عطاياه ويحوجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكّيها فإن أعجب برأيه وعلمه وعقله منعه ذلك من الاستفادة والاستشارة والسؤال فيستند بنفسه وبرأيه ويستكف عن سؤال من هو أعلم منه .

وربما يعجب بالرأي الخطاء الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره ، فيصرّ عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهاال ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق ، فهذا وأمثاله من آفات العجب ولذلك كان من المهلكات .

ومن أعظم آفاته أنه يفتر في السعي لظنه أنه قد فاز واستغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه .

الفصل الثامن

الاعجاب بأسباب التكبر

اعلم أن الانسان قد يعجب بالأسباب التي بها يتكبر ، وعلاجه ما ذكرنا في الكبر ، وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطاء الذي يزين له بجهله وقد أخبر رسول الله (ص) أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة وبذلك هلك الامم إذا افتترقت فرقا ، وكلّ معجب برأيه وكل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والضلال إنما أصرّوا عليها لعجبهم بآرائهم وهو ما يسوق إليه الهوى والشبهة مع كون ظنه حقاً .

وعلاج هذا العجب أشد من غيره لأن صاحب الرأي الخطاء جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف ، والعارف يقدر على أن يبيّن للجاهل جهله ويزيله عنه إلا إذا

كان معجبا برأيه وجهله ، فانه لا يصغي إلى العارف ويتهمه ، وقد سلط الله عليه بلية مهلكة وهو يظنها نعمة ، وكيف يمكن الهرب مما هو سبب سعاده في اعتقاده .

وإنما علاجه في الجملة أن يكون متهما لرأيه أبداً لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب الله العزيز أو سنة رسوله (ص) أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة ، ولن يعرف الانسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكان الغلط فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثابت وجدد وتشمير في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ، ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور .

والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يخوض في المذاهب ولا يصغي إليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله واحد لا شريك له ، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأن رسوله صادق فيما أخبره به ويتبع أئمة الهدى من أهل بيت النبي صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش ويشغل بالتقوى واجتناب المعاصي والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال المرضية .

الفصل التاسع

علاج العجب

ولما كان علاج كل علة بمقابلة سببها بضده ، وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط ، فلنرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادات ، فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول :

الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب إما أن يكون يعجب به من حيث إنه فيه وهو محلّه ومجراه ، أو من حيث إنه منه وبسببه وقدرته وقوته ، فان كان الأول فهو جهل لان المحل مسخر وانما يجري فيه وعليه من جهة غيره لا مدخل له في الابداع والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه ، وإن كان الثاني فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي تمّ بها عمله أنها من أين كانت له فان كان علم أن جميع ذلك نعمة من الله إليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلى بها فينبغي أن يكون إعجابه بوجود الله تعالى وكرمه وفضله إذ افاض عليه مالا يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فان قال وفقني للعبادة لحبي له

فيقال : ومن خلق الحب في قلبك ؟ فسيقول : هو فيقال : فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده إذ أنعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه ؛ لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محلّ لفيضان فضل الله وجوده ، والمحل أيضاً من فضله وجوده فأنه هو الذي خلقك وخلق أعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم والارادة ، ولو أردت أن تنفي شيئاً من ذلك عن نفسك لم تقدر عليه .

ثم خلق الحركات في اعضائك مستبداً باختراعه من غير مشاركة له من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب إرادة ، ولم يخلق إرادة ما لم يخلق علماً بالمراد ، ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم ، فتدرجه في الخلق شيئاً بعد شيء هو الذي خيل اليك أنك أوجدت علمك ، وقد غلظت فان تحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الأسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها إليك .

ومن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ، ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في إشاره إليك على الفساق من عباده ، إذ مكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك ، وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتى تيسر لك وتيسر لهم الشر ، فعل ذلك كله بك وبهم من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة منهم .

روي أن أيوب على نبينا وآله وعليه السلام قال : « الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا أثرت هواك على هواي ، فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت : يا أيوب أنى لك ذلك ؟ قال : فأخذ رماداً فوضعه على رأسه فقال : منك يا رب فرجع عن نسيانه وأضاف ذلك إلى الله تعالى :

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ﴾^(١) وقال (ص) : « ما منكم من أحد ينجي عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »^(٢) .

فإذن هذا هو العلاج القاطع لمادة العجب من القلب ، ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها .

(١) سورة النور : آية ٢١ (٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٤٩

المقالة الثالثة

في ذم الدّنيا والاعتزاز بها وفيها خمسة أبواب

الباب الاول

في معرفة الدنيا والآخرة

في معرفة الدّنيا والآخرة فنقول : دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من أحوال قليك ، والقريب الداني منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت ، والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت ، فكلّ مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقتك إلا أن جميع ما لك إليه ميل وفيه نصيب وحظّ فليس بمذموم .

وذلك لأن ما يصحبك في الدّنيا ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النافع والعمل الصّالح فهو من الآخرة في الحقيقة وانما يسمى بالدّنيا باعتبار دنوه ، فان العالم قد يأنس بالعلم حتى يصير ذلك ألدّ الأشياء عنده ، فيهجر النّوم والمنكح والمطعم في لذته ، لانه أشهى عنده من جميعها ، فقد صار حظاً عاجلا في الدنيا ، ولكننا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا منها أصلا ، بل قلنا إنه من الآخرة .

وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم : ما أخاف من الموت إلا من حيث إنه يحول بيني وبين قيام الليل بل نقول : إن من جملة العمل الصّالح الذي هو من الآخرة التعرض للرّزق .

قال النّبويّ (ص) : «العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال»^(١) وقال (ص) : «ملعون من ألقى كلّه على الناس»^(٢) .

وقال أمير المؤمنين (ع) «أوحى الله تعالى إلى داود أنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت

(١) تحف العقول : ص ٣٢ (٢) تحف العقول : ص ٣٢

المال ولا تعمل بيدك شيئاً ، قال : فبكى داود أربعين صباحاً فأوحى الله عز وجل إلى الحديد أن لن لعبدي داود ، فالآن الله له الحديد ، وكان يعمل كل يوم درعاً فبيعهما بألف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال « (١) .

وعن السّجاد (ع) : « الدنيا دنياء ان دنيا بلاغ و دنيا ملعونة » (٢) وقال الباقر (ع) : « من طلب الرزق في الدنيا استغفافاً عن الناس وسعيّاً على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله عز وجل ووجهه مثل القمر في ليلة البدر » (٣) .

وقال الصادق (ع) : « الكاذب على عياله كالمجاهد في سبيل الله » (٤) وقال : « في رجل قال لأقعدنّ في بيتي ولا صلّين ولا صومن ولا عبدنّ ربّي ، فأما رزقي فسيأتيني قال : هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم دعوة » (٥) .

وقال (ع) : « إن الله ليحب الاغتراب في طلب الرزق » (٦) وقال له رجل : « والله إنا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتيها ، فقال (ع) تحب ان تصنع بها ماذا ؟ قال : أعود بها على نفسي و عيالي وأصل بها وأتصدّق بها وأحج وأعتمر ، فقال : هذا ليس طلب الدنّيا هذا طلب الآخرة » (٧) .

وقال (ع) : « ليس منّا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه » (٨) وقال (ع) : « لا تكسلوا لطلب معاشكم فإنّ آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها » (٩) .

« وعن علي بن أبي حمزة قال : رأيت أبا الحسن (ع) يعمل في أرض وقد استنقعت قدماه في العرق ، فقلت جعلت فداك أين الرجال فقال : يا عليّ قد عمل باليد من هو خير مني في أرضه ومن أبي ، فقلت : ومن هو ؟ فقال : رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وآبائي (عليهم السلام) كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النّبیین والمرسلين والأوصياء والصّالحين » (١٠) .

الفصل الاول

ما يبقى مع العبد عند الموت

اعلم أنّه لا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات : صفاء القلب أعني طهارته من

(١) الفقيه ج ٣ ص ٩٨ والكافي ج ٥ ص ٧٤ (٢) الكافي ج ٢ ص ٣١٧ (٣) الكافي ج ٥ ص ٧٨
(٤) الكافي ج ٥ ص ٨٨ (٥) الكافي ج ٥ ص ٧٧ (٦) الفقيه ج ٣ ص ٩٥ (٧) الكافي ج ٥ ص ٧٢
(٨) الفقيه ج ٣ ص ٩٤ (٩) الفقيه ج ٣ ص ٩٥ (١٠) الكافي ج ٥ ص ٧٥

أدناس الدّنيا ، وانسه بذكر الله ، وحبه لله ، وصفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدّنيا ، والانس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه ، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعّدت بعد الموت ، وهي الباقيات الصّالحات .

وقد ورد في الخبر وان أعمال العبد تناضل^(١) عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجله جاء قيام الليل يدفع عنه ، وإذا جاء من قبل يديه جاءت الصّدقة تدفع عنه «الحديث .

وأما الانس والحب فهما يوصلان العبد إلى لذّة اللقاء والمشاهدة وهذه السّعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنّة ، وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد ، وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله ، فارتفعت العوائق وأفلت من السّجن وخلقى بينه وبين محبوبه ، فقدم عليه مسروراً سالما من الموانع أماناً من الفراق .

وكيف لا يكون محبّ الدنيا عند الموت معذباً ولم يكن له محبوب إلا الدّنيا وقد غصب «غضب خ ل» منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه وليس الموت عدما إنما هو فراق لمحباب الدنيا وقدوم على الله تعالى .

فاذن سالك طريق الاخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يقطعه عن شهوات الدّنيا ويغضض إليه ملاذها ويقطعه عنها ، وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن ، وصحة البدن لا تنال إلا بالقوت والملبس والمسكن ، ويحتاج كل واحد إلى اسباب .

فالقدر الذي لا بدّ منه من هذه الثلاثة إذا أخذ العبد من الدّنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدّنيا وكانت الدّنيا في حقّه مزرعة الاخرة ، وإن أخذ ذلك على قصد التّنعيم وحظّ النّفس صار من ابناء الدّنيا والرّاعبين في حظوظها إلا أن الرّغبة في حظوظ الدّنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله في الاخرة ويسمّى ذلك حراماً وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ، ويسمى ذلك حلالاً .

والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصيات القيامة لأجل المحاسبة أيضاً عذاب فمن

(١) ناضل عنه دافع وفي الحديث : أفهمت باهشام فهماً تناضل به أعدائنا ، أي تدافع به أعدائنا .

نوقش في الحساب عذب فلذلك قال رسول الله (ص) : « في خ » « حلالها حساب و « في خ » حرامها عذاب »^(١) ، « بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيصة لا بقاء لها هو أيضاً عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنها سعادات منصرمة لا بقاء لها ، ومنغصة بكدورات لا صفاء لها ، فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتتقطع الازمان والذهور دون غاياتها فكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذرته من نعيم الدنيا أشد .

حتى ان عيسى على نبينا وعليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رمى به ، إذ تمثل له إبليس وقال : رغبت في الدنيا .

وحتى أن سليمان على نبينا و(ع) في ملكه كان يطعم الناس من لذيذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحاناً وشدة ، فان الصبر عن لذيذ الاطعمة مع وجودها أشد .

ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا (ص) فكان يطوي أياماً ؛ ولهذا سلط البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل كل ذلك نظرا لهم وامتناناً ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه ويلزمه الفصد والحجامة شفقة عليه وحباً له لا بخلا به عليه ، وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا هو الله ليس من الدنيا »^(٢) .

الفصل الثاني

أعيان الدنيا

قد ظهر مما ذكرنا أن الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لامر الاخرة ، ويعبر عنه بالهوى وإليه أشار قوله تعالى : « ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى »^(٣) ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عز وجل في قوله « إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد »^(٤) والاعيان التي منها تحصل هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٢ وإحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤ (٣) سورة النازعات : آية ٤٠ - ٤١ (٤) سورة الحديد : آية ٢٠

الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالانْعَامِ وَالْحَرِثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَآبِ ﴿١﴾ فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين : علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همّه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر^(٢) ، ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسَّمعة وسوء الظنّ والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر ، فهذه هي الدنيا الباطنة .

وأما الظاهرة فهي الأعيان المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها بحيث نسوا أنفسهم ومالهم ومنقلبهم ولو عرفوا سبب الحاجة إليها واقتصروا عليها لم يستغرقهم أشغال الدنيا ، وإنما استغرقهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها وتتابعت الاشتغال واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتأهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ، وكل ما ورد في ذم الدنيا يرجع إلى هذا .

الباب الثاني

فيما ورد في ذم الدنيا

فيما ورد في ذم الدنيا اعلم أن الدنيا عدوة لله وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله .

أما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها مذ خلقها .

وأما عداوتها لأولياء الله فانها تزيت لهم بزيتها وغمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها .

وأما عداوتها لأعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم^(٣) بشباكها حتى وثقوا بها وعولوا عليها ، فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها ، فاجتتوا منها حسرة يتقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم عن السعادة أبد الأباد ، فهم على فراقها يتحسرون ، ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون ، بل يقال لهم : ﴿ اخسثوا فيها ولا تكلمون ﴾^(٤) ﴿ اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا

(١) سورة آل عمران : آية ١٤

(٢) يقال فلان مستهتر بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قبل فيه . (٣) قنصه أي صاده واقتنصه اصطاده .

(٤) سورة المؤمنون : الآية ١٠٨ .

يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون»^(١) .

والآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة ، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة ، بل هو مقصود بعث الأنبياء ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها ، وإنما نورد بعض الاخبار الواردة فيه ليكون انموذجاً لغيره مما لا يحصى . ز .

فمن الصادق (ع) قال : « خرج النبي (ص) فهو محزون فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض فقال : يا محمد هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربك : افتح وخذ منها ما شئت من غير أن ينقص شيئاً عندي ، فقال رسول الله (ص) : الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له ، فقال الملك والذي بعثك بالحق نبياً لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح »^(٢) .

وعنه (ع) قال : « مرّ رسول الله (ص) بجدي أسك^(٣) ملقى في مزبلة ميتاً فقال لأصحابه : كم يساوي هذا ؟ فقالوا : لعله لو كان حياً لم يساو قيمته درهماً ، فقال النبي (ص) : والذي نفسي بيده الدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله »^(٤) .

وعنه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « إنّ في طلب الدنيا إضراراً بالآخرة وفي طلب الآخرة إضراراً بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها أحق بالاضرار »^(٥) .

وعنه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « مالي وللدنيا وإنما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال^(٦) تحتها ثم راح وتركها »^(٧) .

وعنه (ع) قال : كتب أمير المؤمنين إلى بعض أصحابه يعظه : « اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى إلا به ، فان من اتقى الله عزّ وجلّ قوي وشبع

(١) سورة البقرة : الآية ٨٦ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ١٢٩

(٣) هكذا في المطبوع وفي نسخة من الخطية وفي هامشها الاسك مقطوع الاذنين وفي النسخة الاخرى من الخطية : ايسل بدل اسك قال في القاموس : ايسله أسلمه للهلكة وفي مجمع البحرين في قوله تعالى : ايسلوا بما كسبوا ، أي ارفضوا واسلموا للهلكة ، والجدي : الذكر من اولاد المعز

(٤) الكافي : ج ٢ ص ١٢٩ (٥) الكافي : ج ٢ ص ١٣١

(٦) من القيلولة .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ١٣٤ وتنبية الخواطر : ج ١ ص ١٤٧ وروضة الواعظين : ص ٤٨٢

وروي ورفع عقله عن أهل الدنيا ، فبدنه مع أهل الدنيا وقلبه وعقله معاين الآخرة فأطفاً بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حبّ الدنيا فقدّر حرامها وجانب شبهاتها ، وأضر والله بالحلال الصّافي إلا ما لا بد له منه من كسرة يشدّ بها صلبه ، وثوب يوارى عورته من أغلظ ما يجد وأخشنه ، ولم يكن له فيما لا بد منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء ، فجذّ واجتهد وأهب بدنه حتى بدت الأضلاع وغارت العينان ، فابدل الله له من ذلك قوة في بدنه وشدة في عقله وما ذخّر له في الآخرة أكثر .

فارفض الدّنيا فإن حبّ الدنيا يعمي ويصمّ ويكّم ويذلّ الرّقاب ، فتدرك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً وبعد غدٍ فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويق حتى أتيتهم أمر الله بغتة وهم غافلون ، فنقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة ، وقد أسلمهم الأولاد والأهلون فانقطع إلى الله بقلب منيب من رفض الدّنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال^(١) أعاننا الله وإياك على طاعته ووقفنا وإياك لمرضاته^(٢) .

وقال أمير المؤمنين (ع) في صفة الدّنيا : « ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء ، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ، ومن قعد عنها اتته ، ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته^(٣) .

وعن الباقر (ع) قال : قال عليّ بن الحسين (ع) : « إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا ، ألا وكونوا من الزاهدين في الدّنيا الرّاعيين في الآخرة ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً ، والتراب فراشاً والماء طيباً وقرضوا من الدّنيا تقريضا ، ألا ومن اشتاق إلى الجنّة سلا^(٤) عن الشهوات ومن أشفق من النّار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب .

ألا ان الله عبداً كمن رأى أهل الجنّة في الجنّة مخلدين وأهل النّار في النّار معذبين شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة أنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصاروا

(١) الانخزال الانقطاع . م . (٢) الكافي : ج ٢ ص ١٣٦

(٣) نهج البلاغة ج ١ ص ١٠٦ خطبة ٨٢

(٤) سلوت عنه سلوا من باب قعد صبرت عنه . م .

بعقبى راحةٍ طويلة ، أما الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجارون إلى ربهم يسعون في فكاك رقابهم ، واما النار فحلما علماء بررة اتقياء كأنهم القداح قد براهيم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها» (١) .

وعن عليّ بن الحسين (ع) : « أنه سئل أيّ الاعمال أفضل عند الله تعالى ؟ فقال ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا وأنّ لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً .

فأول ما عصي الله به الكبر وهو معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله تعالى لهما : ﴿كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ (٢) فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة ، وذلك إنّ أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حبّ النساء وحبّ الدنيا وحبّ الرياسة وحبّ الراحة وحبّ الكلام وحبّ العلوّ والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهنّ في حبّ الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة والدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة» (٣) .

وعن الباقر (ع) أنه قال لجابر : «يا جابر من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل عما سواه ، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن يكون الدنيا هل هي إلا طعام أكلته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها ، يا جابر إن المؤمنين لم يطمثوا إلى الدنيا ببقائهم فيها ولم يأمنوا قدومهم الآخرة ، يا جابر الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ، ولكن أهل الدنيا أهل غفلة ، وكان المؤمنين هم الفقهاء وأهل فكرة وعبرة لم يصمّهم عن ذكر الله ما سمعوا باذانهم ، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ، ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم الحديث» (٤) .

وعن الصادق (ع) : «إذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ، ومن اوتيهنّ فقد اوتي خير الدنيا والآخرة» (٥) :

وقال (ع) : «ألا انه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتّى تزهدوا في الدنيا» (٦)

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٣١ (٢) سورة الاعراف : آية ١٩ (٣) الكافي : ج ٢ ص ١٣٠

(٤) الكافي : ج ٢ ص ١٣٢ (٥) الكافي : ج ٢ ص ١٣٠ (٦) الكافي : ج ٢ ص ١٣٠

وقال : « إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما^(١) ووجد حلاوة حبّ الله وكان عند أهل الدنيا كأنه قد خولط ، وانما خالط القوم حلاوة حبّ الله فلم يشتغلوا بغيره »^(٢) .

وقال : « إن القلب اذا صفا ضاق به الارض حتى يسمو »^(٣) وقال : « جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا »^(٤) ثم قال : « قال رسول الله (ص) : لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا »^(٥) .

وعنه (ص) : « من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه ، ويصره عيوب الدنيا داءها ودواءها ، وأخرجه من الدنيا سالما إلى دار السلام »^(٦) .

وعن الكاظم (ع) قال : « قال أبوذر (ره) جزى الله الدنيا عني مذمة^(٧) بعد رغيفين من الشعير اتغدى بأحدهما واتعشى بالآخر وبعد شملتي الصوف أتزر بأحدهما وأتردى بالآخرى »^(٨) .

وعن الرضا (ع) قال : « قال عيسى بن مريم للحواريين : يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا أصابوا دنياهم »^(٩) .

الفصل الاول

في ذم الدنيا ومضار التعلق بها

وعن النبي (ص) : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء »^(١٠) وقال (ص) : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »^(١١) وقال (ص) : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله (منها خ) »^(١٢) وقال (ص) : « يا عجبا كلّ العجب للمصدق بدار

(١) سماسموا : ارتفع . ق . (٢) الكافي : ج ٢ ص ١٣٠

(٣) الكافي : ج ٢ ص ١٣٠ (٤) الكافي : ج ٢ ص ١٢٨

(٥) الكافي : ج ٢ ص ١٢٨ (٦) الكافي : ج ٢ ص ١٢٨ وامالي الطوسي : ص ٥٤٢

(٧) أخذتني منه مذمة ويكسر ذال اي رقه وعار من ترك الحرمة . ق .

(٨) الكافي : ج ٢ ص ١٣٤ (٩) الكافي : ج ٢ ص ١٣٧

(١٠) تنبيه الخواطر : ج ٢ ص ١٣٤

(١١) لعوالي ج ١ ص ٩٥ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٢٨ ومكارم الاخلاق ص ٤٣٩ والعقد الفريد ج ٢ ص

(١٢) احياء علم الدين : ج ٣ ص ١٩٠ . ٢٦٠

الخلود وهو يسعى لدار الغرور»^(١) وقال (ص): «الهيكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فامضيت أو اكلت فافنيت أو لبست فأبلت»^(٢).

وقال (ص): «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه أربع خصال: همًا لا ينقطع عنه أبداً وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً وفقراً لا ينال غناه أبداً وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً»^(٣).

وقال (ص): «لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب»^(٤) وقال «لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا»^(٥).

«واوحى الله تعالى إلى موسى لا تركنن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد عليك منها»^(٦).

وقال عيسى (ع): «ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويشق بها وتخذله ويل للمغتربين كيف الزمهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون ويل لمن أصبح والدنيا همّه والخطايا عمله كيف يفتضح غداً بعمله»^(٧).

وقال لقمان لابنه: «يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً»^(٨).

«وقيل لحكيم الدنيا لمن هي؟ قال لمن تركها فقيل والأخرة لمن هي؟ قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب وأخرت منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران واعمّر منها قلب من يطلبها»^(٩).

الفصل الثاني

بعض الأمثلة التي وردت في صفة الدنيا

ولنذكر بعض الأمثلة التي وردت في صفة الدنيا، قال الله تعالى ﴿مثل الحياة الدنيا كماء

(١) تنبيه الخواطر: ج ١ ص ١٢٨ واحياء علوم الدين: ج ٣ ص ١٩١

(٢) تنبيه الخواطر: ج ١ ص ١٣٠ واحياء علوم الدين: ج ٣ ص ١٩١

(٣) تنبيه الخواطر: ج ١ ص ١٣٠ (٤) احياء علوم الدين: ج ٣ ص ١٩٤ وتنبيه الخواطر: ج ١ ص ١٣٤

(٥) احياء علوم الدين: ج ١ ص ١٩٣ (٦) تنبيه الخواطر: ج ١ ص ١٣٤ (٧) تنبيه الخواطر: ج ١ ص ١٣٢.

(٨) تنبيه الخواطر: ج ١ ص ١٣٧. (٩) تنبيه الخواطر: ج ١ ص ١٤٠

أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح»^(١).

وقال النبي (ص) : «الدنيا حلم»^(٢) وأهلها عليها مجازون معاقبون»^(٣) وقال (ص) في قلة ما بقي من الدنيا بالإضافة إلى ما سبق مثل «هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقاً بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع»^(٤) وقال (ص) : «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع إليه»^(٥) من الاصل

وكتب أمير المؤمنين (ع) إلى سلمان (رض) بمثالها (بمثالها) فقال «مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها ، فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها ، وكن أنس ما تكون منها أحذر ما تكون منها ، فان صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته عنه مكروهة والسلام»^(٦).

«وكان الحسن بن علي (ع) يتمثل بهذا البيت :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغتراراً بظّل زائل حمق»^(٧)
وقال الباقر (ع) في حديث جابر : «فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت منه ، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء ، قال إني انما ضربت لك هذا مثلاً لأنها عند أهل اللب والعلم بالله كفيء الظلال»^(٨).
وعنه (ع) : «مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعدها من الخروج حتى تموت غمماً»^(٩).

وقال الصادق (ع) : «مثل الدنيا مثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله»^(١٠).

وروي إن عيسى (ع) «كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوزة شمطاء هتماء»^(١١) عليها من

(١) سورة الكهف : آية ٤٥ (٢) الحلم بالضم وبضمّتين الرؤيا . ق .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٠٢ وتنبية الخواطر : ج ١ ص ١٤٥

(٤) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٨ (٥) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٠

(٦) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٧ (٧) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٥

(٨) الكافي : ج ٢ ص ١٣٣ (٩) الكافي : ج ٢ ص ١٣٤ (١٠) الكافي : ج ٢ ص ١٣٦

(١١) الشمط بالتحريك بياض شعر الرأس يخالط سواده والمرأة شمطاء . والهتماء منكسرة الثيابا من اصولها .

كلّ زينة فقال لها : كم تزوّجت ؟ قالت : لا احصيهم قال : فكّلهم مات عنك أو كلّهم طلقك ؟ قالت : بل كلّهم قتلتهم فقال عيسى (ع) : يؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر^(١) وقال عيسى (ع) : « الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها »^(٢) .

وقال بعض الحكماء : ما أشبه حال الانسان واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات الفانية العاجلة الممتزجة بالكدورات بشخص مدلى في بثر مشدود وسطه بحبل وفي أسفل ذلك البثر ثعبان عظيم متوجه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه ، وفي أعلى ذلك البثر جردان أبيض وأسود لا يزال يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً ولا يفتران عن قرصه أنا من الانات ، وذلك الشخص مع أنه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل أنا فأنأ قد أقبل على قليل عسل قد تلتخ به جدار ذلك البثر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتدّ بما أصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه ، قد صرف باله بأجمعه إلى ذلك غير ملتفت إلى ما فوقه وإلى ما تحته .

فالبثر هو الدنيا ، والحبل هو العمر ، والثعبان الفاتح فاه هو الموت ، والجرذان الليل والنهار القارضان للأعمار ، والعسل المختلطة بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات والآلام ، والزنابير هم أبناء الدنيا المتزاحمون عليها ، وما أشد انطباق هذا المثال على الممثل له فنسأل الله الهداية والبصيرة ، ونعوذ به من الغفلة والغواية .

الباب الثالث

في ذم حب المال

في ذم حبّ المال اعلم أن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف ولكن الأموال اعظم فتنها وأطمّ محنها وأعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثمّ إذا وجدت فلا سلامة منها وإن فقد حصل منه الفقر الذي كاد أن يكون كفرة ، وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسراً .

وبالجملة فهي لا تخلو من الفوائد والآفات ، وفوائدها من المنجيات ، وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٦ (٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٧

من العلماء الراسخين ، ثم للفاقد حالتان : القناعة والحرص ، وللحرص حالتان : طمع فيما في أيدي الناس وتشمر للحرص والصناعات مع اليأس عن الخلق وللواجد حالتان : إمساك وإنفاق ، وللمنفق حالتان : تبذير واقتصاد ، وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالَكُمِ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ ﴾^(١) وقال عز وجل ﴿ لَا تَلْهَكُمُ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(٢) .

وقال النبي (ص) : « حَبَّ الْمَالِ وَالشَّرْفِ يَنْبَتَانِ النَّفَاقُ كَمَا يَنْبَتُ الْبَقْلُ »^(٣) وقال (ص) : « مَا ذُبَّانُ ضَارِيَانِ أَرْسَلَا فِي زُرِّيَّةٍ^(٤) غَنِمَ بِأَكْثَرِ فَسَاداً مِنْ حَبِّ الْمَالِ وَالْجَاهِ فِي دِينِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ »^(٥) وقال (ص) : « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَا لِي مَالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا تَصَدَّقْتَ فَاَمْضَيْتَ أَوْ أَكَلْتَ فَاَمْضَيْتَ أَوْ لَبَسْتَ فَاَمْضَيْتَ »^(٦) .

وقال رجل : « يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالِي لَا أَحِبُّ الْمَوْتَ ؟ فَقَالَ : هَلْ مَعَكَ مِنْ مَالٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : قَدَّمَ مَالَكَ أَمَامَكَ ، فَإِنْ لَبَسَ الْمُؤْمِنُ مَعَ مَالِهِ إِنْ قَدَّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَهُ ، وَإِنْ خَلْفَهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَخَلَّفَ مَعَهُ »^(٧) .

الفصل الاول

المال محمود ومذموم

واعلم أن الله سبحانه قد سمي المال خيراً في مواضع فقال : ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةَ ﴾^(٨) الآية وقال رسول الله (ص) : « نَعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ »^(٩) وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج والانفاق فهو ثناء على المال ، إذ لا يمكن الوصول إليها الآبه .

(١) سورة التغابن : آية ١٥ (٢) سورة المنافقون : آية ٩

(٣) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٥ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٨

(٤) الزرب المدخل وموضع الغنم . ق . (٥) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٥ والكافي : ج ٢ ص ٢٩٧ واحياء علوم

الدين : ج ٣ ص ٢١٨ (٦) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٦ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢١٨

(٧) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٦

(٨) وقال : وانه لحب الخير لشديد .

(٩) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٨ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٢٠

وتحقيق القول فيه أن المال قد يكون وسيلة إلى مقصود صحيح ، وقد يكون وسيلة إلى مقاصد فاسدة ، وهي المقاصد الصّادة عن سعادة الابد ويسد سبيل العلم والعمل ، فهو إذن محمود ومذموم ، محمود بالاضافة الى المقصود المحمود ، ومذموم بالاضافة إلى المقصود المذموم ، ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان الله مهلاً لها وآلة إليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية ؛ فاستعاذ الانبياء من شره حتى قال نبينا (ص) : « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً ، فلم يطلب من الدنيا ما لم يتمحض خيره » (١) ، فقال : « اللهم احيني مسكيناً وأمّتي مسكيناً » (٢) .

الفصل الثاني

فوائد المال وآفاته

اعلم أن مثل المال مثل حية فيها سمّ وترياق ، ففوائدها ترياقها وغوائلها سمومها فمن عرف غوائلها وفوائدها أمكنه أن يتحرز من شرّها ويستدرّ منها خيرها .

وأما الفوائد فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية ، أما الدنيوية فلا حاجة إلى ذكرها فان معرفتها مشتركة بين أصناف الخلق ، ولولا ذلك لم يتهاكوا على طلبها ، وأما الدينية فهي ثلاثة أنواع :

الأول أن ينفقه على نفسه إما في عبادة او في استعانة على عبادة والثاني ما يصرف إلى الناس وهي أربعة أقسام : الصدقة ، والمروة ، ووقاية العرض ، واجرة الاستخدام أما الصدقة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الربّ وأما المروة فتعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه ممّا يكتسب به العبد الاخوان والاصدقاء ويكتسب به صفة السخاء ، فإنّه لا يوصف بالجدود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة ، وهذا أيضاً مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهداية والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها .

وأما وقاية العرض فتعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب (٣) السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم وهذا أيضاً مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدنيوية قال رسول الله

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٩ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٢١

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٩ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٢١ (٣) ثلبه ثلبا : أعابه ونقصه . م .

(ص) : « ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة » (١)

وأما الاستخدام فهو ان الأعمال التي يحتاج إليها الانسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاه بنفسه لضاعت أوقاته وتعدر عليه سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذين هما أعلى مقامات السالكين .

النوع الثالث ما لا يصرفه الانسان إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام ، كبناء المساجد والقناطير والرباطات ودار المرضى ونصب الجباب في الطرق وغير ذلك من الأوقات المرصدة للخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبه بركة ادعية الصالحين إلى أوقات متمادية .

فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلّق بالحفظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العزّ والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب .

وأما الافات فدينية ودنيوية أما الدينية فنثلاثة أنواع :

الاول انه تجر إلى المعاصي ، فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة أن لا تقدر، ومهما كان الانسان آيساعن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته إليها فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت الداعية ، والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك ، وإن صبر وقع في شدة ، إذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء .

الثاني أن يجر إلى التمتع في المباحات وهذا أقل الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائد الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان في ملكه ، فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التمتع مألوفاً عنده ومحبوباً لا يصبر عنه ويجرّه البعض منه إلى البعض ، وإذا اشتد انسه به وربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديّة لينتظم له أمر دنياه وتيسر له تنعمه ، فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ، ومن احتاج إلى الناس فلا بد أن ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم من الآفة الاولى

(١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٢ وتبيينه الخواطر : ج ١ ص ١٦٠

وهي مباشرة المحظورات فلم يسلم عن هذه اصلا ، ومن الحاجة إلى الخلق تشور العداوة والصداقة ويبتني عليه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تختص بالقلب واللسان ، ولا يخلو عن التعدي أيضاً إلى سائر الجوارح ، وكل ذلك يلزمه من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه .

الثالث وهو الذي لا ينفك عنه أحد وهو أنه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل عن الله فهو خسران .

ولذلك قال عيسى (ع) : « في المال ثلاث خصال : أن يأخذه من غير حله فليل إن أخذه من حله ، قال : يضعه في غير حقه فليل : إن وضعه في حقه ، فقال : يشغله اصلاحه عن ذكر الله » (١) .

وهذا هو الداء العضال ، فإن أصل العبادات ومخها سرها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله ، وذلك يستدعي قلبا فارغا ، وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكراً في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانتة ، وخصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود ، وخصومة أعوان السلطان في الخراج ، وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة ، وصاحب التجارة يكون متفكراً في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه المال ، وكذلك صاحب المواشي وهكذا سائر اصناف الأموال .

وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الأرض ، ولا يزال بالفكر متردداً فيما يصرف إليه ، وفي كيفية حفظه وفي الخوف ممن يعثر عليه ، وفي دفع اطماع الناس عنه ، وأودية أفكار أهل الدنيا لا نهاية لها ، والذي معه قوت يومه أو سنته في سلامة عن جميع ذلك .

فهذه جملة الافات الدينية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال من المخوف والحزن والغم والهَم والتعب في دفع الحساد وحفظ الأموال وكسبها ، فاذن تریاق المال أخذ القوت وصرف الباقي في « إلى خ » الخيرات ، وما عداها سموم وآفات .

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٢

الفصل الثالث

الفقر محمود مع القناعة

اعلم أن الفقر محمود ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان ، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الكفاف ويقصر الأمل ، فان تشوّف^(١) إلى الكثرة وطول الأمل فاته عزّ القناعة وتدنّس لا محالة بالطمع وذل الحرص وقلة القناعة وجره الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمرؤات وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة .

قال رسول الله (ص) : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »^(٢) .

وقال (ص) : منهومان لا يشبعان : « منهوم العلم ومنهوم المال »^(٣) وقال (ص) : « يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل »^(٤) .

ولما كان هذه جبلة للادمي مضلّة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة وقال (ص) : « طوبى لمن هدنى للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به »^(٥) وقال (ص) : « ما من احد غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه كان اوتي قوتا في الدنيا »^(٦) وقال (ص) : « يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بشوب فقركم وإلا فلا »^(٧) وقال (ص) : « ليس الغنى غنى كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس »^(٨) وقال : « انّ روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب »^(٩) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « ابن آدم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان أيسر ما فيها

(١) هكذا في النسخة المطبوعة وفي نسخة من المخطوطة قال في القاموس : تشوف تزين والى الخبر تطلع ومن السطح تطاول ونظر وأشرف . وفي المجمع تشوفت الى شيء تطلعت ومنه : النساء يتشوفن من الإسطوح . وفي النسخة المخطوطة الاخرى : تشوق بدل تشوف .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٣ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٣

(٣) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٣ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٣

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٣ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٣ وتحف العقول : ص ٤٥

(٥) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٣ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٣

(٦) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٤ (٧) كنز العمال : ح ١٦٦٥٥

(٨) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٤ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٣

(٩) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٤ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٣

يكفيك ، وان كنت تريد مالا يكفيك فإنَّ كلَّ ما فيها لا يكفيك» (١) .

وقال الباقر (ع) : « إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك فكفى ما قال الله تعالى لنبيه (ص) : ﴿ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ﴾ (٢) وقال : ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا ﴾ (٣) فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله (ص) فانما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجد (وجدته خ) » (٤) .

وقال الصادق (ع) : « إن الله يقول يحزن عبدي المؤمن إن قترت عليه وذلك أقرب له مني ، ويفرح عبدي المؤمن إن وسعت عليه وذلك أبعد له مني » (٥) .

وقال (ع) : « كل ما ازداد العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته » (٦) وقال تعالى في مناجات موسى : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته » (٧) .

الفصل الرابع

النجاة من غائلة المال

لا نجاة من غائلة المال إلا بالمحافظة على امور :

الأول أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتسب ولا يحفظ إلا بقدر حاجته .

والثاني أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة .

والثالث أن يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتتر قال الله تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ (٨) وفي الحديث النبوي « ما عال من اقتصد » (٩) .

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٣٨ (٢) سورة التوبة : آية ٥٤

(٣) سورة طه : آية ١٣١ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ١٣٧ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٤١

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٢٦١ (٧) الكافي : ج ٢ ص ٢٦٣

(٨) سورة الفرقان : الآية ٦٧ (٩) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٦

والرابع أن يضع ما اكتسبه من حلّه في حقّه ولا يضعه في غير حقّه فان الاثم في الأخذ من غير حقّه والوضع في غير حقّه سواء .

والخامس أن يصلح نيته في الأخذ والترك والانفاق والامساك ، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له ، وإذا فعل ذلك لم يضره وجود المال .

قال أمير المؤمنين (ع) : « لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد ، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد وجه الله فليس بزاهد »^(١) .

إن قيل : أيهما أفضل الغنى بنية الاستعانة على العبادة أم الفقر بنية التفرغ لها ؟ .

قلنا : الأفضل منهما ما لا يشغل العبد عن الله ، فان كان الفقر يشغله عن الله فالغنى أولى به ، وإن كان الغنى يشغله عن الله فالفقر أولى به ، وذلك لأن فضل الفقر والغنى بحسب عدم تعلق القلب بالمال وفقده ، فان تساوى فيه تساوت درجتهما إلا أن هذا مزلة الاقدام وموضع الغرور ، فان الغنى ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لا يشعر به ، وإنما يشعر به إذا فقده فليجرب نفسه ، وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء ، وإذا كان ذلك محالاً وبعيداً فلنطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل ، لأن علاقة الفقير وانسه بالدنيا أضعف غالباً ويقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسيحاته وعبادته ، فان حركات اللسان والأبدان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تأثيره في آثار الانس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيره في قلب مشغول ، ولهذا ورد في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق ما ورد ، ثم ليس معنى الفقر أن لا يملك شيئاً البتة .

قال الصادق (ع) في كلام له مع الصوفية : « ثم علم الله نبيه كيف ينفق وذلك أنه كانت عنده (ص) أوقية من الذهب فكره أن يبيت عنده فتصدّق بها فأصبح وليس عنده شيء ، وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السائل واغتمّ هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيماً رقيقاً (ص) فأدّب الله نبيه بأمره فقال : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً »^(٢) يقول : إن الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فإذا أعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من المال قال : ثم من علمتم بعده في فضله وزهده سلمان

(١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٤٧ .

(٢) سورة الاسراء : آية ٢٩

الفارسي وأبي ذر رضي الله عنهما .

فأما سلمان فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنة حتى يحضر عطاءه من قابل ، ف قيل له : يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا وأنت لا تدري لعلك تموت اليوم أو غداً فكان حوايه أن قال : مالكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم عليّ الفناء ، أما علمتم يا جهلة أن النفس قد تلتأت « تلتأت خ » على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه ، فإذا هي احرزت معيشتها اطمأنت .

وأما ابو ذر فكانت له نويقات وشويهاات يحلبها ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم أو نزل به ضيف أو رأى بأهل الماء الذين معه خصاصة نحر لهم الجزور أو من الشاة على قدر ما يذهب عنهم بقرم^(١) اللحم فيقسمه بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضّل عليهم ، ومن أزهّد من هؤلاء ؟ وقد قال فيهم رسول الله (ص) ما قال ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئاً البتة كما تأمرون الناس بالقاء امتعتهم وشيئهم « شيئهم خ » ويؤثرون به على أنفسهم وعيالاتهم .

واعلموا أيها النفر أنني سمعت أبي يروي عن آبائه أن رسول الله (ص) قال يوماً : ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن « انه خ » إن قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له ، وإن ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيراً له ، وكلّ ما يصنع الله به فهو خير له « (٢) » .

الفصل الخامس

الخلاص من الدنيا بالزهد

قد ظهر ممّا ذكرنا أنه لا خلاص من تبعة الدنيا وغوائلها إلا بالزهد فيها ، وهو أن لا يريد بها بقلبه إلا بقدر ضرورة بدنه ، وهو مقام عال قال الله تعالى : ﴿ فخرج على قومه في زينته ﴾^(٣) إلى قوله ﴿ وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير ﴾^(٤) نسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء ، وقال عز وجل : ﴿ من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة

(١) القرم بالتحريك شدة شهوة اللحم حتى لا يصبر عنه م .

(٢) تحف العقول : ص ٢٥٨ (٣) سورة القصص : آية ٧٩ (٤) سورة القصص : آية ٨٠ .

وقال النبي (ص): « من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه أمره وفرق عليه ضعفته وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضعفته وجعل غناه في قلبه واثته الدنيا وهي راغمة » (٢) وقال (ص): « إذا رأيت العبد قد اعطي صمتا وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقي « يلقي خ » الحكمة » (٣) وقال: « ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما أيدي الناس يحبك الناس » (٤) وقال (ص): « من أراد أن يؤتاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا » (٥).

وللزهد ثلاث درجات : السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الآخرة ، وهذا زهد الخائفين والثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيم الجنة ، وهذا زهد الراجين والثالثة وهي المرتبة العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه ، وهذا زهد العارفين ، والزهد باعتبار أحكامه ينقسم إلى فرض ونفل وسلامة فالفرض هو الزهد في الحرام ، والنفل هو الزهد في الحلال ، والسلامة هو الزهد في الشبهات .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع): « الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار ، وهو ترك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها ولا إعجاب في تركها ولا انتظار فرح منها وطلب محمد عليها ولا عوض لها ، بل ترى فوتها راحة وكونها آفة وتكون ابداً هاربا من الآفة معتصماً بالراحة ، والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز ، والجهد على الراحة ، والجوع على الشبع وعافية « عاقبة خ » الأجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة » (٦).

وستل الصادق (ع) « عن الزاهد في الدنيا فقال الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه » (٧) وقال: « ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ولا تحريم الحلال ، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله » (٨).

(١) سورة الشورى : آية ٢٠

(٢) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٠٤ وانظر الكافي : ج ٢ ص ٣١٩

(٣) إرشاد القلوب : ص ١٠٤

(٤) أمالي الطوسي : ص ١٣٩ . (٥) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٠٨

(٦) مصباح الشريعة : ص ١٣٧ (٧) عيون أخبار الرضا : ج ٢ ص ٥٢ (٨) معاني الأخبار : ص ٢٥١

وقال أمير المؤمنين (ع) : « الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله عز وجل »^(١) .

وقال (ع) : « الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه : ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾^(٢) ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه »^(٣) ، ولعمري أنه تمام في معناه .

الفصل السادس

في الجود والبخل

اعلم أن من ثمرة الزهد السخاء ، ومن ثمرة الرغبة في الدنيا البخل ، فالمال إن كان مفقوداً ينبغي أن يكون حال العبد القناعة ، وإن كان موجوداً ينبغي أن يكون حاله السخاء واصطناع المعروف ، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء وهو أصل من اصول النجاة .

وعنه عبّر النبي (ص) حيث قال : « السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية على الأرض فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنة »^(٤) وقال (ص) : قال جبرئيل : قال : قال الله تعالى « إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموا بهما ما استطعتم »^(٥) وقال (ص) : « ما جبل الله أوليائه إلا على السخاء وحسن الخلق »^(٦) وقال : « إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام »^(٧) وقال : « تجافوا عن ذنب السخي فإن الله أخذ بيده كلما عشر اقاله »^(٨) وقال (ص) : « طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء »^(٩) وقال (ص) : « ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ، بعيد من النار ، وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة ، قريب من النار »^(١٠) ، وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل وأرفع درجات السخاء الايثار ، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة قال الله تعالى في معرض الثناء : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

(١) معاني الاخبار : ص ٢٥١ (٢) سورة الحديد : آية ٢٣ (٣) نهج البلاغة : قصار الحكم حكمة ٤٣٩ .

(٤) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٧٠ (٥) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٧٠ (٦) الترغيب والترهيب : ج ٣ ص ٣٨٣

(٧) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٧٠

(٨) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٧١ (٩) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٣٠

(١٠) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٧١ وارشاد القلوب : ص ١٣٦

خصاصة^(١) وقال النبي (ص): «أما امرء اشتهى شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه غفر له»^(٢).

وينبغي للفقير أن لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه ، فان ذلك جهد المقل وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل من ظهر غنى وقال النبي (ص): «درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : اخرج رجل من عرض ماله مائة ألف يتصدق بها وأخرج رجل درهما من درهماين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه ، فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب مائة ألف درهم»^(٣).

واعلم أن الامساك حيث يجب البذل وبخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله (ص) إلا بالسخاء وقيل له : «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط»^(٤) وقال تعالى : «والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً»^(٥)

فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيباً به غير منازع له فيه ، بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له ، وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه شرعاً أو مروءة وعادة ، وواجب المروءة والعادة يختلف في الاحوال والاشخاص فيستقيح من الغنى المضايقة ما لا يستقيح من الفقير ، ومع الاهل والاقارب ما لا يستقيح من الاجانب ، ومع الجار ما لا يستقيح مع البعيد ، وفي الضيافة ما لا يستقيح أقل منه في المبايعة والمعاملة إلى غير ذلك .

وبالجملة حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض وهو أهم من حفظ المال وفي مقابلة السخاء والجود .

الباب الرابع

في ذم حب الجاه

في ذم حب الجاه اعلم أن اضل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار ، وهو آفة عظيمة وحبّه

(١) سورة الحشر : آية ٩

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٧٢ (٣) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٩٢ .

(٤) سورة الاسراء : آية ٢٩ . (٥) سورة الفرقان : آية ٦٧

مدموم ، بل المحمود هو الخمول إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾^(١) .

وقال النبي « حَبَّ الْجَاهِ وَالْمَالِ يَنْبِتَانِ النَّفَاقُ فِي الْقَلْبِ كَمَا يَنْبِتُ الْمَاءُ الْبَقْلُ »^(٢) وقال (ص) : « مَا ذُبَانُ ضَارِيَانِ أَرْسَلَا فِي زُرِّيَّةٍ غَنِمَ بِأَكْثَرِ فَسَادًا مِنْ حَبِّ الْجَاهِ وَالْمَالِ فِي دِينِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ »^(٣) وقال (ص) : « إِنَّمَا هَلَكَ النَّاسُ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى وَحُبِّ الثَّنَاءِ »^(٤) وعنه (ص) : « حَسَبَ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ أَنْ يُشِيرَ النَّاسُ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهِ »^(٥) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : « تَبْذُلُ وَلَا تَشْهَرُ وَلَا تَرْفَعُ شَخْصُكَ لِتَذَكَّرَ بِعِلْمٍ وَاتَّصَمْتَ تَسْلَمَ ، تَسَرَّ الْإِبْرَارَ وَتَغَيِظَ الْفَجَّارَ »^(٦) .

وقال الصادق (ع) : « إِيَّاكُمْ وَهَؤُلَاءِ الرَّؤَسَاءِ الَّذِينَ يَتْرَاسُونَ فَوَاللَّهِ مَا خَفَقَتِ النَّعَالُ خَلْفَ رَجُلٍ إِلَّا هَلَكَ وَأَهْلَكَ »^(٧) وقال (ع) : « مَلْعُونٌ مِنْ تَرَّاسٍ مَلْعُونٌ مِنْ هَمَّ بِهَا مَلْعُونٌ مِنْ حَدَثَ بِهَا نَفْسُهُ »^(٨) .

وقال النبي (ص) : « رَبِّ ذِي طَمْرِينٍ لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَيَّ اللَّهُ لِأَبْرَةِ لَوْ قَالَ : اللَّهُمَّ (إِنِّي خ) أَسْئَلُكَ الْجَنَّةَ لِأَعْطَاهُ الْجَنَّةَ وَلَمْ يُعْطِهِ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا »^(٩) وعنه (ص) : « إِنْ أَلْسِنَ مِنَ الرِّيَاءِ شَرِكٌ وَإِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْإِتْقِيَاءَ وَالْإِخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يَفْتَقِدُوا وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يَعْرِفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يَنْجُونَ مِنْ كُلِّ غِبْرَاءٍ مُظْلَمَةٍ »^(١٠) .

واعلم أن الجاه والمال هما ركنَا الدنْيَا ، ومعنى المال ملك الأعيان المتتفع بها في التوصل إلى الأغراض والمقاصد وقضاء الشهوات ، ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها ليتوصل باستعمال أربابها في الأغراض والمقاصد ، وكما انه يكتسب الاموال

(١) سورة القصص : آية ٨٣ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٥ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٦٠

(٣) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٥ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٦٠

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٦٠ (٥) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٥٨

(٦) عدة الداعي : ص ٢٣٤ . (٧) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٧ (٨) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٨

(٩) الطمر بالكسر الثوب الخلق العتيق او الكساء البالي من غير الصوف والابهة بضم الهمزة والتشديد العظمة والكبر والبهاء كذا في مجمع البحرين

(١٠) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٥٩ (١١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٥٩

بأنواع الحرف والصناعات فكذلك تكتسب القلوب بأنواع من المعاملات ، ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات ، وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده .

وليس يشترط أن يكون الوصف كاملا في نفسه بل يكفي أن يكون كاملا عنده وفي اعتقاده ، وقد يعتقد ما ليس كاملا كاملا ويذعن قلبه للموصوف بها انقياداً ضرورياً بحسب اعتقاده ، فان انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتهما ، وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسرق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم .

بل الرّق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم ، لأن مالك العبد يملكه قهراً والعبد متأب بطبعه ولو خلتى ورايه انسل^(١) عن الطاعة ، وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا وبيتغي أن يكون الأحرار له عبيداً بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له ، فبقدر ما يعتقدون من كماله تدعن^(٢) له قلوبهم ؛ وبقدر إذعان القلب يكون قدرته على أرباب القلوب ، وبقدر قدرته يكون فرحه وحببه للجاه .

وللجاه ثمرات كالمدهح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه ، وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتيحة بالسّلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد .

ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من وجوه :

الأول أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه ، فالعالم والزاهد الذي يتقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال يتيسر له ، فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبدولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرّجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزاً ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال إلى الجاه لم يتيسر له .

والثاني أن المال معرض للتوى^(٣) والتلف لأنه يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة

(١) في الحديث سيروا وانسلوا فانه اخف عليكم ، أي اسرعوا . م . انسل الصوف سقط وتقطع ، المنجد

(٢) الاذعان الانقياد والخضوع والذل ، قال تعالى ، يأتيوا اليه مذعنين أي مقرين منقادين غير مستكبرين

(٣) التوى مقصور ويمد هلاك المال وفي الحديث : القصد مشرة والسرف متواة . أي فقر وقلة .

ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراسة وتتطرق إليه أخطار كثيرة ، وأما القلوب إذا ملكت لم يتعرض لهذه الآفات فان ذا الجاه في أمن وأمان من الغضب والسرقة فيها ، نعم إنما تغضب القلوب بالتضريب وتقيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه .

والثالث أن ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة لأن القلوب إذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيرهما افصححت اللسنة لا محالة بما فيها ، فتصف بما تعتقده لغيره واستطار في الاقطار فاقتنصت القلوب ودعتها إلى الازعان والتعظيم ، فلا يزال يسري من واحد إلى واحد ويتزايد ، وليس له مرد معين ، وأما المال فمن ملك منه شيئاً فهو مالكة فقط ولا يقدر على استنمائه إلا بتعب ومقاسات .

وأما حب جمع المال وكتر الكنوز وأذخار الذخاير واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات وحبّ اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقاصي البلاد التي يعلم قطعاً أنه قط لا يطأها ولم يشاهد أصحابها ليعظموه أو يعينوه على غرض من أغراضه فله سببان : أحدهما جلبي ، والاخر خفي يدقّ عن أفهام الازكياء فضلاً عن الأغبياء ، وذلك لاستمداده من عرق خفيّ في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليه إلا الغواصون .

أما الجلبي فهو دفع ألم الخوف ، لأن الشفق لسوء الظن مولع ، والانسان وان كان مكتفياً في الحال فإنه طويل الأمل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره ، فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفرع إليه إن أصابت هذا المال جائحة^(١) فهو أبداً لشفقته على نفسه وجه للحياة بقدر طول الحياة وبقدر هجوم الحاجات وبقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع الخوف وهو كثرة المال حتى إن اصاب بطائفة من ماله استغنى بالآخرى ، وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لميله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ، ولذلك ورد : « منهومان لا يشبعان : منهوم^(٢) العلم ومنهوم المال^(٣) ، ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الأبعاد عن وطنه وبلده ، فإنه لا يخلو

(١) جاحت الآفة المال تجوحه جوحاً من باب قال اهلكته . م .

(٢) المنهوم في الاصل هو الذي لا يشبع من الطعام ولا يعمل عن الاكل وقد مر هذا الحديث عن قريب

(٣) احياء علوم الدين : ج٣ ص ٢٢٣ وتنبية الخواطر : ج١ ص ١٦٣

عن تقدير سبب يزعجه^(١) عن الوطن أو يزعج اولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم .

وأما السبب الخفي وهو الأقوى أن الروح أمر رباني يحب الربوبية بالطبع ومعنى الربوبية التوحد بالكمال ، والعبودية قهر على النفس ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال ؛ فهي محبة للكمال مشتبهة له ملتدة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال ، فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ، ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته ، فصار الاستيلاء على الأموال والقلوب محبوباً بالطبع وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ، ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد أشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة .

الفصل الأول

طرق الكمال

اعلم أن الكمال الحقيقي الذي يقرب من اتصف به من الله تعالى ويبقى كاملاً للنفس بعد الموت ليس إلا العلم بالله وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السماء والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به ثم الحرية أعني الخلاص عن أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبهاً بالملائكة الذين لا يستفزههم والألفين ولا يستهويهم « لا يسبق بهم خ » الغضب .

وأما ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب وتفسير القرآن والفقه والأخبار ومعرفة طريق تزكية النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله تعالى كما قال عز وجل ﴿ قد أفلح من زكياها ﴾^(٢) وقال : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾^(٣) فهو من حيث إنه وسيلة إلى معرفة الله وإلى تحصيل الحرية فمما لا بد منه بالعرض .

وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد إذ ليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما حقق في موضعه ، نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة إلى الحال ، وهي وسيلة إلى كمال العلم ، كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للدراك ، فان هذه القوى آلة للوصول به إلى حقيقة كمال العلم .

(١) ازعجه اقلقه وقلعه من مكانه (٢) سورة الشمس : آية ٩

(٣) سورة العنكبوت : آية ٦٩

وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى المطعم والملبس ، وذلك إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة الله فلا خير فيه البتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب .

ولا طريق للعبد إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد الموت إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومن ظن ذلك كمالات فقد جهل ، فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل ، فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة ، وعلى أعيان الاموال بسعة الغنى ، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه والمال كمال ، فلما اعتقدوا الكمال ذلك أحبوه ، ولما أحبوه طلبوه ، ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ، فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية .

وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك﴾^(١) .

فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالاً للنفس ، والجاه والمال هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى : ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾^(٢) الآية ، وكل ما تذوره الرياح بالموت فهو زهرة الحياة الدنيا ، وكلما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات .

فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمي لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصوداً فهو جاهل الا قدر البلغة منها إلى الكمال الحقيقي .

الفصل الثاني

بعض الجاه ضرورة في بعض الاحيان

اعلم انه كما لا بد من ادنى المال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق ، والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام والمال

(١) سورة الكهف : آية ٤٦

(٢) سورة يونس : آية ٢٤

الذي يباع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار .

فحبّه لان يكون له قلب خادمه من المحل ما يدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم وكذا حبّه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ، وكذا حبه لان يكون له في قلب استاذة من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ، وكذا حبّه لان يكون له من المحل في قلب السلطان ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه .

فان الجاه وسيلة إلى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفضي إلى أن لا يكون المال والجاه في أعينهما محبوبين ، بل ينزل ذلك منزلة حبّ الانسان أن يكون في داره بيت ماء ، لأنه يضطر إليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء إلا أنه لا يوصف محبهما بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحبّ على مباشرة معصية ولم يتوصّل إلى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور ، وما لم يتوصّل إلى اكتسابه بعبادة .

فان التوصل إلى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين ، وهو حرام وإليه يرجع معنى الرّياء المحظور فاما أن يطلبهما باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا يزول به منزلته فهو مباح أيضاً لان حفظ السّتر على القبايح جازي بل لا يجوز هتك السّتر وإظهار القبيح .

وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سدّ طريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقي إليه أنه ورع فان قوله إنه ورع تلبيس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب .

الفصل الثالث

في حب المدح والثناء

وأما حب المدح والثناء فله أسباب :

الأوّل وهو الأقوى شعور النفس بالكمال ، فان النفس مهما شعرت بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت ، والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها وتعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير خبير لا يجازف في القول ، ولهذه العلة يبغض الذم أيضاً ويكره ، لأنه يشعر

بنقصان في نفسه .

والسبب الثاني أن المدح يدل على أن قلب المادح ملك الممدوح وأنه مرید له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته ، وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيد وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر ممن يتسع قدرته ويتنفع باقتناص قلبه ، كالملوك والأكابر ، ولهذه العلة أيضاً يكره الذم ويتألم به .

والسبب الثالث أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتقد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملأ .

والسبب الرابع أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى اطلاق اللسان بالثناء عليه إما عن طوع وإما عن قهر ، فان الحشمة أيضاً لذيدة لما فيها من القهر والقدرة .

وهذه الأسباب قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ ويندفع استشعار الكمال بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق في مدحه فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وهي استيلاؤه على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء .

الفصل الرابع

في حب الجاه والمدح والثناء

اعلم أن من غلب على قلبه حبّ الجاه صار مقصوداً لهم على مراعاة الخلق ، مشغولاً بالتودّد إليهم والمرآة لأجلهم ، ولا يزال في أقواله وافعاله ملتفتاً إلى ما عظم منزلته عندهم ، وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ، ويجرّ ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات والمرآة بها وإلى اقتحام المحظورات للتوصل بها إلى اقتناص القلوب .

ولذلك شبه رسول الله (ص) « حبّ الشرف والمال ، وإفسادهما للدين بذئبين ضارين^(١) ، وقال (ص) : « إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل^(٢) » إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل ، وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى

(١) الذئب الضاري الذي اعتاد اكل لحوم الناس وقد مر الحديث بلفظه عن قريب

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٥٦

التظاهر بخصال حميدة وهو خال عنها ؛ وذلك عين النفاق .

وعلاجه العلمي أن يعلم أن السبب الذي لاجله أحبّ الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص النَّاس وعلى قلوبهم إن صفى وسلم فأخره الموت ، فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الأرض وإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجد له ، ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك انما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ، ويكون الموت كالحاصل عنده .

وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى : ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾^(١) وقال : ﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾^(٢) إلى غيرها من الآيات .

فمن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه في حبّ الجاه بالعلم بالافات العاجلة ، وهو أن يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا ، فان كل ذي جاه محسود مقصود بالابذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن يتغير منزلته في القلوب والقلوب أشدّ تغيراً من القدر في غليانه ، وهي مرددة بين الاقبال والاعراض ، فكل ما يبني على قلوب الخلق يضاهي ما يبني على امواج البحر ، فانه لا ثبات له

والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الاعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والاجل كل ذلك غموم عاجلة مكذّرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا أيضاً مرجوها بمخوفها فضلاً عما يفوت في الآخرة فهذا ينبغي أن يعالج البصيرة الضعيفة ، وأما من نفذت بصيرته وقوي إيمانه فلم يلتفت إلى الدنيا ، فهذا هو العلاج من حيث العلم .

وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس والخمول^(٣) والقناعة بالقبول من الخلق والاعتزال عن النَّاس والهجرة إلى مواضع الخمول ، فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته ، فربما يظن

(١) سورة الأعلى : آية ١٦ و ١٧

(٢) سورة القيامة : آية ٢٠ و ٢١ و (٣) الخمل الاستتار ومنه رجل خمول

أنه ليس محباً لذلك الجاه وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها ظفرت بمقصودها .

ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه او نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت وربما توصلت إلى الاعتذار من ذلك وإماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين أنه بعد محب للجاه والمنزلة .

ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس ، ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته بالقلوب عنده وزن ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو علة أو قلة إلى غير ذلك .

وحب المدح كحب الجاه حرمة وإباحة ونفعا وضراً ، وعلاجه علاج حب الجاه وعلمه بان الصفة الممدوح بها إن فقدت فاستهزاء وإن وجدت فالدنيوية كمال وهمي والدينية موقوفة على الخاتمة .

وعلاج كراهة الذم العلم بان الصفة المذموم بها إن وجدت فتبصير للعيوب وفيه الفرح والشغل بالازالة وإن فقدت فكفارة للذنوب وفيه الشكر لله والترحم عليه حيث أهلك نفسه كما قال النبي (ص) : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون »^(١) لما ان كسروا رباعيته^(٢) .

والانسان يفرح بما يذم عدوه وهو شخص عدوه نفسه فينبغي أن يفرح إذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكائه لما وقف على عيوبها ، فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمه عنده إذ صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يتلى بفتنة الجاه وإذا سبقت « سبقت خ » إليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبراً لعيوبه التي هو عاجز عن اماطتها ، ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهي أن يستوي عنده ذامه ومادحه ، لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره ، وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح انه صلى الله عليه وآله قال حكاية عن نبي من الأنبياء حين

ضربه قومه (المعنى) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٩٩ وفيه : « اللهم اغفر لقومي . . . » .

(٢) الرباعية بالفتح السن التي بين الثنية والناب من كل جانب والجمع الرباعيات م .

الباب الخامس

في ذم الغرور

في ذم الغرور ، وهو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخذعة من الشيطان ، فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور . قال الله تعالى : ﴿ لا تفرّتكم الحياة الدنيا ولا يفرّتكم بالله الغرور ﴾^(١) وقال عز وجل : ﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الاماني حتى جاء أمر الله وجرّمكم بالله الغرور ﴾^(٢) .

وقال النبي (ص) : « حبذا نوم الاكياس وفطرتهم كيف يغبنون » يغنون خ « سهر الحمقى واجتهادهم ، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملاء الارض من المعترّين »^(٣) .

وقال (ص) : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله الاماني »^(٤) .

ولنمثل للغرور مثلاً للايضاح ، أما الغرور بالحياة الدنيا فمثاله ما قال بعض الكفار والعصاة : النقد خير من النسبة ، والدنيا نقد والاخرة نسبة فاذن هي خير فلا بد من ايثارها ، وقالوا : اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا تترك اليقين بالشك فهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾^(٥) وإلى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى : ﴿ اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾^(٦) .

وعلاج هذه الغرور إما بتصديق الايمان بان يصدقوا الله في قوله : ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾^(٧) وقوله : ﴿ والاخرة خير وأبقى ﴾^(٨) وقوله : ﴿ وما الحيوّة الدّنيا إلا متاع الغرور ﴾^(٩) .

وإما البرهان وهو أن يعرفوا فساد هذا القياس الذي نظمه في قلوبهم الشيطان فان فيه

(١) سورة لقمان : آية ٣٣ (٢) سورة الحديد : آية ١٤

(٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٥٤

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٥٤ وامالي الطوسي ص ٥٤١

(٥) سورة ص : آية ٧٦ (٦) سورة البقرة : آية ٨٦

(٧) سورة النحل : آية ٩٦ (٨) سورة الاعلى : آية ١٧

(٩) سورة آل عمران : آية ١٨٥

أصلين أحدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسيه وهذا صحيح والاخر أن النقد خير من النسيه وهذا محلّ تلبس ، فليس الامر كذلك ، بل إن كان النقد مثل النسيه في المقدار والمقصود فهو خير ، وإن كان أقلّ منه فالنسيه خير ، فان هذا المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيه ولا يقول : النقد خير من النسيه فلا أتركه وإذا حذّره الطبيب الفواكه ولذايذ الأطمعه تركها في الحال خوفاً من ألم المرض في المستقبل ، وقد ترك النقد ورضي بالنسيه ، والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقداً لأجل الراحة والريح نسيه ، فان كان عشرة في ثاني الحال خيراً من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدّة الاخرة .

وأما قولهم إن اليقين خير من الشك والدنيا يقين والاخرة شكّ فهو أكثر فساداً من الأوّل لان كلي أصلية باطل .

إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله والا فالتاجر في سعيه على يقين وفي ربحه على شكّ والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شكّ والصيّاد في ترّدده في المقتنص على يقين وفي اقتناصه الظفر بالصيّد على شكّ ، والمريض من مرارة الدواء على يقين ومن الشفاء على شك ، وكذلك الحزم^(١) داب العقلاء فمن شك في الاخرة فيجب عليه بحكم الحزم أن يقول الصبر أياماً قلائل وهو منهي العمر قليل بالاضافه إلى ما يقال من أمر الاخرة ، فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي ، وإن كان صدقا فابقي في النار أبد الابد وهذا لا يطاق .

وأما الاصل الثاني وهو أن الاخرة شكّ فهو أيضاً خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان أحدهما الايمان والتصديق للأنبياء والعلماء والثاني الوحي والالهام للانبيا والاولياء إذ كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشهد أنت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد .

واما الغرور بالله فمثاله قول بعضهم في أنفسهم وبألستهم انه إن كان لله معاد فنحن أحقّ به من غيرنا ونحن أوفر حظا وفيه أسعد حالا كما أخبر الله من قول الرجلين المتحاورين إذ قال ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربّي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾^(٢).

(١) حزم فلان رأيه حزماً أتقنه

(٢) اي كما أعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الاخرة أفضل منها لكرامتي عليه ، ظن الجاهل انه اوتي ما اوتي لكرامته على الله تعالى وهذا معنى الغرور بالله ، والقصة المذكورة تفصيلاً في سورة الكهف آية ٣٦ فليراجع .

وهذا قياس من أقيسة ابليس ، وذلك لانهم ينظرون مرّة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة وينظرون إلى تأخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى : ﴿ويقولون في أنفسهم لو لا يعدبنا الله بما نقول﴾ ومرة ينظرون إلى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر^(١) فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون : ﴿أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾^(٢) ويقولون : ﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾^(٣) وقياسهم أنه قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا وكلّ محسن فهو محبّ وكل محبّ فأنه يحسن في المستقبل أيضاً والتلبس تحت ظنه إن كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدنيا إحسان ، فقد اغترّ بالله إذ يظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان ، فان نعيم الدنيا ولذاتها مهلكات مبعدات من الله تعالى ، وأن الله يحمي^(٤) عبده الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما ورد في الخبر .

وهذا المغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة وإما بالتقليد قال الله تعالى : ﴿أيحسبون أنما نمذّمهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾^(٥) وقال : ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾^(٦) وقال : ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون﴾^(٧) .

ومنشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يفتر بامثال هذه الخيالات وينظر إلى فرعون وقارون وإلى ملوك الارض وكيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميراً ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

الفصل الاول

في فرق المغترين

إعلم أن فرق المغترين كثيرة وجهات غرورهم مختلفة

فمنهم من رأى المنكر معروفاً كالذي يتخذ المساجد ويزخرقها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من

(١) شعث الشعر شعنا فهو شعث من باب تعيب تغير وتلبد . والغبرة لون الأغبى الشبيه بالغبار

(٢) سورة الأنعام : آية ٥٣ (٣) سورة الاحقاف : آية ١١

(٤) أي يمنع (٥) سورة المؤمنون : آية ٥٥ (٦) سورة الاعراف : آية ١٨٢ (٧) سورة الأنعام : آية ٤٤

يترك الهمّ ويشغل بغيره كالذي يترك الفرض ويشغل بالنافلة ومنهم من يترك اللباب ويشغل بالقشر كالذي تكون همّته في الصلاة مقصورة على الوسواس في النية أو تصحيح مخارج الحروف حتّى تفوته الجماعة وتخرج الصلاة عن الوقت ثمّ لا يحضر قلبه في صلاته ويزعم أنه إذا أتعب نفسه في تصحيح النية أو الحروف تميّز عن العامة بهذا الجهد .

ومنهم من اغترّ بقراءة القرآن فيهنّ هذا^(١) وربّما يختم في اليوم والليلة مرّة ولسانه يجري به وقلبه متردّد في اودية الاماني ومنهم من اغترّ بالصوم وربما صام الدّهر ولا يحفظ لسانه عن الغيبة ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثمّ يظن بنفسه الخير .

ومنهم من اغترّ بالحجّ فيخرج إلى الحج من غير خروج من المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد الحلال ويضيع في الطريق الصلاة ويعجز عن طهارة الثوب والبدن ويتعرّض لمكس الظلمة وذلك بعد سقوط حجة الاسلام .

ومنهم من يتقلّد امامة مسجد الجمعة أو أذانه ويظن أنه على خير ولو أم غيره أو أذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة ولو كان أروع منه وأعلم .

ومنهم من يأمر بالخير وينسى نفسه فاذا أمر عنف وطلب الرّئاسة والعزّ وإذا رد عليه إذا باشر منكراً غضب وقال : أنا المحتسب فكيف تنكر عليّ وإنما غرضه الرّئاسة .

ومنهم من أحكم العلوم الشّرعية وتعمّق فيها واشتغل بها وأهمل تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات وأهمل تفقد قلبه ليمحو عنه الصفات المذمومة والاخلاق الرديّة واغتر بعلمه وظن أنه عند الله بمكان وأنه قد بلغ من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثله بل يقبل في الخلق شفاعته وأنه لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله .

ومنهم من يعجب بنفسه ويظن أنه منفك عن الاخلاق المذمومة وأنه أرفع عند الله من أن يبتليه بها وإنما يبتلى بها العوام .

ثمّ إذا ظهر عليه مخائل الكبر والرّئاسة وطلب العلو والشرف قال : ما هذا كبر وإنما هذا

(١) في الحديث : لا تهذوا القرآن هذ الشعر ولا تنثروه نثر الرمل • الهد بالذال المعجمة المشددة سرعة القطع ، ثم استعير لسرعة القراءة يقال . هو بهذا القرآن من باب قتل اي يسروده ويسرع به والمعنى : لا تسرعوا بقراءة القرآن كما تسرعون في قراءة الشعر ولا تفرقوا بعضه عن بعض وتنثروه كثر الرمل ، ولكن بينوه ورتلوه ترتيلاً كما امر به في قوله تعالى : ورتل القرآن ترتيلاً . م .

طلب عزّ الدّين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين ، ومهما اطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن ردّ عليه شيئاً من كلامه لم يظن بنفسه أنّ ذلك حسد ولكن قال ذلك إنما هذا غضب للحقّ ورد على المبطل في عداوته وظلمه ، ثمّ لو طعن في غيره من أهل العلم لم يكن غضبه مثل غضبه الان ، بل ربّما يفرح به .

وإذا خطر له خاطر الرياء قال : هيهات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ، ولا يتأمل الغرور أنّه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به ، فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد أيّ من كان ، وربّما يذكر هذا فلا يخليه الشيطان أيضاً بل يقول : إنما ذلك لأنهم إذا اهتدوا بي كان الأجر والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقول الخلق ، هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع على سريره .

ومنهم من اشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرّد على المخالفين واعتقد أنّه لا يكون للعبد عملاً إلا بالايان ولا يصلح إيمان إلا بأن يتعلم جدلهم وما يسمّونه أدلة عقايدهم وظن أنّه لا أحد أعرف بالله وصفاته منهم ، وأنّه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ، ودعا كل فرقة منهم إلى نفسه وفي الحديث النبوي (ص) : «ما ضلّ قوم قط بعد هدى إلا أتوا الجدل وحرّموا العمل» (١) .

ومنهم من اشتغل بالوعظ وأعلام رتبة من يتكلم في أخلاق النّفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصّبر والشكر ونظائرها ويظن بنفسه أنّه إذا تكلم بهذه الصفات ودعى الخلق إليها صار موصوفاً بها وهو منفك عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين ، والاكياس يمتحنون أنفسهم في هذه الصّفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق (٢) .

ومنهم من ظن أنّه حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ واغتروا بالظواهر وأخطأوا فيها وذلك مثل فتواهم بأن المرأة أبرأت الزوج من الصّدق براء الزوج بينه وبين الله ، وذلك خطأ بل الزّوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرئ

(١) احياء علوم الدين ج٣ ص٣٦٨ واخرجه ابن ماجه رقم ٨ ،

(٢) زوق الكلام : حسنه وزينه . البيت : نقشه . المنجد

الزَّوج لتتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقال الله تعالى : ﴿فان طبن لكم عن شيء منه نفساً﴾^(١) وطيبة النفس غير طيبة القلب ، فالقلب قد تريد مالا تطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن تكره بها نفسه فانما طيبة النفس أن تسمح بالابراء لا عن ضرورة تقابله .

وكذلك لو طلب من إنسان مالأً على ملاء من الناس فاستحى من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن تكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف مذمة الناس ، والسؤال في مظنة الحياة والزَّيَاء ضرب للقلب بالسُّوط ، ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر ، وكذلك من يعطى اتقاء لشر لسانه أو لشر سعايته ، فهو حرام عليه .

الفصل الثاني^(٢)

من المغترين أهل الذكر والتصوف

ومن المغترين قوم يسمون بأهل الذكر والتصوف ، يدعون البراءة من التصنع والتكلف ، يلبسون خرقة ويجلسون حلقة ، يخترعون الاذكار ويتغنون بالأشعار ؛ يعلنون بالتهليل وليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل ، ابتدعوا شهيقاً ونهيقاً^(٣) واخترعوا رقصاً وتصفيقاً ، قد خاضوا الفتن

(١) سورة النساء : آية ٤

(٢) وللمصنف قدس الله روحه كلمات لطيفة يعجبني نقلها في المقام قال « ره » في كلماته الطريقة على ما حكاه المحدث القمي « ره » في سفينة البحار :

تقبيح ومن الناس من زعم أنه بلغ من التصوف والتأله حدّاً يقدر معه ان يفعل ما يريد بالتوجه ، وانه يسمع دعاؤه في الملكوت ويستجاب نداؤه في الجبروت ، تسمى بالشيخ والدرويش وأوقع الناس بذلك في التشويش ، فيفراطون فيه أو يفراطون فمنهم من يتجاوز به حد البشر ، وآخر يقع فيه بالسوء والشر ، يحكي من وقايحه ومناماته ما يوقع الناس في الريب ويأتي في اخباره بما ينزل منزلة الغيب ، ربما تسمعه يقول : قتلت البارحة ملك الروم ، ونصرت فئة العراق أو هزمت سلطان الهند ، وقلبت عسكر النفاق أو ضرعت فلاناً يعني به شيئاً آخر نظيره أو أفنيت بهمانا يريد به من لا يعتقد فيه انه لكبيره

وربما تراه يقعد في بيت مظلم يسرج فيه أربعين يوماً يزعم أنه يصوم صوماً ولا يأكل فيه حيواناً ولا ينام نوماً ، وقد يلزم مقاما يردد فيه تلاوة سورة آياما ، يحسب أنه يؤدي بذلك دين احد من معتقديه أو يقضي حاجة من حوائج أخيه ، وربما يدعي انه سخر طائفة من الجنة ووفى نفسه بهذه الجنة « افتري على الله كذباً أم به جنة » .

تبديع ومنهم قوم تسموا بأهل الذكر والتصوف أقول : وسوق كما في المتن الى قوله : وصاحوا بالصيحة الشعاء : ثم يقول : أمن الضرب تتألمون ؟ أم من الرب تنظلمون ؟ أم مع اكفائكم تتكلمون ؟ ان الله لا يسمع بالصماخ فاقصروا من الصراخ ، أتنادون باعداً ؟ أم توقظون راقداً ؟ تعالى الله لا تأخذه السنة ولا تغلظه الألسنة ، سبحوا تسبيح الحيتان في النهر ، وادعوا ربكم تضرعاً وخفية دون الجهر انه ليس منكم ببعيد ، بل هو أقرب اليكم من حبل الوريد الخ .

واخذوا بالبدع دون السنن ، رفعوا أصواتهم بالنداء وصاحوا بالصيحة الشنعاء .

ومنهم من يدعي علم المعرفة ومشاهدة المعبود ومجاوزة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود ، ولا يعرف من هذه الامور إلا الاسماء ولكنه تلقف من الطامات كلمات ترددها لدى الاغبياء كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن السماء وينظر إلى أصناف العباد والعلماء بعين الازدراء يقول في العباد : إنهم اجراء متعبون وفي العلماء إنهم بالحديث عن الله لمحجوبون ، ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه نبي مقرب ، لا علما أحكم ولا عملا هذب ، يأتي إليه الرعاع الهمج من كل فج أكثر من اتيانهم مكة للحج ، يزدحم عليه الجمع ويلقون إليه السمع .

وربما يخرون له سجوداً كأنهم اتخذوه معبوداً ، يقبلون يديه ويتهافتون على قدميه ، يأذن لهم بالشهوات ويرخص لهم بالشبهات ، يأكل ويأكلون كما تأكل الانعام ، ولا يباليون من حلال أصابوا أم من حرام ، وهو لحلوائهم هاضم ولدينه وأديانهم حاطم .

ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذنن يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزررون .

= والروايات الواردة في التشنيع على هذه الفرقة الهالكة كثيرة .

منها ما في السفينة أيضاً عن الامام الحسن العسكري (ع) انه قال لابي هاشم الجعفري : يا ابا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة ، وقلوبهم مظلمة منكدره ، السنة فيهم بدعة ، والبدعة فيهم سنة المؤمن بينهم محقر ، والفاسق بينهم موقر ، امراؤهم جائرون ، وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون ، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء ، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء ، كل جاهل عندهم خبير ، وكل محيل عندهم فقير ، لا يميزون بين المخلص والمرتاب ، ولا يعرفون الضان من الذئب .

علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض ، لأنهم يميلون الى الفلسفة والتصوف وأيم الله انهم من أهل العدوان والتحرف ، يباليون في حب مخالفتنا ، ويضلون شيعتنا وموالينا ، فان نالوا منصباً لم يشبعوا عن الرشا ، وان خذلوا عبدوا الله على الريا ، إلا انهم قطاع طريق المؤمنين « الدين خ » والدعاة الى نحلة الملحدين ، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه .

ثم قال : يا ابا هاشم هذا ما حدثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد (عليهم السلام) وهو من أسرارنا فاكتمه إلا عن أهله . ومنها ما فيه أيضاً عن النبي (ص) انه قال : لا تقوم الساعة على امتي حتى يقوم قوم من امتي اسمهم الصوفية ليسوامني ، وانهم يحلقون للذكر ويرفعون أصواتهم يظنون انهم على طريقتي بل هم اضل من الكفار ، وهم اهل النار لهم شهيق الحمار الخ .

(١) شهيق الحمار آخر صوته وشهيق الرجل ردد نفسه مع سماع صوته من حلقه . ونهاق الحمار صوته وقد نهق ينهق نهيقاً ونهاقاً إذا صوت .

الفصل الثالث

من المغترين أرباب الأموال

وأما أرباب الأموال ففرقة منهم يحرسون على بناء المساجد والمدارس والرباط^(١) والقناطير^(٢) وما يظهر للناس كافة بأموال كسبوها من غير حلها ويكتبون أسماءهم بالأحجار عليهم ليتخلد ذكركم ويبقى بعد الموت أثرهم ويظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وأنهم مخلصون فيه ، ولو كلف أحد منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه ، والله تعالى مطلع عليه كتب اسمه أم لم يكتب ، فلولا أنه يريد وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك وربما يكون في جوار أحدهم أو في بلده فقير وصرف المال إليهم أهم من الصرف إلى المساجد وزيتها .

ومنهم من ينفق الأموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلب به المحافل الجامعة والفقراء الذين عادتهم الشكر والافشاء للمعروف ، ويكره التصدق في السر ويرى إخفاء الفقير لما أخذ منه خيانة عليه وكفرانا .

ومنهم من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهو يظن أنه على خير .

ومنهم من لا تسمح نفسه إلا بأداء الزكاة فقط ، ثم يخرجها من المال الخبيث الردي الذي يرغب عنه ويطلب من الفقراء من يخدمه ويتردد في حاجته ويظن أنه أداها لله ، وأصناف الغرور لا تحصى .

وفي مصباح الشريعة قال الصنادق (ع) : « المغرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون لأنه باع الأفضل بالأدنى ، ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت بمالك وصحة جسمك لعلك تبقى ، وربما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلك تنجو بهم ، وربما اغتررت بحالك وبيتك وإصابتك ما مولك وهواك وظننت أنك صادق ومصيب ، وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك ، وربما أقمت نفسك بالعبادة متكلفا والله يريد الاخلاص ، وربما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل

(١) الرباط واحد الرباطات المبنية للفقراء مولد والجمع ربط بضمين ورباطات . م .

(٢) القنطرة ما يبني على الماء للعبور عليه ، والجسر أعم لأنه يكون بناء وغير بناء . م .

عن مضمرة ما في علم الله ، وربّما توهمت أنك تدعو الله وأنت تدعو سواه ، وربّما حسبت أنك ناصح للخلق وأنت تريد لهم لنفسك أن يميلوا إليك ، وربّما ذممت نفسك وأنت تمدحها في الحقيقة .

واعلم أنك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني إلا بصدق الانابة إلى الله والابخات له ومعرفة عيوب أحوالك من حيث لا توافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وأئمة الهدى وإن كنت راضياً بما أنت فيه فما أحد أشقى بعلمك منك وأضيع عمراً فأورث حسرة يوم القيامة (١) .

(١) مصباح الشريعة : ص ١٤٢

المقالة الرابعة

في مكارم الأخلاق وتحصيلها وفيها ستة أبواب .

الباب الاول

في فضيلة الصبر

في الصّبر وهو ثبات باعث الدّين في مقابلة باعث الهوى ، فعلى الشاق كالعبادة والمكروه كالمصيبة صبر مطلقا ، وضدّه الجزع والهلع ، وهو الاسترسال في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب .

وعن شهوة البطن والفرج عفة وضدّه الشّره^(١) ، وفي الغنى ضبط النّفس وضده البطر^(٢) ، وفي الحرب شجاعة وضدّه الجبن ، وفي كظم الغيظ حلم وضدّه الغضب ، وفي النّوائب سعة الصّدر وضدّه ضيق الصّدر والصّجر والتبرم ، وفي إخفاء الأمر كتمان وضدّه الاضاعة وفي فضول العيش زهد وضدّه الحرص .

ومدد باعث الدّين من الملائكة الناصرين لحزب الله ، ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لأعداء الله ، فان ثبت باعث الدين بامداد الملائكة حتّى قهر باعث الهوى واستمرّ على مخالفته ، الحق بالصّابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلب الهوى ولم يصبر في دفعه التحق باتباع الشياطين وهذا الثبات إنما يكون بقوة المعرفة التي تسمى إيماناً وهو اليقين بكون الهوى عدواً قاطعا لطريق الله .

وقد وصف الله تعالى الصّابرين بأوصاف وكرّر ذكر الصّبر في القرآن وأضاف أكثر الخيرات والدّرجات إليه وجعلها ثمرة له فقال عزّ من قائل : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما

(١) شره كفرح غلب حرصه م .

(٢) البطر سوء احتمال الغنى والطغيان عند النعمة ويقال هو التجبر وشدة النشاط . م .

صبروا ﴿١﴾ وقال : ﴿وتمت كلمة ربك الحسنی علی بني إسرائيل بما صبروا﴾ (٢)
 وقال : ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (٣) وقال : ﴿اولئك يؤتون
 أجرهم مرتين بما صبروا﴾ (٤) وقال : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (٥) .

فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ، ووعد الصابرين بأنه معهم
 فقال : ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ (٦) وعلق النصره على الصبر فقال : ﴿بلى إن تصبروا
 وتتقوا ويأتوكم من فورهم﴾ (٧) هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ (٨) وجمع
 للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال : ﴿اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
 هم المهتدون﴾ (٩) واستقصاء الآيات في مقام الصبر يطول .

وقال النبي (ص) : « الصبر نصف الايمان » (١٠) وقال (ص) : « من أقل ما اوتيتم اليقين
 وعزيمة الصبر ومن أعطي حظّه منهما لم ييال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار » (١١) وقال
 « الصبر كنز من كنوز الجنة » (١٢) وسئل (ص) عن الايمان فقال : « الصبر والسماحة » (١٣) وقال
 (ص) : « الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا
 صبر له » (١٤) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « بني الايمان (الاسلام خ) على أربع دعائم : اليقين والصبر
 والجهاد والعدل » (١٥) .

وقال الباقر (ع) : « من لا يعد الصبر لنواب الدهر يعجز » (١٦) وقال (ع) « الجنة محفوفة

(١) سورة السجدة : آية ٢٤

(٢) سورة الاعراف : آية ١٣٧ (٣) سورة النحل : آية ٩٦ (٤) سورة القصص : آية ٥٤

(٥) سورة الزمر : آية ١٠

(٦) سورة الانفال : آية ٤٦ (٧) اي من غضبهم الذي غضبوه ببدر ، وأصل الفور الغليان والاضطراب ، وفي
 الحديث الحمى من فور جهنم أي من غليانها . م .

(٨) سورة آل عمران : آية ١٢٥ (٩) سورة البقرة : آية ١٥٧

(١٠) ارشاد القلوب : ص ١٢٧ وتنبية الخواطر : ج ١ ص ٤٠

(١١) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٨ وفي مسكن الفؤاد : ص ٤١

(١٢) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٥٨ (١٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٥٨

(١٤) ارشاد القلوب : ص ١٢٦ وجامع الاخبار : ص ١١١ . (١٥) نهج البلاغة (قصار الحكم) حكمة رقم ٣٢

تابع الى رقم ١٤ وانظر الكافي : ج ٢ ص ٨٧ (١٦) الكافي : ج ٢ ص ٩٣

بالمكاره والصّبر ، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار»^(١) .

وقال الصادق (ع) : « من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد »^(٢) وقال (ع) : « إن الله تعالى أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالا ، وابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمه »^(٣) ، والأخبار في فضيلة الصبر أكثر من أن تحصى .

الفصل الاول

في الصبر وأقسامه

اعلم أن ما يلقي العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين : أحدهما ما يوافق هواه ، والآخر ما يكرهه ، وهو محتاج إلى الصبر في كلّ واحد منهما ، فهو اذن لا يستغني قط من الصبر .

أما ما يوافق هواه كالصحّة والسّلامة والمال والجاه وكثرة العشيّة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدّنيا ، فالصّبر عليها أشدّ لأنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والرّكون إليها والانهماك في ملاذها المباحة لها أخرجته ذلك إلى البطر والطغيان ، فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن ، والعوافي لا يصبر عليها إلا صدّيق وذلك لأنّه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا نقدر ، والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها .

وأما ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي ، أو لا يرتبط كالمصائب والنّوائب ، أولا يرتبط أو له باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي بالمؤدي بالانتقام منه فهي ثلاثة أقسام .

الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية .

أما الطاعة فالصبر عليها شديد ، لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الرّبوبيّة كما

(١) الكافي : ج ٢ ص ٨٩

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٩٢ وجامع الاخبار : ص ١١٢ (٣) الكافي : ج ٢ ص ٩٢

سبق بيانه ، ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ؛ ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ، ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد ، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع إلى الصبر عليها في ثلاثة أحوال .

الأولى قبل الطاعة ، وذلك في تصحيح النية والاخلاص عن شوائب الرياء ودواعي الآفات والثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على ذلك إلى الفراغ والثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرياء وعن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أجره .

فاما المعاصي فاشد أنواع الصبر عنها الصبر عما كان مألوفاً بالعادة ، فان العادة طبيعة ثانية فاذا انضافت إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله ، فلا يقوى باعث الدين على قمعها .

ثم إن كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس ، كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمرء والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً إلى غير ذلك وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوسوس الا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن أصبح وهمومه هم واحد وأكثر جولان الخاطر إنما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وأن يحصل منه ما هو مقدّر ، وكيف ما كان هو تضييع زمان وآلة العبد قلبه فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله أو فكر يستفيد به معرفة بالله ويستفيد بالمعرفة محبة لله فهو مغبون .

القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اودى بفعل أو قول أو جني عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة ، قال الله تعالى ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾^(١) وقال تعالى : ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً﴾^(٢) وقال : ﴿ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشرکوا أذنى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور﴾^(٣) وقال النبي (ص) : « صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك »^(٤) .

(١) سورة ابراهيم : آية ١٢ (٢) سورة المزمل : آية ١٠

(٣) سورة آل عمران : آية ١٨٦

(٤) ارشاد القلوب : ص ١٣٥ وانظر تحف العقول ص ٣٧

القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار أو له وآخره كالمصائب ، مثل موت الأعرّة وهلاك الأموال وزوال الصّحة بالمرض ونحو ذلك وهذا صبر مستنده اليقين .

قال النبيّ (ص) : « أسألك من اليقين ما يهون به على مصائب الدنيا »^(١) وقال (ص) : « ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي واعقبني خيراً منها ، إلا فعل الله ذلك »^(٢) وقال (ص) : قال الله عزّ وجلّ : « إذا وجهت إلى عبدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثمّ استقبل ذلك بصبر جميل ، استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا »^(٣) .

وقال (ص) : الصبر ثلاثة : « صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتّى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمئة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين السّماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمئة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض^(٤) إلى العرش ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمئة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى متهى العرش »^(٥) .

وقال الباقر (ع) : « الصّبر صبران : صبر على البلاء حسن (صبرخ) جميل وأفضل الصبرين الورع عن محارم الله تعالى »^(٦) .

الفصل الثاني

الصبر في المصائب

إن قلت : فيما ذا ينال درجة الصّبر في المصائب وليس الامر باختياره فهو مضطر شاء أم أبى ، فان كان المراد به أن لا يكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل تحت الاختيار .

فاعلم أنه إنّما يخرج عن مقام الصّابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٦٩ . (٢) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٦٩ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٦٩ .

(٤) التخوم بالضم الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود . ق .

(٥) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٤٠ وجامع الأخبار : ص ١١١ والكافي : ج ٢ ص ٩١ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٩١ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦ وانظر كثر الفوائد : ج ١ ص ١٣٩ .

في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في الملابس والمفرش والمطعم ونحوها ، وهذه الامور داخلة تحت الاختيار فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد أن ذلك كان وديعة فاسترجعت ولا يخرج من حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع ، فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان إلى الموت .

ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبي (ص) : « فاضت عيناه فقيل له أما نهيتنا عن هذا ؟ فقال : إن هذا رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء »^(١) وقال (ص) : « العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول ما يسخط الرب »^(٢) .

بل ذلك أيضاً لا يخرج من مقام الرضا فان المقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة ، نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل : من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة .

وعن الباقر (ع) قال : « قال رسول الله (ص) : قال الله تعالى : من مرض ثلاثاً فلم يشك إلى عواده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، فان عافيته عافيته ولا ذنب له ، وإن قبضته قبضته إلى رحمتي »^(٣) .

وفي معناه أخبار آخر ، وفي بعضها فسر التبدل بخير بان يبدله لحماً ودماً وبشرة لم يذنب فيها ، وفسر الشكاية بأن يقول ابتليت بما لم يتبل به أحد وأصابني ما لم يصب أحداً قال : وليس الشكوى أن تقول أسهرت البارحة وحممت اليوم ونحو هذا .

وعن الصادق (ع) : « من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها وأدى إلى الله شكرها كانت كعبادة ستين سنة ، سئل ما قبولها ، قال : يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها فاذا أصبح حمد الله على

(١) رواه البزار والطبراني من حديث عبد الرحمن بن عوف قال : بعثت ابنة لرسول الله (ص) ان ابنتي مغلوبة فقال للرسول : قل لها ان الله ما اخذ وله ما اعطى ثم بعثت اليه ثانية فقال لها مثل ذلك ، ثم بعثت اليه الثالثة فجاءها في ناس من اصحابه فأخرجت اليه الصبية ونفسها تقعقع (أي تضطرب) في صدرها ، فرق عليها فذرفت عيناه ففطن به بعض أصحابه وهم ينظرون اليه حين ذرفت عيناه ، فقال « ما لكم تنظرون رحمة الله يضعها حيث يشاء انما يرحم الله من عباده الرحماء » .

راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨ ما عثرت على لفظ ما نفاه المصنف .

(٢) الكافي : ج ٣ ص ٢٦٢ وتحف العقول : ص ٣٢ . (٣) الكافي : ج ٣ ص ١١٥ .

ما كان^(١) وسئل الباقر (ع) عن الصبر الجميل فقال : « ذاك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس »^(٢).

وعن النبيّ (ص) : « من إجلال الله ومعرفة حقّه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك »^(٣) ،
وأما الشكاية إلى الله تعالى وسؤاله الرفع فحسن قال يعقوب : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله .

الفصل الثالث

الطريق إلى تحصيل الصبر

الطريق إلى تحصيل الصبر تقوية باعث الدّين وتضعيف باعث الهوى بالمجاهدة والرّياضة وذكر قلّة قدر الشدة ووقتها واضرار الجزع وقبحه ، وأن يكثر فكرته فيما ورد في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدّنيا والآخرة ، وأن يعلم أن ثواب الصبر على المصيبة أكثر ممّا فات ، وأنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مدة الحياة الدنيا وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدّهر ، ومن أسلم^(٤) خسيساً في نفيس فلا ينبغي أن يحزن لفوات الخسيس في الحال .

وأن يعود^(٥) هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجاً حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوي منته^(٦) في مصارعتها ، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال ، ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد .

ثم إن كان ذلك بتعب قويّ فتصبر ؛ وإن كان بيسير فصبر ، وإن كان ذا جهد فريضاء ، وإن كان بتلذذ فشكر وهو بالغيبة عن حظوظ النفس والشهود مع الله وعدم التمييز بين الألم واللذة .

الباب الثاني

في الرضا وطريق تحصيله

في الرضا والشكر ، أمّا الرضا فهو ترك الاعتراض والسخط قال الله تعالى : ﴿ رضي الله

(١) الكافي : ج ٣ ص ١١٦ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٩٣ .

(٣) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٢٣ . (٤) قوله : أسلم أي أسلف .

(٥) قوله : وأن يعود : عطف على قوله : وأن يعلم . (٦) المنّة بالضم : القوة .

عنهم ورضوا عنه^(١) وعن النبي (ص): «أنه سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا : مؤمنون فقال : ما علامة إيمانكم ، قالوا : نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال (ص) : مؤمنون وربّ الكعبة ، وفي خبر آخر قال : حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء^(٢) .

وعن السّجاد (ع) « الصّبر والرّضاعن الله رأس طاعة الله ، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ أو كره لم يقض الله فيما أحبّ أو كره إلا ما هو خير له »^(٣) .

وعن الباقر (ع) « أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله ، من عرف الله ومن رضي بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم الله أجره ، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره »^(٤) .

وعن الصادق (ع) : « إن أعلم النّاس بالله أرضاهم بقضاء الله »^(٥) وعنه (ع) : « إن فيما أوحى الله إلى موسى بن عمران يا موسى بن عمران ، ما خلقت خلقاً أحبّ إلي من عبدي المؤمن ، وإنني انما ابتليه لما هو خير له ، وأزوي^(٦) عنه لما هو خير له وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي ، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري »^(٧) .

وعن الكاظم (ع) : « ينبغي لمن يعقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه ، ولا يتهمه في قضائه »^(٨) .

وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم وفي المآل رضوان الله والنجاة من غضبه فقد قال الله سبحانه : « من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربّاً سواي » .

والطريق إلى تحصيله أن يعلم أن ما قضى الله سبحانه له فهو الأصلح بحاله وإن لم يبلغ علمه بسرّه ولا مدخل للهّم فيه ولا يتبدل القضاء به ، فان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن ،

(١) سورة المائدة : آية ١١٩ . (٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٣١٦ .

(٣) اصول الكافي ج ٢ ص ٦٠ . (٤) اصول الكافي ج ٢ ص ٦٢ . (٥) اصول الكافي ج ٢ ص ٦٠ .

(٦) أي اضم واقبض ومنه الحديث : ما زوى الله عن المؤمن في هذه الدنيا خير له مما عجل فيها .

(٧) اصول الكافي ج ٢ ص ٦١ . (٨) اصول الكافي ج ٢ ص ٦١ .

وحسرة الماضي وتدبير الآتي يذهبان ببركة الوقت ، فلا فائدة وتبقى تبعة السخط عليه ، بل ينبغي أن يدهشه الحب عن الاحساس بالألم كما للعاشق والحريص ، وأن يهون عليه العلم بجزالة الثواب الشدة كما للمريض والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر ، فيفوض أمره إلى الله إن الله بصير بالعباد .

وقال الصادق (ع) : « لم يكن رسول الله (ص) يقول لشيء مضى : لو كان غيره »^(١) .

الفصل الأول الحب والصبر يورثان الرضا

اعلم أنّ من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأمّا الرضاء فلا يتصور ، فانما أتى من ناحية انكار المحبة فأمّا إذا ثبت تصور الحب لله واستغراق الهمّ به فلا يخفى أنّ الحب يورث الرضاء بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين .

أحدهما أن يبطل الاحساس بالألم حتى يجري عليه المولم ولا يحس به ، ويصبيه جراحه ولا يدرك ألمها ، ومثاله الرّجل المحارب فانه في حال غضبه أو حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها فاذا رأى الدّم استدّل به على الجراحة ، بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بألمه لشغل قلبه ، وذلك لأن القلب إذا صار مستغرقاً بأمر من الامور مستوفي به لم يدرك ما عداه .

وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغمتم لولا عشقه ثم لا يدرك غمّه وألمه لفرط استيلاء الحبّ على قلبه ، هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه ، وجمال الحضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ، فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره^(٢) بحيث يدهش ويغشى عليه ولا يحسّ بما يجري عليه .

وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضياً به بل راغباً فيه مريداً له بعقله وإن كان كارهاً له بطبعه ، كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك ألمه إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلّد منه المنّة ، فهذه حالة الرضاء بما يجري عليه من الألم ومهما أصابته بليّة من الله عزّ وجلّ وكان له يقين بأن ثوابه الذي أذخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه .

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٣ . (٢) البهر بالفتح والسكون : العجب يقال : بهرا فلان اي عجا له م .

هذا إن كان يلاحظ الثواب الذي يجازى به عليه ، ويجوز أن يغلب الحبّ بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه ، فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوباً عنده ومطلوباً ، وكلّ ذلك موجود في المشاهدات في حبّ الخلق وقد توأفها المتواصفون في نظّمهم ونثرهم .

وقد روي أن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلاّ النظر إلى وجه يوسف الصديق (ع) ، كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بألم الجوع ، بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك^(١) وهو قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتّى ما أحسن بذلك .

ويروى أن عيسى (ع) : « مر برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه فقال له عيسى (ع) : يا هذا أي شيء من البلاء تراه مصروفاً عنك ؟ فقال : يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته ، فقال : صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو أحسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ما كان به ، فصحب عيسى (ع) وتعبّد معه^(٢) .

الفصل الثاني

في الرضا وان الدعاء غير مناقض له

اعلم ان الدعاء غير مناقض للرّضا وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها وحسم أسبابها والسعي في ازالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد غلط في ذلك قوم من البطالين المغترين وزعموا أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به ، وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع .

فأما الدعاء فقد تعبّدنا به وكثرت أدعية الأنبياء والأئمة (ع) وكانوا في أعلى مقامات الرّضا ، وقد أثنى الله عزّ وجل على بعض عباده بقوله : ﴿ يدعوننا رغياً ورهباً^(٣) ﴾^(٤) وقال

(١) حيث قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ فلما رأيته أكبره . . . وقطعن أيديهن وقلن حاشى لله ما هذا بشراً إن هذا

إلا ملك كريم ﴾ . (٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٢٠ .

(٣) الرغبة السؤال والطلب ، والرغبة الخوف وهي الحذيث : لا تجتمع الرغبة والرغبة في قلب الا وجبت له الجنة .

(٤) سورة الانبياء : آية ٩٠ .

﴿ادعوني أستجب لكم﴾^(١) .

وأما انكار المعاصي وكرهاتها فقد تعبد الله عز وجل به عباده وذمهم على الرضا بها فقال : ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾^(٢) وقال : ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالب وطبع على قلوبهم﴾^(٣) وفي الخبر المشهور : « من شهد منكراً ورضي به فكأنه قد فعله »^(٤) ، وفي آخره لو أن عبداً قتل بالمشرك ورضي بقتله آخر في المغرب كان شريكه في قتله »^(٥) .

وأما الكفار والفجّار ومقتهم والانكار عليهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى ، وقد ورد : « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله »^(٦) .

فان قلت : قد وردت الآيات والأخبار بالرّضا بقضاء الله فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السبيل إلى الجمع بينهما ، وهو متناقض على هذا الوجه وكيف الجمع بين الرّض والكره في شيء واحد ؟

فاعلم أنّ هذا ممّا تلبس على الضعفاء القاصرين على الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على (عن خ) المنكرات مقاما من مقامات الرّضا وسّموه بحسن (حسن خ) الخلق ، وهو جهل محض .

بل نقول : الرضا والكره متضادان إذا وردا على شيء واحد على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكه فتكره موته من حيث إنه مات عدو عدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك .

وكذلك المعصية لها وجهان : وجه إلى الله عز وجل من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فترضى به من هذا الوجه تسليماً للملك إلى مالك الملك ورضاً بما يفعله فيه ، ووجه من العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتاً عند الله وبغيضاً عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهي من هذا الوجه منكر ومذموم ويشهد لذلك كلّ ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى .

(١) سورة غافر : آية ٦٠ . (٢) سورة يونس : آية ٧ . (٣) سورة التوبة : آية ٨٧ .

(٤) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٢٢ . (٥) روضة الواعظين : ص ٤٦١ . (٦) المحاسن : ج ١ ص ٢٦٣ .

فواجب على كل عبد محب لله عز وجل أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله وان اضطره بقهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته موافقة للمحبيب باظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده .

وبهذا يجمع بين ما ورد في الحب في الله والبغض في الله مع الرضا بقضاء الله ، وهذا يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في إفسائه ، وهو أن الشر والخير داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به ، وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالأولى السكوت عنه والتأدب بادب الشرع ، فقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه .

الفصل الثالث

في الشكر وطريق تحصيله

أما الشكر فهو عرفان النعمة من المنعم والفرح به والعمل بموجب الفرح باضمام الخير والتحميد لله واستعمال النعمة في طاعته .

أما المعرفة فبأن يعرف ان النعم كلها من الله تعالى وأنه هو المنعم والوسايط مسخرون من جهته ، وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخرهم لك وألقى في قلوبهم من الاعتقادات والارادات ما صاروا به مضطرين إلى الايصال إليك ، فمن عرف ذلك فكانت معرفته شكر الله وهذا هو الشكر بالقلب .

وأما الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع فهو أيضاً في نفسه شكر على حدة كما أن المعرفة شكر ، فان كان فرحك بالنعم خاصة لا بالنعمة ولا بالانعام ومن حيث إنه تقدر بها على التوصل إلى القرب منه والتزود في جواره ، فهو الرتبة العليا في الشكر ، وأمارته أن لا تفرح بالدنيا إلا بما هو مزرعة الآخرة ومعينة عليها ، وتحزن بكل نعمة تلهيك عن ذكر الله وتصدك عن سبيله ، وهذا أيضاً شكر بالقلب .

أما العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم ، فهو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوه ويتعلق بالقلب واللسان والجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضمامه لكافة الخلق وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميد الدال عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته

والتوقي بالاستعانة بها على معصيته حتى أن من شكر العينين أن تستر كل عيب تراه بمسلم ،
ومن شكر الاذنين أن تستر كل عيب تسمعه لمسلم ، فيدخل هذا وأمثاله في جملة شكر نعمة
هذه الأعضاء .

إن نتول : ومن كفر نعمة العين فقد كفر نعمة الشمس أيضاً إذ الابصار إنما يتم بهما وإنما
خلقتا ليصبر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما ، بل نقول : المراد من خلق
الأرض والسّماء وخلق الدّنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله ، ولا وصول
إليه إلا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي^(١) عن غرور الدّنيا ، ولا انس الا بدوام الذّكر ،
ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ، ولا يمكن الدّوام على الذكر والفكر إلا ببقاء
البدن ، ولا يبقى البدن إلا بالأرض والماء والهواء (والنّارخ) ، ولا يتم ذلك إلا بخلق الأرض
والسّماء وخلق ساير الأعضاء ، وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النّفس والرّاجع إلى الله هي
المطمئنة بطول العبادة والمعرفة .

فكلّ من استعمل شيئاً في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بدّ
منها لاقدامه على تلك المعصية قال الله تعالى : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾^(٢) وقال عزّ
وجلّ : ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾^(٣) .

وعن الصادق (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر
الصّائم المحتسب ، والمعافي الشاكر له من الأحر كأجر المبتلي الصابر ، والمعطي الشاكر له
من الأجر كأجر المحروم القانع »^(٤) .

(١) في القاموس جفا جفاء وتجافى : لم يلزم مكانه وفي مجمع البيان : التجافي : الارتفاع عن الشيء وفي مجمع
البحرين في قوله تعالى ﴿تجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ قال : اي ترفع وتنبو عن الفرش . وفي حديث
المسبوق بالصلاة اذا جلس تتجافى ولا يتمكن من القعود قال : اي يرتفع عن الأرض ويجلس مقعياً غير
متمكن .

أقول : ومنه دعاء السجاد (ع) في الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان وكان يدعو به مكرراً من أول الليل
إلى آخره :

اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور ، والانابة إلى دار الخلود ؛ والاستعداد للموت قبل حلول الفوت .

(٢) سورة سبأ : آية ١٣ . (٣) سورة النساء : آية ١٤٧ .

(٤) الكافي : ج ٢ ص ٩٤ .

وعنه (ع) قال : « من اعطى الشكر اعطى الزيادة »^(١) قال الله تعالى : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾^(٢) وعنه (ع) قال : « ما أنعم الله على عبد من نعمه فصرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتمت كلامه حتى يؤمر له بالمزيد »^(٣) .

وعن الباقر (ع) قال : « كان رسول الله (ص) عند عايشة ليلتها فقالت : يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال (ص) : يا عايشة ألا أكون عبداً شكوراً قال : وكان رسول الله (ص) يقوم على أصابع رجله فانزل الله سبحانه ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾^(٤) .

وعن الصادق (ع) : «شكر النعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين»^(٥) .

وسئل (ع) : «هل للشكر حد إذا فعله العبد كان شاكراً ؟ قال : نعم قيل : ما هو ؟ قال : يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال وإن كان فيما أنعم عليه في مال حق أداء ومنه قوله سبحانه : ﴿سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾^(٦) ﴿٧﴾ ومنه قوله : ﴿ربّ انزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾^(٨) وقوله : ﴿ربّ ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾^(٩) ،^(١٠) .

وعنه (ع) قال : كان رسول الله (ص) « إذا ورد عليه أمر يسره قال : الحمد لله على هذه النعمة ، وإذا ورد عليه أمر يغم به قال : الحمد لله على كل حال »^(١١) .

وعن الباقر (ع) قال : « إذا ذكر أحدكم نعمة الله فليضع خده على التراب شكراً لله ، فإن كان ركباً فليتنزل وليضع خده على التراب ، وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خده على قربوسه ، فإن لم يقدر فليضع خده على كفه ثم ليحمد الله على ما أنعم عليه »^(١٢) .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٩٥ والمحاسن : ج ١ ص ٣ .

(٢) سورة ابراهيم : آية ٧ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٩٥ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٩٥ والآية سورة طه : آية ٢ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٩٥ . (٦) اي مطيعين من أقرن له اذا أطاعه . م . (٧) سورة الزخرف : آية ١٣ .

(٨) سورة المؤمنون : آية ٢٩ ، (٩) سورة الاسراء : آية ٨٠ .

(١٠) الكافي : ج ٢ ص ٩٦ . (١١) الكافي : ج ٢ ص ٩٧ . (١٢) الكافي : ج ٢ ص ٩٨ .

الفصل الرابع الشكر ايضاً نعمة من الله

اعلم أنه لا يبلغ أحد حقيقة الشكر إلا بان يعلم أن النعم كلها من الله وأن الشكر ايضاً نعمة من الله تحتاج إلى شكر آخر وهكذا .

قال الصادق (ع) : « أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى (ع) يا موسى اشكرني حق شكري فقال : يا ربّ وكيف أشكرك حقّ شكري وليس من شكر أشكرك به إلّا وأنت أنعمت به عليّ قال : يا موسى الآن شكرتني حيث علمت أن ذلك مني »^(١) .

وعن السّجاد (ع) قال : « كان إذا قرأ هذه الآية ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^(٢) يقول : سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنه لا يدركه ، فشكره تعالى معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً كما علم علم العالمين بانهم لا يدركونه فجعله إيماناً علماً منه أنه قد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك فإن شيئاً من خلقه لا يبلغ مدى عبادته وكيف يبلغ مدى عبادة من لا مدى له ولا كيف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً »^(٣) .

وعن الصادق (ع) « قال إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرّات : اللهم ما أصبحت بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها عليّ يا ربّ حتّى ترضى وبعد الرضا ، فانك إذا قلت ذلك كنت قد أدّيت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك اللّيلة »^(٤) .

وفي رواية كان نوح (ع) « يقول ذلك إذا أصبح فسّمّي بذلك عبداً شكوراً »^(٥) .

وعنه (ع) مكتوب في التوراة : « اشكر من انعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت ، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير ، »^(٦) يعني من تغيير الحال وانتقالها من الصّلاح إلى الفساد .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٩٨ . (٢) سورة ابراهيم : آية ٣٤ .

(٣) تحف العقول : ص ٢٠٥ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٩٩ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٩٩ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٩٤ .

وعن السَّجَاد (ع) قال : « إن الله تعالى يحب كلَّ قلبٍ حزينٍ ويحب كلَّ عبدٍ شكورٍ يقول
الله تبارك وتعالى لعبده يوم القيامة : أشكرت فلانا ؟ فيقول : بل شكرتك يا ربَّ فيقول
لم تشكرني إذ لم تشكره ، ثم قال : أشكركم لله أشكركم للنَّاس » (١) .

الفصل الخامس

النعم إما دنيوية أو إما دينية

اعلم أن النعم إما دنيوية كالخلقة السوية والملاذَّ الشَّهية وصرف المفاصد والمضار ، وإما
دينية كالاسلام ومعرفة الأئمة المعصومين (ع) والتوفيق على الطاعة والمعصية عن المعصية
والدينية أعظم لا يصلها إلى السَّعادة الابدية والانجاء من الشقاوة السَّرمدية واشتراك الكفار في
الدنيوية واغتنام الأبرار زوال ما لا يهتم منها .

قال الكاظم (ع) « من حمد الله على النعمة فقد شكره ، والحمد أفضل من تلك
النَّعمة » (٢) .

والطريق إلى تحصيل الشكر المعرفة والتفكر في صنائعه تعالى والنظر إلى الأدنى في الدنيا
وإلى الأعلى في الدين ، ويشكر في المصائب على أن لا يصيبه أكبر منها ، وأن لا تكون في
الدين ، وأن تعجل عقوبته ولا تدخر للأخرة ، وأنها كانت آتية ففرغ منها ، وأن ثوابها خير له ،
وأنها تنقص من القلب حبَّ الدنيا فهي في التحقيق نعم إذ لا تخلو عن تكفير الخطيئة أو رياضة
النفس أو رفع الدَّرَجَة ومع ذلك كله فالعافية خير من البلاء .

فمن النبي (ص) « أنه كان يستعيز في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة » (٣) وكان يقول هو
والأنبياء والأوصياء (ع) : « ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » (٤) و « كانوا يستعيذون
من شماتة الأعداء » (٥) .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٩٩ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٩٦ . (٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٢٥ . (٤) سورة البقرة : آية ٢٠١ .

(٥) انظر احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٢٥ هامش رقم ٣ .

وقال رسول الله (ص): « سلوا الله العافية فما اعطي عبد أفضل من العافية إلا اليقين »^(١) وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الجهل والشك فإن عافية القلب أعلى من عافية البدن .

الباب الثالث

في الرجاء والخوف

في الرجاء والخوف ، أما الرجاء فهو ارتياح القلب لانتظار محبوب ، فان حصل أكثر أسبابه فالاصدق اسم الرجاء كتوقع الحصاد^(٢) ممن ألقى بذراً جيداً في أرض صالحة يصلها الماء ، وإن فقد فالغرور والحماقة كما لو ألقى في غير صالحة لا يصلها الماء ، وإن شك فيها فالتمني كما إذا صلحت الأرض ولا ماء .

وذلك لأن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والايمن كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها ، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة^(٣) التي لا ينمى فيه البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمى زرع الايمان إلا من بذر الايمان ، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمى بذر في أرض سبخة .

فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع (الأرض خ) فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً ثم أمده بما يحتاج إليه من تنقية الأرض مما يمنع نبات البذر أو يفسده وسوق الماء إليه من أوقاته ثم جلس منتظراً من فضل الله دفع الآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته ، سمي انتظاره رجاء .

وإن بث البذر في أرض سبخة مرتفعة لا ينصب إليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء .

وإن بث^(٤) البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها ولكن ينتظر مياه الأمطار حيث لا يغلب

(١) الترغيب والترهيب : ج ٤ ص ٢٧٢ .

(٢) الحصاد بالفتح والكسر قطع الزرع وفي الخبر نهى عن حصاد الليل . وإنما نهى عنه لمكان المساكين أن يحضروه ؛ وقيل كي لا يصيب الناس الهوام . م .

(٣) السبخة بالفتح أرض مالحة يعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الأشجار . م .

(٤) بث البخير أذاعه ونشره . والشيء : فرقه . المنجد .

الأمطار ولا تمتنع أيضاً سَمِيَّ انتظاره تَمَنِيَا لا رجاء ، فاذاً اسم الرِّجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات .

فالعبد إذا بَثَّ بذر الايمان بماء الطاعات وطَهَّرَ القلب من شوك الأخلاق الرَدِيَّة وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقياً مجموداً في نفسه باعنا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت .

وإن قطع عن بذر الايمان تعهده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾^(١) وقال عز وجل : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفِرُ لَنَا﴾^(٢) .

وقال النبي (ص) : « الكيس (٣) من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ؛ والأحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله الأماني »^(٤) .

وقيل للصادق (ع) : « إن قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون : نرجو فقال (ع) : كذبوا ليسوا لنا بموال ، أولئك قوم ترجحت بهم الأماني من رجي شيئاً عمل له ومن خاف شيئاً هرب منه »^(٥) .

وقال (ع) : « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو »^(٦) .

فاذاً العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة ، وأما العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من

(١) سورة البقرة : آية ٢١٨ . (٢) سورة الأعراف : آية ١٦٩ . (٣) الكيس : العاقل .

(٤) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٣٥ وامالي الطوسي : ص ٥٤١ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٦٨ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٧١ .

تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة إذا كان كارهاً للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ، ومن يشتهي التوبة ويشتاق إليها فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة ، لأن كراهيته للمعصية وحرصه على الطاعة يجري مجرى السبب الذي قد يفضي إلى التوبة ، وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب .

الفصل الأول

حال من غلبه الخوف

وأما الخوف فهو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وبحسب تظاهر أسباب المكروه تكون قوة الخوف وشدة تألم القلب ، وبحسب ضعف الأسباب يضعف الخوف ، والخوف من الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته ، وتارة يكون بكثرة الخيانة من العبد بمقارفة المعاصي ، وتارة يكون بهما جميعاً وبحسب معرفته بجلال الله وتعالیه واستغنائه وبعيوب نفسه وجنباياته تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربّه أعرفهم بربّه وبنفسه ولذلك قال النبي (ص) : « أنا أخوفكم لله »^(١) وقال الله سبحانه : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^(٢) .

ثم بقدر كمال المعرفة يفيض^(٣) اثر الحرقه من القلب على البدن ، وعلى الجوارح ، وعلى الصفات ، أما في البدن فبالنحول^(٤) والصفاء والبكاء ، وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل ، ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه ، وقال حكيم : من خاف شيئاً هرب منه ، ومن خاف الله هرب إليه ، وأما في الصفات فهو أن يقمع^(٥) الشهوات ويكدر^(٦) اللذات .

فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهي إذا عرف أن فيه سمّاً فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول^(٧) والخشوع والذلة والاستكانة ، ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهمم بخوفه

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٤٥ . (٢) سورة فاطر : آية ٢٨ .

(٣) أفاض السيل يفيض فيضاً كثر وسال من شفا الوادي . م . (٤) النحول : الهزال . م . (٥) قمعه : قهره وذلك . ق .

(٦) كدر الماء مثلثة الدال فهو كدر نقيض صفا . م . (٧) ذبلت بشرته قل ماء جلده وذهب نضارته م .

والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضمّة^(١) بالانفاس واللحظات ، ومؤاخذه النفس في الخطرات والكلمات فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا يتسع فيه لغيره .

هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه ، وأقلّ درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمتنع من المحظورات ، ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعاً فإن زادت قوته كف عمّا يتطرق إليه إمكان التحريم ، ويسمى ذلك تقوى ، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى .

فاذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ، ولا يجمع ما لا يأكله ، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ، ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقاً ويدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع العفة فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فإذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام .

الفصل الثاني

الرجاء لله يجب ان يكون اقوى من الخوف

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقرب العباد إلى الله أحبهم إليه والحب يغلب بالرجاء ، ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيّما وقت الموت ، قال الله تعالى : ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾^(٢) فحرم أصل اليأس وقال : ﴿ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾^(٣) وغير الله قوماً فقال : ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرديكم﴾^(٤) وقال : ﴿وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً﴾^(٥) .

وقال النبي (ص) : « يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء »^(٦)

(١) الضنين : البخيل الشحيح وفي حديث الدنيا لم يصفها لاوليائه ولم يرض بها على أعدائه اي لم يبخل بها

عليهم م . ٠ (٢) سورة الزمر : آية ٥٢ . (٣) سورة الرعد : آية ٦ . (٤) سورة فصلت : آية ٢٣ .

(٥) سورة الفتح : آية ١٢ . (٦) العوالي ج ١ ص ٢٨٩ واحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٥٦

وقال (ص): « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله »^(١) ، ودخل (ص) على رجل وهو في النزاع فقال : كيف تجدك ؟ قال « أجدي أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال (ص) : ما اجتماعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف »^(٢) .

وقال أمير المؤمنين (ع) لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه : « يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك »^(٣) .

وفي أخبار يعقوب إن الله تعالى أوحى إليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لبقولك : إني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ، لم خفت الذئب ولم ترجني ؟ ولم نظرت إلى غفلة اخوته ولم تنظر إلى حفظي له ؟

وعن الباقر (ع) قال : « قال رسول الله (ص) : قال الله تعالى : لا يتكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لشوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا انفسهم أعمالهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي ، والنعيم في جناتي ، ورفع الدرجات العلى في جواربي ولكن برحمتي فليثقوا ، وفضلي فليرجوا ، وإلى حسن الظن بي فليطمئثوا ، فان رحمتي عند ذلك تدركهم ومنى يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فاني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك سميت »^(٤) .

وعنه (ع) قال : وجدنا في كتاب عليّ (ع) أن رسول الله (ص) قال وهو في « على خ » منبره : « والذي لا إله إلا هو ما اعطني مؤمن قط خير الدنيا والاخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له ، وحسن الخلق « خلقه خ » والكف عن اغتياب المؤمنين ، والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين ، والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن ، لان الله كريم بيده الخيرات يستجيب أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به ظنه ثم يخلف ظنه ورجاءه ، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه »^(٥) .

قال الصادق (ع) : « حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك »^(٦) .

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٥٦ . (٢) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٣٥ .

(٣) لم نعر عليه من كلام امير المؤمنين نعم في خبر حميد بن قحطبة المروري في عيون اخبار الرضا .

(٤) الكافي : ج ٢ ص ٧١ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٧١ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٧٢ .

والطريق إلى تحصيل الرجاء ذكر سوابق فضل الله من دون شفيح ، وما وعد من جزييل ثوابه من دون استحقاق ، وما انعم بما يمد في الدارين من دون سؤال ، وسعة الرحمة وسبقها الغضب .

والأخبار الواردة في سعة رحمته سبحانه أكثر من أن تحصى ولا حاجة بنا إلى ذكرها لأن المحتاج إلى تحصيل الرجاء من غلب عليه الخوف أو اليأس وقليل ما هم ، وأما المنهمكون^(١) في طغيان الذنوب والمغترّون بما هم فيه من الفساد والحب^(٢) كأكثر أبناء زماننا فلا يزداد سماعهم لها إلا في طغيانهم تمادياً ، وفي فسادهم فساداً .

الفصل الثالث

في الرجاء المحمود

اعلم أن الرجاء محمود إلى حد فإن جاوز إلى الأمن فهو خسر ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، وكذا الخوف محمود إلى حد فإن جاوز إلى القنوط فهو ضلال ومن يقنط من رحمة الله إلا الضالون ، أو إلى اليأس فهو كفر ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون والأصلح ان يعتدل .

قال أمير المؤمنين (ع) لبعض ولده: « يا بني خف الله خوفاً ترى أنك إن أتيت بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك ، وارج الله رجاء كأنك لو أتيت به بسيئات أهل الأرض غفر الله لك »^(٣) .

وعن الباقر (ع) : « ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران : نور من خيفة ونور من رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا »^(٤) .

وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال : ﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾^(٥) وقال : ﴿ يدعوننا رغبا ورهبا ﴾^(٦) وأما غلبة الرجاء في غالب الناس فمستندة الاغترار

(١) الأنهماك : التماذي في الشيء واللجاج فيه ومنه الحديث : من انهمك في أكل الطين فقد شرك في دم نفسه .
(٢) الحوب بالضم الاثم ، وفي الدعاء رب تقبل توبتي واغسل حوباتي ، أي اثمى قال تعالى انه كان حوباً كبيراً .
(٣) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٥٠ . (٤) الكافي ج ٢ ص ٦٧ .
(٥) سورة السجدة : آية ١٦ . (٦) سورة الأنبياء : آية ٩٠ .

وقلة المعرفة ، بل الأصلح لهم قبل الاشراف على الموت غلبة الخوف وأما عند الموت فالأصلح لهم غلبة الرجاء وحسن الظن ، لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل وهو لا يطيق هناك أسباط « أسباب » الخوف لأنها تقطع نياط^(١) قلبه وتعين على تعجيل موته وأما روح الرجاء فانها تقوي قلبه وتحبب إليه ربّه الذي إليه رجاءه .

وينبغي أن لا يفارق أحد الدّنيا إلّا محبباً لله تعالى ليكون محبباً للقائه ، فان من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ، ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه .

فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حبّ الأهل والولد والمال والمسكن والرفقاء والأصحاب كانت محابه كلّها في الدنيا فكانت الدّنيا جنته فكان موته خروجاً من الجنّة وحيلولة بينه وبين ما يشتهي ، فأما إذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلايقها شاغلة له عن المحبوب ، فالدنيا إذن سجنه ، وموته قدوم على محبوبه وخلّاص له من السّجن ، فأذن غاية السعادة أن يموت العبد محبباً لله تعالى .

الفصل الرابع

الخوف من الله على مقامين

اعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين : أحدهما الخوف من عذابه وهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنّة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية ، وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وإنّما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال القيامة وأصناف العذاب في الآخرة ويزيد أيضاً بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم فان فاتت المشاهدة فالسمع لا يخلو من تأثير .

وأما الثاني وهو الأعلى أن يكون الله هو المخوف أعني أن يخاف العبد العبد والحجاب منه ، ويرجو القرب منه وهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سرّ قوله : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾^(٢) وقوله : ﴿ واتقوا الله حق

(١) النياط كتاب عرق غليظ ينصبه القلب الى الوتين فنياط القلب هو ذلك العرق الذي يعلق القلب به . م .

(٢) سورة عمران : آية ٢٨ .

تقاته^(١) وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢) وقال عز وجل: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾^(٣).

وقال النبي (ص): «رأس الحكمة مخافة الله»^(٤) وفي الدعاء المنسوب إلى السَّجَّاد (ع) «سبحانك عجباً لمن عرفك كيف لا يخافك».

وقال الصادق (ع): «من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سحت نفسه عن الدنيا»^(٥) وقال (ع): «إن من العبادة شدة الخوف من الله يقول الله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنِي﴾^(٦) وقال: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾^(٧)»^(٨).

وقال (ع): «إن حبَّ الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الهارب»^(٩) وقال (ع) «المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه ، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتب فيه من المهالك فهو لا يصبح إلّا خائفاً ولا يصلحه إلّا الخوف»^(١٠) وقال (ع) «لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»^(١١).

وقال (ع): لاسحاق بن عمّار: «يا إسحاق خف الله كأنك تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك ، وإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليك»^(١٢).

وقال (ع): «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»^(١٣). وعن النبي (ص) «ما من مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئاً من حرّ وجهه إلا حرّمه الله على النار»^(١٤).

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٢ . (٢) سورة فاطر : آية ٢٨ .

(٣) سورة البينة : آية ٨ . (٤) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٥١ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٦٨ . (٦) سورة المائدة : آية ٤٤ .

(٧) سورة الطلاق : آية ٢ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ٦٩ . (٩) الكافي : ج ٢ ص ٦٩ .

(١٠) الكافي : ج ٢ ص ٧١ . (١١) الكافي : ج ٢ ص ٧١ . (١٢) الكافي : ج ٢ ص ٦٨ .

(١٣) الكافي : ج ٢ ص ٦٨ وأما الطوسي : ص ١٣٩ (١٤) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٥٢ .

وقال (ص) : « إذا اقشعرت قلب المؤمن من خشية الله تحانت^(١) عنه خطاياها كما يتحانت من الشجر ورقها »^(٢) .

وروى الصدوق في عرض المجالس من ليث بن أبي سليم قال : سمعت رجلاً من الأنصار يقول : بينما رسول الله (ص) « مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر إذ جاء رجل فنزع ثيابه ثم جعل يتمرغ في الرمضاء يكوي ظهره مرة وبطنه مرة وجبهته مرة ويقول : يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم مما صنعت بك ورسول الله ينظر إليه ما يصنع ثم إن الرجل لبس ثيابه ثم أقبل فأومى إليه النبي (ص) بيده ودعاه فقال له يا عبد الله : لقد رأيتك صنعت شيئاً ما رأيت أحداً من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت ؟ فقال الرجل : حملني على ذلك مخافة الله ، فقلت لنفسي يا نفسي ذوقي فما عند الله أعظم مما صنعت بك ، فقال النبي (ص) : لقد خفت ربك حق مخافته وإن ربك ليباهي بك أهل السماء ، ثم قال (ص) لأصحابه : يا معشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم فدنونا منه ، فدعا لهم ، وقال : اللهم اجمع أمرنا على الهدى ، واجعل التقوى زادنا ، والجنة مأبنا »^(٣) .

وحديث بهلول النباش مشهور^(٤) وفي الكتاب المذكور مذكور .

(١) تحانت الشيء أي تناثر ، والحت حك الورق من الغصن وتحانت الورق سقطت .

(٢) أحياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٥٢ . (٣) أمالي الصدوق : ص ٢٧٩ .

(٤) ذكره المصنف (قده) في الصافي في تفسير آية : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ألقوا ﴾ من سورة

آل عمران مفصلاً ونحن نذكره هنا ملخصاً تمييزاً للفايدة فنقول :

انه كان ينش القبور سبع سنين وينزع الاكفان حتى نبش قبر جارية من بنات الانصار وأخذ كنفها ثم جامعها ، ثم ندم على ما فعل واتى النبي (ص) باكياً متضرعاً ولما علم النبي (ص) بحالة بعد الاستعلام نحاه من عنده فيش وخرج الى بعض الجبال فتعبد فيها ولبس مسحاً وغل يديه جميعاً الى عنقه ونادى :

يا رب هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول (الى أن قال) فأسألك باسمك وجلالك وعظم سلطانك أن لا تخيب رجائي سيدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك .

فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة تبكي له السباع والوحوش ، فلما تمت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السماء وقال :

اللهم ما فعلت في حاجتي أن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوح الى نبيك ، وان لم تستجب دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وارادت عقوبتي فعجل بنا تحرقتي أو عقوبة في الدنيا تهلكني وخلصني من فضيحة يوم القيامة =

وعن الباقر (ع) قال : « صلى أمير المؤمنين (ع) بالناس الصبح بالعراق ، فلما انصرف وعظّمهم فبكى وأبكاهم من خوف الله ثم قال : أما والله لقد عهدت أقواما على عهد خليلي رسول الله (ص) وأنهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً بين أعينهم كركب البعير يبيتون لربهم سجّداً وقياما ، ويراوحن بين أقدامهم وجباههم ، يناجون ربّهم في فكاك رقابهم من النار ، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون »^(١) وفي رواية أخرى كأن « زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يמיד الشجر كانما القوم باتوا غافلين ، قال : ثم قال : فمارئي ضاحكا حتى قبض (ع) »^(٢) .

وأما خوف الملائكة والأنبياء والأولياء وأئمة الهدى (عليهم السلام) كخوف ميكائيل وجبرئيل ونبيّنا وإبراهيم الخليل وداود ويحيى والسجاد وغيرهم صلوات الله عليهم فقد ذكره المحدثون في كتبهم^(٣) فليرجع إليها من أراد ، فان هذا الكتاب لا يحتمل التطويل بذكره .

= فانزل الله تعالى على نبيه : ﴿والذين اذا فعلوا الخ فخرج النبي (ص) وهو يتلوها ويتبسم ويقول لاصحابه : من يدلني على هذا الشاب التائب ؟ فدلوه عليه ، فمضى بأصحابه حتى انتهوا اليه ، فاذا هم بالشاب قائم بين الصخرتين مغلوله يده الي عنقه قد اسود وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء وهو يقول : سيدي قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي ، فليت شعري ماذا تريد بي ؟ أفي النار تحرقني أو في جوارك تسكنني ؟ اللهم انك قد أكثرت الاحسان الي فأنعمت على فليت شعري ماذا يكون آخر أمري ، الي الجنة تزفني أم الي النار تسوقني ؟ اللهم ان خطيئتي أعظم من السماوات والارض ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم ، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة ؟

فلم يزل يقول نحو هذا ويكي ويحشو التراب على رأسه وقد أحاطت به السباع وصفت فوقه الطير وهم يبكون لبكائه ، فدنى منه رسول الله (ص) فأطلق يديه من عنقه ، ونفض التراب عن رأسه وقال : يا بهلول ابشر فانك عتيق الله من النار .
ثم قال لاصحابه : هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول ، ثم تلا عليه ما انزل الله عز وجل فيه وبشره بالجنة .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٣) وذكره المصنف (قده) في كتابه النفيس « المحجة البيضاء » فمن أراد التفصيل فليرجع اليه .

الفصل الخامس

في الخائفين

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه ، والمكروه إما ان يكون مكروها في ذاته كالنار وإما أن يكون مكروهاً لأنه يفضي إلى المكروه كما تكره المعاصي لادائها إلى مكروه في الآخرة ولا بد لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروه من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ، ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة .

أما الخائفون مما يغلب على قلوبهم من المكروه لغيره لا لذاته .

فمنهم من يغلب عليه خوف الموت قبل التوبة ، أو خوف نقض التوبة ، أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله ، أو خوف زوال رقة القلب وتبديلها بالقساوة أو خوف الميل عن الاستقامة ، أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة ، أو خوف أن يكله الله إلى حسناته التي اتكل عليها وتغرر بها في عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه ، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله ، أو خوف الاستدراج بتواتر النعم ، أو خوف انكشاف غوائل طاعته حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش وإضرار السوء ، أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقية عمره ، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل الموت ، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا ، أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه ، أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء ، أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل .

فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد منها خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المخوف ، فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة ، والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوسوس وهكذا إلى بقية الاقسام .

وأغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة ، فإن الأمر فيه محذور وأعلى الاقسام وأدله على كمال المعرفة خوف السابقة ، لأن الخاتمة فرع السابقة تنفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق في القضاء في ام الكتاب .

وإليه الإشارة بما رواه الصادق (ع) قال : « خطب رسول الله (ص) النَّاسَ ثم رفع يده اليمنى قابضاً على كفه ثم قال : أتدرون أيها النَّاس ما في كفي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال (ص) : « أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ، ثم رفع يده الشمال فقال : أيها النَّاس أتدرون ما في كفي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم فقال : أسماء أهل النَّار وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ثم قال : حكم الله وعدل حكم الله وعدل حكم الله وعدل فريق في الجنة وفريق في السَّعير »^(١) .

وعنه (ع) قال : « يسلك بالسَّعيد في طريق الأشقياء حتى يقول الناس ما أشبهه بهم بل هو منهم ، ثم يتداركه السَّعادة ، وقد يسلك بالشقي طريق السَّعداء حتى يقول النَّاس ما أشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء ، إن من كتبه الله سعيداً وإن لم يبق من الدُّنيا إلا فواق ناقة»^(٢) ختم له بالسَّعادة »^(٣) .

وأما المخائفون ممَّا يغلب على نفوسهم من المكروه لذاته .

فمنهم من يغلب عليه سكرات الموت وشدته ، أو سؤال منكر ونكير ، أو عذاب القبر ، أو هول المطلع ، أو هيبه الموقف بين يدي الله والحياء من كشف الستر والسؤال من النقيير والقطمير ، أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه ، أو الخوف من النَّار وأغلالها وأهوالها ، أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم ومن نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله وهو أعلاها رتبة وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والزاهدين وكافة العاملين .

ولا يخفى أن فضيلة الشيء بقدر اعانته على السَّعادة ولا سعادة كسعادة لقاء الله ولا وصول إليها إلا بتحصيل محبته والانس به في الدُّنيا ، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة ، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ، ولا يحصل الانس إلا بالمحبة ودوام الذكر ، ولا يتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقلاع حبِّ الدُّنيا من القلب ، ولا ينقلع ذلك إلا بترك لذات الدُّنيا وشهواتها ، ولا يمكن ترك المشتبهات إلا بقمع الشهوات ، ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار

(١) انظر المحجة ج ٧ ص ٢٧٤ وسنن الترمذي ج ٨ ص ٣٠٨ وإحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٤٨

(٢) وفي حديث عيادة المريض : العيادة قدر فواق ناقة ، الفواق كغراب وبالفتح ما بين الحلبتين من الوقت لانها تحلب فتترك سنيعة يرضعها الفضيل لتدر ثم تحلب ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع م .

(٣) انظر المحجة ج ٧ ص ٢٧٤ وإحياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٤٨ .

فالخوف هو النار المقمعة للشهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات ، ويختلف ذلك بحسب اختلاف درجات الخوف كما بيّناه .

الفصل السادس

اسباب سوء الخاتمة

اعلم أن لسوء الخاتمة أسباب مختلفة وترجع إلى ثلاثة .

أما السبب الاول وهو الأعظم فهو أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك ، وإما الجحود فتقبض الرّوح في تلك الحالة فيصير حجابا بينه وبين الله تعالى أبداً ، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد ، وسبب ذلك أن يعتقد الرّجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحقّ إما برأيه ومعقوله ، وإما بالتقليد فيكشف له عند سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلاً إذ حال الموت حال كشف الغطاء ، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته أو الشك فيها .

فإن اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن ينبس ويعود إلى أصل الايمان فحتم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك قال الله تعالى : ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾^(١) وقال عزّ وجلّ : ﴿هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾^(٢) والبله بمعزل عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايماناً مجملاً ، ولذلك ورد أن أكثر أهل الجنّة البله^(٣) وورد المنع عن البحث والنظر والخوض في الكلام والاكْتفاء بظواهر الشرع مع اعتقاد نفي التشبيه ، وذلك لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة^(٤) ومسالكه وعرة^(٥) والعقول عن درك جلال الله

(١) سورة الزمر : آية ٤٧ . (٢) سورة الكهف : آية ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) قال في مجمع البحرين : قيل : البله هنا هم الذين غلبت عليهم سلمة الصدور وحسن الظن بالناس ، لأنهم غفلوا من دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها واقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم بها واستحقوا أن يكونوا أكثر أهل الجنة ، فاما الابله الذي لا عقل له فليس بمراد .

(٤) عقبة كؤد وكأداء : صعبة ق . (٥) الوعر : ضد السهل ق .

قاصرة ، وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حبّ الدّنيا محجوبة .

وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم المزجاة^(١) مضطرب ومتعارض ، والقلوب لما القى إليها في مبداء النّشو ألفة وبه متعلّقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أوّل الأمر ثمّ الطباع بحبّ الدّنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدّنيا بمخنتها آخذة وعن تمام الفكر صارفة .

فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والعقول مع تفاوت النّاس في قرايحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كلّ جاهل منهم على أن يدّعي الكمال والاحاطة بكنه الحقّ انطلقت ألسنتهم بما يقع لكلّ منهم وتعلّق ذلك بقلوب المصغين إليهم ، وتؤكد ذلك بطول الألف فيهم وانسدّ بالكلية طريق الخلاص عنهم ، فكانت سلامة الخلق في أن يشغلوا بالأعمال الصّالحة ولا يتعرّضوا لما هو خارج عن جدّ طباعتهم الا من فقهه الله في الدّين ، وعلمه التأويل ، وأشرق نور الحكمة في قلبه ، وذلك هو الكبريت الاحمر .

وأما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثمّ استيلاء حبّ الدنيا على القلب ، ومهما ضعف الايمان ضعف حبّ الله وقوي حبّ الدنيا فيصير بحيث لا يبقى على القلب موضع لحبّ الله إلا من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان ، فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتّى يظلم القلب ويقسو ويسود ويتراكم ظلمة الذنوب على القلب ، ولا يزال يطفي ما فيه من نور الايمان حتّى يصير طبعاً ورينا .

فاذا جاءت سكرات الموت ازداد حبّ الله ضعفاً لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوبة الغالبة على القلب فيتألم القلب باستشعار فراقها ويرى ذلك من الله ، فيختلج ضميره بانكار ما قدر الله من الموت ، فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله بدل الحبّ فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء فمن وجد في قلبه حبّ الله أغلب من حبّ الدنيا وإن كان يحبّ الدّنيا أيضاً فهو أبعد من هذه الخطرة ولا يحبّ الله إلا من عرفه .

قال الله تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال

(١) بضاعة مزجاة اي يسيرة قليلة كما في المجمع ، أو قليلة أو لم يتم صلاحها كما في القاموس .

اقتربتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترَبصوا حتى يأتي الله بأمره ﴿١﴾ .

واما السبب الثالث فكثرة المعاصي وإن قوى الايمان ، وذلك لأن مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة ، وجميع ما ألّفه الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته .

فان كان ميله الاكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره عند الموت طاعة الله ، وإن كان ميله الاكثر إلى المعاصي غلب على قلبه عند الموت ذكر المعاصي ، فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي ، فيعتقد بها قلبه ويصير محجوباً عن الله ﴿٢﴾ فالذي لا يقارف الذنب إلا الفينة ﴿٣﴾ بعد الفينة فهو أبعد من هذا الخطر .

وذلك لأنه كما أن الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره وألف فيها حتى أنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وكذلك حاله عند سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية ، فإنه شبيه بالنوم قريب منه فيقتضي ذلك المألوفات وعودها إلى القلب فربما يكون غلبة الالف سبباً لان يتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل نفسه إليها فربما يقبض روحه

(١) سورة التوبة : آية ٢٤ .

(٢) وذلك كما ورد أنه احتضر بعض المترفين وكان كلما قيل له : قل : لا إله إلا الله يقول هذا البيت :

يا رب قائله يوماً وقد تعبت ابنن النظرىق الى حمام منجاب وكان سبب ذلك ان امرأة عفيفة حسناء خرجت الى حمام معروف بحمام منجاب فلم تعرف طريقها وتعبت من المشي فرأته على باب داره فسألته عن الحمام فأشار الى باب داره ، فلما دخلت اغلق الباب عليها ، فلما عرفت بمكره أظهرت كمال الرغبة والسرور وقالت : اشتر لنا شيئاً من الطيب وشيئاً من الطعام وعجل بالعود فلما خرج وانحأ بها وبرغبتها خرجت وتخلصت منه .

وكما حكى أيضاً ان تلميذاً من تلاميذ الفضيل بن عياض لما حضرته الوفاة دخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال : يا استاذ لا تقرأ هذه فسكت ثم قال له قل لا إله إلا الله فقال لا اقولها وأنا برىء منها ومات على ذلك .

فدخل الفضيل منزله ولم يخرج ثم رآه في النوم وهو يسحب به الى جهنم فقال : بأي شيء نزع الله المعرفة منك ؟ وكنت أعلم تلاميذي فقال : بثلاثة أشياء : اولها النسيمة فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت لك والثاني بالحسد حسدت اصحابي والثالث كان بي علة فنجت الى الطيب فسألته عنها فقال : تشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل بقيت بك العلة فكنت اشربها . أعاذنا الله من سخطه .

(٣) الفينة : الوقت ، ومنه قوله : اعملوا عباد الله والخناق مهمل ، والروح مرسل ، في فينة الا شاد . م .

فيكون ذلك سوء خاتمته وإن كان أصل الايمان باقيا .

ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال إلى المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها ، وفي قمع الشهوات من القلب ، فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشواغل عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت ، فإن المرء يموت على ما عاش عليه ، ويحشر على ما مات عليه كما ورد في الخبر .

ولذلك نقل عن بقال أنه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول : خمسة سنة أربعة ، وكان مشغول القلب بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت ، فانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط ، وهو الذي قال رسول الله (ص) : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة^(١) فيختم له بما سبق به الكتاب^(٢) .

ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر القلب خطور البرق الخاطف فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كان كثرة الصلّاح والمواظبة عليه ممّا يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا يدخل بالكلية تحت الضبط وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة .

وقد عرفت بهذا أن أعمال المرء كلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الرّوح ، وأن السلامة مع اضطراب أمواج الخواطر مشكل جداً ومن هنا قيل : لا عجب لمن هلك كيف هلك ، ولكنني أعجب ممّن نجى كيف نجى .

ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مطبوعاً (مضبوطاً) عليها ، وموت الفجأة مكروهاً أما موت الفجأة فلأنه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب أما الشهادة فلأنها عبارة عن قبض الرّوح في حالة لم يبق في القلب سوى حبّ الله وخرج حبّ الدنيا والاهل والمال والولد إذ لا يهجم على صف القتال موطناً نفسه على الموت إلا محباً لله وطالباً لمرضاته وبإيعاً دنياه بأخرته راضياً بالبيع الذي بايعه الله به إذ قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(١) ذكرنا شرحها فيما مر في ص ١٥٩ . (٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٥٥ .

انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴿١﴾ الآية .

الباب الرابع

في المحبة والانس

في المحبة والانس اعلم أن المحبة هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعدها مقام إلا وهو ثمرة من ثمراتها كالشوق والانس ، ولا قبلها مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالصبر والزهد ، وسائر المقامات وإن اعز وجودها فلا يخلو القلوب عن الايمان بامكانها فاما محبة الله عز وجل فقد عز الايمان بها حتى انكر بعض أهل العلم إمكانها وقال : لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله عز وجل .

وأما حقيقة المحبة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبة أنكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه ، مع أن ما ورد في القرآن والحديث وحكاية المحبين ما هو ناص على ثبوت حقيقة المحبة لله عز وجل من غير قبول التأويل .

فمن شواهد القرآن في حب الله عز وجل قوله : ﴿يحبهم ويحبونه﴾ (٢) وقوله ﴿الذين آمنوا أشد حبا لله﴾ (٣) وقوله : ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم﴾ (٤) إلى قوله ﴿أحب إليكم من الله ورسوله﴾ (٥) الآية .

وقال النبي (ص) : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما » (٦) وقال (ص) : « في دعائه : اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد » (٧) .

وفي الخبر المشهور « أن إبراهيم (ع) قال لملك الموت اذ جاء لقبض روحه : هل رأيت خليلا يميم خليله ؟ فأوحى الله إليه هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه ؟ فقال : يا ملك الموت الان فاقبض » (٨) .

(١) سورة التوبة : آية ١١١ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٤ . (٣) سورة البقرة : آية ١٦٥ . (٤) سورة التوبة : آية ٢٤ .

(٥) سورة التوبة : آية ٢٤ . (٦) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٧١ . (٧) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٧١ .

(٨) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٧١ .

وفي مناجاة موسى يا بن عمران كذب من زعم أنه يحبني فاذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب خلوة حبيبه ها أنا ذا يا بن عمران مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل حولت أبصارهم إلي من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ، ويكلموني عن الحضور ، يا بن عمران هب لي من قلبك الخشوع ، ومن بدنك الخضوع ، ومن عينك الدموع في ظلم الليل فانك تجدني قريباً .

ورويانا أن عيسى (ع) « مرّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ فقالوا : الخوف من النار ، فقال : حق على الله أن يؤمن الخائف ، ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فاذا هم أشدّ نحولا وتغيراً فقال : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : الشوق إلى الجنة قال : حق على الله أن يعطيكم ما ترجون ، ثم جاوزهم إلى ثلاثة أخرى فاذا هم أشدّ نحولا وتغيراً كان على وجوههم المرايا^(١) من النور فقال : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : حبّ الله عزّ وجلّ ، فقال : أنتم المقربون أنتم المقربون »^(٢) .

وفي علل الشرايع عن نبينا (ص) : « ان شعياً (ع) بكى من حب الله عزّ وجلّ حتى عمي فرد الله عليه بصره ، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا ابداً منك ان يكن هذا خوفاً من النار فقد اجرتك ، وإن يكن شوقاً إلى الجنة فقد أبحتك ، فقال : الهي وسيدي أنت تعلم أنني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك ، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك ، فأوحى الله جلّ جلاله أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليتي موسى بن عمران »^(٣) .

وقال أمير المؤمنين (ع) في بعض أدعيته : « فهني يا الهي وسيدي ومولاي وربّي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك »^(٤) .

وعن ابنه الحسين سيّد الشهداء (ع) في دعائه يوم عرفة : « أنت الذي ازلت الأغيار عن

(١) المرأة بكسر الميم التي ينظر فيها ، وجمعها مرآة كجوار ونواص ، والكثير مرايا . م .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٢٤ .

(٣) علل الشرائع : ج ١ ص ٥٧ الباب ٥١ في العلة التي من اجلها جعل الله عز وجل موسى خادماً لشعيب (ع) .

(٤) الاقبال : ص ٧٠٨ .

قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك»^(١) وقال: «يامن أذاق أحباءه حلاوة الموانسة فقاموا بين يديه متملقين»^(٢).

وفي المناجاة الانجيلية المنسوبة إلى السجاد (ع)^(٣): وعزتك لقد أحببتك محبة استقرت في قلبي حلاوتها وأنست نفسي بشارتها ومحال في عدل أفضيتك أن يسد أسباب رحمتك عن معتقدي محبتك

وفي مناجاته الأخرى: «الهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم»^(٤).

قال: «والحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون ، وبابك على الدوام يطرقون ، وإياك في الليل والنهار يعبدون ، وهم من هيبتك مشفقون ، الذين صفيت لهم المشارب ، وبلغتهم الرغائب»^(٥) قال: «وملأت ضمائرهم من حبك ورويتهم من صافي شراب ودك فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا ، ومنك أقصى مقاصدهم حصلوا»^(٦).

ثم قال (ع): «فقد انقطعت إليك همتي وانصرفت نحوك رغبتني فانت لا غيرك مرادي ولك لا سواك سهري وسهادي»^(٧) ولقاؤك قرة عيني ، ووصلك مني نفسي ، واليك شوقي وفي

(١) الاقبال : ص ٣٤٩ . (٢) الاقبال : ص ٣٤٩ .

(٣) ذكرها العلامة المجلسي اعلى الله درجته في التاسع عشر من البحار وهي مناجاة مفصلة وفيها بعد ما ذكره المصنف (قد) قوله :

سيدي لولا توفيقك ضل الحائر ، ولولا تسديك لم ينح المستبصرون ، أنت سهلت لهم السبيل حتى وصلوا ، وأنت أيدتهم بالتقوى حتى عملوا ، فالنعمة عليهم منك جزيلة ، والمنة منك لديهم موصولة ، الخ . وما اشبه بعض الفاظها بالمناجاة الشعبانية التي وردت عن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم وانهم كانوا يقرؤونها في شعبان .

(٤) قال العلامة المجلسي (قد) في التاسع عشر من البحار : ومنها المناجاة الخمس عشرة لمولانا علي بن الحسين صلوات الله عليه ، وقد وجدتها مروية عنه (ع) في بعض كتب الاصحاب رضوان الله عليهم أقول : هذه الجملات منقولة من المناجاة الثانية عشر .

(٥) الصحيفة السجادية ص ٤٦٦ المناجاة الثانية عشر مناجات العارفين طبع دار الحوراء . (٦) في المناجاة الثامنة

(٧) الصحيفة السجادية ص ٤٥٠ المناجاة الثامنة مناجاة المريردين طبع دار الحوراء .

(٨) الصحيفة السجادية ص ٤٥٠ المناجاة الثامنة مناجاة المريردين طبع دار الحوراء .

(٩) السهر بالتحريك عدم النوم في الليل كله أو بعضه . والسهاد بالفتح الارق ، والسهد بضم السين والهاء : القليل النوم .

محبتك ولهي وإلى هواك صبابتي^(١) ، ورضاك بغيتي ، ورؤيتك حاجتي ، وجوارك طلبتي وقربك غاية مسئلتني : وفي مناجاتك روعي وراحتي ، وعندك دواء علتني وشفاء غلتي^(٢) وبرد لوعتي^(٣) وكشف كربتي ثم قال : ولا تقظعني عنك ، ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي ، ويا دنياي وآخرتي^(٤) .

وقال أيضاً^(٥) : «الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام^(٦) منك بدلا ، ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا ، الهي فاجعلني ممن اصطفيت لقربك وولائتك ، واخلصته لودك ومحبتك ، وشوقته إلى لقاءك ، وارضىته بقضائك ، ومنحته بالنظر إلى وجهك ، وحبوته برضاك ، وأعدته من هجرتك وقلاك^(٧)» ثم قال : «وهيمت^(٨) قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك وأخليت وجهه لك ، وفرغت فؤاده لحبك^(٩)» ثم قال : «اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين ، وديدنهم الزفرة والأنين ، وجباههم ساجدة لعظمتك ، ودموعهم سائلة من خشيتك ، وقلوبهم معلقة بمحبتك ، وافشدتهم منخلعة من هيبتك ، يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رايقة ، وسحات نور وجهه لقلوب عارفيه شايقة ، يا منتهى قلوب المشتاقين ، ويا غاية آمال المحبين ، اسالك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصل إلى قربك ، وأن تجعلك أحب إلي ممن (مماخ) سواك^(١٠) .

وقال أيضاً^(١١) «الهي ما ألد خواطر الالهام بذكرك على القلوب ، وما أحلى المسير إليك في مسالك الغيوب ، وما أطيب طعم حبك ، وما أعذب شرب قربك^(١٢) .

قال :^(١٣) «وغلتي لا يبردها إلا وصلك ، ولوعتي لا يطفؤها إلا لقاءك ، وشوقي إليك لا

-
- (١) الصبابة لوعة العشق وحرارته م . (٢) الغلة بالضم : حرارة العطش .
 - (٣) لوعة الحزن : حرقة واللوعة ما يجد الانسان لولده وحميمه من الحرقة وشدة الحب .
 - (٤) الصحيفة السجادية ص ٤٥٠ المناجاة الثامنة مناجاة المريرين .
 - (٥) في المناجاة التاسعة . (٦) الروم : الطلب .
 - (٧) الصحيفة السجادية ص ٤٥٤ المناجاة التاسعة مناجاة المحسن .
 - (٨) رجل هائم وهيوم : متحير والهيام بالضم كالجنون من العشق ق .
 - (٩) الصحيفة السجادية ص ٤٥٤ (١٠) الصحيفة السجادية : ص ٤٥٦ .
 - (١١) في المناجاة الثانية عشر . (١٢) الصحيفة السجادية ص ٤٦٧ المناجاة الثانية عشر مناجاة العارفين .
 - (١٣) في المناجاة الحادية عشر .

يَبْهَ إلا النظر الى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك ، ولهفتي لا يردّها إلا روحك ، وسقمتي لا يشفيه إلا طبك ، وغمّي لا يزيله إلا قربك ، وجرحي لا يبرؤه إلا صفحك ، وصدى قلبي لا يجلوه إلا عفوك ، ووسواس صدري لا يزيحه إلا منك (أمرك خ) ،^(١) .
وامثال هذا في ادعيتهم أكثر من ان تحصى .

وعن أمير المؤمنين (ع) إنّ الله تعالى شراباً لأولياته إذا شربوا سكروا ، وإذا سكروا طربوا ، وإذا طربوا طابوا ، وإذا طابوا ذابوا ، وإذا ذابوا اخلصوا ، وإذا اخلصوا طلبوا ، وإذا طلبوا وجدوا ، وإذا وجدوا وصلوا ، وإذا وصلوا اتصلوا ، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيهم^(٢) .

الفصل الأول

المحبة بعد المعرفة والادراك

اعلم أن الحبّ عبارة عن الميل إلى الشيء الملذّ وإنّما يحصل بعد المعرفة بذلك الشيء وإدراكه إما بالحواس أو بالقلب ، وكما كان المعرفة به أقوى واللذّة أشد وأكثر كان الحبّ أقوى ، والبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشد إدراكاً من العين ، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار ، فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى .

فلا ينكر إذن حبّ الله تعالى إلاّ من قعد به القصور في درجة البهائم ، فلم يجاوز إدراكه الحواس ، وكما أن الانسان يحبّ نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه ، ويحب غيره لأجل نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه ، فكذلك قد يحبّ غيره لذاته لا لحظ يناله منه وراء ذاته ، بل يكون ذاته عين حظه ، وهذا هو الحبّ الحقيقي البالغ الذي يوثق به .

وذلك كحب الجمال والحسن ، فان كلّ جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال ، لأن إدراك الجمال فيه عين اللذّة ، واللذّة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن أن حبّ الصّور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة ، فان قضاء الشهوة لذّة اخرى قد تحبّ الصّور الجميلة لأجلها ، وإدراك نفس الجمال أيضاً لذيد فيجوز أن يكون محبوباً لذاته .

(١) الصحيفة السجادية ص ٤٦٢ المناجاة الحادية عشر مناجاة المفتقرين

(٢) قال بعض الاعلام : لم نثر على مصدر لهذه الرواية في كتب أصحابنا الامامية رضوان الله عليهم .

وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان لا يشرب الماء أو يؤكل الخضرة أو ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية ، وكان رسول الله (ص) تعجبه الخضرة والماء الجاري ، والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النَّظَر إلى الأنوار والازهار والأطيبار المليحة الألوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى أن الانسان ليتفرج عنه الغموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر .

ثمَّ الحسن والجمال ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة إذ يقال : هذا صوت حسن ، وهذا خلق حسن ، وهذا علم حسن ، وهذه سيرة حسنة وليس شيء من هذه الصفات تدرك بالبصر ،

بل وليس الحسن والجمال مقصوراً على مدركات الحواس ، بل كثير من خلال الخير مدرك بنور البصيرة الباطنة ، وآية ذلك أن الطباع السليمة مجبولة على حبِّ الأنبياء والأئمة (ع) مع أنهم لا يشاهدوهم حتى أن الرجل قد يجاوز حبه لصاحب مذهبه حدَّ العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع أمواله في نصرة مذهبه والدَّب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه ومتبوعه .

وجملة خلال الخير ترجع إلى العلم والقدرة ، وهما محبوبان بالطبع وغير مدرك بالحواس ، بل لما وصف الناس حاتماً بالسَّخاءِ وعلياً (ع) بالشَّجاعة أحبَّهما القلوب حباً ضرورياً ، وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظِّ يناله المحبَّ منهما ، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة .

ثمَّ كلَّ محبِّ اما أن يحب نفسه ، أو يحب غيره ، ومحبَّة الغير اما لحسنه وجماله ، أو لاجتهانه وكماله ، أو لمجانسة بينه وبين المحبِّ .

اما محبَّة النفس فهي أشدَّ وأقوى ، لأن المحبة إنما تكون بقدر الملايمة والمعرفة ، ولا شيء أشدَّ ملايمة لأحد من نفسه ، ولا هو لشيء أقوى معرفة منه بنفسه ولهذا جعل معرفة نفسه مفتاحاً لمعرفة ربِّه ، ووجود كلِّ أحد فرع لوجود ربِّه وظل له ، فمحبَّة نفسه ترجع إلى محبَّة ربِّه وإن لم يشعر المحبِّ به .

وأما محبَّة الغير لحسنه وجماله أو لقربه من الله وكماله ، فذلك لأن الجمال محبوب لذاته

سواء كان جمال الظاهر الصوري أو الباطن المعنوي ، وكذا الكمال ، والله هو الجميل لذاته والكمال بذاته ، وكلّ مليح حسنه من جماله ، وكل كامل فكماله فرع كماله فما أحبّ أحد غير خالقه ، ولكنه احتجب عنه تحت وجوه الأحاب واستار الاسباب .

وكذا الكلام في محبة الغير للاحسان ، فان الاحسان أيضاً محبوب لذاته ، سواء كان متعدياً إلى المحبّ أم لا ، ولا إحسان إلا من الله ، ولا محسن سوى الله جلّ ثناؤه ، فانه خالق الاحسان وذويه ، وجاعل أسبابه ودواعيه ، وكلّ محسن فهو حسنة من حسنات قدرته ، وحسن فعاله قطرة من بحار كماله وفضاله .

وأما محبة الغير للمجانسة فذلك لأن الجنس يميل إلى الجنس سواء كانت المجانسة لمعنى ظاهر كما أن الصبي يميل إلى الصبي لصباه ، أو لمعنى خفي كما يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال ولا طمع في جاه أو مال ، فان الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

وهذه المحبة فرع لمحبة النفس فترجع إلى محبة الله تعالى كما عرفت ، فعلى كلّ وجه ما متعلق المحبة إلا الله الا أنه لا يعرف ذلك إلا أولياؤه وأحبّاءه ، كما أشار إليه سيّد الشهداء (ع) في دعاء عرفة بقوله :

« وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتّى لم يحبّوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك »^(١) فسبحان من احتجب عن أبصار العميان غيره على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى الدين هم عن نار الحجاب مبعدون ، وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون^(٢) ، وفي مسارح^(٣) المحسوسات وشهوات البهايم يتردّدون ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾^(٤)

(١) الاقبال : ص ٣٤٩ دعاء الامام الحسين (ع) يوم عرفة

(٢) قوله تعالى : ﴿ يتيهون في الارض ﴾ أي يحارون ويضلون يقال : تاه في الارض أي ذهب متحيراً .

(٣) المسارح جمع مسرح وهو الموضع الذي تسرح اليه الماشية

(٤) سورة الروم : اية ٧ .

الفصل الثاني

اجل اللذات واعلاها

اعلم أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم ، وأنه لا يتصور أن يؤثر عليه لذة أخرى الا من حرم هذه اللذة ، وذلك لأن اللذات تابعة للدراكات ، والانسان جامع لجملة من القوى والغرايز ولكل قوة وغريزة^(١) لذة ولذتها في نيلها مقتضى طبعها التي خلقت له فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذاتها في الغلبة والانتقام ، وغريزة شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل الغذاء وهكذا ساير الغرايز .

وفي القلب غريزة تسمى بالبصيرة الباطنة ، وقد تسمى نور الايمان واليقين يعلم بها حقايق الامور كلها ، فمقتضى طبعها المعرفة والعلم ، والعلم من أخص صفات الربوبية ، وهو منتهى الكمال ، ولذلك يرتاح الطبع إذا اتى عليه بالذكاء ، وغزارة^(٢) العلم ، لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه ، فيعجب بنفسه ويلتذ به .

ثم ليس لذة العلم بالحرث والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك ، ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السماوات والارض ، بل لذة العلم بقدر شرف العلم ، وشرف العلم بقدر شرف المعلوم ، فان كان في المعلومات ما هو الأجل والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم به ألد العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها .

وليت شعري هل في الوجود شيء أجمل وأعلى وأشرف وأكمل من خالق الأشياء كلها ومكملها ومرتبها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها ، فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة بالله أقوى من ساير اللذات لمن له غريزة المعرفة ، ثم من عرف الله عرف أن اللذات المقرونة بالشهوات المختلفة كانها منطو تحت هذه اللذة كما قيل :

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذراك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده فصرت مولى الورى إذ صرت مولائي

(١) الغريزة : الطبيعة والقريحة ومنه الحديث : الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظن بالله .
(٢) الغزير بتقديم المعجمة : الكثير من كل شيء .

تركت للناس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنياي

الفصل الثالث

في عدم جواز رؤية الله بالعين والبصر

اعلم أنه لا فرق في الرؤية بين الدنيا والآخرة فكما أنه لا يجوز رؤية الله سبحانه في الدنيا بالعين والبصر ، فكذلك لا يجوز رؤيته في الآخرة بالعين والبصر ، وكما أنه يجوز رؤيته بالقلب والبصيرة لأهل البصائر أعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث يتأدي إلى المشاهدة واللقاء ، وكذلك يجوز رؤيته في الدنيا بهذا المعنى .

والحجاب بينه وبين خلقه ليس إلا الجهل وقلة المعرفة ، دون الجسد فان أولياء الله يشاهدونه في الدنيا في جميع أحوالهم ومتصرفاتهم وليلهم ونهارهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَالشَّهَادَاتُ لِلَّهِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(١) وقال : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾^(٢) وقال : ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٣) .

فسمّاهم شهداء لمشاهدتهم له في جميع أحوالهم كما ذكر بقوله عز وجل ﴿ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾^(٤) وقال : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾^(٥) فوصفه بالظاهر وقال : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾^(٦) فلما تحقق أولياء الله بمعاني هذه الآيات شاهدهوه بأعين قلوبهم .

« سئل أمير المؤمنين (ع) هل رأيت ربك حين عبدته ؟ فقال : ويلك ما كنت أعبد رباً لم أره قبل : وكيف رأيت ؟ قال : ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ، ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان »^(٧) .

وقال ابنه الحسين سيّد الشهداء : « كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقبيا ، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً »^(٨) .

وقال أيضاً : « تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء »^(٩) وقال أيضاً : « تعرفت إليّ في كلّ

(١) سورة الحديد : آية ١٩ (٢) سورة ال عمران : آية ١٨ (٣) سورة الزخرف : آية ٨٦

(٤) سورة البقرة : آية ١١٥ (٥) سورة الحديد : آية ٣ (٦) سورة المجادلة : آية ٧

(٧) الكافي : ج ١ ص ٩٨ والتوحيد : ص ١٠٩ (٨) الاقبال : ص ٣٤٩ (٩) الاقبال : ص ٣٥٠

شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء فأنت الظاهر لكل شيء»^(١) إلى غير ذلك مما ورد عنهم (ع) في هذا المعنى .

نعم يمكن أن يزيد الانكشاف في الآخرة بقدر زيادة صفاء القلوب وزكائها وتجردها عن العلائق الدنيوية .

روى شيخنا الصدوق طاب ثراه عن أبي بصير عن الصادق (ع) قال : قلت له : « أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة ؟ قال : نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة فقلت : متى ؟ قال : حين قال لهم ألسنت بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال : وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة ألسنت تراه في وقتك هذا ؟ قال : أبو بصير جعلت فداك أفأحدث بها « بهذا خ » عنك فقال : لا ، فانك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر ، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين ، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون »^(٢) .

أراد (ع) بالمشبهين والملحدين أصحاب التيمي والعدوي فانهم يزعمون أن الله سبحانه يجوز رؤيته بهذه العين في الآخرة وإن لم يجز في الدنيا ، وإن المؤمنين يرون يوم القيامة بالبصر كما يرون القمر ليلة البدر .

وقد سئل الصادق (ع) عما يروون من الرؤية ، فقال : « الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر ، فان كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحب »^(٣) .

الفصل الرابع

في طريقة تحصيل المحبة

اعلم أن الطريق إلى تحصيل المحبة وتقويتها ثم استعداد الرؤية واللقاء تحصيل المعرفة وتقويتها ، وذلك بتطهير القلب من شواغل الدنيا وعلايقها والتبتل^(٤) إلى الله بالذكر والفكر ثم

(١) الاقبال : ص ٣٥٠ (٢) التوحيد : ص ١١٧ (٣) التوحيد : ص ١٠٨ والكافي : ج ١ ص ٩٨

(٤) التبتل الانقطاع الى الله واخلاص النية واصل ذلك من التبتل وهو القطع . م .

إخراج حبّ غير الله منه ، فان القلب مثل الاناء الذي لا يسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه .

وكمال الحبّ في أن يحب الله بكل قلبه ، وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره ، فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حبّ الله إلا أن يكون التفاته إلى الغير من حيث إنّه صنع الله وفعل الله ومظهر من مظاهر أسماء الله .

وإلى هذا التفريد والتّجريد الاشارة بقوله تعالى : ﴿قل الله ثمّ ذرهم﴾^(١) وذلك إنما يكون بغلبة الشوق ؛ وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما والتشوق إلى ما بقي من المطلوب مما لم يحصل .

فان الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه ، وهو إنما يكون باحد الأمرين ولا نهاية له ، لأن الاتضاح فيما حصل لا نهاية لدرجاته وكذلك الأزداد فيما بقي من جمال الله وجلاله لا ساحل له ، بل مع حصول أصل الوصال يجد أيضاً شوقاً لذيذاً لا يظهر فيه ألم ، فالشوق لا يسكن قط ولا سيّما مما يرى فوقه درجات كثيرة ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾^(٢) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : «المشتاق لا يشتهي طعاما ولا يلتذ شرابا ولا يستطيب رقا ولا يأنس حميما ولا يأوي داراً ولا يسكن عمراناً ولا يلبس لنا ولا يقر قراراً ويعبد الله ليلاً ونهاراً راجياً بأن يصل إلى ما يشاق إليه ويناجيه بلسان شوقه معبراً عمّا في سريره كما أخبر الله تعالى عن موسى بن عمران في ميعاد ربّه بقوله : ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾^(٣) .

وفسر النبيّ (ص) عن حاله أنّه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربّه فاذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك ومرادك من الدنيا ، ودع المألوفات وأحرم عن سوى مشوّقك ولبّ بين حياتك وموتك لبّك اللهمّ لبّك وأعظم الله تعالى اجرک .

ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همّة إلا خلاصه وقد نسي كل شيء دونه^(٤) والاخبا الواردة في شوق لقاء الله تعالى أكثر من أن تحصى ، وقد مرّت الاشارة إلى بعضها في ادعيّة

(١) سورة الانعام : آية ٩١ (٢) سورة التحريم : آية ٨ . (٣) سورة طه : آية ٨٤ (٤) مصباح الشريعة ص ١٩٦

الفصل الخامس

درجات المحبة وآثارها على النفس

اعلم أن الانسان إذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه فسميت هذه الحالة في الانزعاج شوقاً وهو بالاضافة إلى أمر غائب .

وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشار القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انسا .

وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزوال والبعث تألم قلبه بهذا الاستشعار فتسمى تألمه خوفاً وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات فان غلب الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن غلب عليه الانس بالله لم يكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة .

وذلك لان الانس بالله يلزمه التوحش من غير الله بل كل ما يعوق من الخلوة يكون أثقل الأشياء على القلب .

كما روي ان موسى (ع) لما كلمه ربه مكث دهرأ لا يسمع كلام أحد من الخلق إلا أخذه الغشيان ، لأن الحبّ يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره ، فتخرج من القلوب عذوبة ما سواه ، فان خالط الناس كان كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور ومخالط بالجسد منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذكر .

قال أمير المؤمنين (ع) في وصفهم : «هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه»^(١) .

(١) نهج البلاغة : قصاص الحكم حكمة ١٤٧ .

الفصل السادس

في الانبساط والادلال

اعلم أن الانس إذا دام وغلب استحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف البعد والحجاب ، فانه يشمر نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله سبحانه ، وقد يكون منكراً بحسب الصورة لما فيه من الجرأة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك وأشرف على الكفر .

ومثاله (مناجاة برخ الاسود الذي أمر الله تعالى كلمه موسى (ع) أن يسأله ليستسقي لبني إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين ، وخرج موسى في سبعين ألفاً فأوحى الله عز وجل إليه كيف استجيب لهم وقد أظلت (أظلمت) عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ، ويأمنون مكري ارجع إلى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى (ع) فلم يعرف فبينما موسى ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة^(١) قد عقدها على عنقه فعرفه موسى (ع) بنور الله تعالى فسلم عليه فقال : ما اسمك ؟ قال : اسمي برخ قال : فأنت طلبتنا منذ حين فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه : ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك ، ما الذي بدا لك أتعتصت عليك غيومك أم عاندت الرياح عن طاعتك ، أم نفذ ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألت كنت غفاراً قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة .

قال : فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالمطر وأنبت الله عز وجل العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب ، قال : فرجع برخ فاستقبله موسى فقال : كيف رأيت حين خاصمت ربّي كيف أنصفتني فهم موسى ؛ فأوحى الله عز وجل إليه إن برخاً يضحكني كل يوم ثلاث مرات^(٢) .

واعلم أن الانبساط والادلال^(٣) يحتمل من بعض العباد دون البعض فمن انبساط الانس

(١) الشملة بالفتح كساء دون القفيفة يشتمل به . ق. (٢) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣١٢

(٣) دل المرأة ودلالها تدللها على زوجها تربه جرأة في تغنج وتشكل كأنها تخالفه وما بها خلاف

قول موسى: ﴿إن هي إلا فتنتك تفضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾^(١) وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب إلى فرعون إنه طغى فقال: ﴿ولهم عليّ ذنب فاخاف أن يقتلون﴾^(٢) وقوله: ﴿ويضيق صدري﴾^(٣) وقوله: ﴿إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾^(٤).

وهذا من غير موسى من سوء الأدب لان الذي اقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث فنودي عليه إلى يوم الحشر: ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربّه لنبذ بالعراء وهو مذموم﴾^(٥) ونهى نبينا (ص) أن يقتدي به وقيل له: ﴿واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾^(٦).

وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات ، وبعضها لما سبق في الأزل من التفضل والتفاوت في القسمة بين العباد ، قال الله تعالى: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾^(٧) وقال: ﴿منهم من كلف الله ورفع بعضهم درجات﴾^(٨).

وكان عيسى (ع) من المفضلين ولا دلاله سلم على نفسه فقال: ﴿والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيّاً﴾^(٩) وهذا انبساط لما شاهد من اللطف في مقام الانس .

وأما يحيى بن زكريا فإنه اقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى سلم عليه خالقه فقال: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً﴾^(١٠)

وانظر كيف احتمل لآخوة يوسف ما فعلوا بيوسف. وقد قال بعض العلماء: قد عدت من أول قوله تعالى: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبّ إلى ابينا منا﴾^(١١) إلى رأس العشرين آية من اخباره تعالى عن زهدهم نيفاً^(١٢) وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض ، وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع فغفر لهم وعفى عنهم ، ولم يحتمل لعزير مسألة واحدة سأل عنها في

(١) سورة الاعراف : آية ١٥٥ (٢) سورة الشعراء : آية ١٤ (٣) سورة الشعراء : آية ١٣ .

(٤) سورة طه : آية ٤٥ (٥) سورة القلم : آية ٤٩ (٦) سورة القلم : آية ٤٨

(٧) سورة الاسراء : آية ٥٥ (٨) سورة البقرة : آية ٢٥٣

(٩) سورة مريم : آية ٣٣ (١٠) سورة مريم : آية ١٥ (١١) سورة يوسف : آية ٨

(١٢) 'اليف ككيس وقد تخفف : الزيادة وكل ما زاد على العقد فينف الى أن يبلغ العقد الثاني والنيف الفضل والاحسان ومن واحدة الى ثلاث ، ق .

القدر حتّى قيل : لئن عاد محي اسمه عن ديوان النبوة^(١) وهذه القصص اوردت في القران ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء إلا وهو نور وهدى وتعرف من الله تعالى إلى خلقه^(٢).

الفصل السابع

معنى محبة الله للعبد

وأما محبة الله سبحانه لعبده فيرجع معناه إلى كشف الحجاب عن خلقه حتّى يراه بقلبه ، وإلى تمكينه إياه من القرب إليه ، وإلى إرادته ذلك به في الأزل وإلى تطهير بآطنه من حلول الغير به وتخليته عن عوائق تحول بينه وبين مولاه حتّى لا يسمع إلاّ بالحق ومن الحق ، ولا يبصر إلاّ به ، ولا ينطق إلاّ به كما ورد في الحديث القدسي :

«ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتّى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به»^(٣).

(١) قوله : حتى قيل لأن عاد محي اسمه عن ديوان النبوة كذا نقله المصنف في المحجة البيضاء أيضاً والنراقي في جامع السعادات والاصل في ذلك : الغزالي في احياء العلوم ولم أعرف القائل وأنه هل هو معصوم أو غير معصوم ولم اعثر له على مستند فكان القائل لم يقنع بامانة الله تعالى اياه (ع) مائة عام حتى أتى بهذا الكلام ، ولا يخفى أن مسألة عزير أو ارميا على اختلاف الروايات وادلاله وقوله : « أنى يحيي هذه الله بعد موتها » ليس الا كقول ابراهيم (ع) : « رب أرني كيف تحيي الموتى » لم يقل ذلك انكاراً ولا تعجباً ولا ارتياباً ، بل قال ذلك استعظاما لامر الله ، واحب ان يريه الله احياءها مشاهدة ليحصل له العلم به ضرورة كما حصل له العلم به دلالة . والقصة المذكورة في أواخر سورة البقرة فليراجع . قال في المجلد الخامس من البحار : أوحى الله الى عزير يا عزير اذا وقعت في معصية فلا تنظر الى صغرها ولكن انظر من عصيت ، واذا اوتيت رزقا مني فلا تنظر الى قلته ولكن انظر من أهداه ، واذا نزلت بك دبلية فلا تشكو الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي عند صعود مساويك وفضايحك .

(٢) فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول : قل هو الله أحد الى آخر السورة ، وتارة يتعرف اليهم بصفات جلاله فيقول : الملك القدوس السلام المؤمن العزيز الجبار المتكبر ، وتارة يتعرف اليهم بأفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في أنبيائه وأعدائه فيقول : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ، ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة الى آخر ما ذكره (قده) في محجة البيضاء .

(٣) المحاسن : ص ٢٩١

فيكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن خلقه وحصوله في درجة القرب من ربه ، وكل ذلك من فضل الله ولطفه به قال الله تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾^(١) وقال : ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾^(٢) وقال : ﴿ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾^(٣) .

وقال رسول الله (ص) : « إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب »^(٤) وقال (ص) « إذا أحب الله عبداً ابتلاه ، فان صبر اجتبه ، وإن رضي اصطفاه »^(٥) وقال (ص) : « إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه »^(٦) .

وأخصّ علاماته حبه لله عزّ وجلّ فان ذلك يدل على حبّ الله عزّ وجلّ له وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سرّه وجهه ، فيكون هو المشير إليه والمدبّر لأمره والمزيّن لآخلاقه ، والمستعمل لجوارحه ، والمسدّد لظاهره وباطنه ، والجاعل له مومه هماً واحداً ، والمبغض للدنيا في قلبه ، والموحش له غيره ، والمؤنس له بلذّة المناجاة في خلواته ، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته .

الفصل الثامن

أظهر الموجودات هو الله سبحانه

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله سبحانه ، وذلك لأنّه هو الموجود بذاته وما سواه موجود به قال الله سبحانه : ﴿الله نور السموات والارض﴾^(٧) والنور هو الظاهر لنفسه المظهر لغيره ومبدء الادراك من المدرك والمدرك إنّما هو الوجود فكلما أدركته فانما تدرك أولاً وجوده وإن لم تشعر بذلك وإنما خفي عليك ذلك لغاية وضوحه .

ولا تعجب من اختفاء شيء بسبب ظهوره فان الأشياء إنّما تستبان بأضادها وما عم وجوده حتّى لا ضدّ له عسر ادراكه ، فلو اختلفت الأشياء فدّل بعضها على الله تعالى دون بعض ادركت

(١) سورة المائدة : آية ٥٤ .

(٢) سورة الصف : آية ٤ . (٣) سورة البقرة : آية ٢٢٢ . (٤) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٠٠ .

(٥) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٠٢ . (٦) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٠٢ .

(٧) سورة النور : آية ٣٥ .

التفرقة على قرب ، ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر .

ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فانا نعلم أنه عرض من الاعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكننا نظن أن لا هيئة في الاجسام إلا ألوانها ، فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع ادركت تفرقة بين الحالتين فعلمنا أن الأجسام قد استضاءت بضوء فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور .

هذا مع ان النور أظهر المحسوسات اذ به يدرك ساير المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف استبهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده .

فاذن الحق سبحانه هو أظهر الأشياء وبه ظهر الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغيير لانهدت السماوات والأرض وبطل الملك والملكوت ولادركت التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضاً موجوداً بغيره لادركت التفرقة بين الشئيين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دايم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورث شدة الظهور خفاء

خفي لا فراط الظهور تعرضت لادراكه ابصار قوم أخافش^(١)
وحظ عيون الزرق من نور وجهه لشدة حظ العيون العوامش^(٢)

قال أمير المؤمنين (ع) : « لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها »^(٣) وقال :
(ع) ظاهر في غيب وغايب في ظهور وقال (ع) : « لا تجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور
عن البطون ، قرب فنأى وعلا قدنى ، وظهر فبطن ، ووطن فعلن ، ودان ولم يدن »^(٤) ، أي
ظهر وغلب ولم يغلب ، ومن هنا قيل : عرفت الله بجمعه بين الأضداد .

(١) الخفش محرركة صغر العين وضعف البصر خلقة او فساد في الجفون بلا وجع وان يبصر بالليل دون النهار في يوم غيم دون صحو ، ق .

(٢) العمش محرركة ضعف الرؤية مع سيلان الدمع في أكثر الاوقات ق .

(٣) نهج البلاغة : ص ٢٦٩ خطبة ١٨٥ . (٤) نهج البلاغة : ص ٣٠٩ خطبة ١٩٥ .

الباب الخامس في اليقين والتوكل

في اليقين والتوكل ، قال الله تعالى : ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾^(١) وقال النبي (ص) : « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أوتي حظهما لم يبال ما فاتته من صيام النهار وقيام الليل »^(٢) وقال (ص) لما قيل له : « رجل حسن اليقين كثير الذنوب ، ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال (ص) : « ما آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب ، لأنه كلما أذنب ذنباً تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة »^(٣) وقال (ص) : « اليقين الايمان كله »^(٤).

وفي وصية لقمان لابنه : « يا بني لا يستطيع العمل إلا باليقين ، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه »^(٥).

وعن الصادق (ع) قال : « ليس شيء إلا وله حد قيل : فما حد التوكل ؟ قال : اليقين قيل : فما حد اليقين ؟ قال : أن لا يخاف مع الله شيئاً »^(٦).

وقال (ع) : « من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضي الناس بسخط الله ، ولا يلومهم بما لم يؤته الله ، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره ولو أن أحدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت ثم قال إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط »^(٧).

أراد (ع) بقوله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله أن لا يشكوهم على ترك صلتهم آياه بالمال ونحوه ، ومن كان من أهل اليقين عرف أن ذلك كذلك فلا يلوم أحداً بذلك وعرف أن ذلك مما اقتضته ذاته بحسب استعداده وما أوجبه حكمة الله في امره .

وعنه (ع) « إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله تعالى من العمل الكثير

(١) سورة البقرة : آية ٤ .

(٢) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٨ . (٣) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٨ .

(٤) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٨ . (٥) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٨ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٥٧ .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ٥٧ .

على غير يقين»^(١) وعنه (ع) قال : كان أمير المؤمنين (ع) يقول : « لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه »^(٢) وأن الضار النافع هو الله تعالى .

وعنه (ع) : ان أمير المؤمنين (ع) جلس إلى حايط مايل يقضي بين الناس فقال بعضهم : لا تقعد تحت هذا الحايط فإنه معور فقال أمير المؤمنين (ع) : حرس امرأ أجليه ، فلما قام سقط الحايط ، قال : وكان أمير المؤمنين (ع) ممّا يفعل هذا وأشباهه ، وهذا اليقين»^(٣) .

وعنه (ع) قال : كان قبر غلام عليّ (ع) يحبّ عليّاً حبّاً شديداً ، فاذا خرج عليّ (ع) خرج على أثره بالسيف ، فرآه ذات ليلة فقال : « يا قبر ما لك ؟ قال : جئت لأمش خلفك يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك أمن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض ؟ قال : لا بل من أهل الأرض ، فقال : إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا بإذن الله من السماء : فارجع فرجع»^(٤) .

وقيل للرّضا (ع) : « إنك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً ، فقال : ان لله تعالى واديا من ذهب حماه بأضعف خلقه النمل فلورامه البخاتي»^(٥) لم تصل إليه»^(٦) يعني بالسيف سيف السلطان .

وعنه (ع) كان في الكثر الذي قال الله تعالى ﴿وكان تحته كنز لهما﴾^(٧) كان فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ؟ وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن ؟ وعجبت لمن رأى الدّنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها»^(٨) .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٥٧ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٥٨ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٥٨ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٥٩ .

(٥) البخت نوع من الابل ، والجمع بخاتي غير مصروف لانه جمع الجمع ، قال في مجمع البحرين. في شرح الحديث خصها بالذكر لانها أقوى خلق الله من الحيوان .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٥٩ . (٧) سورة الكهف : الآية ٨٢ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ٥٩ .

الفصل الاول

عظم شأن اليقين ودرجاته

اليقين أن يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت إلى الوسائط بل يرى الوسائط كلها مسخرة لا حكم لها ، ثم الثقة بضمنان الله سبحانه للرزق وأن ما قدر له سيساق إليه ثم أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ثم المعرفة بأن الله تعالى مطلع عليه في كل حال ومشاهد بهواجس ضميره وخفايا خواطره ، فيكون متأدباً في جميع أحواله وأعماله مع الله سبحانه ، فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة^(١) أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : «اليقين يوصل العبد إلى كل حال سني^(٢) ومقام عجيب ، كذلك أخبر رسول الله (ص) عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده عن عيسى بن مريم (ع) كان يمشي على الماء ، فقال لوزاد يقينه لمشي في الهواء .

فدل بهذا أن الأنبياء مع جلالة محلهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية لزيادة اليقين على الأبد والمؤمنون أيضاً متفاوتون في قوة اليقين وضعفه فمن قوى منهم يقينه فعلامته التبري من الحول والقوة إلا بالله والاستقامة على أمر الله وعبادته ظاهراً وباطناً قد استوت عنده حالة العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز والذل ، لأنه يرى كلها من عين واحدة ، ومن ضعف يقينه تعلق بالاسباب ورخص لنفسه بذلك واتباع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة والسعي في امور الدنيا وجمعها وإسائها مقراً باللسان أنه لا مانع ولا معطي إلا الله وأن العبد لا يصيب إلا ما رزق وقسم له ، والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه .

قال الله تعالى : «يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون»^(٣) وإنما عطف الله لعباده حيث أذن لهم في الكسب والحركات في باب العيش ما لم يتعدوا حدوده ولا يتركوا من فرائضه وسنن نبيه في جميع حركاتهم ، ولا يعدلوا عن محجة التوكل ، ولا يقفوا في ميدان الحرص وأما إذا أبوا ذلك وارتبطوا بخلاف ما حد لهم كانوا من الهالكين الذين ليس معهم

(١) في الدعاء اللهم اجعلني في كلائك اي في حفظك وحمایتك . (٢) السني : الرفيع م .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٦٧ .

وكلّ مكتسب لا يكون متوكلاً فلا يستجلب من كسبه إلى نفسه إلا حراماً وشبهه ، وعلامته أن يؤثر ما يحصل من كسبه ويجوع وينفق في سبيل الدين ولا يمسك والمأذون بالكسب من كان بنفسه مكتسباً ويقلبه متوكلاً ، وإن كثر المال عنده قام فيه كالأمين عالماً بأن كون ذلك وفوته سواء وإن أمسك أمسك الله وإن أنفق أنفق فيما أمره الله عزّ وجلّ ويكون منعه وعطاؤه في الله» (١) .

الفصل الثاني

التوكل باب الرزق والرحمة

التوكل منزل من منازل الدّين ، ومقام من مقامات الموقنين ، بل هو من معالي درجات المقربين ، وهو في نفسه غامض من حيث العلم ، ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث العلم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع ، والاعتماد على الأسباب انغماس في غمرة الجهل .

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢) وقال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٣) ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (٤) وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٥) فأعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله لابسه ، فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب .

وقد قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ (٦) فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الآية .

وقال رسول الله (ص): « لو أنكم تتوكلون على الله حقّ توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً^(٧) وتروح بطاناً^(٨) » (٩) وقال: « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا

(١) مصباح الشريعة : ص ١٧٧ . (٢) سورة المائدة : آية ٢٣ .

(٣) سورة ابراهيم : آية ١٢ . (٤) سورة الطلاق : آية ٣ . (٥) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .

(٦) سورة الزمر : آية ٣٦ . (٧) خمص : جاع والجمع خماص . (٨) البطنة بالكسر الامتلاء الشديد . م .

(٩) تنبيه الخواطر ج ١ ص ٢٢٢ اخرج الترمذي ج ٩ ص ٢٠٧ واحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٢٦ .

يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها^(١) وقال : « من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه ممّا في يده .

وعن الصادق (ع) أوحى الله تعالى إلى داود (ع) « ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثمّ تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن ، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات وأسخت^(٢) الأرض من تحته ولم ابال بأي واد هلك^(٣) .

وعنه (ع) : « إن الغنى والعز يجولان ، فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا^(٤) .

وعنه (ع) : « إنه قرأ في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لا قطعن أمل كلّ مؤمل غيري باليأس ، ولا كسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحينه من قربي ، ولا بعدنه من وصلي أيؤمل غيري في الشدايد والشدايد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني .
فمن إذا الذي أملتني لنوائبه فقطعته دونها ، ومن الذي رجاني لعزيمة فقطعت رجاءه مني جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملاّت سماواتي ممّن لا يملّ من تسيحي ، وأمرتهم أن يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي .

ألم يعلم من طرقة نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري ، أفيراني أبداً بالعطاء قبل المسألة ثمّ اسأل فلا اجيب سائلي أبخيل أنا فيخلني عبدي ، أوليس الجود والكرم لي ، أوليس العفو والرحمة بيدي ، أوليس أنا محلّ الآمال فمن يقطعها دوني ، أفلا يخشى المؤمنون ان يؤملوا غيري .

فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعاً ثمّ اعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك أنا قيّمه فيا بؤساً للقانطين من رحمتي ، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني^(٥) .

(١) تنبيه الخواطر ج ١ ص ٢٢٢ وأحياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٢٦ . (٢) ساخت الارض بهم أي خسفت . ق .

(٣) الكافي ج ٢ ص ٦٣ . (٤) الكافي ج ٢ ص ٦٥ .

(٥) الكافي ج ٢ ص ٦٦ .

الفصل الثالث

التوكل يبنى بقوة القلب واليقين

اعلم أنه من اعتقد اعتقاداً جازماً بأنه لا فاعل إلا الله وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله وأن له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ، ثم تمام العطف والعناية والرّحمة بجملة العباد والأحاد ، وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ، ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته عناية ، اتكل لا محالة قلبه على الله وحده ، ولم يلتفت إلى غيره بوجهه ولا إلى نفسه .

ومن لم يجد ذلك من نفسه فسيببه أحد أمرين إما ضعف اليقين ، وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه ؛ فان القلب قد ينزعج تبعاً للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين كانزعاجه أن يبيت مع ميت في قبر أو فراش مع عدم نفرته عن ساير الجمادات .

فالتوكل لا يتم إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته ، فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لخليله : ﴿أولم تؤمن قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾^(١) .

وكم من مطمئن لا يقين له كساير أرباب الملل والمذاهب ، فان اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده ، وكذا النصراني ولا يقين لهما أصلاً وإنما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه .

وعن الكاظم (ع) : « في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾^(٢) قال للتوكل على الله درجات : منها أن تتوكل على الله في امورك كلّها فما فعل بك كنت عنه راضياً ، تعلم أنه لا يألوك^(٣) خيراً وفضلاً ، وتعلم أن الحكمة في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك عليه وثق به فيها وفي غيرها^(٤) .

ولعل ساير درجات التوكل أن يتوكل على الله في بعض اموره دون بعض وتعددها بسبب كثرة الامور المتوكل فيها وقتلتها .

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٠ . (٢) سورة الطلاق : آية ٣ .

(٣) في القاموس ألى واثلى : قصر وأبطأ وتكبر وفي مجمع البحرين في معنى قوله تعالى : لا يألونكم خبالاً قال :

أي لا يقصرون لكم في الفساد . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٦٥ .

الفصل الرابع

تحصيل الاسباب لا ينافي التوكل

اعلم أن من الناس من يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة واللحم على الوضم^(١) وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع ، فان الانسان مكلف بطلب الرزق بالاسباب التي هداه الله إليها من زراعة أو تجارة أو صناعة أو غير ذلك مما أحله الله .

وكما أن الصلاة والصيام والحج عبادات كلف الله بها عباده يتقربون بها إليه ، كذلك طلب الرزق الحلال عبادة كلفهم الله به ليتقربوا به إليه ، بل هو أفضل العبادات كما مرّ بيانه في الباب الأول من المقالة الثالثة ولكنه سبحانه كلفهم أيضاً بأن لا يثقوا الا به جلّ وعزّ ، ولا يثقوا بالاسباب كما أنه سبحانه كلفهم بأن لا يتكلوا على أعمالهم الحسنة بل بفضل الله تعالى

فمعنى التوكل المأمور به في الشرع الأقدس هو اعتماد القلب على الله تعالى في الامور كلها وانقطاعه عمّا سواه ، ولا ينافيه تحصيل الاسباب إذا لم يكن يسكن إليها وكان سكونه إلى الله تعالى دونها مجزئاً أن يؤتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب دون هذه الاسباب التي حصلها وان يقطع الله هذه الاسباب عن مسبباتها .

سواء كانت لجلب نفع متوقع ، أو لدفع ضرر منتظر ، أو لازالة آفة واقعة ، وسواء كانت مقطوعاً بها كمدّ اليد إلى الطعام ليصل إلى فيه ، أو مظنونة كحمل الزاد للسفر ، وأخذ السلاح للعدو واتخاذ البضاعة للتجارة ، والادخار لتجدد الاضطرار والتداوي لازالة المرض ، والتحرز عن النوم في مكن^(٢) السباع ومجرى (ممرخ) السيل وتحت الحايض المايل ، وغلق الباب وعقل البعير ونحو ذلك .

أما الموهومة كالرقية والطيرة والاستقصاء في دقائق التدبير فيبطل بها التوكل لأن أمثال ذلك ليست بأسباب عند العقلاء الألباء ، وليست ممّا أمر الله بها بل ورد النهي عنها ، على أن المأمور به : الاجمال في الطلب وعدم الاستقصاء وترك الاستبطاء .

(١) الوضم محرّكة ما وقيت به اللحم عن الارض من خشب وحصير ، وتركهم لحما على وضم أوقعهم فذلّهم وأوجعهم ق . (٢) مكن كمونا : استخفى .

قال النبي (ص): «ألا إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل لذتها ، فاتقوا الله عز وجل وأجملوا في الطلب»^(١) وقال: «ما أجمل في الطلب من ركب البحر»^(٢).

وقال الصادق (ع): «ليكن طلبك المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريرص الراضي بدنياه المظمئن إليها ، ولكن أنزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضعيف ، وتكتسب ما لا بد منه إن الذين اعطوا المال ثم لم يشكروا لا مال لهم»^(٣) ، وقال: «إذا فتحت بابك وبسطت بساطك ، فقد قضيت ما عليك».

وإنما لا يبطل التوكل بالأسباب المقطوعة والمظنونة مع أن الله تعالى قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك «لأن الله سبحانه أبقى أن يجري الأشياء إلا بالأسباب»^(٤).

وأحب الله لعباده أن يطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التي سببها لذلك وامرهم بذلك قال الله تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾^(٥) وقال في كيفية صلاة الخوف: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتْهُمْ﴾^(٦) وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾^(٧) وقال لموسى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا﴾^(٨) والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء دفعاً للضرر»^(٩).

وقال النبي (ص): «للأعرابي لما أهمل البعير وقال توكلت على الله: اعقلها وتوكل»^(١٠) إلى غير ذلك .

روي ان زاهداً من الزهاد فارق الامصار وأقام في صحف جبل وقال لا أسأل أحداً شيئاً حتى يأتيني ربي برزقي ، فقعده سبعاً كاد يموت ولم يأتيه رزق ، فقال : يا رب إن أخيتني فأتني برزقي الذي قسمت لي ، وإلا فاقبضني إليك ، فأوحى الله إليه : وعزتي وجلالي لا أرزقك

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٣ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٤ . (٢) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٢٩٣ .

(٣) عن كتاب التمحيص كما عن البحار : ج ١٠٠ ص ٣٦ . (٤) الكافي : ج ١ ص ١٨٣ .

(٥) سورة النساء : آية ١٠٢ . (٦) سورة النساء : آية ١٠٢ . (٧) سورة الانفال : آية ٦٠ .

(٨) سورة الدخان : آية ٢٣ .

(٩) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٥٧ . (١٠) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٥٧ .

حتى تدخل الامصار وتقع بين الناس ، فدخل المصر وأقام فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه خيفة ذلك فأوحى الله إليه أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا ، أما علمت أنني إن أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي .

وفي الاسرائيليات ان موسى (ع) « اعتلّ بعلّة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له : لو تداويت بكذا لبرأت ، فقال : لا أتداوى حتى يعافيني الله من غير دواء ، فطالت علته فأوحى الله إليه وعزّتي وجلالي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك ، فقال لهم : داووني بما ذكرتم ، فداووه فبرأ ، فأوجس في نفسه من ذلك ، فأوحى الله إليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك عليّ فمن أودع العقاقير منافع الاشياء غيري ؟ »^(١) .

ومن الناس من يزعم أن حقّ التوكل أن يكتفي بالاسباب الخفية عن الاسباب الجلية ، كأن يسافر بالبوادي التي لا يطرقتها الناس بغير زاد بعد أن راض^(٢) نفسه على الجوع الاسبوع فما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله ، وأن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق له ، وأن يوطن نفسه على أنه إن مات جوعاً كان خيراً له في الاخرة أو يقعد في بيته أو في مسجد ويتفرغ بترك الكسب لفكر أو ذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة بحيث لا يستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل فيحمل إليه شيئاً بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله .

وهذا خطأ لأن من جاهد نفسه وسواها بحيث يصبر على الجوع الاسبوع ويمكنه التقوت بالحشيش صارت الاسباب له جلية فان عدم الحاجة أحد الغنائين .

ثم إن كان اعتماده حينئذ على صبره وتمكنه من التقوت بالحشيش فاين التوكل وإن كان إنما يثق بالله وحده فليقم في بلده مع الاسباب الجلية وليثق بالله دون الاسباب كما أمر الله به الزاهد الذي مرّت قصّته .

وأما توطئ نفسه باختياره على الموت جوعاً فممنوع شرعاً قال الله عزّوجلّ: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾^(٣) .

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) من الرياضة رضت الدابة ذلتها ، ورياضة النفس مأخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها عن الاقدام على حركات

غير صالحة لصاحبها . (٣) سورة البقرة : آية ١٩٥ .

واما العاعد في بيته يعبد ربه من غير كسب فهو أيضا قد ترك اتباع أمر الله تعالى بالطلب قال الصادق (ع) : « إن من يقوته أشد عبادة منه »^(١) وربما يكون مثله كلا على الناس ، وان حاله ينادي بالبؤس والبأس ، وهو ضرب على بواطن الناس ، وتعرض للذل إلا إذا خرج من بين الناس ، فيرجع إلى الأول من تغريره بالنفس وتعرضه للهلاك .

وليت شعري أي مدخل في خفاء الأسباب وجلائها في التوكل بعدما تقرر ان معناه الثقة بالله وحده لا بالأسباب فسواء وجود الأسباب وفقدها ، جلاؤها وخفاؤها .

نعم يتفاوت درجات الناس فيه بحسب تفاوت مراتبهم في قوة اليقين وضعفه وفي قصر الأمل وطوله ، وفي مقدار الأدخال بحسب الأمل وللمنفرد والمعيّل فمنهم من هو من المقربين ومنهم من هو من أصحاب اليمين ومنهم من لا توكل له أصلا ، وذلك بحسب عدم الوثوق بالاسباب أصلا وقلته وكثرته ومن كمل ايمانه سقط وثوقه بالاسباب بالكلية فيرزقه الله من حيث لا يحتسب كسب أم لم يكتسب إلا أنه لا يتبع الكسب بل يتبع أمر الله فيه وليس وثوقه إلا بالله وحده دون كسبه .

قال الصادق (ع) : « أبا الله جلّ وعزّ أن يجعل أرزاق المؤمنين إلا من حيث لا يحتسبون »^(٢) .

وإنما خصّه بالمؤمنين لان كمال الايمان يقتضي أن لا يثق صاحبه بالاسباب وأن يتوكل على الله جلّ وعزّ وحده وكمال الايمان إنما يكون لصاحب العلم المكنون من الانبياء والاولياء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال السّجاد (ع) : « رأيت الخير كله في قطع الطمع عما في أيدي الناس »^(٣) ومن لم يرج الناس في شيء ورد أمره إلى الله تعالى في جميع اموره استجاب الله تعالى له في كل شيء .

وقال الباقر (ع) : « بشس العبد عبد له طمع يقوده ، وبشس العبد عبد له رغبة تذله »^(٤) .

(١) الكافي : ج ٥ ص ٧٨ وفيه « للذي يقوته أشد عبادة منه » .

(٢) عن كتاب التمهيص كما عن البحارج ١٠٠ ص ٣٥ وعن مكارم الاخلاق : ص ٢٧٠ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٣٢٠ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٣٢٠ .

وقال الصادق (ع) « شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس »^(١) .

الباب السادس

في الصدق واداء الامانة

في الصدق واداء الامانة^(٢) ، وأدنى الصدق الصدق في القول في كل حال وكماله بترك المعاريض^(٣) من غير ضرورة حذراً عن تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة ورعايته مع الله تعالى ، فمن قال : وجهت وجهي لله وفي قلبه سواه ، أو إياك نعبد وهو يعبد الدنيا فهو كاذب .

ثم في النية بتمحيضها لله تعالى فالشرب^(٤) يفوته يقال صادق الحلاوة أي محضها فالصادق في النية لا بد أن يكون مخلصاً .

ثم في العزم وهو الجزم القوي على الخير فإن الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه : إن رزقني الله ما لا تصدقت بجميعة أو شطره ، وإذا لقيت عدوا في سبيل الله قاتلته ولم ابال وان قتلت ، وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة .

ثم في الوفاء بالعزم ، فالنفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد فاذا حقت الحقايق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة ، وهذا يضاد الصدق فيه ولذلك قال الله سبحانه : ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾^(٥) .

ثم في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو

(١) الكافي : ج ٣ ص ٤٨٨ وفيه « شرف المؤمن صلته بالليل وعز المؤمن كفه عن اعراض الناس » .

(٢) قال المصنف (قده) في محجة البيضاء . اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول ، وصدق في النية والارادة ، وصدق في العزم ، وصدق في الوفاء بالعزم ، وصدق في العمل ، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغته من الصدق ، ثم هم ايضاً على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقة الى آخر ما قال . (٣) المعاريض في الكلام : التورية بالشيء عن الشيء ومنه المثل : ان في المعاريض لمنذوحة عن الكذب .

(٤) الشوب بالفتح الخلط ومنه الحديث : يا معشر التجار شوبوا أموالكم بالصدقة كفر عنكم ذنوبكم م .

(٥) سورة الأحزاب : آية ٢٣ .

به لا بان يترك العمل ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر .

وهذا غير الرياء ، لأن المرائي هو الذي يقصد ذلك لأجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن نظر إليه رآه قائماً بين يدي الله عز وجل وهو بالباطن قائم بالسوق بين يدي شهوة من شهواته ، وكذلك قد يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفاً بذلك فهذا غير صادق في عمله وزن لم يكن ملتفتاً إلى الخلق ولا مرئياً إياهم ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية ، بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً من ظاهره .

وهذا كما قال أمير المؤمنين (ع) : « اني والله ما احثكم على طاعة الا وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم من معصية إلا وأتأهي قبلكم عنها »^(١) .

ثم في مقامات الدين وهو أعلى الدرجات وأعزها كالصدق والخوف والرجاء والتعظيم والزهد والحب والتوكل وسائر المكارم فان هذه الامور لها مبادئ ينطلق الاسم بظهورها ، ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق من نال حقيقتها .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾^(٢) إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾^(٣) وقال عز وجل : ﴿ وَلَكِن الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾^(٤) ثم قال : ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾^(٥) إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾^(٦) .

(وسئل أبو ذر رضي الله عنه عن الايمان فقراً هذه الآية فقيل له سألتك عن الايمان فقال : سألت رسول الله (ص) عن الايمان فقراً هذه الآية)^(٧) .

ولنضرب للخوف مثلاً فما من عبد يؤمن بالله إلا وهو خائف من الله خوفاً ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة ، أما تراه إذا خاف سلطاناً أو قاطع

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ج ١ ص ٢٥٨ ط الأعلمي .

(٢) سورة الحجرات : آية ١٥ . (٣) سورة الحجرات : آية ١٥ . (٤) سورة البقرة : آية ١٧٧ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٧٧ . (٦) سورة البقرة : آية ١٧٧ . (٧) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٥٨ .

طريق في سفره كيف يصفرونه ويرتعد فرايصه^(١) ويتنصص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا يتنفع عليه أهله وولده ، وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كل ذلك خوفاً من درك المحذور ثم إنه لا يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه .

ولذلك قال النبي (ص) « لم أر مثل النار نام هاربها ولم أر مثل الجنة نام طالبها »^(٢) والتحقيق لهذه الامور عزيز جداً ولكن لكل عبد منها حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوي .
ثم درجات الصدق لا نهاية لها ، وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً .

الفصل الاول الصدق صدق القلب واللسان

في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « إذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر في قصد (صدق خ) معنك وغور^(٣) دعواك ، وعيرها بقسطاس من الله عز وجل كأنك في القيامة قال الله عز وجل : ﴿الوزن يومئذ الحق﴾^(٤) فإذا اعتدل معنك بدعواك ثبت لك الصدق وأدنى حد الصدق أن لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ، ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثّل النازع روحه ان لم ينزع فما يصنع »^(٥) .

وعنه (ع) « إن الصادق أول من يصدقه الله تعالى يعلم أنه صادق فيصدقه نفسه تعلم انه صادق »^(٦) .

وعنه (ع) قال : « إن العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين ، ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين ، فاذا صدق قال الله تعالى صدق وبر ، وإذا كذب قال الله تعالى

(١) الفريضة اللحمية بين الجنب والكتف او بين الثدي والكتف ترعد عند النزاع يقال : ارتعدت فريسته اي فزع فزعا شديداً . المنجد .

(٢) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٥٨ .

(٣) غار الرجل غوراً : اتى الغور وهو المنخفض من الأرض وفي الحديث : بالعقل يستخرج غور الحكمة ، وبالحكمة يستخرج غور العقل . م .

(٤) سورة الأعراف : آية ٨ . (٥) مصباح الشريعة ص ٣٥ . (٦) الكافي ج ٢ ص ١٠٤ .

كذب وفجر»^(١) وفي رواية «ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً» .

وعنه (ع) قال «كونوا دعاة الناس بالخير بغير ألتستكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع»^(٢) .

وقال لبعض أصحابه (انظر ما بلغ عليّ (ع) عند رسول الله (ص) فألزم ، فان عليا إنما بلغ عند رسول الله (ص) بصدق الحديث وأداء الأمانة)^(٣) .

وقال (ع) : « لا تنظروا إلى طول ركوع الرّجل وسجوده فان ذلك شيء اعتاده ولو ترك لاستوحش لذلك ، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء امانته »^(٤) .

وقال (ع) : « إنّ الله تعالى لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الامانة إلى البر والفاجر »^(٥) وعن النبي (ص) : « أداء الأمانة يجلب الرّزق والخيانة تجلب الفقر »^(٦) .

وعن أمير المؤمنين (ع) « أدوا الأمانات ولو إلى قاتل ولد الأنبياء »^(٧) وعن الصادق (ع) « من ائتمنك بأمانة فأدّها إليه ، ومن خانك فلا تخنه »^(٨) ^(٩) .

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠٥ (٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٥ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٠٤ . (٤) الكافي ج ٢ ص ١٠٥ . (٥) الكافي ج ٢ ص ١٠٤ .

(٦) قرب الاسناد : ص ٥٥ . (٧) تحف العقول ص ١٥٥ .

(٨) وقال أمير المؤمنين (ع) كما في سفينة البحار لكميل : يا كميل اقسم لسمعت رسول الله (ص) يقول لي قبل وفاته ساعة مراراً ثلاثة : يا ابا الحسن أد الامانة الى البر والفاجر فيما قل وجل حتى في الخيط والمخيط .

وقال أبو عبد الله (ع) كما في الوسائل : ثلاث لم يجعل الله لاحد فيهن رخصة على رواية أو ثلاث لا عذر لاحد فيها على رواية اخرى : أداء الامانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين .

وأورد المصنف (قده) هذه الرواية بعينها على الاولى في الوافي في باب البر بالوالدين عن أبي جعفر (ع) وأوردها في باب الصدق واداء الامانة على الرواية الثانية عن أبي عبد الله (ع) الا انه قال : والوفاء بالعهد الى البر الخ .

(٩) من لا يحضره الفقيه : ج ٣ ص ١١٤ .

المقالة الخامسة

في العبادات وأسرارها وفيها سبعة أبواب .

الباب الاول

في النية والاخلاص

في النية والاخلاص ، قال النبي (ص) : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »^(١) .

وإنما قال ذلك حين قال له بعض الصحابة إن بعض المهاجرين إلى الجهاد ليست نيته من تلك الهجرة إلا أخذ الغنائم من الأموال والسبايا ، أو نيل الصيت عند الاستيلاء فبين (ص) أن كل أحد ينال في عمله ما يبغيه ويصل إلى ما يتوهمه كائنا ما كان دنيوياً أو اخروياً .

وهذا الخبر مما يعده أصحاب الحديث من المتواترات ، وهو أول ما يعلمونه أولادهم ويقولون : إنه نصف العلم .

واعلم أنه لا يحسب من عبادة الله ولا يعد من طاعته بحيث يترتب عليه الاجر في الآخرة إلا ما يراد به التقرب إلى الله تعالى والذّار الآخرة أعني به وجه الله تعالى أو التوصل إلى ثوابه أو الاخلاص من عقابه ، وبالجمله امثال أمر الله تعالى فيما ندب عباده إليه بقوله عزّ وجلّ : ﴿ ادعوه خوفاً وطمعاً ﴾^(٢) وقوله : ﴿ ويدعوننا رغباً ورهباً ﴾^(٣) .

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٢ والعوالي : ج ١ ص ٨١ .

(٢) سورة الاعراف : آية ٥٦ . (٣) سورة الانبياء : آية ٩٠ .

وكل ما وعد به الجنة واوعد عليه النار في الآيات التي لا تحصى فرغب ورهب ووعد وأوعد وانما يشبههم على حسب أقدارهم ومنازلهم ونياتهم فمن عرف الله بجماله وجلاله ولطف فعاله وأحبه واشتاق إليه وأخلص عبادته لله لكونه أهلاً للعبادة ولمحبته له ، أحبه الله وأخلصه واجتبه وقربه إلى نفسه وأدناه قريباً معنوياً ودنوياً روحانياً ، كما قال في حق بعض من هذه صفته : ﴿وإن له عندنا لزلفى^(١) وحسن مآب﴾^(٢) .

قال أمير المؤمنين وسيد الموحدين (ع) : «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»^(٣) .

ومن لم يعرف من الله سوى كونه إلهاً صانعاً للعالم قادراً ، قاهراً عالماً وأن له جنة ينعم بها المطيعين وناراً يعذب بها العاصين ، فعبدته ليفوز بجنّته أو يكون له النجاة من ناره ، أدخله بعبادته وطاعته الجنّة ، وأنجاه من النار لا محالة كما أخبر عنه في غير موضع من كتابه ، فانما لكل امرئ ما نوى .

فلا تصغ إلى قول من ذهب إلى بطلان العبادة إذا قصد بفعلها تحصيل الثواب والمخلص من العقاب زعماً منه أن هذا القصد منافٍ للاخلاص الذي هو إرادة وجه الله سبحانه وأن من قصد ذلك فانما قصد جلب النفع إلى نفسه ودفع الضرر عنها لا وجه الله .

فان هذا قول من لا معرفة له بحقايق التكليف ومراتب الناس فيها ، بل ولا معرفة له بمعنى النية وحقيقتها وأنها عبارة عن انبعاث النفس وميلها وتوجهها إلى ما فيه غرضها ومطلبها إما عاجلاً وإما آجلاً ، لا مجرد قول الناصبي عند العبادة : أفعل كذا قريبة إلى الله ، وتصور معنى هذا القول بخاطره وملاحظته بقلبه ، وإن لم يكن لنفسه انبعاث إلى التقرب .

هيئات انما هذا تحريك لسان وحديث نفس ، وما ذلك إلا كقول الشيعان : أشتهي هذا الطعام قاصداً حصول الاشتهاء ، وهذا الانبعاث إذا لم يكن حاصلاً لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد القول والتصوّر .

وأكثر الناس يتعدّر منهم العبادة ابتغاء وجه الله والتقرب إليه ، لأنهم لا يعرفون من الله

(١) الزلفة والزلفى : القريب والمنزلة م .

(٢) سورة ص : آية ٤٠ . (٣) العوالي : ج ١ ص ٤٠٤ ح ٦٣ .

سبحانه إلا المرجو والمخوف ، فغايتهم أن يتذكروا النار ويحذروا أنفسهم عقابها ، ويتذكروا الجنة ويرغبوا أنفسهم ثوابها ، وخصوصاً من كان الغالب على قلبه الميل إلى الدنيا ، فإنه قلماً ينبعث له داعية إلى فعل الخيرات لينال بها ثواب الآخرة فضلاً عن عبادته على نية إجلال الله عز وجل لاستحقاقه الطاعة والعبودية فإنه قل من يفهمها فضلاً عن يتعاطاها ، فلو كلف بها لكان تكليفاً بما لا يطاق .

وليس معنى الاخلاص في العبادة الا أن لا تكون مشوية بشوايب الدنيا والحفظ العاجلة للنفس ، كمدح الناس والخلاص من النفقة بعق العبد ونحو ذلك كما يأتي بيانه وظاهر أنه لا ينافيه إرادة الجنة والخلاص من النار مما وعد في الآخرة وإن كان من جنس المألوف في الدنيا ، ولو كان مثل هذه النيات مفسداً للعبادات لكان الترغيب والترهيب والوعد والوعيد عبثاً بل مخلاً بالمقصود .

ثم ليت شعري كيف يمكن للعبد الضعيف المهين البذليل الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أن يستغني عن جلب النفع من مولا لنفسه أو دفع الضرر عنها ومن امعن حق الامعان فلا يجد أكثر القائلين بطلان العبادة باحدى النيتين إلا ونياتهم الصحيحة في عباداتهم ترجع إلى إحداها وهم لا يشعرون .

وعن الصادق (ع) « العباد ثلاثة : قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله عز وجل طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء ، وقوم عبدوا الله عز وجل حباً له فتلك عبادة الاحرار ، وهي أفضل العبادة »^(١) .

قوله (ع) : وهي أفضل العبادة يعطي أن العبادة على الوجهين الأولين لا يخلو من فضل أيضاً فضلاً عن أن تكون صحيحة .

الفصل الاول

النية خير من العمل

قد ورد في الحديث المشهور عن النبي (ص) أنه قال : « نية المؤمن خير من عمله ونية

(١) الكافي : ج ٢ ص ٨٤ .

الكافر شرّ من عمله ، وكل عامل يعمل على نيته ^(١) وقد اختلف الفقهاء في معنى الحديث على أقوال شتى .

والذي ظهر لي أن ذلك لأن المؤمن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده الوقت على عملها ، فكان الثواب المترتب على نيته أكثر من الثواب المترتب على أعماله وأيضاً إنّ المؤمن ينوي أن تقع عباداته على احسن الوجوه لأن ايمانه يقتضي ذلك ، ثمّ إذا كان يشتغل بها لا يتيسر له ذلك ولا يتأتى كما يريد ، فلا يأتي بها كما ينبغي ، فالذي ينوي دائماً خيراً من الذي يعمل به في كلّ عبادة .

وإلى هذا أشار الباقر (ع) حيث كان يقول : « نية المؤمن خير من عمله ، وذلك لأنّه ينوي من الخير ما لا يدركه ، ونية الكافر شر من عمله ، وذلك لان الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه » ^(٢) .

وعن الصادق (ع) أنه قيل له : سمعتك تقول : « نية المؤمن من خير من عمله فكيف تكون النية خيراً من العمل ؟ قال : لأن العمل إنما كان رياء للمخلوقين ، والنية خالصة لربّ العالمين ، فيعطي عزّ وجلّ على النية ما لا يعطي على العمل » ^(٣) ، ثم قال : « إن العبد لينوي من نهاره أن يصلي بالليل فتغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلاته ويكتب نفسه تسبيحاً ويجعل نومه صدقة » ^(٤) .

وعنه (ع) « إن العبد المؤمن الفقير ليقول : يا ربّ ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير ، فإذا علم الله عزّ وجلّ ذلك منه بصدق نيته كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله ، إن الله واسع كريم » ^(٥) .

وعنه (ع) « انه سئل عن حدّ العبادة التي إذا فعلها فاعلها كان مؤدياً ، فقال (ع) حسن النية بالطاعة » ^(٦) .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٨٤ والمحاسن : ص ٢٦٠ .

(٢) علل الشرائع : ج ٢ ص ٥٢٤ . (٣) علل الشرائع : ج ٢ ص ٥٢٤ .

(٤) علل الشرائع : ج ٢ ص ٥٢٤ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٨٥ والمحاسن ص ٢٦١ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٨٥ .

يعني أن يكون له في طاعته نية حسنة فان تيسر له الاتيان بما وافق نيته ، وإلا فقد أدى ما عليه من العبادة بحسن نيته .

وعنه (ع) « أما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله فيها أبداً ، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً فبالنيات خلد هؤلاء ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ ﴾^(١) قال : على نيته^(٢) .

وعنه (ع) « من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه كان له أجره وإن لم يكن على ما بلغه »^(٣) .

ومما قيل^(٤) في معنى الحديث المشهور : « إن النية إنما يكون خيراً من العمل » لتوقف نفع العمل عليها ، دون العكس ، ولكون الغرض الأصلي من العمل تأثر القلب بالميل إلى الله تعالى عن الغير كما قال الله عز وجل : ﴿ لَنْ يُنَالِ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يُنَالِ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾^(٥) ألا ترى إلى إثم المجامع امرأته على قصد أنها غيرها ، بخلاف المجامع غيرها على أنها امرأته ، والتأثر صفة القلب .

وبهذا يعرف معنى قوله (ع) : « من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة »^(٦) لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات وإنما الاتمام بالعمل يزيدا تأكيداً ، فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها إثارة لوجه الله عز وجل وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهم ، وإن غاق عن العمل عائق ، فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب .

ولذلك قال النبي (ص) لما خرج في غزوة تبوك : « إن بالمدينة قوما ما قطعنا واديا ، ولا وطننا موطئنا يغيب الكفار ، ولا أنفقتنا نفقة ، ولا أصابتنا مخمصة الا شاركوا في ذلك وهم في

(١) سورة الاسراء : الآية ١٨٤ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٨٥ وعلل الشرائع : ج ٢ ص ٥٢٣ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٨٧ .

(٤) القائل هو أبو حامد الغزالي في احياء العلوم ونقل عنه المصنف تفصيلاً في المحجة وقد لخصه هنا .

(٥) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٥ وفيه « نية المؤمن خير من عمله » .

(٦) سورة الحج : آية ٣٧ . (٧) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٣ .

المدينة قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا ؟ فقال : حبسهم العذر فشركونا بحسن النية « (١) .

الفصل الثاني

النية إما واحدة وإما متعددة

النية إما واحدة كالقيام للآكرام ، وإما متعددة كالتصدق للفقير والقرابة ، فاما أن لا يستقل شيء منها ويعرف بالامتناع عند الانفراد ، أو يستقل متساوياً أو متفاوتاً ويتعدّد الجزاء بتعدّها .

خيراً كان كالدخول في المسجد لزيارة الله عزّ وجلّ ، فان المسجد بيت الله وفي الحديث النبوي (ص) : « من دخل المسجد فقد زار الله عزّ وجلّ وحقّ على المزور إكرام زائره ، ولانتظار الصلاة^(٢) ، والاعتكاف ، والآنزواء ، والتجرد للذكر ، وترك الذنوب^(٣) .

أو شراً كالقعود فيه للتحدّث بالباطل ؛ وملاحظة النساء ، والمناظرة للمباهاة والمراياة ، وخيرها يجعل المباح عبادة كالطيب يوم الجمعة لاقامة السنّة والمسجد واليوم ودفع الأذى بالتن وإدخال السرور بالعرف^(٤) وسدّ باب الغيبة .

وربما يفضل على محضها فالترفه^(٥) بنومة أو دعابة^(٦) مباحة لردّ نشاط الصلاة أفضل منها في الملل ، وشراً يجعله معصية كالطيب للتفاخر باظهار الثروة والتزين للزنا ولا تؤثر في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان .

الفصل الثالث

النية غير داخله تحت الاختيار

النية غير داخله تحت الاختيار ، وذلك لما عرفت أنها انبعاث النفس وتوجهها إلى ملايم ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلاً أو آجلاً ، وما لم يعتقد الانسان أن غرضه منوط بفعل من

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٢ .

(٢) قوله (قدّه) : ولانتظار الصلاة الخ عطف على قوله : لزيارة الله عز وجل أي كالدخول في المسجد لزيارة الله ولانتظار الصلاة الخ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٩ . (٤) العرف : الريح طيبة أو منتنة وأكثر استعماله في الطيبة ف

(٥) ترفه : استراح وتنعم المنجد . (٦) دعبه دعبا ودعابة : مازحه والدعابة : المداعبة . المنجد .

الأفعال فلا يتوجّه نحوه قصده ، وذلك ممّا لا يقدر على اعتقاده في كلّ حين ، وإذا اعتقد فانما يتوجه القلب إذا كان فارغاً غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه ، وذلك لا يمكن في كلّ وقت .

والدواعي والصّوارف لها أسباب كثيرة بها يجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال والأعمال ، فإذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضاً صحيحاً في الولد لم يمكنه ان يتزوَّج على نية الولد ، بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة ، إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد .

نعم طريق اكتساب هذه النية مثلاً أن يقوى اولا ايمانه بالشرع ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير أمة محمّد (ص) ، ويدفع عن نفسه جميع المنقّرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب ، وغيره ، وإذا فعل ذلك فربما انبعثت من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب ، فتحركت تلك الرغبة وتحرك أعضائه لمباشرة العقد وإذا انتهضت القدرة المحركة لللسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان نائياً ، وإذا لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان .

ولهذا امتنعت جماعة من جملة من الطاعات إذا لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرني نية ، وتلك لعلمهم بأن النية روح الأعمال وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب .

وعن الصادق (ع) : «أنه أتاه مولى له فسلم عليه وجلس فلما انصرف (ع) انصرف معه الرّجل ، فلما انتهى إلى باب داره دخل وترك الرّجل ، فقال له ابنه إسماعيل يا أبا أنت عرضت عليه الدخول ؟ فقال : لم يكن من شأنى إدخاله قال : فهو لم يكن يدخل قال : يا بني إنّي أكره أن يكتبني الله عراضاً^(١)»^(٢) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) « صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم ، لأن سلامة القلب من هواجس^(٣) المحذورات تخلص النية لله في الامور كلها قال الله

(١) عرضت له الشيء اي اظهرته وبرزته اليه . ولفلان عرضة يصرع بها الناس وهو ضرب من الحيلة في المصارعة . كذا عن الصحاح (٢) للمحاسن : ج ٢ ص ٤١٧ ح ١٨٠ .
(٣) هجس الأمر : وقع وخطر في باله ، ومنه حديث الحسن بن علي (ع) : انا الضامن لمن لم يهجس في قلبه الا الرضا ان يدعو فيستجاب له م .

تعالى ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾^(١).

قال النبي (ص): «نية المؤمن خير من عمله»^(٢) وقال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى»^(٣).

ولا بدّ للعبد من خالصة النية في كل حركة وسكون لانه إذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلاً والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال: ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾^(٤) وقال: ﴿اولئك هم الغافلون﴾^(٥).

ثمّ النية تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة ويختلف على حسب اختلاف الأوقات في معنى قوته وضعفه ، وصاحب النية الخالصة نفسه وهواه معه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه ، وهو من طبعه وشهوته ومنيته نفسه منه في تعب والناس منه في راحة»^(٦).

الفصل الرابع

الاخلاص

وأما الاخلاص فهو تجريد النية عن الشوب فالأعلى إرادة وجهه تعالى : ويعرف بالتفكر في صفاته وأفعاله والمناجاة ، ثمّ إرادة نفع الآخرة فهو حظ النفس وورد في حقيقته : أن تقول ربّي الله ثمّ تستقيم كما امرت تعمل لله لا تحبّ أن تحمد عليه .

قال الله تعالى : ﴿وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾^(٧) وقال : ﴿ألا الله الدين الخالص﴾^(٨) وقال : ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله﴾^(٩).

وعن أمير المؤمنين (ع) قال : «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ، ولم يحزن صدره بما اعطى غيره»^(١٠).

(١) سورة الشعراء : آية ٨٨ - ٨٩ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٨٤ وعدة الداعي ص ٢٧ .

(٣) أحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٢ ودعام الاسلام ج ١ ص ١٥٦ .

(٤) سورة الفرقان : آية ٤٤ . (٥) سورة الاعراف : آية ١٧٩ . (٦) مصباح الشريعة : ص ٥٣ .

(٧) سورة البينة : آية ٥ . (٨) سورة الزمر : آية ٣ . (٩) سورة النساء : آية ١٤٦ .

(١٠) الكافي : ج ٢ ص ١٦ .

وعن الباقر (ع) قال : « ما أخلص عبد الايمان بالله أربعين يوماً أو قال ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوماً إلا زهده الله في الدنيا ويصّره داءها ودواءها وأثبت الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه »^(١).

وعن الصادق (ع) في قول الله عزّ وجلّ : ﴿لِيَلْوَكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢) قال : ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً ، وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال : الابقاء على العمل حتّى يخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد إلاّ الله عزّ وجلّ ، والنية أفضل من العمل ، ألا وإن النية هو العمل ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ يعني على نيته^(٣).

والطريق إلى الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للأخرة بحيث يغلب ذلك على القلب ، وكما أعمال يتعب الانسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله تعالى ، ويكون فيها مغروراً لأنه لا يدري وجه الآفة فيه^(٤).

كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صلّيتها في المسجد جماعة في الصّف الأوّل لأنني تأخرت يوماً لعذر وصليت في الصّف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصّف الثاني ، فعرفت أن نظر النَّاس إليّ في الصّف الأوّل كان يسرني ، وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر .

وهذا دقيق غامض وقلّما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من يتنبه له ، والغافلون عنه يرون حسناتهم في الاخرة كلّها سيئات ، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وقد مضت الاشارة إلى أمثال ذلك في باب ذم الغرور .

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٦ . (٢) سورة المملك : آية ٢ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ١٦ .

(٤) روي في الوسائل عن كتاب الزهد عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : يجاء بالعبد يوم القيامة قد صلى فيقول : يا رب قبد صليت ابتغاء وجهك فيقال له : بل صليت ليقل ما احسن صلاة فلان ، اذهبوا به الى النار ثم ذكر مثل ذلك في القتال وقراءة القرآن والصدقة .
« أقول » : وروي المصنف (قده) نظير هذه الرواية في محجة البيضاء ، عن النبي (ص) باختلاف في اللفظ والمعنى .

الفصل الخامس في نية الحج والتجارة معاً

اعلم أنه قد ثبت إجماع الأمة على أن من خرج حاجاً ومعه تجارة صح حجه واثب إليه مع أن سفره ليس خالصاً للحج ، والوجه فيه ان التجارة تعرض للرزق وهو أيضاً عبادة كما مضى بيانه .

وقد عرفت أن نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها وليس الأمر كما ظن إن التاجر إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد تجارة ولا كما ظن أنه مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب .

نعم إذا كان التجارة للجمع والادخار من غير حاجة فلا يبعد أن يقال ذلك ، وكذا إذا انضم إلى قصد الحج قصد التفرج والتوحش عن الأهل انضماماً غير مستقل ونحوه إذا انضم إلى نية الصوم قصد الحمية^(١) وإلى نية الوضوء التبرّد ، وإلى نية العتق سوء الخلق والخلاص عن المؤنة إلى غير ذلك إذا لم يكن المنضمات مستقلة ، وأما ما لا يضرّ بالاخلاص من أنواع الرياء وغيره فقد مرّ الكلام فيه في باب الرياء والكبر ، فلا وجه لإعادته .

الفصل السادس مفتاحه القبول والرضا

في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « الاخلاص يجمع فواضل الأعمال ، وهو معنى مفتاحه القبول ، وتوقيعه الرضا ، فمن تقبل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وإن قلّ عمله ، ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وإن كثر عمله اعتباراً بآدم (ع) وإبليس .
وعلاوة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحابّ مع إصابة علم كل حركة وسكون ، والمخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والأعمال والعامل والمعمول بالعمل لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل ، وإذا فاته ذلك فاتته الكلّ وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الامام (الأول خ) :

هلك العاملون إلاّ العابدون ، وهلك العابدون إلاّ العالمون ، وهلك العالمون إلاّ

(١) الحمية ما حمى من الشيء الاسم من حمى المريض اذا منعه عما يضره . المنجد .

الصادقون ، وهلك الصادقون إلا المخلصون ، وهلك المخلصون إلا المتقون ، وهلك المتقون إلا الموقنون ، وإن الموقنين لعلی خطر عظیم .

قال الله تعالى لنبیہ : ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(١) وأدنى حدّ الاخلاص بذل العبد طاقته ، ثم لا يجعل بعلمه عند الله قدرا فيوجب به على ربه مكافأة بعمله لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حقّ العبودية ليجز ، وادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الاثام ، وفي الاخرة النجاة من النار والفوز بالجنة^(٢) .

الباب الثاني في الطهارة والنظافة

في الطهارة والنظافة ، قال الله سبحانه : ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾^(٣) وقال تعالى : ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم﴾^(٤) .

قال النبي (ص) : «الطهور نصف الايمان»^(٥) وقال : «مفتاح الصلاة»^(٦) وقال : «بني الدين على النظافة»^(٧) وقال (ص) : «بئس العبد القاذورة»^(٨) وقال : «من اتخذ ثوبا فلينظفه»^(٩) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : «النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور للصلاة»^(١٠) .

فيتنظف ذوو البصائر بهذه الظواهر أن الايمان إنما يتم بعمارة القلوب والسرائير وأن المراد بقوله (ص) : «الطهور نصف الايمان أن عمارة الظاهر بالتطهير والتنظيف بافاضة الماء نصف الايمان ، والنصف الاخر عمارة الباطن بالاعمال الصالحة والأخلاق الحميدة .

فالطهارة لها أربع مراتب الاولى تطهير الظاهر من الأحداث والأخبار والفضلات والثانية تطهير الجوارح من الجرائم والاثام والتبعات والثالثة تطهير القلب من مساوي الاخلاق ورذائلها

(١) سورة الحجر : آية ٩٩ . (٢) مصباح الشريعة : ص ٣٦ . (٣) سورة التوبة : آية ١٠٨ .

(٤) سورة المائدة : آية ٦ . (٥) العوالي : ج ١ ص ١١٥ واحياء علوم الدين : ج ١ ص ١١٤ .

(٦) العوالي : ج ٣ ص ٩٣ واحياء علوم الدين : ج ١ ص ١١٤ . (٧) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١١٤ .

(٨) رجل قذور وقاذور وقاذورة وذو قاذورة لا يخالط الناس لسؤ خلقه والقاذورة السيء الخلق .

(٩) الكافي : ج ٦ ص ٤٣٩ . (١٠) الكافي : ج ٦ ص ٤٤١ . (١١) الكافي : ج ٦ ص ٤٤٤ .

والرابعة تطهير السر مما سوى الله جلّ وعلا وهي طهارة الأنبياء والصّديقين ، والطهارة في كلّ مرتبة نصف العمل الذي فيها .

وهذه مقامات الايمان ، ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة ، فلا يصل إلى طهارة السرّ ممّا سوى الله وعمارته بمعرفة الله وانكشاف جلاله وعظّمته سبحانه ما لم يفرغ عن طهارة القلب من الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح من المناهي وعمارتها بالطاعات ، وكلما عزّ المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثر عقباته .

ولا تظن أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهويناء^(١) نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلاّ الدّرجة الاولى التي هي كالقشر الأخير بالاضافة إلى اللب المطلوب ، فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق .

الفصل الاول

طهارة النفس والبدن

ينبغي للعاقل أن يتذكر بتخليه لقضاء الحاجة نقصه وحاجته وما يشتمل عليه من الأقدار ، وباستراحة نفسه عند إخراجها وسكون قلبه من دنسها وصلاحتها للوقوف على بساط الخدمة ، والتأهل للمناجاة ، وهوان الدّنيا ومصير عواقب شهواتها ولذاتها ونعيمها

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « سمي المستراح مستراحا لاستراحة النفوس من أثقال النجاسات واستفراغ^(٢) الكثافات والقدر فيها .

والمؤمن يعتبر عندها أنّ الخالص من حطام الدّنيا كذلك يصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها ويتركها ، ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها وأخذها استنكافه عن النجاسة والغايط والقذر ، ويتفكر في نفسه المكرومة في حال كيف تصير ذليلة في حال ، ويعلم أن التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين فان الراحة في هوان الدنيا والفرار من التمتع بها وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة .

(١) الهويناء : التؤدة والرفق وهي تصغير الهوني والهوني تأنيث الاهون . المنجد .

(٢) الاقدار والكثافات فيها . كذا في جامع السعادات .

فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إياها ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحياء وتجتهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب وطيب النفس ، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات إلى أن يتصل بأمان الله في دار القرار ويدوق طعم رضاه فان المعول ذلك وما عداه لا شيء» (١) .

الفصل الثاني

التطيب بالسواك

عن النبي (ص) أنه قال : « إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك » (٢) وقال (ص) : « صلاة على أثر السواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك » (٣) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : قال النبي (ص) : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ، وجعلها من سنته المؤكدة وفيها منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل ، وكما تزيل ما تلوث من أسنانك من مطعمك ومأكلك بالسواك ، كذلك فأزل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار بالاسحار ، وطهر باطنك وظاهره من كدورات المخالفات ، وركوب المناهي كلها خالصاً لله ، فان النبي (ص) أراد باستعماله مثلاً لأهل اليقظة وهو .

أن السواك نبات لطيف نظيف وغصن شجر عذب مبارك ، والأسنان خلق خلقه الله تعالى آلة وأداة للمضغ وسبباً لاشتھاء الطعام وإصلاح المعدة ، وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام ويتغير بها رائحة الفم ويتولد منها الفساد في الدماغ فاذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ومسحها على الجوهرة الصافية أزال عنها الفساد والتغيير ، وعادت إلى أصلها .

كذلك خلق الله القلب طاهراً صافياً وجعل غذاءه الذكر والفكر والهيبة والتعظيم وإذا شيباً (٤) القلب الصافي معدلته بالغفلة والكدر ، صقل بمصقلة التوبة ونظف بماء الانابة ليعود إلى حالته الاولى وجوهرته الأصلية الصافية قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٥) وان النبي (ص) أمرنا باستواك ظاهر الأسنان وأراد بهذا المعنى المثل ومن أناخ

(١) مصباح الشريعة : ص ١٢٦ .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٣٢ وعن اعلام الوری للدليمي كما عن البحار : ج ٧٧ ص ٣٤٤

(٣) اعلام الوری للدليمي : كما عن البحار ج ٧٧ ص ٣٤٤ .

(٤) الشوب بالفتح : الخلط وقد تقدم وشيب على صيغة المجهول . (٥) سورة البقرة : آية ٢٢٢ .

تفكره على باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الأصل والفرع فتح الله له غيوب الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع أجر المحسنين» (١).

الفصل الثالث

الوضوء للطهارة

قال النبي (ص): « من توضأ فذكر اسم الله طهر جميع جسده وكان الوضوء إلى الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب ، ومن لم يسم لم يطهر من جسده إلا ما أصابه الماء » (٢).

وقال الصادق (ع): « من ذكر اسم الله على وضوئه فكأنما اغتسل » (٣).

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع): « إذا أردت الطهارة الوضوء فتقدم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله ، فان الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ، ودليلاً إلى بساط خدمته ، وكما أن رحمته تطهر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غيره ، قال الله تعالى : ﴿ وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ﴾ (٤) وقال عز وجل : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ (٥) فكما أحى به كل شيء من نعيم الدنيا كذلك بفضلِهِ ورحمته حياة القلوب بالطاعات .

وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء وفي كل شيء ، واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وأت بآدابها فريضه وسننه ، فان تحت كل واحد منها فوائد كثيرة إذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب .

ثم عاش خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالأشياء تؤدي كل شيء حقه ولا يتغير عن معناه معتبراً لقول رسول الله (ص) : مثل المؤمن الخاص كمثل الماء ، ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسماه طهوراً ، وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء » (٦).

قال الرضا (ع): « انما امر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته

(١) مصباح الشريعة ص ١٢٣ . (٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣١ .

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣١ .

(٤) سورة الفرقان : آية ٤٨ . (٥) سورة الانبياء : آية ٣٠ . (٦) مصباح الشريعة ص ١٢٨ .

إياه مطيعاً له فيما أمره نقيّاً من الأذناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس^(١) وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار .

وإنما وجب على الوجه واليدين والرأس والرّجلين لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما يوجب فيه الوضوء ، وذلك انه بوجهه يسجد ويخضع ، وبیده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل ، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده ، وبرجليه يقوم ويقعد وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء ، لأن الجنابة من نفس الانسان وهو شيء يخرج من جميع جسده ؛ والخلاء ليس هو من نفس الانسان إنما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب^(٢) .

وفي رواية اخرى عنه (ع) : « وعلّة التحفيف في البول والغايط أنه أكثر وأدوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرة ومشقته ومجيئه بغير ارادة منه ولا شهوة ، ، والجنابة لا يكون إلا بالاستلذاذ منهم والاكراه لأنفسهم^(٣) .

قال بعض أصحابنا ما ملخصه : إنّ الدنيا والآخرة ضرّتان^(٤) ، كلما قربت من إحداها بعدت عن الأخرى ، فلذلك امر العبد بتطهير الأعضاء الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والاقبال عليه ، فامر في الوضوء بغسل الوجه الذي فيه أكثر الحواس الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدنيا ليتوجّه ويقبل بوجه القلب على الله وهو خال من تلك الأذناس^(٥) .

ثمّ امر بغسل اليدين لمباشرتهما أكثر الامور الدنيوية والمشتهيات الطبيعية المانعة من الاقبال على الآخرة ، ثمّ بمسح الرّجلين لأن بهما يتوصّل إلى مطالبه ويتوصّل إلى تحصيل مآربه ، فيطهرها جميعاً ليسوغ له الدخول بها في العبادة والاقبال عليها .

وامر في الغسل بغسل جميع البشرة لأن أدنى حالات الانسان وأشدّها تعلقاً بالملكات الشهوية حالة السواقع وموجبات الغسل ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال

(١) النعاس بالضم : الوسن واول النوم وهي ریح لطيفة تأتي من قبل الدماغ تغطي العين ولا تصل الى القلب فاذا وصلت اليه كان نوماً .

(٢) عيون اخبار الرضا : ج ٢ ص ٨٧ الباب ٣٣ .

(٣) عيون اخبار الرضا : ج ٢ ص ١٠٢ الباب ٣٤ .

(٤) ضرة المرأة امرأة زوجها وهما ضرّتان والجمع الضرائر ، وفي حديث الرسول (ص) مع خديجة فاذا قدمت على ضرائك فاقرئهن عنا السلام . (٥) الدنس : الوسخ .

رسول الله (ص): « تحت كل شعرة جنابة » (١) . فحيث كان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العلية منغمساً في اللذات الدنية كان غسله أجمع من أهم المطالب الشرعية ليتأهل لمقابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادة المنيفة .

وامر في التيمم بمسح الأعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء وضعاً لتلك الأعضاء الرئيسة وهضماً لها بتلقيها بأثر التربة الخسيسة .

قال : ولما كان للقلب من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من درك الفضائل أولى من تطهير الأعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل ، وإذا لم يمكن تطهيره من الاخلاق الرذيلة وتخليته بالاوصاف الجميلة فليقمه مقام الهضم والارزاء (٢) ويسقه بسياط الذل والاغضاء (٣) ، عسى أن يطلع عليه مولاه الرحيم وسيده الكريم ، وهو منكسر متواضع فيهبه نفحة (٤) من نفحات نوره اللامع ، فإنه عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الأثر ، فترق من هذه الاشارات الى ما يوجب لك الاقبال وتلافي سالف الأعمال « الاهمال خ » .

الفصل الرابع

طهارة البدن عبرة لطهارة النفس

قال أمير المؤمنين (ع) : « نعم البيت الحمام يذكر فيه النار ويذهب بالذنن » (٥) .

وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظاته فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة فان نظر إلى ظلمة تذكر ظلمة اللحد ، وإن نظر إلى حية تذكر أفاعي جهنم ، وإن سمع صوتاً هايلاً تذكر نفخة الصور ،

(١) سنن ابي داود ج ١ ص ٦٥ .

(٢) في النسخة المطبوعة تقديم المهمل على المعجمة فعليه يكون من الرزء بمعنى النقص وفي النسختين المخطوطتين تقديم المعجمة على المهمل فيكون من زرى عليه زرياً من باب رمى صابه واستهزأ به .

(٣) يسقه من السوق وهو حث الماشية على السير والسوط ما يضرب به من جلد مضمفور أو نحوه والجمع سياط والاغضاء التغافل عن الشيء وادناء الجفون بعضها من بعض ، وأغضى على الامر سكت وصبر .

(٤) النفحة الدفعة من الشيء دون معظمه . (٥) الكافي ج ٦ ص ٤٩٦ مكارم الاخلاق ص ٥٣ من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٦٣ .

وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة ، وإن سمع كلمة ردّ أو قبول تذكر ما ينكشف له في آخر أمره بعد الحساب من الرّد والقبول ، إلى غير ذلك .

والحمام أشبه شيء بجهنم : النار من تحت ، والظلام من فوق ، فينبغي أن يتذكر حرّ النار بحرارته ويقدر نفسه محبوباً في البيت الحار ساعة ويقبسه إلى جهنم ويستعيذ بالله منها قال الصادق (ع) : « فإذا دخلت البيت الثالث فقل : نعوذ بالله من النار ونسأله الجنة ؛ ترددها إلى وقت خروجك من البيت الحار »^(١) .

الباب الثالث

في الصلاة والذكر

في الصّلاة والذكر ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿والذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(٢) وقال : ﴿فويل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾^(٣) ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلّين لا لأنهم سهوا عنها وتركوها ، وقال سبحانه : ﴿أقم الصّلاة لذكري﴾^(٤) وقال : ﴿ولا تكن من الغافلين﴾^(٥) وقال : ﴿لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾^(٦) فيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة .

وقال النبيّ (ص) : « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدّنيا غفر له ما تقدم من ذنبه »^(٧) .

وقال : « إنما الصّلاة تمسكن^(٨) وتواضع وتضرع وتياس (تباس خ ل) وتندم وتقنع تمدّ يديك وتقول : اللهم ، فمن لم يفعل فهي خداج^(٩) »^(١٠) .

وقال : « إذا صليت صلاة فريضة فصل لوقتها صلاة مودّع تخاف أن لا تعود فيها وقال (ص) : لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه »^(١١) .

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٦٢ ومكارم الاخلاق ص ٥٢ . (٢) سورة المؤمنون : الآية ٢

(٣) سورة الماعون : الآية ٥ . (٤) سورة طه : الآية ١٤ . (٥) سورة الاعراف : آية ٢٠٥ . (٦) سورة النساء : آية ٤٣ . (٧) العوالي : ج ١ ص ٣٢٢ واحياء علوم الدين : ج ٥ ص ١٧١ . (٨) تمسكن : خضع وأخبت م .

(٩) اي نقصان يقال : خدجت الدابة : القت ولدها ناقص الخلق او قبل تمام الايام .

(١٠) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٥ وج ٥ ص ١٧١ (١١) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٥

وعن الصادق (ع): «من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذبه ، ومن قبل منه حسنة لم يعذبه» (١).

وروى أن إبراهيم الخليل «كان يسمع تأوّه على حدّ ميل ، وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز المرجل (٢) ، وكذلك كان يسمع من صدر سيّدنا رسول الله (ص) مثل ذلك» (٣).

وقال بعض أزواجه كان النبيّ (ص) «يحدّثنا ونحدّثه فإذا حضرت الصلّاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه» (٤) وكان أمير المؤمنين (ع) «إذا أخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله» (٥) ، وكان (ع): «إذا حضر وقت للصلّاة يتزلزل ويتلون فليل له ما لك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السّموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها» (٦).

وكانت فاطمة (ع) «تنهج (٧) في الصلّاة من خيفة الله» (٨) وكان الحسن (ع) «إذا فرغ من وضوئه تغيّر لونه فقيل له في ذلك ، فقال : حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيّر لونه ، وروى مثل هذا عن السّجاد (ع)» (٩).

وعنه (ع) «انه كان إذا توضّأ اصفرّ لونه فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم» (١٠) قيل ورأيت (ع) «يصلّي فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته فسألته عن ذلك ، فقال : ويحك أتدري بين يدي من كنت إن العبد لا يقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها ، فقلت : جعلت فداك هلكننا ، قال : كلا إن الله يتم ذلك بالنوافل» (١١).

وعن الصادق (ع) قال : كان عليّ بن الحسين (ع) «إذا قام إلى الصلّاة تغيّر لونه ، وإذا

(١) الكافي : ج ٣ ص ٢٦٦ .

(٢) الأزيز صوت الرعد وصوت غليان القدر ، والمرجل قدر من نحاس أو من حجر .

(٣) عدة الداعي : ص ١٥١ .

(٤) أحياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٥ و ١٤٦ وعدة الداعي : ص ١٥٢ .

(٥) عدة الداعي : ص ١٥١ . (٦) أحياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٦ وفي بيان التنزيل كما عن

البحار : ج ٨١ ص ٢٥٦ .

(٧) النهج محرّكة تتابع النفس . (٨) عدة الداعي : ص ١٥١ . (٩) عدة الداعي : ص ١٥١ .

(١٠) أحياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٦ ومثله في اعلام الورى ص ٢٥٥ عن علي بن الحسين (ع) إذا

توضّأ اصفرّ لونه فقيل له : ما هذا الذي يغشاك ؟ فقال : اتدري لمن أتأهب للقيام بين يديه .

(١١) العلل : ص ٢٣٢ وانظر البحار ج ٨١ ص ٢٣٧ .

سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرفاً»^(١).

وعنه (ع) : « كان أبي يقول : كان عليّ بن الحسين (ع) إذا قام إلى الصلّاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه إلا ما حركت الريح منه »^(٢).

وعنه (ع) : « انه سئل عن حال لحقته في الصلّاة حتّى خرّ مغشياً عليه ، فلمّا أفاق قيل له في ذلك ، فقال : ما زلت اردّد هذه الآية على قلبي حتّى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته »^(٣) ، قيل : وكان لسان الامام (ع) في تلك الحال كشجرة طور حين قالت إني أنا الله

وعنه (ع) : « لا يجتمع الرّغبة والرّهبة في قلب إلا وجبت له الجنّة ، فاذا صليت فأقبل بوجهك على الله عزّ وجلّ فانه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلاته ودعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيّده مع مودّتهم إياه بالجنّة »^(٤).

وعن الباقر (ع) قال : « إن العبد ليرفع له من صلاته نصفها وثلثها وربعها وخمسها فما يرفع له إلا ما أقبل عليها بقلبه وإنما امرؤ بالنّوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة »^(٥).

الفصل الاول

الخشوع في الصلّاة

أن قيل : المستفاد من هذه الآيات والأخبار ان صلاة من يغفل عما يقول فيها ويفعل ليست مقبولة إلا بقدر ما أقبل عليه منها ، والفقهاء لم يشترطوا إلاّ حضور القلب إلاّ عند التكبير والتوجّه فكيف التوفيق ؟ وأيضاً فإن المصلي في صلاته ودعائه مناج ربّه كما هو معلوم ، وقد ورد في الخبر أيضاً .

ولاشكّ أن الكلام مع الغفلة ليس بمناجاة الكلام إعراب عمّا في الضمير ولا يصح الإعراب عمّا في الضمير إلاّ بحضور القلب فأبي سؤال في قوله : إهدنا الصّراط المستقيم إذا كان القلب غافلاً !

(١) الكافي : ج ٣ ص ٣٠٠ وفلاح السائل ص ١١٧ .

(٢) الكافي : ج ٣ ص ٣٠٠ وفلاح السائل ص ١٦١ .

(٣) فلاح السائل : ص ١٠٧ . (٤) عن أسرار الصلّاة كما عن البحارج ٨١ ص ٢٦٠ .

(٥) الكافي : ج ٣ ص ٣٦٣ وعلل الشرائع ص ٣٢٨ .

فلا شك أن المقصود من القراءة والأذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه ، فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصفيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بها ، هذا حكم القراءة والذكر .

وأما الركوع والسجود فالمقصود التعظيم بهما قطعاً والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ، ثم يجعل عماد الدين والفصل بين الكفر والاسلام ، ويقدم على سائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص .

فاعلم^(١) أن بين القبول والاجزاء فرقا ، فان المقبول من العبادة ما يترتب عليه الثواب في الآخرة ويقرب إلى الله زلفى^(٢) والاجزاء ما يسقط التكليف عن العبد وإن لم يشب عليه ، والناس مختلفون في تحمل التكليف ، فالتكليف إنما هو بقدر حوصلة الخلق وقابليتهم في سعتهم وقصورهم ، فلا يمكن أن يشترط عليهم جميعاً إحضار القلب في جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين .

وإذا لم يكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة ، وأولى اللحظات به لحظة التكبير والتوجه فاقصر على التكليف بذلك ، ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية ، فانه على الجملة أقدر على الفعل ظاهراً وأحضر القلب لحظة ، وكيف لا والذي صلى مع الحديث ناسياً صلاته باطلة عند الله ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره .

وقد ذكرنا في باب العقائد في الفرق بين العلم الظاهر والباطن أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع .

وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير ، فالنقصان منه هلاك ويقدر الزيادة عليه ينبسط الروح في أجزاء الصلاة وكم من حي لا

(١) جواب قوله : ان قيل : المستفاد (الخ) .

(٢) الزلفة والزلفى : القريب والمنزلة وقد سبق ، ومنه قوله تعالى : وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقرّبكم

عندنا زلفى م .

حرك به قريب من الميت فصلاة الغافل في جميعها إلا عند التكبير حي لا حراك به .

الفصل الثاني

ست جمل تتم بها حياة الصلاة

اعلم أن المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة يجمعها ست جمل^(١) وهي حضور القلب ، والتفهم ، والتعظيم ، والهيئة ، والرّجاء والحياء .

فالأول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عنه فقد حصل حضور القلب .

ثمّ التفهم لمعنى الكلام ، وهو أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ فاشتغال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردنا بالتفهم ، وهذا مقام يتفاوت فيه الناس ، إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسيّحات ، وكمن معان لطيفة يفهمها المصلّي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ، فانها تفهم اموراً تلك الامور تمنع عن الفحشاء والمنكر لا محالة .

ثمّ التعظيم وهو أمر وراء حضور القلب والتفهم ، إذا الرّجل ربّما يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه وهو متفهم لمعناه ، ولا يكون معظماً له .

ثمّ الهيئة وهي زيادة على التعظيم إذ هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هايباً ، ثمّ كلّ خوف لا يسمى مهابة بل الهيئة خوف مصدرها الاجلال .

ثمّ الرجاء فالعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله .

ثمّ الحياء ومستنده استشعار بتقصير وتوهم ذنب ولذا ذكر أسباب هذه المعاني الستة .

(١) وفي جامع السعادات جعلها سبعة بزيادة الاخلاص والقربة وخلوها عن شوائب الرياء وكان المصنف (قد) اكتفى هنا بما ذكره فيما سبق .

فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر القلب إلا فيما يهتَمُّك ، ومهما أهَمَّك أمر حضر القلب شاء أم أبى ، فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعللاً بل كان حاضراً فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا ، فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب إلا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة لا ينصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها ، وذلك هو الايمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأن الصلاة وسيلة إليه فاذا اضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهامتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصلاة .

وأما التفهم فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لرفع الخواطر الشاغلة ، وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعني النزوع^(١) عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها ، وما لم ينقطع تلك المواد لا ينصرف عنها الخواطر ، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره ، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ، ولذلك ترى من أحب غير الله لا يصفوه عن الخواطر .

وأما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين : احدهما معرفة جلال الله وعظمته وهي من اصول الايمان ، فان من لا يعتقد عظمته لا تدعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوباً حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله ، فيعبر عنه بالتعظيم ، وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلاله الرب لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع ، فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ، ولا يسكون الخشوع والتعظيم حاله ، لأن قرينته الاخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه .

وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس يتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذه مشيته فيه ، ومع قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة ، هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع ، وبالجمله كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة .

وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في

(١) نزع الشيء من مكانه : قلعه ، نزع نزوعاً عن كذا : كف وانتهى عنه .

وعده الجنة بالصلاة ، فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة .

وأما الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوي ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتنا وقلة إخلاصها وخبث دخلتها^(١) وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعاله مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله ، والعلم بأنه مطلع على السريرة وخطرات القلب وإن دقت وخفيت ، وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث فيها بالضرورة حالة تسمى الحياء .

الفصل الثالث

احضار القلب في الصلاة

اعلم أن المؤمن لا بد وأن يكون معظماً لله وخائفاً منه وراجياً ومستحيماً من تقصيره فلا ينفك من هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه ، فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبية القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهي عن الصلاة إلا الخواطر الرديئة الشاغلة .

فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ، ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه وسبب توارد الخاطر إما أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطنياً أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف^(٢) الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه ؛ ثم ينجر منه الفكر إلى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سبباً للافتكار ثم يصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض ومن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرغ به فكره .

فعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يفيض بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة ، ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون أجمع للهيم والأقوياء كانوا يحضرون المساجد ويفضون البصر ولا يجاوزونه موضع السجود كما ورد الأمر به ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم .

(١) الدخول يضم الدال فالسكون : ما يدخل على الانسان من عقاره وتجارته ؛ وفي الكنز باطن جيزي ، وبالتحريك العيب والفسق والفساد . م .

(٢) خطف الشيء استلبه بسرعة . المنجد .

وأما الأسباب الباطنة فهي أشدّ فإن من تشعبت الهموم به في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل .

فهذا طريقه أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعدّ له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهّمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره ، فهذا طريق تسكين الافكار .

فان كان لا تسكن أفكاره بهذا الدواء فلا ينجيّه إلا المسهل الذي يجمع^(١) مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك في أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمّة بشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلايق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضدّ دينه وجند ابليس عدوّه ، فامسكه أضرب عليه من إخراجها فيتخلص عنه باخراجه ولا يغني غير ذلك ، فانّ ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرّد إلى فهم الذكر إنما ينفع في الشهوات الضعيفة والهم التي لا تشتغل إلا حواشي القلب .

فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا يزال تجاذبها وتجادبك ثم تغلبك وينقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة .

ومثاله مثال رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطردها (يطيرها خ ل) بخشبة هي في يده ويعود إلى فكره فيعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة فليل له إن هذا سير السّواني ولا ينقطع فان أردت الخلاص فاقطع الشجرة .

فكذلك شجرة الشهوة إذا استعلت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الاقذار ، والشغل يطول في دفعها فانّ الذباب كلما ذبّ أب^(٢) ، ولأجله سمّي ذبابا ، فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة قلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حبّ الدنيا ، وذلك رأس كلّ خطيئة وأساس كل نقصان ومنع كل فساد .

ومن انطوى باطنه على حبّ الدّنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزوّد منها ويستعين بها

(١) قمعه كمنعه : قهره وذلك ق . (٢) الذب : الطرد ، والاب : الرجوع .

على الآخرة فلا يطمعن في أن يصفوه له لذة المناجاة في الصلاة ، فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرّجل مع قرّة عينه فان كانت قرّة عينه في الدنيا انصرف لا مخالّة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة وردّ القلب إلى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة .

فهذا هو الدّواء ولمراته استصعبه الطّبايع (استبشعه الطّبايع خ ل) وبقيت العلة مزمنة وصار الدّاء عضالاً^(١) حتى أن الأكابر اجتهدوا أن يصلّوا ركعتين لا يحدثون أنفسهم فيهما بامور الدنيا ، فعجزوا عنه فاذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا من الصّلاة شطرها أو ثلثها عن الوسواس لتكون ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وعلى الجملة فهمة الدّنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح فيه خلّ فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه الخل لا محالة ولا يجتمعان .

الفصل الرابع

فيما يجب ان تشعر به عند الاذان

إذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول نداء يوم القيامة وتشمّر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة ، فان المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر .

فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوّاً بالفرح والاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء .

ولذلك قال النبيّ (ص) : « أرحنا يا بلال أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كانت قرّة عينه فيها^(٢) » وأعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله ، واعتبر بذلك أن الله جلّ جلاله هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن ، ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير واستحقر الدنيا وما فيها لثلاث تكون كاذباً في تكبيرك .

وانف^(٤) عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل واحضر النبيّ (ص) وتأدّب بين يديه واشهد له بالرسالة مخلصاً وصلّى عليه وآله وحرك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء إلى

(١) عضل به الامر اشتد . المنجد . والداء العضال : المرض الصعب الشديد الذي يعجز عنه الطبيب

(٢) إشارة الى ما ورد عنه (ص) جعلت قرّة عيني في الصلاة . (٣) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) انف انفا من العار : ترفع وتنزه عنه ، وفي الحديث سألته عن سبحان الله ، فقال : انفة .

الصلاة وما يوجب الفلاح وما هو خير الأعمال وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه واختمه بذلك كما افتتحت به واجعل مبدأك منه وعودك إليه وقوامك به واعتمادك على حوله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

الفصل الخامس

فيما يجب ان تشعر به عند الوضوء والطهارة

إذا أتيت بالطهارة في مكانك وهو ظرفك الأبع ، ثم في ثيابك وهو غلافك الأقرب ، ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك ، فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فإنه موقع نظر معبودك .

قال الصادق (ع) : « وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء » (١) وقد مضى تمام الخبر في باب الطهارة ، ثم إذا سترت معائب بدنك عن ابصار الخلق باللباس فاحضر ببالك فضائح سرّك التي لا يطلع عليها إلا ربّك ، وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يسترها عن عين الله ساتر ، وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانها فتدّل به نفسك وتستكين تحت الخجلة وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الابق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « ازين اللباس للمؤمن لباس التقوى وأنعمه الايمان قال الله تعالى : ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ (٢) .

وأما اللباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم وهي كرامة أكرم الله بها عباده ذرية بني آدم ما لم يكرم بها غيرهم ، وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله بل يقربك من شكره وذكوره وطاعته ، ولا يحملك إلى العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء (٣) ، فإنها من آفات الدّين ومورثة القسوة في القلب .

وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما ألبست ظاهرك بثوبك ، وليكن باطنك في ستر الرّهبة وظاهره في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عزّ وجلّ

(١) مصباح الشريعة : ص ١٢٩ . (٢) سورة الاعراف : آية ٢٦ .

(٣) الخيلاء : العجب والكبر المنجد وفي الحديث لا يدخل الجنة شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء م .

حيث خلق أسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة ، وفتح أبواب التوبة والانابة لتستر بها عورات الباطن من الذنوب وأخلاق السوء ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه .

واشغل بغيب نفسك واصفح عمّا لا يعينك حاله وأمره ، واحذر أن يفنى عمرك بعمل غيرك ويتجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك ، فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل ، وأوفر أسباب العقوبة في الاجل .

وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين^(١) في دين الله فهو بمعزل من الآفات خائض في بحر رحمة الله ، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان وما دام ناسياً لذنوبه جاهلاً بعيوبه راجعاً إلى حوله وقوته لا يفlech إذاً أبداً^(٢) .

الفصل السادس

فيما يجب ان تشعر به عند دخول المسجد

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع): «إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت ملكاً عظيماً لا يطأ بساطه إلا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته إلا الصديقون وهب القدم إلى بساط خدمته هية الملك ، فانك على خطر عظيم إن غفلت واعلم أنه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك .

فان عطف عليك بفضلته ورحمته قبل منك يسير الطاعة وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً وإن طالبك باستحقاقه الصدق والاخلاص عدلاً بك حجبتك وردّ طاعتك وإن كثرت ، وهو فعال لما يريد ، واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرتك بين يديه ، فانك قد توجّهت للعبادة له والموانسة به واعرض أسرارك عليه ولتعلم أنه لا يخفى عليه أسرار الخلاق أجمعين وعلانيتهم وكن كافقر عباده بين يديه واخمل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل إلا الاطهر والاخلاص فانظر من أي ديوان يخرج اسمك فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذيد مخاطباته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك وإجاباته وقد صلحت لخدمته ، فادخل فلك الاذن والأمان ، وإلا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه العمل وقضى الاجل .

• وإذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر اليك بعين الرأفة والرحمة والعطف ووفقك لما يحبّ ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين إليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته ، قال الله تعالى : ﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾^(٣) ،^(٤) .

(١) شأنه شيئا من باب باع : عابه . (٢) مصباح الشريعة ص ١٣٠ .

(٣) سورة النمل : آية ٦٢ . (٤) مصباح الشريعة ص ١٣٠ .

الفصل السابع

في الاستقبال في الصلاة

وأما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن ساير الجهات إلى جهة بيت الله أفترى أن صرف القلب من ساير الامور إلى أمر الله ليس مطلوباً منك؟ هيهات فلا مطلوب سواه وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب، فانها إذا بغت وظلمت في حركاتها إلى جهاتها استتبع القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك .

واعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلا بالتفرغ عما سواه .

وقد قال النبي (ص): « إذا قام العبد إلى صلاته وكان هواه وقلبه إلى الله انصرف كيوم ولدته أمه »^(١) .

وقال (ص): « أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار »^(٢) وهذا نهي عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حالة الصلاة فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك أن يدوم تلك الغفلة عليه فتتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلّة عقله للامور العلوية وعدم فهمه للعلوم الظاهرة .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع): « إذا استقبلت القبلة فائس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعائين بسرك عظيمة الله ، واذكر وقوفك بين يديه «هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق»^(٣) ، وقف على قدم الخوف والرجاء »^(٤) .

(١) عن كتاب اسرار الصلاة للشهيد الثاني كما في البحار : ج ٨١ ص ٢٦١ .

(٢) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٣ وعن كتاب اسرار الصلاة للشهيد الثاني كما عن البحار : ج ٨١ ص ٢٥٩ .

(٣) سورة يونس : آية ٣٠ . (٤) مصباح الشريعة : ص ٨٧ .

الفصل الثامن

القيام في الصلاة

وأما القيام فهو مثول^(١) بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك متطرقاً مطاطماً متنكساً وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن التراس والتكبر .

وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع عند التعرض للسؤال ، واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله وهو مطلع عليك ، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله ، بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالية من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب أن يعرفك بالصلاح ، فانه تهدأ^(٢) عند ذلك أطرافك ، وتخضع جوارحك ويسكن جميع أجزاءك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع .

وإذا احسست من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها : إنك تدعين معرفة الله وجهه أفلا تستحيين من اجترائك عليه مع توكيرك عبداً من عباده ، أو تخشين الناس ولا تخشيه ؟ وهو أحق أن يخشى .

سئل النبي (ص) كيف الحياء من الله ؟ فقال : « تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من أهلك »^(٣) .

الفصل التاسع

التكبير في الصلاة

إذا توجهت بالتكبيرات فاستحضر عظمة الله سبحانه وصغر نفسك وخسة عبادتك في جنب عظمته وانحطاط همتك عن القيام بوظائف خدمته واستتمام حقايق عبادته .

(١) مثل مثولاً بين يدي فلان : قام منتصباً .

(٢) هداً هدهاً وهدهاً : سكن ، يكون في سكون الحركة والصوت وغيرهما .

(٣) احياء علوم الدين : ج ١١ ص ١٤٩ .

وتفكر عند قولك . اللهم أنت الملك الحق في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه على جميع العوالم ، ثم ارجع إلى نفسك بالذلل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند قولك : عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

واحضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة ، ومثل نفسك بين يديه وانه قريب منك يجب دعوة الداعي إذا دعاه ويسمع نداءه وأن بيده خير الدنيا والآخرة لا بيد غيره عند قولك : لبيك وسعديك والخير في يديك .

ونزهه من الظلم والشر وأبدله بهما محض الهداية والارشاد عند قولك : والشر ليس إليك والمهدي من هديت .

واعترف بالعبودية وأن قوام وجودك وبدءه ومعاده منه بقولك : عبدك وابن عبدك منك وبك ولك وإليك اي منك وجوده وبك قوامه ولك ملكه وإليك معاده ، وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده ، فاحضر في ذهنك هذه الحقايق وترق منها إلى ما يفتح عليك من الاسرار والدقايق وتلق الفيض من العالم الأعلى .

الفصل العاشر

النية في الصلاة

وأما النية فاعزم على إجابة الله تعالى في امثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنة بأذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك .

وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي ، وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائضك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف .

وأما التكبير فمعناه أن الله سبحانه أكبر من كل شيء أو أكبر من أن يوصف أو أن يدرك بالحواس أو يقاس بالناس ، فاذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذب قلبك وإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله تعالى فالله يشهد أنك كاذب وإن كان الكلام صدقاً كما شهد على المنافقين في قولهم : إن النبي (ص) رسول الله .

فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله وأنت أطوع له منك لله فقد اتخذته إلهك وكبرته

هبوشك أن يكون الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب من مشاهدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « إذا كبرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبرياته فان الله تعالى إذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال : يا كاذب أتخدعني ؟ وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري ولأحجبتك عن قربي والمسرة بمناجاتي » (١) .

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسروراً بمناجاته ملتذا بمخاطباته فاعلم أنه قد صدقك في تكبيرك ، وإلا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة أنه دليل على تكذيب الله لك وطردك عن بابه .

الفصل الحادي عشر

دعاء الاستفتاح للصلاة

وأما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك : وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفا مسلماً (٢) ، وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك إنما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه وتعالى مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وإنما وجه القلب هو الذي يتوجه به إلى فاطر السماوات والارض فانظر إليه أمتوجه هو إلى امانيه وهممه في البيت والسوق ويتبع الشهوات ، ام مقبل على فاطر السماوات والارض .

وإياك وأن يكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق (٣) ولن ينصرف الوجه إلى الله إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صدقا .

وإذا قلت : حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم يكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق

(١) مصباح الشريعة ص ٨٧ .

(٢) الحنف : الميل والحنيف : المسلم المائل الى الدين المستقيم والجمع حنفاء ، م .

(٣) الاختلاف الكذب المخترع ، ومنه قوله تعالى ان هذا الا اختلاق . م .

من الاحوال .

وإذا قلت : وما أنا من المشركين ، فاحظر ببالك الشرك الخفي فإنه قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ (١) نزل فيمن قصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن منفيًا عن هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه .

وإذا قلت : محيائي ومماتي لله ، فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود بسيدته وأن إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ، ورهبتة من الموت لامور الدنيا لم يكن ملايماً للحال .

الفصل الثاني عشر

الاستعاذة

وإذا قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فاعلم أنه عدوك ومترصّد لصرف قلبك عن الله حسداً لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها ، وأن استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله لا بمجرد قولك ، وأن من قصده سيع أو عدوً ليفترسه أو يقتله فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه أن ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلا بتبديل المكان .

فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرّحمان ، فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل من شر الشيطان وحصنه لا إله إلا الله إذ قال تعالى : لا إله إلا الله حصني .

والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فأما من اتخذ إلهه هويه (٢) فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده أن يشغلك في الصلّاة بفكرة الآخرة وتدبير فعل الخيرات

(١) سورة الكهف : آية ١١٠ .

(٢) الهوى مصدر هويه إذا أحبه واشتهاه ، ثم سمي المهوى المشتبه محموداً أو مذموماً ثم غلب على غير المحمود وقيل فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه ، سمي بذلك لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي الآخرة الى الهاوية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أفرايت من اتخذ إلهه هويه ﴾ .

لتمتنع عن فهم ما تقرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن معاني القرآن فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني .

وأما القراءة فالناس فيها ثلاثة : رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كأنه يسمعه من غيره وهو درجة أصحاب اليمين ، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ، ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون ألسنتهم ترجمان تتبع القلب .

الفصل الثالث عشر

قراءة الحمد والسورة

وإذا قلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، فانويه التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم أن معناه أن الامور كلها بالله وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى وإذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكره لا من حيث أنه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله .

فاذا قلت : الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك أنواع لطفه لتفتح لك رحمة فينبعث به رجاءك .

ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك : مالك يوم الدين ، أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له ، وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكة .

ثم جدد الاخلاص بقولك : إياك نعبد ، وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك : وإياك نستعين وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا باعانته وأن له المنة إذ وفقك لطاعته وتخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين .

ثم إذا فرغت عن التفويض بقولك بسم الله وعن التحميد وعن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل : إهدنا الصراط المستقيم ، الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيذا واستشهادا بالذي أنعم عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصائبين .

فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم بما أخبر عنه النبي (ص) «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد : الحمد لله رب العالمين ، فيقول الله : حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث» (١) .

فإن لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله تعالى جلّ جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف ما ترجوه من ثوابه وفضله .

وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السورة كما يأتي في باب تلاوة القرآن ، فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيدته ومواعظه واخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه لكل واحد حق فالرجاء حق الوعد ، والخوف حق الوعيد ، والعزم حق الامر والنهي والاعتاظ حق الموعدة ، والشكر حق ذكر المنّة ، والاعتبار حق اخبار الأنبياء .

ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها ينكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات أيضاً .

ثم تراعي الهيئة في القراءة فترتل ولا تسرد^(٢) ولا تعجل فإن ذلك أيسر للتأمل وتفارق بين نعماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتمجيد والتعظيم ، كان بعضهم إذا مر بمثل قوله تعالى : ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله﴾^(٣) يغض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القرآن : اقرء وارق فكلما قرأ آية صعد درجة .

(١) اخرج مسلم ج ٢ ص ٩ عن ابي هريرة في حديث قال : اني سمعت رسول الله (ص) يقول : قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى : حمدني عبدي ، واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى : اثنى علي عبدي ، واذا قال مالك يوم الدين ، قال مجدي عبدي واذا قال إياك نعبد وإياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل . فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل اخرج النسائي ج ٢ ص ١٣٦ .

(٢) سردت الحديث سرداً من باب قتل : اتيت به على الولاء . (٣) سورة المؤمنون : آية ٩١ .

الفصل الرابع عشر

القيام والخشوع

وأما دوام القيام فهو تنبيه على إقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور ، قال النبي (ص): «إن الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت»^(١) ، وكما يجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك يجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة ، فإن التفت إلى غيرها فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليتعود إليه .

والزم خشوع القلب فان الخلاص من الالتفات ظاهراً وباطناً ثمرة الخشوع ، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال (ص) وقد رأى مصلياً يعث بلحيته : أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ، فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك .

ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعاً ويضطرب أطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره ، وتدبر قوله تعالى : ﴿الذي يريك حين تقوم وتقبلك في الساجدين﴾^(٢) .

الفصل الخامس عشر

الركوع

وأما الركوع فينبغي أن تجدد عنده ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيراً بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه ، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك^(٣) وعلو ربك .

وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكد بالتكرار ثم ترفع عن ركوعك راجياً أنه راحم ذلك وتؤكد

(١) أخرجه ابو داود ج ١ ص ٣٠٩ وأخرجه النسائي والدارمي أيضاً كما في مشكاة المصابيح ج ١ ص

(٢) سورة الشعراء : آية ٢١٨ - ٢١٩ . (٣) اتضع : تذلل وتخضع لؤم وانحط في حسبه ، المنجد .

الرجاء في نفسك بقولك : سمع الله لمن حمده ، أي أجاب الله لمن شكره ، ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول : الحمد لله رب العالمين ، ثم تزيد في الخشوع والتذلل فتقول : أهل الكبرياء والعظمة والجلود والجبروت .

وعن أمير المؤمنين (ع) : «أنه سئل عن معنى مد العنق في الركوع فقال تأويله : آمنت بك ولو ضربت عنقي» (١) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : «لا يركع عبد الله ركوعاً على الحقيقة إلا زينّه الله بنور بهائه ، وأظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفيائه .

والركوع أول والسجود ثان فمن أتى بمعنى الأول صلح للشاني ، وفي الركوع أدب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلب متذل وجلس تحت سلطانه خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين .

وحكي أن ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركعة واحدة فإذا هو أصبح تزفر (٢) وقال : آه سبق المخلصون وقطع بنا .

واستوف ركوعك باستواء ظهره وانحط عن همتك في القيام بخدمته إلا بعونه ، وفرّ بالقلب من وساوس الشيطان وخدايعه ومكايده ، فإن الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ، ويهديهم إلى اصول التواضع والخشوع بقدر اطلاع عظمتهم على سرايرهم» (٣) .

الفصل السادس عشر

السجود

ثم تهوي إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فمكّن اعزّ أعضائك وهو الوجه من أدل الأشياء وهو التراب ، وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حاجزاً فتسجد على الأرض فافعل فانه أجلب للخشوع وأدل على الذل .

وإذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله ، فانك من التراب خلقت وإليه رددت ، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل : سبحان ربي الأعلى .

(١) علل الشرايع ص ٣٢٠ . (٢) زفر زفيراً اخرج نفسه بعد مده اياه . ق . (٣) مصباح الشريعة ص ٨٩ .

وأكدته بالتكرار ، فان المرة الواحدة ضعيفة الاثار ، فان رق قلبك وطهر لبك^(١) فليصدق رجأؤك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبراً وسائلاً حاجتك ومستغفراً من ذنوبك .

ثم اكد التواضع بالتكرار وعد إلى السجود ثانياً كذلك .

وعن أمير المؤمنين (ع) « أنه سئل ما معنى السجدة الاولى ؟ قال : تأويلها اللهم إنك منها خلقتنا ، يعني من الأرض وتأويل رفع رأسك ، ومنها أخرجتنا ، والسجدة الثانية وإليها تعيدنا ، ورفع رأسك ، ومنها تخرجنا تارة اخرى »^(٢) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « ما خسر والله من أنى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة ، وما أفلح من خلا بربه في مثل ذلك الحال تشبهاً بمخادع نفسه غافل لاه^(٣) عما اعد الله للساجدين من انس العاجل وراحة الاجل ولا بعد عن الله أبداً من أحسن تقربه في السجود ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيع حرمة بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده متواضع لله دليل علم أنه خلق من تراب تطؤه الخلق وأنه ركب من نطفة يستقذرها كل أحد .

وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسر والروح فمن قرب منه بعد من غيره ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتوازي من جميع الأشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون ، كذلك أمر الباطن فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته قال الله تعالى : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾^(٤) .

وقال رسول الله (ص) : « قال الله تعالى لا أطلع على قلب عبدي فأعلم فيه حبّ الاخلاص لطاعة وجهي وأبتغاء مرضاتي إلا توليت تقويمه وسياسته ، ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين »^(٥) .

(١) اللب بتشديد الباء الموحدة العقل ، سمي بذلك لانه نفس ما في الانسان وما عداه فكأنه قشر . م .

(٢) علل الشرائع : ص ٣٣٦ .

(٣) لاه أي ساه قال تعالى : لاهية قلوبهم ، أي ساهية غافلة مشغولة بالباطل عن الحق وتذكره .

(٤) سورة الاحزاب : آية ٤ . (٥) مصباح الشريعة : ص ٩١ .

الفصل السابع عشر

التشهد

وإذا جلست للتشهد بعد هذه الأفعال الدّقيقة والأسرار العميقة المشتملة على الأخطار الجسيمة فاستشعر الخوف التّام والرّهبة والحياء والوجل أن يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه ، فاجعل يدك صفراً^(١) من فوايدها إلّا أن يتداركك الله برحمته ويقبل عملك الناقص بفضله .

وارجع إلى مبدء الأمر وأصل الدّين واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله الذي من دخله كان آمناً إن لم يكن حصل في يدك غيره ، واشهد له بالوحدانية ، واحضر رسوله الكريم ونبيه العظيم (ص) ببالك واشهد له بالعبودية والرسالة .

وصلّ عليه وعلى آله مجدّداً عهد الله باعادة كلمتي الشهادة متعرضاً بها لتأسيس مراتب العبادة فانهما أول الوسائل وأساس الفواضل مترقباً لاجابته (ص) لك بصلاتك عشراً من صلواته إذا قمت بحقيقة صلواتك عليه التي لو وصل إليك منها واحدة أفلحت أبداً .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : «التشهد ثناء على الله فكن عبداً له في السرّ خاضعاً في الفعل كما أنك له عبد في القول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرّك ، فأنه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك ، وأن تحقق عبوديتك له ببروبيته وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته ومشيئته وهم عاجزون عن اتیان أقل شيء في مملكته إلا باذنه وإرادته»^(٢) .

قال فاستعمل العبودية في الرّضا بحكمته وبالعبادة في أداء أوامره وقد أمرك بالصّلاة على نبيه محمد (ص) فأوصل صلواته بصلاته وطاعته وبطاعته وشهادته بشهادته ، وانظر أن لا يفوتك بركات معرفة حرمة فتحرم عن فائدة صلواته .

(١) الصفر بالكسر فالسكون : الخالي ، ومنه بيت صفر اي خال من المتاع ، ورجل صفر اليدين اي ليس فيهما شيء .

(٢) مصباح الشريعة ص ٩٣ .

الفصل الثامن عشر السلام

وإذا فرغت من التشهد فاحضر نفسك بحضرة سيّد المرسلين والملائكة المقربين وبقية
أنبياء الله واثمته عليهم السلام والحفظة لك من الملائكة المحصنين لأعمالك واحضرهم جميعاً
في بالك^(١) وقل :

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور
المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين واللاعبيين وكيف تسمع الخطاب لمن لا تقصد لولا
فضل الله تعالى ورحمته الشاملة وأفته الكاملة في اجتزائه بذلك عن اصل الواجب وان كان
بعيداً عن درجات القبول منحطاً عن اوج القرب والوصول .

وإن كنت إماماً لقوم فاقصدهم بالسّلام مع من تقدّم من المقصودين وليقصّدوا هم الرد
عليك أيضاً ، ثم يقصدوا مقصدك بسلام ثان ، فاذا فعلتم ذلك فقد أديتم وظيفة السّلام
واستحققتهم من الله مزيد الاكرام .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « معنى السلام في دبر كلّ صلاة الأمان أي من
أدى أمر الله وسنة نبيه خالصاً له خاشعاً قلبه فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة .

والسلام اسم من اسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات
والانصافات وتصديق مصاحبته فيما بينهم وصحة معاشرتهم .

وإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك
أن لا تدنسها بظلمة المعاصي وليسلم حفظتك أن لا تبرمهم^(٢) وتملهم وتوحشهم منك بسوء
معاملتك معهم ثمّ صديقك ثمّ عدوك ، فان لم يسلم منه من هو الاقرب إليه فالابعد أولى ، ومن
لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا إسلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في
الخلق^(٣) .

(١) البال : القلب يقال : ما خطر الامر ببالي أي بقلبي .

(٢) برم برما مثل ضجر ضجراً وزناً ومعنى : اذا سأمه ومله ومنه حديث وصف المؤمن لا يتبرم ولا

يتسخط أي لا يسأم ولا يتضجر من أعمال الخيرم .

(٣) مصباح الشريعة ص ٩٥ .

الفصل التاسع عشر

الصلاة الخالصة من الآفات

اعلم أن تخلص الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله وإدائها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح للعلوم الباطنة .

قال الله تعالى : ﴿قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾^(١) فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة فقال في آخرها : ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾^(٢) .

ثم قال في ثمرة تلك الصفات : ﴿اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾^(٣) فوصفهم بالفلاح أولاً وبوراثة الفردوس آخراً .

وقال النبي (ص) : « إذا قام العبد المؤمن في صلاته نظر الله إليه أو قال أقبل الله عليه حتى ينصرف وأظلمت الرحمة من فوق رأسه إلى افق السماء والملائكة تحفه من حوله إلى افق السماء ووكل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول : أيها المصلي لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك أبداً »^(٤) .

الفصل العشرون

صلاة الجمعة

ويختص صلاة الجمعة باستحضار أن يومها يوم عظيم وعيد شريف خص الله به هذه الأمة وجعله وقتاً شريفاً لعباده ليقربهم فيه من جواره ويبعدهم من طرده وناره وحثهم فيه على الاقبال بصالح الأعمال وتلافي ما فرط منهم في بقية الاسبوع من الاهمال وجعل أهم ما يقع فيه من طاعته وما يوجب الزلفي لديه صلاة الجمعة وعبر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله وخصها من ساير الصلوات التي هي أفضل القربات بالذكر فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة

(١) سورة المؤمنون : آية ١ - ٢ .

(٢) سورة المؤمنون : آية ٩ . (٣) سورة المؤمنون : آية ١٠ - ١١ .

(٤) عن كتاب اسرار الصلاة كما في البحار ج ٨١ ص ٢٦٠ وحياء علوم الدين : ج ١ ص ١٥٢ .

من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴿١﴾ .

وفي هذه الآية الشريفة من التوبيهات والتأكيدات ما يتنبه له من له حظ من المعاني ومن أهم رمزها التعبير عن الصلاة بذكر الله ، فانه نبه بهذا على أن الغرض الأقصى من الصلاة ذكر الله بالقلب وإحضار عظمته بالبال فان هذا وأشباهه هو السر في كون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر .

وبهذا إنما يتم مع التوجه التام إلى الله وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الأكبر والكثير (٢) على ما ورد في بعض التفسير فضلا عن أن يكون ذكراً مطلقاً فلا جرم وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصلوات والتهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه والمشول في حضرته والفوز بمخاطبته بعد الاتيان بمقدسات الصلاة من وظائف اليرم من التنسيب والتطبيب والتعميم وحلق الرأس وقص الشارب والاطمء وغير ذلك من السنن بقلب مقبل صاف وعمل مخلص ونية خالصة كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا .

ولا تقصد بهذه الوظائف حظك من الرفاهية فتخسر صفقتك وتظهر بعد ذلك حسرتك ، وكلما أمكنك تكثير المطالب التي يترتب عليها الثواب بعلمك فاقصدها يضاعف ثواب عملك بقصدها ان أمكنك ذلك .

الفصل الحادي والعشرون

صلاة العيدين

وأما صلاة العيدين فاحضر في قلبك أنها في يوم قامة الجوائز وتفرقة الرحمة وإفاضة المواهب على من قبل صومه وقربانه ، وقام بوظايفهما فاكثرت من الخشوع في صلاتك والابتهاال (٣) إلى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول أعمالك والعفو عن تقصيرك واستشعر الحياء والخجلة من حيرة الرد وخذلان الطرد .

فليس ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد وإنما هو عيد من أمن الوعيد وسلم من النقاش والتهديد واستحق بصلح أعماله المزيد ، فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف

(١) سورة الجمعة : آية ٩ . (٢) اشارة الى قوله تعالى : واذكروا الله ذكراً كثيراً وقوله تعالى : ولذكر الله أكبر . (٣) ابتهاال الى الله : دعا وتضرع وفي الحديث : الابتهاال ان نبسط يديك وذراعيك الى السماء تجاوز بهما رأسك .

واسباب التهيؤ للاقبال بالقلب على ربك والوقوف بين يديه عسى ان تصلح للمناجاة والخضوع لديه ، ولا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله من متاع الدنيا بل بكثرة عوايد الله فيه على من عامله بمتاخر الآخرة .

الفصل الثاني والعشرون

صلاة الآيات

فأما الآيات فاستحضر عندها أهوال الآخرة وزلازلها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيامة ووجل الخلايق وخوفهم من الأخذ والنكال والعقوبة والاستيصال ، وأكثر من الدعاء والابتهاال بمزيد الخضوع والخشوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدايد ورد النور بعد الظلمة والمسامحة على الهفوة والزلة^(١) .

وتب إلى الله من ذنوبك وأحسن التوبة عسى أن ينظر اليك وأنت متكسر النفس مطرق الرأس مستحي من التقصير فتقبل توبتك ويسامح هفوتك .

قال السجاد (ع) : « لا يفزع للآيتين ولا يرهب إلا من كان من شيعتنا فاذا كان ذلك منهما فافزعوا إلى الله وراجعوه »^(٢) .

وقال الرضا (ع) : « إنما جعلت للكسوف صلاة لأنه من آيات الله تعالى لا يدري الرحمة ظهرت أم لعذاب ، فاحب النبي (ص) أن يفزع أمته إلى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرها ويقهيم مكروها كما صرف عن قوم يونس حين تضرعوا إلى الله تعالى^(٣) »^(٤) .

الفصل الثالث والعشرين

التعقيب والدعاء وآداب الداعي

ينبغي للمصلي أن يعقب فريضه بالذكر والدعاء ، فقد ورد في فضائلها ولا سيما عقيب الصلوات ما لا يحصى .

(١) زل : زلزل وسقط والزلة المرة من زل : السقطة الخطيئة والهفوة السقطة والزلة المنجد .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٣٤١ ذيل ح ١ .

(٣) قال تعالى : ﴿فلولا قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم

الى حين﴾ . يونس / ٩٨ .

(٤) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٣٤٢ ح ٥ .

أما الذكر فالنافع منه هو الذكر على الدوام او في أكثر الاوقات مع حضور القلب وهو غاية ثمرة العبادات ، وللذكر أول وآخر ، فأوله يوجب الانس والحب وآخره يوجهه الأنس والحب والمطلوب منه ذلك الانس ، فان العبد في بداية الأمر يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله تعالى فان وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور ومن أحب شيئاً أكثر ذكره ومن أكثر ذكر شيء وإن كان متكلفاً أحبّه .

ثم إذا حصل الانس بذكر الله تعالى انقطع عن غير الله ، وما سوى الله يفارقه عند الموت ولا يبقى إلا ذكر الله فان كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق ، فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عمّا به انسه .

وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته إلى ان ينزل في جوار الله وترقى من الذكر إلى اللقاء .

وأما « الدعاء فهو مخ (١) العبادة » (٢) كما ورد في الحديث النبوي (ص) ، وعن الباقر (ع) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٣) قال : هو الدعاء ، وأفضل العبادة الدعاء (٤) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (٥) قال : الأواه هو الدّعاء (٦) وسئل (ع) أيّ العبادة أفضل ؟ فقال : ما من شيء أفضل عند الله من أن يسأل ويطلب ما عنده وما من أحد أبغض إلى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده (٧) .

وقال امير المؤمنين (ع) : « أحب الأعمال إلى الله تعالى في الأرض الدعاء ، وكان (ع)

(١) المخ : خالص كل الشيء « المنجد » وفي الحديث الدعاء مخ العبادة لانه اصلها وخالصها لما فيه من امتثال امر الله تعالى يقول « ادعوني استجب لكم » ولما فيه من قطع الامل عما سواه ، ولانه اذا رأى نجاح الامور من الله تعالى قطع نظره عن سواه ودعاه لحاجته وهذا هو اصل العبادة ، ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها وهو المطلوب بالدعاء . (٢) ارشاد القلوب : ص ١٤٨ وعدة الداعي ص ٢٩ . (٣) سورة غافر : آية ٦٠ .

(٤) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٦ وعدة الداعي ص ٣٩ .

(٥) سورة التوبة : آية ١١٤ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٦ وعدة الداعي ص ٣٩ .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٦ ومكارم الاخلاق : ص ٢٦٨ وعدة الداعي ص ٣٩ .

رجلا دعاء» (١) .

وقال (ع) : « الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدعاء ما صدر عن صدر نقي وقلب تقي وفي المناجاة سبب النجاة وبالإخلاص يكون الخلاص ، فإذا اشتد الفزع فالى الله المفزع » (٢) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « احفظ أدب الدعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو ، وحقق عظمة الله وكبريائه وعين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلعه على سرِّك وما يكنّ فيه من الحقّ والباطل واعرف طريق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله بشيء فيه هلاكك وانت تظنّ أن فيه نجاتك قال الله تعالى : ﴿ويدعو الانسان بالشرّ دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا﴾ (٣) .

وتفكر ماذا تسأل ولماذا تسأل والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ وتذويب المهجة في مشاهدة الرّب وترك الاختيار جميعا وتسليم الامور كلها ظاهرها وباطنها إلى الله فان لم تات بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السرّ وأخفى فلعلك تدعوه بشيء قد علم من نيتك بخلاف ذلك .

واعلم أنه لو لم يكن أمرنا الله بالدعاء لكننا إذا أخلصنا الدعاء تفضل علينا بالاجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرايط الدعاء .

قال : فاذا اتيت بما ذكرت لك من شرايط الدعاء وأخلصت سرّك لوجهه فابشر باحدى ثلاثة : إما يعجل لك بما سألت أو يدخر لك ما هو أعظم منه ، وإما أن يصرف عنك من البلاء ما أن لو أرسله عليك لهلكت » (٤) .

وروي عن الصادق (ع) أنه قوا : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، -فنستل ما لنا ندعو ولا يستجيب لنا ؟ فقال : لأنكم تدعون من لا تعرفونه وتسالون ما لا تفهمونه » (٥) .

فلا اضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن الله من علامة الخذلان لأن من لا يعرف ذلة نفسه وقلبه وسره تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال وظن أن سؤاله دعاء ، والحكم على

(١) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٧ وانظر عدة الداعي ص ٣٩ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٨ وعدة الداعي ص ١٧٧ . (٣) سورة الاسراء الآية ١١ .

(٤) مصباح الشريعة ١٣٢ (٥) التوحيد : ص ٢٨٩ (بأدنى اختلاف) .

الباب الرابع في تلاوة القرآن

في تلاوة القرآن قال النبي (ص) : « القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأجداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة ، وفيه كمال دينكم وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار »^(٢) .

وقال النبي (ص) : « أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أسألهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي »^(٣) .

(١) ومما ينبغي لكل داع أن يراعي شرايط وأداباً في الدعاء حتى يستجيب له وهي : أن يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، وشهر رمضان من الشهور ، ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل . وأن يهتم الأحوال الشريفة ، وأن يدعو متظهاً مستقبلاً القبلة ، ويخفض الصوت بين الجهر والاضفات ، ولا يتكلف السجع ، ويكون في غاية التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال تعالى : « إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين » وأن يجزم بالدعاء ويتيقن بالاجابة ، لقول أبي عبد الله (ع) : إذا دعوت فظن أن حاجتك بالباب ، وأن يلح في الدعاء قال أبو جعفر (ع) : والله لا يلح عبد مؤمن على الله في حاجته إلا قضاها له . وأن يفتح الدعاء بذكر الله وتمجيده فلا يتدأ بالسؤال قال أبو عبد الله (ع) : إذا طلبتم الحاجة فمجدوا الله العزيز الجبار وامدحوه واثنوا عليه ، وأن يتوب ويرد مظالم العباد ويقبل على الله بكنه الهمة وهو السبب القريب للاجابة ، وأن يسمي حاجته قال الصادق (ع) : ان الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعا ولكنه يحب أن يبيث إليه الحوائج فإذا دعوت فسم حاجتك ، وأن يعم في الدعاء ويبكي عنده وهو أيضاً سيد الاداب قال أبو عبد الله (ع) : إذا اقشعر جلدك ودمعت عينك فدونك دونك فقد قصد قصدك .

والاجتماع حالة الدعاء قال أبو عبد الله (ع) : كان أبي إذا حزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا وامنوا ؛ وأن يتقدم في الدعاء قبل الحاجة إليه قال الصادق (ع) من تقدم في (باخ) الدعاء استجيب له اذا نزل البلاء وقيل : صوت معروف ولم يحجب عن السماء ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له اذا نزل به البلاء وقالت الملائكة : ان ذا الصوت لا نعرفه . وأن يكون مطعمه وملبسه من الحلال وهو أيضاً من عمدة الشرايط ، فعنهم عليهم السلام : أطب كسبك يستجاب دعوتك فان الرجل يرفع اللقمة الى فيه من حرام فما يستجاب له دعوة أربعين يوماً . وأن يفتح بالصلاة على النبي وآله (ص) ويختم بها لما ورد من أن الصلاة على محمد وآل محمد لا يحجب عن الله تعالى فان الله تعالى أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط ، وغير ذلك مما هو مذكور في مظانه .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٦٠٠ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٦٠٠ .

وقال امير المؤمنين (ع) في وصاياه لابنه محمد بن الحنفية : « عليك بتلاوة القرآن والعمل به ولزوم فريضه وشرايعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه والتهجد به وتلاوته في ليالك ونهارك فانه عهد من الله تعالى الى خلقه فهو واجب على كل مسلم أن ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين آية .

واعلم ان درجات الجنة على قدر آيات القرآن فاذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن : اقرأ وارق ، فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين أرفع درجة منه ^(١) .

وعن الباقر (ع) : « يحيى القرآن في أحسن منظور إليه صورة فيمر بالمسلمين فيقولون هذا رجل منا ، فيجاوزهم الى النبيين فيقولون هو منا فيجاوزهم الى الملائكة المقربين فيقولون هو منا حتى ينتهي الى رب العزة جل وعز فيقول : يا رب فلان بن فلان اظمأت هو اجره ^(٢) وأسهرت ليله في دار الدنيا ، وفلان بن فلان لم اظمأ هو اجره ولم اسهر ليله فيقول الله تعالى : ادخلهم الجنة منازلهم ، فيقوم ويتبعونه فيقول للمؤمن : اقرأ وارقه ، قال فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزله التي هي له فينزلها ^(٣) ، وعن النبي (ص) ما يقرب منه مع زيادات .

وعن الصادق (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « اقرأوا القرآن بالحنان العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكباير فانه سيحيى بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقبهم ، قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم ^(٤) .

وعنه (ع) « أنه سئل عن قول الله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ ^(٥) قال : قال امير المؤمنين (ع) : تبينه تبياناً ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نشر الرمل ^(٦) ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخر السورة ^(٧) وفي رواية اخرى قال : « الترتيل هو حفظ الوقوف

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٣٨٣ .

(٢) الهاجرة مؤنث الهاجر نصف النهار في القبط او من عند زوال الشمس الى العصر والجمع هاجرات وهو اجر ومنه الدعاء : اترك معذبي وقد اظمأت لك هو اجري .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٦٠١ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٦١٤ والدعوات للرواندي ص ٢٤ .

(٥) سورة المزمل : آية ٤ .

(٦) تقدم منا سابقاً نقل الحديث وشرحه عن مجمع البحرين في ص ١٣٢ لكن هناك بصيغة الجمع ، ولعله منقول بالمعنى كما هو الظاهر .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ٦١٤ ومجمع البيان : المجلد ٦ ج ٢٩ ص ٩٤ .

وبيان الحروف» (١) .

وعن الصادق (ع) : «هو أن تمكث وتحسن به صوتك» (٢) وعنه (ع) قال : «القرآن نزل بالحزن» (٣) وعن النبي (ص) «اتلوا القرآن فابكوا فان لم تبكوا فتابكوا» (٤) .

وعن الصادق (ع) قال : قال النبي (ص) : «لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن» (٥) .

وعنه (ع) قال : كان عليّ بن الحسين (ع) أحسن الناس صوتا بالقرآن ، وكان السقاؤون يمزّون فيقفون ببابه يسمعون قراءته القرآن» (٦) .

الفصل الاول

الاستعداد لقراءة القرآن والتأمل في معانيه

في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) «من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشئ حزنًا ووجلا في سره فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسرا مبينا فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء : قلب خاشع ، وبدن فارغ ، وموضع خال .

فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم قال الله تعالى : ﴿فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ (٧) فاذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوايده ، وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل عن الخلق بعد أن اتى بالخصلتين الاوليين استأنس روحه وسره بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون كراماته وبدائع اشاراته .

فاذا شرب كاسا من هذا المشرب فحيث لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على ذلك الوقت وقتا ، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة .

فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشور ولايتك وكيف تجيب أوامره ونواهيته وكيف تمثل

(١) مجمع البحرين : ج ٥ ص ٣٧٨ .

(٢) مجمع البيان : المجلد ٦ ج ٢٩ ص ٩٤ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٦١٤ .

(٤) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٤٥ وكنز العمال خ ٢٧٩٤ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٦١٥ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٦١٦ . (٧) سورة النحل : آية ٩٨ .

حدوده ، فانه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ،
فرتله ترتيلا وقف عند وعده ووعيده وتفكر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من اقامتك حروفه
في اضاعة حدوده» (١) .

الفصل الثاني

على قارىء القرآن مراعاة أمور

ينبغي لتالي القرآن من امور باطنية(٢) .

منها فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة
أفهام خلقه ، فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامه الذي هو صفة قائمة بذاته إلى
أفهام خلقه وكيف تجلّت لهم تلك الصّفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز
البشر عن الوصول الى فهم صفات الله إلا بوسيلة صفات نفسه .

ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى
ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره .

ولولا تثبيت الله موسى لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار
دكا ، وهذا كما أن الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدّواب والطيور ما يريدون من تقديمها
وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدّواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنواع عقلمهم
مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا إلى درجة تمييز البهايم واصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهايم

(١) مصباح الشريعة ص ٢٨ .

(٢) وكذا ينبغي له من امور ظاهرية .

منها افتتاح القراءة بقوله : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وان يقول عند الفراغ من
كل سورة : صدق الله العلي العظيم وبلغ رسوله الكريم اللهم افنعنا به وبارك لنا فيه والحمد لله رب
العالمين .

ومنها الوضوء والوقوف على هيئة الادب والطمأنينة اما قائماً أو جالساً مستقبلاً القبلة مطرقاً رأسه غير
متربع ولا متكئ ، والترتيل ، والبكاء ، والجهر المتوسط لو امن من الرياء وإلا فالسر افضل وتحسين
القراءة وتزيينها ومراعاة حق الآيات :

فاذا مربّياً السجود سجد ، وإذا مربّياً العذاب استعاذ منه بالله ، وإذا مربّياً الرحمة ونعيم الجنة سأل الله تعالى أن يرزقه ،
وإذا مربّياً تسبيح أو تكبير سبح وكبر ، وإذا مربّياً دعاء أو استغفار دعا واستغفر كذا في جامع السعادات .

بأصوات يضعونها لايقة بها من النقر والصفير^(١) والأصوات القريبة عن أصواتها التي تطبق حملها .

وكما أن اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الرّوح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها .

والكلام عالي المنزلة رفيع الدرّجة قاهر السّلطان نافذ الحكم في الحقّ والباطل ، وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهي ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام الشمس ، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم عين الشمس ، ولكنهم ينالون من عين الشمس ماتحيي به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط .

الفصل الثالث

التعظيم

ومنها التعظيم للمتكلم فالقارىء عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلامه غاية الخطر فانه تعالى قال : ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢) وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزّه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان منقطعاً عن كلّ رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح للمس جلد المصحف كلّ يد ، فلا يصلح لتلاوة حروفه كلّ لسان ولا لنيل معانيه كل قلب .

ومنها حضور القلب وترك حديث النفس وهذا يتولد من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلاً له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره ، وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتزهات لا يتفكر في غيرها .

ومنها التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على

(١) نقر العود أو الدف : ضربه ليصوت . نقر فلان : قرع الابهام على الوسطى وصوت . وصر صغيراً : صوت بالنفخ من شفتيه . صفر بالفرس عند وروده . دعاه ليشرب . المنجد .

(٢) سورة الواقعة : آية ٧٩ .

سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره ، والمقصود من القراءة التدبر قال الله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾^(١) ولذلك سنّ فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر تمكن من التدبر في الباطن .

قال أمير المؤمنين (ع) : « لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها »^(٢) وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بالترديد فليردّد ، وعن أبي ذر (رض) قال : « قام بنا رسول الله (ص) فقام ليلة بآية يرددها ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾^(٣) »^(٤) .

الفصل الرابع

التفهم

ومنها التفهم وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر أفعاله وذكر أحوال أنبيائه وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف اهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار .

أما صفات الله فكقوله : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾^(٥) وكقوله : ﴿ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ﴾^(٦) العزيز الجبار المتكبر ﴿^(٧) فليتأمل معاني هذه الصفات والأسماء لينكشف له أسرارها ، فتحتها معان مدفونة لا ينكشف إلا للموفقين .

وإليه أشار أمير المؤمنين (ع) بقوله : « ما أسر إليّ رسول الله (ص) شيئاً أكتمه من الناس إلا أن يؤتي الله عبداً فهما في كتابه فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم »^(٨) .

وأما أفعاله كذكره خلق السماوات والأرض وغيرهما فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله إذ الفعل يدلّ على الفاعل فيدلّ عظمته على عظمته ، فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل ، فمن عرف الحقّ رآه في كلّ شيء إذ كلّ شيء منه وإليه وبه وله ، ومن لا يراه في كلّ

(١) سورة محمد : آية ٢٤ . (٢) تحف العقول : ص ١٤٤ .

(٣) سورة المائدة : آية ١١٨ . (٤) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٤٩ . (٥) سورة الشورى : آية ١١ .

(٦) المهيمن من اسمائه تعالى معناه : القائم على خلقه بأعمالهم وأجالهم وأرزاقهم وقيل الرقيب على

كل شيء . وقيل الامين الذي لا يضيع لاحد عنده حق م .

(٧) سورة الحشر : آية ٢٣ . (٨) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٥٠ .

ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه

وأما أحوال الأنبياء ، فإذا سمع منها كيف كذبوا وضربوا وقتلوا فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرسل والمرسل إليهم وأنه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله وإرادته لنصرة الحق .

وأما أحوال المكذبين كعاد وشمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته ، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما امهل فربما يدركه النقمة وينفذ فيه القضية .

وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأن ذلك لا نهاية له وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾^(١)

الفصل الخامس

التخلي عن موانع الفهم

ومنها التخلي عن موانع الفهم فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها^(٢) الشيطان على قلوبهم ، فعمت عليهم عجائب أسرار القرآن قال النبي (ص) : « لولا أن الشياطين يحومون^(٣) على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت^(٤) ، ومعاني القرآن من جملة الملكوت لأنها إنما تدرك بنور البصيرة دون الحواس ، وحجب الفهم أربعة :

اولها أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها ؛ وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقرآن ليصرف الناس عن فهم معاني كلام الله ، ولا يزال يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه ، فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف ، فأني تنكشف له المعاني ، وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً له بمثل هذا التليس .

(١) سورة الانعام : الآية ٥٩ .

(٢) سدلت الثوب سدلاً من باب نصر اريحته وارسلته . قال في مجمع البحرين : ولا يخفى على من تدبر كتب اللغة أن اسدل لم يأت في كلامهم وإنما المستعمل سدل بدون الف حتى قال بعضهم : وأسدلته بالالف غلط .

(٣) حام الطائر حول الشيء حوماً : إذا دار . (٤) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٠٦ .

ثانيها أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قد قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده ، فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تبين مسموعه حمل عليه الشيطان التقليد حملة ، وقال كيف تخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك .

ثالثها ان يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى على الجملة بهوى في الدنيا مطاع ، فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه^(١) وهو كالخبث على المرأة .

ولذلك قال النبي (ص) : « إذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزع منها هبة الاسلام ، وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا بركة الوحي »^(٢) وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر قال : « تبصرة وذكرى لكل عبد منيب »^(٣) وقال : « وما يتذكر إلا من ينيب »^(٤) وقال : « إنما يتذكر اولو الالباب »^(٥) والذي اثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب فلذلك لا ينكشف له أسرار الكتاب .

رابعها أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي وأن من فسر القرآن برايه فقد تبوأ مقعده من النار ، وهذا لا يدري ما معنى التفسير بالرأي ولا يفهم معنى قول أمير المؤمنين (ع) : « إلا أن يؤتى الله العبد فهما في القرآن ، وأنه لو كان هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه .

الفصل السادس

التخصيص

ومنها التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه هو المأمور والمنهي ، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك ، وإن سمع قصص الأولين علم أن السمر^(٦) غير مقصود وإنما المقصود الاعتبار وأخذ ما يحتاج إليه فما من قصة في القرآن

(١) صدى الحديد صده من باب تعب اذا علاه الجرب وفي الخير : ان القلب يصدأ كما يصدأ الحديد أي يركبه الرين بمباشرة المعاصي والاثام فيذهب بجلاته . م .

(٢) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٥١ . (٣) سورة ق : آية ٨ .

(٤) سورة غافر : آية ١٣ . (٥) سورة الزمر : آية ٩ . (٦) سمر فلان اذا تحدث ليلاقوله تعالى : سامراً تهجرون اي متحدثين ليلا م .

إلا وسياقها لفائدة في حقّ النبيّ (ص) وأمتّه ولذلك قال الله تعالى : ﴿ما نثبت به فؤادك﴾^(١) .

فليقدّر العبد أن الله تعالى يثبت فؤاده بما يقصّه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله ، وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما انزل على رسول الله (ص) خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال : ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾^(٢) وقال : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾^(٣) ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾^(٤) كذلك يضرب الله للناس أمثالهم^(٥) ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾^(٦) .

وإذا قصد بالخطاب جميع الناس قصد الأحاد فهذا الواحد القاري مقصود مما له ولساير الناس فليقدّر أنه المقصود .

وقال بعض الحكماء : هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصلوات ، ونقف عليها في الخلوات ، وننفذها في الطاعات بالسّنن المتبعت .

الفصل السابع

التأثر

ومنها التّأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد ووجل يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرّجاء وغيرها .

ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا ترى ذكر المغفرة والرّحمة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى : ﴿وإني لغفار﴾^(٧) ثم اتباعه ذلك باربعة شروط ﴿لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾^(٨) .

وقوله : ﴿والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر﴾^(٩) ذكر أربع شرايط .

(١) سورة هود : آية ١٢٠ . (٢) سورة البقرة : آية ٢٣١ . (٣) سورة الأنبياء : آية ١٠ .

(٤) سورة النحل : آية ٤٤ . (٥) سورة محمد : آية ٣ . (٦) سورة آل عمران : آية ١٣٨ .

(٧) سورة طه : آية ٨٢ . (٨) سورة طه : آية ٨٢ . (٩) سورة العصر

وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال : ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن ، ولذلك قيل ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته .

فناثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة ، فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضأل^(٢) من خيفته كأنه يكاد يموت ، وعند التوسيع ووعده المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح ، وعند ذكر صفات الله تعالى وأسمائه يتطاطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته ، وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله ولداً وصاحبة يفض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالهم ، وعند وصف الجنة ينبعث باطنه شوقاً إليها ، وعند وصف النار ترتعد فرايصه خوفاً منها .

فالقرآن إنما يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به ، وإلا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ، بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله : ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً﴾^(٣) ونحشره يوم القيامة أعمى^(٤) وبقوله تعالى : ﴿كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾^(٥) أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال له إنه نسي الامر .

وتلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني ، وحظ القلب الاتعاط والتأثر بالانزجار والايتمار ، فاللسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ .

(١) سورة الاعراف : آية ٥٦ .

(٢) في حديث جبرئيل : وانه ليتضأل من خشية الله ، أي يتصاغر تواضعاً منه لله تعالى يقال تضأل الشيء إذا تقبض وانضم بعضه الى بعض . م .

(٣) الضنك: الضيق من كل شيء للمذكر والمؤنث يقال : مكان ضنك وعيشة ضنك المنجد .

(٤) سورة طه : آية ١٢٤ . (٥) سورة طه : آية ١٢٦ .

الفصل الثامن

الترقي

ومنها الترقى وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراء ثلاث أدناها أن يقدر العبد كانه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السَّؤال والتملق والتضرع والابتهاال .

ثم ان يشهد بقلبه كان ربّه يخاطبه بألطفه ويناجيه بانعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم .

ثم أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصّفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الانعام به من حيث إنه منعم عليه ، بل مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره ، وهذه درجة المقربين وما قبله من درجات أصحاب اليمين ، وما خرج عن هذا فهو من درجات الغافلين .

وعن الدرّجة العليا^(١) اخبر الصادق (ع) فقال : « والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون »^(٢) .

وقال أيضاً وقد سألوه عن حالة لحقته في الصّلاة حتى خرّ مغشياً عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال : « ما زلت اردّد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته »^(٣) وفي مثل هذه الدرّجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة .

ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنني أسمعه من رسول الله (ص) يتلوه على أصحابه ، ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأنني أسمعه من جبرئيل (ع) يلقيه على رسول الله (ص) ، ثم جاد الله تعالى بمنزلة اخرى فانا الآن أسمعه من المتكلم به ، فعندها وجدت لذة ونعيماً لا أصبر عنه .

(١) وعن هذه الدرّجة اخبر سيد الشهداء ارواحنا له الفداء حيث قال : الذي تجلّى لعباده في كتابه بل في كل شيء ، وأراهم نفسه في خطابه بل في كل نور وفيء .

(٢) نقله الشهيد في أسرار الصلاة : ص ٢٠٤ . (٣) فلاح السائل : ص ١٠٧ .

الفصل التاسع

التبري

ومنها التبري وأعني به أن يتبرى عن حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك ، بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوق أن يلحقه الله بهم ، وإذا تلا آية المقت وذم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا وإشفاقا .

وإلى هذا أشار أمير المؤمنين (ع) في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله : « وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أنّ زفير جهنّم في آذانهم »^(١) .

فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه إلى درجة اخرى في القرب وراها ومن شهد القرب في البعد مكربه بالأمن الذي يفضيه إلى درجة اخرى في البعد أسفل مما هو فيه .

ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوباً بنفسه وإذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد إلا الله في قراءته انكشف له الملكوت بحسب أحواله ، فحيث يتلو آيات الرحمة ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا ، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها .

وذلك لأن كلام الله يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف^(٢) والمرجوّ والمخوف ، وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللفظ والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات ، وبحسب كل حالة منها يستعدّ للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربه إذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحداً والمسموع مختلف إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان^(٣) متعطف لا يهمل .

(١) نهج البلاغة : ص ٣٠٤ خطبة رقم ١٩٣ « صبحي الصالح » .

(٢) عسفه عسفاً من باب خرب : أخذته بقوة والفاعل عسوف . م .

(٣) حنت على الشيء حنة وحنانا عطفت عليه وترحمت . م .

الباب الخامس

في الزكاة والمعروف

في الزكاة والمعروف قال الله تعالى : وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال النبي (ص) : « إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها »^(١) ، وقال الباقر (ع) « إن الله تعالى قرن الزكاة بالصلاة قال : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾^(٢) فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلم يقم الصلاة »^(٣)

وقال الصادق (ع) : « ما فرض الله تعالى على هذه الأمة شيئاً أشد عليهم من الزكاة وفيها تهلك عامتهم »^(٤) وقال : « من منع قيراطاً^(٥) من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى : ﴿ ربّ ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ﴾^(٦) »^(٧) .

وقال (ص) : « ما من ذي مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر^(٨) سلط عليه شجاعاً أقرع^(٩) يريدُه وهو يحميد^(١٠) عنه ، فإذا رأى أنه لا يتخلص منه أمكنه من يده فقمضهما^(١١) كما يقضم الفجل ثم يصير طوقاً في عنقه ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ سيطون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾^(١٢) .

وما من ذي مال ابل أو غنم أو بقر يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر يطاه كل ذات ظلف بظلفها^(١٣) وينهشه كل ذات ناب بنابها^(١٤) .

وما من ذي نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها إلا طوقه الله ربيعة^(١٥) أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة »^(١٦) .

(١) الكافي : ج ٣ ص ٥٠٥ (٢) سورة البقرة : آية ٤٣

(٣) الكافي : ج ٣ ص ٥٠٦ ومن لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٦

(٤) الكافي : ج ٣ ص ٤٩٧ ودعائم الاسلام ج ١ ص ٢٤٧ (٥) جزء من أجزاء الدينار

(٦) سورة المؤمنون : آية ٩٩ / ١٠٠ (٧) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٧

والكافي : ج ٣ ص ٥٠٣ والمحاسن : ص ٨٧ والعوالي : ج ٢ ص ٧٩

(٨) القرقر القاع الاملس . م . (٩) الشجاع الاقرع حية قد تمعط فروة رأسها لكثرة سمها . م .

(١٠) يقال : حاد عن الشيء يحميد : مال عنه وعدل ، ويحميد عنه ينهزم عنه ومنه قوله تعالى ذلك ما كنت منه تحيد

(١١) القضم الاكل بأطراف الاسنان (١٢) سورة آل عمران : آية ١٨٠

(١٣) الظلف للبقرة والشاة والظبي كالحافر للفرس والبغل والخف للبعير (١٤) الناب : السن خلف الرباعية

(١٥) الربيع : المرتفع من الارض أو كل فج ، ق . (١٦) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٥ والكافي : ج ٣ ص ٥٠٦

وقال (ع) : « إنما وضعت الزكاة اختباراً للاغنياء ومؤنة للفقراء ، ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ، ولا استغنى بما فرض الله له ، وأن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء ، وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله ، واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق أنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة ، وما صيد صيد في بر ولا بحر إلا بتركه التسبيح في ذلك اليوم وإن أحب الناس إلى الله تعالى أسخاهم كفاً ، وأسخى للناس من أدى زكاة أمواله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله » (١) .

وفي رواية قال : « إن الله حسب الأموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كل ألف خمسة وعشرين درهماً ، ولو لم يكفيهم لزادهم » (٢) .

وقال (ع) : « إن الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنما هو شيء ظاهر إنما حقن بهادمه وسمي بها مسلماً ولو لم يؤدها لم يقبل له صلاة ، وإن عليكم في أموالكم غير الزكاة فقيل أصلحك الله وما علينا في أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبحان الله أما تسمع الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ (٣) .

قيل : فماذا الحق المعلوم الذي علينا ؟ قال : هو والله الشيء يعلمه (٤) الرجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو في الشهر قل أو كثر غير أنه يدوم عليه وقوله تعالى : ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ (٥) قال : هو القرض يقرضه والمعروف يصنعه ومتاع البيت تعيره فمنه الزكاة .

فقيل : إن لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً أنكروه « كسروه خ » وأفسدوه فعلياً جناح إن تمنعهم ؟ فقال : لا ، ليس عليك جناح إن تمنعهم إذا كانوا كذلك .

قيل : ﴿ يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً ﴾ (٦) قال : ليس من الزكاة قيل قوله تعالى : ﴿ يتفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية ﴾ (٧) قال : ليس من الزكاة قيل : ﴿ إن

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٤ عوالي الثاني . ج ١ ص ٣٧٠

(٢) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٥ والمحاسن : ص ٣٢٧ (باختلاف بسيط)

(٣) سورة المعارج : آية ٢٤ / ٢٥

(٤) قوله « ع » : يعلمه الرجل الخ الظاهر انه بتشديد اللام من علم له علامة : اي جعلها له اشارة يعرفها

(٥) سورة الماعون : آية ٧ (٦) سورة الدهر : آية ٨ (٧) سورة البقرة : آية ٢٧٤

تبدوا الصدقات فنعمنا هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴿^(١)﴾ قال : ليس من الزكاة ﴿^(٢)﴾ .

وقال (ع) : « إنما أعطاكم الله هذا الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله تعالى ولم يعطكموها لتكثرها » لتكثرها خ ل ﴿^(٣)﴾ .

وسئل (ع) : « في كم تجب الزكاة من المال ؟ فقال : أما الظاهرة ففي كل ألف خمسة وعشرون ، وأما الباطنة فلا نستأثر على أخيك بما هو أحوج منك » ﴿^(٤)﴾ .

الفصل الاول

في المعروف

المعروف هو الانفاق على النفس والعيال ، ثم صلة من تجب صلته ، ثم الحق المعلوم الذي يفرضه في ماله ، ثم كل صدقة على فقير أو مروءة إليه أو إلى غنى بالضيافة والهدية والاعانة ونحوها ، جلبا للخير ودفعاً للشر دينيين أو دنيويين ، سايغين شرعاً أو ايصال نفع عام ببناء مسجد ونحوه أو خاص كإرشاد الضال والتعليم وقربان المرأة للتعفف والعدل ، وقضاء حاجة المؤمن وإنظار المعسر والتحليل والقرض والحمل على الذابة وطيب الكلام والخطوة إلى الصلاة والتوسيع على العيال والتبسم في وجه أخيه وإعارة المتاع وإطراق الفحل وغير ذلك .

وقد يسمّى الكل بالصدقة سوى المروءات ، وورد كل معروف صدقة ، والبرّ يشمل الجميع ، وربما يخصّ بما سوى الصدقة وورد البرّ والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان عن صاحبهما سبعين مئة سوء ، وورد صنایع المعروف تقي مصارع ﴿^(٥)﴾ السوء .

وشرط الانفاق القوام قال الله تعالى : ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ ﴿^(٦)﴾ .

وعن الصادق (ع) : «أنه تلا هذه الآية فأخذ قبضة من حصى فقبضها بيده وقال : هذا

(١) سورة البقرة : آية ٢٧١ (٢) الكافي : ج ٣ ص ٤٩٩

(٣) الكافي : ج ٤ ص ٣٢ ومن لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٣١

(٤) الكافي : ج ٣ ص ٥٠٠ ومعاني الاخبار : ص ١٥٣

(٥) الصرع الطرح على الأرض وبالكسر قوة الحبل جمع صروع والمصارع ق . (٦) سورة الفرقان : آية ٦٧

الاقترار الذي ذكره الله في كتابه ، ثم أخذ قبضة اخرى فارخى كفه كلها قال : هذا الاسراف ، ثم أخذ قبضة اخرى فارخى بعضها وأمسك بعضها وقال : هذا القوام»^(١).

ولا بأس بالرجل إذا أمسك ماله مراقباً لمواقيت الحاجات ومراسم الخيرات ، فيكون قصده في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهه .

قال النبي (ص) : « افضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى »^(٢) يعني ما يكون بعد الغنى والمؤنة لثلا يكون القلب متعلقاً بما يأتي .

وقال : أفضل الصدقة صدقة يكون على فضل الكف ، يعني عمّا يفضل عن الكفاف قال « ولا يلوم الله على الكفاف »^(٣) يعني على اقتناء ما يكف به .

الفصل الثاني

السر في ايجاب الزكاة

اعلم أن السرّ في ايجاب الزكاة وإنفاق المال امتحان العبد وفيه ثلاثة معان :

الاول أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة باقرار المعبود وشرط تمام الوفاء بذلك أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن درجة الحبّ بمفارقة المحبوبات ، والأموال محبوبة عند الخلق لأنها آله تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم ويفرّون من الموت مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزّلوا عن المال الذي هو مرموقهم^(٤) ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾^(٥).

والمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال النبي (ص) « ثلاث مهلكات شحّ مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه »^(٦) وقال الله تعالى : ﴿ومن يوق

(١) الكافي : ج ٤ ص ٥٤

(٢) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٣٠ والكافي ج ٤ ص ٤٦ وثواب الاعمال ص ١٧٢

(٣) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٣٠ (٤) رقمه رمقاً : أطال النظر اليه

(٥) سورة التوبة : آية ١١١ (٦) الخصال : ج ١ ص ٨٤ واحياء علوم الدين : ج ١ ص ١٩١

شع نفسه فاولئك هم المفلحون»^(١) وإنما تزول صفة البخل بأن يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك اعتياداً ، فالانفاق بهذا المعنى يطهر صاحبه من خبث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله ويقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى .

والمعنى الثالث شكر النعمة فإن الله على عبده نعمة في نفسه وماله ، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن ، والمالية شكر لنعمة المال وما أحسن من ينظر إلى الفقير وقد ضيق الرزق عليه وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى في إغناؤه عن السؤال .

الفصل الثالث

آداب المنفق

ينبغي للمنفق أن يغتنم الفرصة مهما ظهرت داعية الخير من الباطن ، فإن ذلك لمة أملك وقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمان فما أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك .

وأن لا يحوج الفقير الى السؤال فورد أنه مكافات لوجهه المبذول وثمان لما اخذ منه وليس بمعروف ، ويعين لغير الموقت وقتاً فاضلاً كشهر رمضان وسيماً عشر آخره وذو الحجة وسيماً عشر أوله ، والغدير ويسر في المستحب بحيث لا يدري شماله ما يعطي يمينه .

قال الصادق (ع) « الصدقة في السر أفضل من الصدقة في العلانية »^(٢) وكان (ع) « إذا اعتم وذهب من الليل ثلثاه أخذ جروبا فيه خبز ولحم ودرهم وحمله^(٣) على عنقه ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه ، فلما مضى (ع) فقدوا ذلك فعلموا أنه كان -أبا عبد الله (ع)»^(٤) ، ومعنى اعتم صلى العتمة ، وعن النبي (ص) : «صدقة السر تطفي غضب الرب»^(٥) .

وقال الصادق (ع) : «كلما فرض الله عليك فاعلانه أفضل من اسراره ، وكلما كان تطوعاً

(١) سورة الحشر : آية ٩ (٢) الكافي : ج ٤ ص ٨ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٨

(٣) كذا في المطبوع وفي الوافي هكذا : وذهب من الليل شطره أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدرهم فحمله الخ

(٤) الكافي : ج ٤ ص ٨

(٥) الكافي : ج ٤ ص ٧٨ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣٨ ومكارم الاخلاق : ص ١٣٧

فاسراره أفضل من اعلانه ، فلو أن رجلا حمل زكاة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسنا جميلا» (١).

وقر في قوله تعالى: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ (٢) قال : هي سوى الزكاة» (٣).

وسئل النبي (ص) « أي الصدقة أفضل ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح صحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا» (٤).

وينبغي أن يستصغر الاعطاء ليعظم عند الله تعالى وهو يذكر التوفيق والثواب قال الصادق (ع) : « رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال : تصغيره ، وستره ، وتعجيله فانك إذا صغرته عظمت عند من تضعه « تصنعه خ ل » إليه ، وإذا سترته تمّمته ، وإذا عجلته هنأته ، وإن كان غير ذلك محقته ونكذته (٥) » (٦).

ويعطي الأجود والأحب والأبعد عن الشبهة قال الله تعالى : ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ (٧) وقال : ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا ممّا تحبون﴾ (٨) وقال : ﴿انفقوا من طيبات ما كسبتم وممّا أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيّه إلا أن تغمضوا فيه﴾ (٩) اي لا تاخذونه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم ، وأن يغنيه ان قدر ، فورد إذا أعطيته فأغنه .

ويقبل يده بعد الاعطاء لأنه يقع في يد الله أولاً قال أمير المؤمنين (ع) : « إذا ناولتم السائل فليرد الذي يناوله يده إلى فيه فيقبلها فان الله تعالى يأخذها قبل ان تقع في يده فانه تعالى يأخذ الصدقات» (١٠).

وقال رسول الله (ص) : « ما يقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله ثم تلا هذه الآية ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب

(١) الكافي : ج ٣ ص ٥٠١ (٢) سورة البقرة : آية ٢٧١

(٣) الكافي : ج ٣ ص ٥٠٢ (٤) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٠١

(٥) محق الشيء : أبطله ومحاه ، ونكذ فلاناً حاجته : منعه ايها أولم يعطه الا القليل منها المنجد .

(٦) الكافي : ج ٤ ص ٣٠ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٣١ (٧) سورة النحل : آية ٦٢

(٨) سورة آل عمران : آية ٩٢ (٩) سورة البقرة : آية ٢٦٧ (١٠) عدة الداعي : ص ٦٨

وقال الصادق (ع): «إن الله تعالى يقول ما من شيء إلا وقد وكلت به من يقبضه غيري إلا الصدقة فأنى أتلقفها بيدي تلقفا» (٣)، حتى أن الرجل ليتصدق أو المرأة لتتصدق بالتمرة أو بشق تمرة فاريبها له كما يرثي الرجل فلوله وفصيله (٤) فيلقاني يوم القيامة وهي مثل جبل احد وأعظم من احد» (٥).

وأن يلتمس الدعاء من الأخذ لان دعاءه يستجاب فيه ، ويصرف إلى من يكثر باعطائه الأجر بكونه متقيا عالما صادقا يرى النعمة من الله تعالى ساتراً للحاجة محصوراً في سبيل الله محبوباً في طريق الآخرة بمرض أو عيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب أو سبب من الأسباب .

ولكن يرفع أهل العلم والايمان من الزكاة الواجبة والتصدقات لأنها أوساخ الأموال فورد :
أحب احدكم أن يغسل يده ثم يصبه على أخيه المؤمن إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن .

فيوسع عليهم بالهدايا والصلاة ، ويبدأ بمن يعول ثم الأقرب فالأقرب والأهم فبالأهم وورد : «أن أفضلها على ذي الرحم الكاشح» (٦)، يعني المبغض وكانه لمخالفة الهوى .

ورود «لا صدقة وذو رحم محتاج» (٧) «الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربعة وعشرين» (٨)

وأن يتصدق في كل يوم ويباكر بها ليبادر بها البلاء ولا يرد السائل إلا بلطف فورد: « أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل» (٩) «أطعموا ثلاثة وان شتمت أن تزدادوا فازدادوا وإلا فقد أتيتم حق يومكم» (١٠)

وان يغتنم السائل سيمًا فيما رق له القلب فهو علامة صدق السائل ويسيء الظن بنفسه عند

(١) سورة التوبة : آية ١٠٤ (٢) عدة الداعي : ص ٦٨ .

(٣) اتلقفها بيدي تلقفا أي تناولها بسرعة . م . وقال (قد) في الوافي : التلقف : التلقي والحفظ

(٤) الفصيل ولد الناقة إذا فصل عن امه ، والفلو بتشديد الواو وضم اللام : المهر يفصل عن امه

قال في مجمع البحرين : وانما ضرب المثل بالفلو لانه يريد زيادة تربيته وكذا الفصيل وقال المصنف (قد)

في الوافي الفلو بالكسر وكغدو وسمو : ولد الحمار والفرس والفصيل ولد الناقة والبقرة

(٥) الكافي : ج ٤ ص ٤٧ وعدة الداعي ص ٦٨ - ٦٩ . (٦) الكافي : ج ٤ ص ١٠

(٧) الفقيه : ج ٢ ص ٣٨ (٨) الكافي : ج ٤ ص ١٠ (٩) الكافي : ج ٤ ص ١٠ (١٠) الكافي : ج ٤ ص ١٧

فقدته ولا يحتقر ما عنده فورد: « لا تستحي من إعطاء القليل فان الحرمان أقل منه »^(١) وورد :
أفضل الصدقة جهد المقل »^(٢).

وأن لا يملك ما تصدق به اختياراً ، ويقسم صدقة الغير فورد أنه أحد المعطين ويجتنب
المن والأذى قال الله تعالى : ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ﴾^(٣) ﴿ قول معروف ومغفرة خير من
صدقة يتبعها اذى ﴾^(٤).

والمَنْ أن يرى نفسه محسناً ويعرف بقوة استبعاد جباية القابض بعد العطاء ؛ والمحسن هو
القابض لا يصله إلى الثواب والانجاء من العقاب وكونه نائباً عنه تعالى وهو حق الله تعالى أحال
عليه الفقير انجازاً لما وعده من الرزق .

والأذى التعيير والتوبيخ والقول السيء والقطوب^(٥) والاستخدام وهتك السر
والاستخفاف ، وسببه استكثار العطاء والتكبر على القابض الناشئين من الجهل برجحان رضاء
الله تعالى على خسيس فان ، ونسيان فضل الفقير .

وعن الصادق (ع) قال : « كان أمير المؤمنين (ع) يقول : « من علم أن ما صنع إنما صنع
لنفسه لم يستبط الناس في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلمس من غيرك شكر ما
اتيت إلى نفسك ووقيت به عرضك واعلم أن الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك
فاكرم وجهك عن رده »^(٦).

وعن الباقر (ع) « أنه قيل له : الرجل من أصحابنا من يستحي أن يأخذ من الزكاة فاعطيه
من الزكاة ولا اسمي له انها من الزكاة ؟ فقال : اعطه ولا تسم له ولا تذلل المؤمن »^(٧).

(١) نهج البلاغة : ص ٤٧٩ حكمة ٦٧

(٢) الكافي : ج ٤ ص ١٨ (٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٤

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦٣

(٥) القطوب : الزاوي ما بين عينيه « المنجد » وفي الحديث فقطب أبو عبد الله (ع) أي قبض ما بين عينيه كما يفعل
العبوس . م .

(٦) الكافي : ج ٤ ص ٢٨ (٧) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٨٠

الفصل الرابع

آداب الآخذ

ينبغي للآخذ ان يعلم أن الله تعالى أمر المعطي بصرفه إليه ليكفي مهمه فيتجرد للعبادة فيشكر الله ويشكر المعطي فيدعوله ويشني عليه مع رؤية النعمة من الله تعالى .

قال النبي (ص) « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »^(١) وقال الصادق (ع) : « لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل : وما قاطعوا سبيل المعروف ؟ قال : الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره »^(٢) .

وإن كان معروفا كافاه بما يستطيع ولو بالثناء والقول الجميل فعن النبي (ص) : « من أتى إليه معروف فليكاف به وإن عجز فليثن فان لم يفعل فقد كفر النعمة »^(٣) .

وعن الصادق (ع) قال : « كان أمير المؤمنين (ع) يقول « من صنع بمثل ما صنع إليه فأنما كافاه ، ومن أضعف^(٤) كان شكوراً ومن شكر كان كريماً »^(٥) .

ويستر عيوب صاحب العطاء ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخم^(٦) عند نفسه وعند الناس صنيعه بحيث لا يخرج عن كونه واسطة لئلا يكون مشكراً .

فعن الصادق (ع) في قول الله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾^(٧) قال : هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ، ولولا فلان لما أصبت كذا وكذا ، ولولا فلان لضاع عيالي ألا ترى أنه جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه قيل : فيقول لولا أن الله من عليّ بفلان لهلكت ، قال : نعم لا بأس بهذا ونحوه »^(٨) .

وأن يتوقى مواقع الريبة والشبهة في أصله ومقداره فلا يأخذ ممن لا يحلّ ماله ولا الزيادة

(١) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٩٨ وص ٢٠٣

(٢) الكافي : ج ٤ ص ٣٣ والاختصاص : ص ٢٤١ ومن لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٣١

(٣) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٠٣ « باختلاف بسيط »

(٤) هكذا في النسخة المطبوعة وفي المخطوطة : فان ضعف وفي جامع السعادات : فمن ضعفه الخ .

(٥) الكافي : ج ٤ ص ٢٨ (٦) الفخم : العظيم القدر فخمه : عظمه وأجله المنجد

(٧) سورة يوسف : آية ١٠٦ (٨) عدة الداعي : ص ٩٩ .

على قدر الحاجة ولا يسأل على رؤوس الملائم ممن يستحي الرد .

ويتورع العالم من أخذ الزكاة ما لم يضطر إليه تنزيها لنفسه عن الأوساخ ، وأن يستر الأخذ بنية أنه أبقى لستر المروة وكشف الحاجة والتعفف وأسلم لقلوب الناس وألستهم من الحسد وسوء الظن والغيبة وإعانة المعطي على الأسرار ، وأصون لنفسه عن الأذلال وعن شبهة الشركة فان الحضار شركاؤه فيها أو يظهر بنية الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبس الحال وإسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبر وإقامة سنة الشكر وغير ذلك ، فان يختلف باختلاف النيات والأحوال والأشخاص ، فليراقب ذلك فانه موضع الغرور .

الفصل الخامس

عدم السؤال من غير حاجة

ينبغي للمؤمن أن لا يسأل الناس من غير حاجة اضطره إليه ، بل يستعفف عن السؤال ما استطاع فانه ذل في الدنيا وفقر معجل وحساب طويل يوم القيامة .

قال النبي (ص) « يوماً لأصحابه «أتبايعون؟ فقالوا : قد بايعناك يا رسول الله قال : تبايعون على أن لا تسألوا الناس شيئاً ، فكان بعد ذلك يقع المخصرة^(١) من يد أحدهم فينزل لها ولا يقول لأحد ناولنيها»^(٢) .

وقال (ص) : « لو أن أحداكم يأخذ جبلا فيأتي بحزمة^(٣) حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل»^(٤) وقال : «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله»^(٥) .

وقال السجاد (ع) : «ضمنت على ربي أن لا يسأل أحد أحداً من غير حاجة إلا اضطرته حاجة المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة»^(٦) .

ونظر (ع) يوم عرفة إلى رجال يسألون فقال : «هؤلاء شرار من خلق الله ، الناس مقبلون

(١) المخصرة بكسر الميم وسكون المعجمة كالسوط أو كل ما امسكه الانسان بيده من عصا ونحوها . م

(٢) عدة الداعي : ص ٩٩ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٤

(٣) الحزمة ما حزم من الحطب وغيره ، وحزم حزمًا : ضبط أمره واحكمه واخذ فيه بالثقة وفي الحديث : الحزم بضاعة ، والتواني اضاعه . (٤) عدة الداعي : ص

(٥) الكافي : ج ٢ ص ١٣٨ وعدة الداعي : ص ٩٠ (٦) الكافي : ج ٤ ص ١٩ وعدة الداعي ٩٩ .

على الله وهم مقبلون على الناس» (١) .

وقال الباقر (ع) : «أقسم بالله وهو حقّ ما فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر» (٢) .

وقال (ع) : « طلب الحوائج إلى الناس استلاب (٣) للعزّ ومذهبة للحياء ، واليأس ممّا في أيدي النَّاس عز المؤمن ، والطمع هو الفقر الحاضر» (٤) .

وقال الصادق (ع) : « شيعتنا من لا يسأل النَّاس شيئاً ولو مات جوعاً» (٥) وقال (ع) : « لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد أحداً ، ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع ما منع أحداً أحداً» (٦) .

وقال : « من سأل من غير حاجة فكانما يأكل الخمر» (٧) وسأل رجل النبيّ (ص) فقال أسألك بوجه الله فأمر النبيّ (ص) بضرب خمسة أسواط ، ثم قال : «سل بوجهك اللئيم ولا تسأل بوجه الله الكريم» (٨) .

الفصل السادس

للجسد زكاة

اعلم أن للجسد زكاة كما أن في المال زكاة ، وهو نقصه لمزيد الخير والبركة إما اضطراراً بان يصاب بآفة ، أو اختياراً بأن يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية .

فمن الصادق (ع) قال : قال النبيّ (ص) يوماً لأصحابه : « ملعون كلّ مال لا يزكى ، ملعون كلّ جسد لا يزكى ، ولو في كلّ أربعين يوماً مرة قيل له : يا رسول الله أما زكاة المال فقد عرفناها ، فما زكاة الاجساد ؟ قال لهم : أن تصاب بآفة قال : فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه ، قال فلما رأهم قد تغيّرت ألوانهم قال : هل تدرون ما عنيت بقولي ؟ قالوا : لا يا

(١) عدة الداعي : ص ٩٩ . (٢) الكافي : ج ٤ ص ١٩ .

(٣) الاستلاب : الاختلاس . م . (٤) عدة الداعي : ص ١٠٠ . (٥) عدة الداعي : ص ٩٩ .

(٦) عدة الداعي : ص ٩٩ . (٧) عدة الداعي : ص ٩٩ . (٨) عدة الداعي : ص ١٠١ .

رسول الله ، قال : إن الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما أشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج العين ،^(١) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « على كل جزء من أجزاءك زكاة واجبة لله تعالى . بل على كل منبت شعرك بل على كل لحظة .

فزكاة العين النظر بالعبء والغض عن الشهوات وما يضاهاها .

وزكاة الاذن استماع العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك والاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما .

وزكاة اللسان النصح للمسلمين وإيقاظ الغافلين وكثرة التسييح والذكر وغيره وزكاة اليد البذل والسخاء بما أنعم الله به عليك وتحريكها بكتابة العلم ومنافع يتنفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى والقبض عن الشرور .

وزكاة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر واصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك .

هذا ما تحتل القلوب فهمه والنفوس استعماله وما لا يشرف عليه الا عباده المقربون المخلصون أكثر من أن يحصى وهم أربابه وهو شعارهم وديارهم^(٢) ،^(٣) .
وعن النبي (ص) : « لكل شيء زكاة وزكاة الابدان الصيام »^(٤) .

الباب السادس

في الصوم

قال الله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾^(٥)

(١) الكافي : ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) الدثار الثوب الذي فوق الشعار ، والشعار الثوب الذي التي الجسد .

(٣) مصباح الشريعة : ص ٥١

(٤) الكافي : ج ٤ ص ٦٣ والتهذيب : ج ٤ ص ١٩٠ والمحاسن : ص ٧٢ والمكارم : ص ١٣٨ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٤٥ ودعائم الاسلام ج ١ ص ٢٦٩ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٨٣

وقال النبي (ص) « الصَّومُ جَنَّةٌ مِنَ النَّارِ »^(١) وقال (ص) : « الصَّائِمُ فِي عِبَادَةِ وَإِنْ كَانَ نَائِمًا عَلَى فِرَاشِهِ مَا لَمْ يَغْتَبِ مُسْلِمًا »^(٢) وقال (ص) : قال الله تعالى : « الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »^(٣) و « لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ حِينَ يَفْطُرُ وَحِينَ يَلْقَى رَبَّهُ تَعَالَى »^(٤) « وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ^(٥) فَمِ الصَّائِمِ عِنْدَ اللَّهِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ »^(٦) .

وقال الباقر (ع) : « بني الاسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية »^(٧) .

وقال الصادق (ع) : « من صام لله تعالى يوماً في شدة الحر فأصابه ظمأ وكل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى اذا أفطر قال الله تعالى : ما أطيب ريحك وروحك يا ملائكتي اشهدوا أنني قد غفرت له »^(٨) والريح النفس بالتحريك .

وقال (ع) : « نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله متقبل ودعاؤه مستجاب »^(٩) .

وقال الكاظم (ع) : « قيلوا^(١٠) فان الله تبارك وتعالى يطعم الصائم ويسقيه في منامه »^(١١) .

قيل ولو لم يكن في الصوم إلا الارتقاء من حضيض^(١٢) حظوظ النفس البهيمية الى ذروة^(١٣) التشبه بالملائكة الروحانية لكفى به فضلاً ومنقبة ، وإنما كان الصوم جنة من النار لأنه يدفع حرَّ الشهوة والغضب اللتين بهما تصلى نار جهنم في باطن الانسان في الدنيا وتبرز له في الآخرة ، كما أن الجنة تدفع بها عن صاحبها حر الحديد وإنما قال ما لم يغترب مسلماً لأن الغيبة أكل لحم

(١) التهذيب : ج ٤ ص ١٥١ والمحاسن : ص ٢٨٧ والكافي : ج ٤ ص ٦٢ والعوالي : ج ٣ ص ١٣٢

(٢) المكارم : ص ١٣٨ والكافي : ص ٤ ص ٦٤ ومن لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٤٤

(٣) التهذيب : ج ٤ ص ١٥٢ والكافي : ج ٤ ص ٦٣ والعوالي : ج ٣ ص ١٣٢ والمكارم : ص ١٣٨ ودعائم الاسلام

(٤) مكارم الاخلاق : ص ١٣٨ والكافي : ج ٤ ص ٦٥ ومن لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٤٥

(٥) الخلوف بضم الخاء على الاصح وقيل بفتحها هو رايحة النَم المتغير من قولهم : خلف فم الصائم خلوفاً من باب قعد أي تغيرت رايحة فمه . م .

(٦) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٤٤ وثواب الاعمال : ص ٨٠ واحياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٠٥

(٧) العوالي : ج ٣ ص ١٣٢ والكافي : ج ٤ ص ٦٢ والمحاسن : ص ٢٨٦ والتهذيب : ج ٤ ص ١٥١

(٨) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٤٥ (٩) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٤٦ والمحاسن : ص ٧٢ وثواب

الاعمال : ص ٨٠

لميته فهو نوع من الأكل يتقوى به البدن ، وإنما كان الصوم لله ومشرفاً بالنسبة إلى الله وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إليه والأرض كلها له لمعنيين :

أحدهما أن الصوم كَفَّ وترك ، وهو في نفسه سرّ ليس فيه عمل يشاهد ، فجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرءاً والصوم لا يعلمه إلا الله فإنه عمل بالباطن بالصبر المجرد خالص لله وجزاؤه من عنده خاصّة من غير مشاركة أحد فيه .

والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب .

ولذلك قال النبي (ص) : «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع»^(١) ، فالشهوآت مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم ، وما داموا يترددون فلا ينكشف على العبد جلال الله وكان محجوباً عن لقائه .

قال رسول الله (ص) : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء »^(٢) .

وسبب الفرحة عند الافطار اما للخواص فاستشعارهم التوفيق من الله تعالى على إتمام الصيام ونيل الأجر ، وأما للعوام فانقضاء المقاسات ونيل المشتريات .

وسبب الفرحة عند لقاء الرب أما للخواص فحصول نور القلب لهم المستفاد من انكسار قوتي الشهوة والغضب المظلمتين له بالجوع الباعث لهم أن يعبدوا الله عياناً كأنهم يرونه وهو المعنى باللقاء ، وخلوف الفم تغيره ، وإنما صار أطيب عند الله من ريح المسك لأنه سبب طيب الرّوح الذي هو عند الله من الانسان كما أن بدنه عند نفسه وإليه اشير في قوله تعالى : ﴿ وما عندكم ينقد^(٣) وما عند الله باق^(٤) ﴾ وأين طيب الرّوح من طيب المسك ، فان الأول روحاني

١٠) من القيلولة ، قال قيلولة : نام في القائلة أي منتصف النهار « المنجد » قال في مجمع البحرين : في الحديث : القيلولة تورث الغنى ، وفسرت بالنوم وقت الاستواء ، والقيلولة تورث الفقر ، وفسرت بالنوم وقت صلاة الفجر . والقيلولة تورث السقم ، وفسرت بالنوم آخر النهار .

(١١) ثواب الأعمال : ص ٨٠ (١٢) الحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل المنجد .

(١٣) الذروة : العلو والمكان المرتفع ، أعلى الشيء ، المنجد . (١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٨

(٢) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٠٦ (٣) نفد كسمع نفاذاً ونفداً فنى وذهب ، ق .

(٤) سورة النحل : آية ٩٦

الفصل الاول درجات الصوم وآدابه

اعلم ان للصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص ، أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ، وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرّجل وساير الجوارح عن الآثام .

قال الصادق (ع) : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وعدّ أشياء اخر غير هذا ، وقال لا يكون يوم صومك كيوم فطرك »^(١) ، وزاد في خبر آخر : « ودع المراء وأذى الخادم وليكن عليك وقار الصيام فان رسول الله (ص) سمع امرأة تسب جاريتها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها : كلي فقالت : إني صائمة ، فقال : كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك إن الصّوم ليس من الطعام والشراب فقط »^(٢) .

وعن النبي (ص) : « إنما الصّوم جنة من النار فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل أني صائم اني صائم »^(٣) .

وقال النبي (ص) : « من اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوؤه وان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله »^(٤) .

وقال « كم من صائم ليس من صومه إلا الجوع والعطش »^(٥) .

وقال الصادق (ع) : « إن الكذبة لتفطر الصّائم قيل : وأينا لا يكون ذلك منه قال : ليس حيث تذهب إنما ذاك الكذب على الله وعلى رسوله (ص) وعلى الائمة عليهم السلام »^(٦) .

ومعنى بطلان الصوم بالكذب والغيبة وغيرهما ممّا لا يعدّه الفقهاء من المفطرات عدم قبول الصوم وترتب الثواب عليه دون الاجزاء والخروج عن عهدة التكليف كما مر تحقيقه في باب

(١) التهذيب : ج ٤ ص ١٩٤ ومن لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٦٧ والكافي : ج ٤ ص ٨٧

(٢) التهذيب : ج ٤ ص ١٩٤ ومن لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٦٨

(٣) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٠٨ (٤) عقاب الأعمال : ص ٣٣٢ .

(٥) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٠٩ وص ٢١٠

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٣٤٠

الصلاة ، ولذلك شرطنا ذلك في صوم الخصوص دون العموم .

وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله بالكلية ، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تتراد للدين ، فإن ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا .

قال أرباب القلوب : من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود ، وهذه رتبة الأنبياء والصدّيقين والمقرّبين .

وفي مقابلها من يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فورد : ما من وعاء أبغض الى الله من بطن ملئ من حلال ، وكيف يستفاد من الصوم فهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره ، وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن يذخر جميع الأطعمة لشهر رمضان ، فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أنّ مقصود الصوم الخوي^(١) وكسر الهوى لتقوي النفس على التقوى ، وإذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعثت من الشهوات ما عساها كانت راکدة لو تركت على عاداتها .

فروح الصوم وسره^(٢) تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في القود الى الشرور ، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لولم يصم ، وأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلة فلم ينتفع بصومه ولا يخف عليه تهجده .

(١) الخوي خلو الجوف من الطعام ، ق .

(٢) قال في جامع السعادات : والحاصل ان روح الصوم وسره والغرض الأصلي منه التخلص بخلق من اخلاق الله تعالى اعني الصمدية والافتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بقدر الامكان ، وهذا انما يحصل بتقليل الاكل عما يأكله في غير وقت الصوم ، فلا جدوى لمجرد تأخير اكله وجمع اكلتين عند العشاء وقال فيه أيضاً : ينبغي لكل صائم ان يكون قلبه بعد الافطار مضطرباً معلقاً بين الخوف والرجاء ، اذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقرّبين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن الحال كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها ، روي ان الامام ابا محمد الحسن المجتبي (ع) مر يقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال : ان الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون ، وخاب فيه المبطلون ، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء عن اساءته .

وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة^(١) من الطعام فهو عنه محجوب ، ومن أدخل معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتى يخلو همته عن غير الله تعالى ، وذلك هو الأمر كله ومبدأ ذلك تقليل الطعام .

الفصل الثاني

الصوم ينقي النفس

في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : قال رسول الله (ص) : « الصوم جنة ، أي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة ، فإذا صمت فأنوبصومك كَفَّ النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان ، فانزل نفسك منزلة المرضى لا يشتهي طعاما وشراباً ، متوقفاً في كل لحظة شفاك من مرض الذنوب ، وطهر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الاخلاص لوجه الله تعالى ، قال رسول الله (ص) : قال الله تعالى : « الصوم لي وأنا اجزي به » .

فالصوم يميئ مواد النفس وشهوة الطبع ؛ وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والاحسان إلى الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء إلى الله وسبب انكسار الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات ، وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرناه منبهاً لمن عقل ووفق لاستعماله^(٢) .

الباب السابع

في الحج

في الحج وزيارة المشاهد قال الله تعالى : « والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين »^(٣) وقال النبي (ص) : « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً »^(٤) .

(١) الخلى : العشب والمخللة : ما يجعل فيه الخلى ومنه المخلاة لما يجعل فيه العلف ويعلن في عنق الدابة . المنجد

(٢) مصباح الشريعة : ص ١٣٥ (٣) سورة آل عمران : آية ٩٧ (٤) العوالي : ج ٢ ص ٢٣٥

وقال الصادق (ع) : « من مات ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه من ذلك حاجة يجحف^(١) به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه فليمت يهوديا أو نصرانيا^(٢) والاختبار في فضل الحج والعمرة أكثر من أن تحصى وهي مذكورة في مواضعها مع كيفية أعمالها .

وأما بيان السرّ فيها فأعلم أنه لا وصول الى الله تعالى إلا بالتزّه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضروريات فيها والتجرد لله تعالى في جميع الحركات والسكنات ، ولأجل هذا انفرد الرهبان^(٣) في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله ، فتركوا اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال : ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء مرضات الله﴾^(٤) وقال : ﴿وذلك بأنّ منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾^(٥) .

فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرّد لعبادة الله وفتروا عنها بعث الله تعالى محمداً (ص) لآحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسيّاحة في دينه فقال (ص) : ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف قيل : يعني الحج ، وسئل عن السّائحين ، فقال : هم الصائمون .

فأنعم الله على هذه الامة بأن جعل الحجّ رهبانية لهم ، فشرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه ، ونصبه مقصداً لعباده ، وجعل ما حواليه حرماً لبيته ، وتفخيماً لأمره ، وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمة ، وأكد حرمة الموضوع بتحريم صيده وقطع شجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ، ومن كلّ أوب سحيق^(٦) شعشاء غرباء متواضعين لرّب البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتزّهه عن أدّ يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك ابلغ في رفهم وعبوديتهم وأتم في اذعانهم وانقيادهم :

(١) أجحف به الفاقة : أفقرته الحاجة . ق . (٢) الدعائم : ج ١ ص ٢٨٨ وثواب الاعمال : ص ٢٨١

(٣) الراهب جمع رهابين . المنجد .

(٤) سورة الحديد : آية ٢٧

(٥) سورة المائدة : آية ٨٢

(٦) جاء وامن كل أوب معناه من كل مرجع أي من كل فج وسحق المكان فهو سحيق مثل بعد بالضم فهو بعيد وزنا ومعنى كذا عن المصباح .

ولذلك وظف عليهم فيها أعمالاً لا تأنس بها النفوس ، ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار ، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ، فان الزكاة إرفاق ووجهه معلوم وللعقل اليه ميل ، والصوم كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل ، والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله تعالى بأفعال هي هيئات التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله .

فما ترددت السعي ورمي الجمار فلاحظ للنفس ولا انس للطبع فيها ولا اعتداء للعقل إلى معانيها ، فلا يكون للاقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامثال للأمر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط ، وفيه عزل العقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل انسه ، فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلاً ما ، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثاً معه فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد .

ولذلك قال النبي (ص) في الحج على الخصوص : لبيك بحجة حقاً وتعبداً ورقاً ولم يقل ذلك في صلاة وغيرها ، وإذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجات الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد على مقتضى الاستبعاد ، كان مالا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبّات في تزكية النفوس وصرّفها عن مقتضى الطبع والاخلاق إلى مقتضى الاسترقاق .

وإذا تفتنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس عن هذه الافعال العجيبة مصدره الذّهول عن أسرار التعبّات ، وقد ظهر ممّا ذكر أن قاصد البيت قاصد إلى الله وزاير له فبالحريّ أن يفوز بلقاء الله في ميعاده المضروب له والتشوق إلى لقاء الله مسوق إلى أسباب اللقاء فليجعل عزمه خالصاً لوجه الله ، بعيداً عن شوايب الرياء وغيره .

الفصل الاول

ما ينبغي للحاج عند توجهه الى الحج

ينبغي للحاج عند توجهه إلى الحج وخروجه من بلده أن يرد المظالم ، ويتوب الى الله توبة خالصة ، ويقطع علاقة قلبه عن الالتفات إلى ما ورائه ليكون متوجّهاً إلى الله بوجه قلبه ، ويقدر أنه لا يعود ، وليكتب وصية لأهله ولاولاده ، وينتهي لسفر الاخرة فان ذلك بين يديه على قرب ، وأن يتأدّب بأداب السفر كلها كما هي مذكورة في موضعها ولا سيما توسّع الزاد وتطيبه ،

وطيب الكلام ، ولينه ، وخفض الجناح ما استطاع .

فورد : ير الحجّ طيب الكلام وإطعام الطعام ، وليس للحجّ المبرور جزاء إلا الجنة ، وعدم الاهتمام « الاغتمام خ » بالانفاق وبما اصيب في المال فدرهم منه يعدل سبعمأة في سبيل الله ، وأن يكون قلبه مطمئناً منصرفاً الى ذكر الله وتعظيم شعائره ، محضراً عند كل حركة وسكون ، متذكراً به. أمراً اخروياً يناسبه ويكون أشعث أغبر غير متزيّن ، ويمشي إن قدر خصوصاً بين المشاعر .

فورد « ما عبد الله شيء أفضل من المشي » ، لا لتقليل النفقة مع اليسار ، فإن الركوب حينئذ أفضل كما ورد ، سيّما لمن ضعف بالمشي وساء خلقه وقصر في العمل .

فورد : تركبون أحب إليّ فان ذلك أقوى على الدّعاء والعبادة ، « وكان الحسن بن علي (ع) يمشي ويساق معه المحامل والرجال »^(١) ، وإذا حضرت الراحلة فليشكر الله بقلبه على تسخيره له الدواب لتتحمل عنه الأذى وتتخفف عنه المشقة^(٢) .

فاذا دخل البادية متوجهاً إلى الميقات ومشاهداً لتلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات .

وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات ، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووجدته ، وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوّداً لمخاوف القبر .

وليتذكر عند لبس ثوبي الاحرام لبس الكفن ولقّه فيه وأنه سيلقى الله ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة فانه كما لا يلقي بيت الله إلا مخالفاً عادته في الزيّ والهيئة فلا يلقي الله بعد الموت إلا في زيّ مخالف لزيّ الدنيا ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما لا يخاط الكفن .

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ١٤١

(٢) فاذا اراد الخروج من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجهاً الى الله (عج) في سفر لا يضاهاي اسفار الدنيا ، فليحضر في قلبه انه ماذا يريد ؟ واين يتوجه ؟ وزيارة من يقصد ؟ وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا ، وشوقوا فاشتاقوا ، واستهضوا فنهضوا وقطعوا العلابق وفارقوا الخلايق ، واقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم امره وعظم شأنه ورفع قدره ، تسلياً بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ، وليحضر في قلبه رجاء القبول ثقة بفضل الله وتحقيقاً لوعده لمن زار بيته .

وأما الاحرام والتلبية بالميقات ، فليعلم أنه إجابة نداء الله (١) فليرج أن يكون مقبولا وليخش أن يقال له لا لبيك ولا سعديك ، وليكن بين الرجاء والخوف ، متردداً ومن حوله وقوته متبرئاً وعلى فضل الله وكرمه متكللاً ، فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محل الخطر .

وقد ورد إن السجادة (ع) « لما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع أن يليه فقيل له لم لا تليي ؟ فقال : أخشى أن يقول لي ربي لا لبيك ولا سعديك ، فلما لبي غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه » (٢) .

الفصل الثاني

ما ينبغي للحاج إذا دخل مكة

وإذا دخل مكة فليتذكر عندها انه قد انتهى إلى حرم آمن ، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب فيكون بدخول الحرم خائباً مستحقاً للمقت ، وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالباً ، فان الكرم عظيم ، وشرف البيت عظيم ، وحق الزاير مرعى ، وذمام (٣) المستجير اللائذ غير مضيع .

وإذا وقع بصره على البيت فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في قلبه ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه ، وليرج أن يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء البيت وليشكر الله على تبليغه إياه هذه الرتبة وإلحاقه إياه بزمرة الوافدين إليه .

وأما الطواف فانه صلاة ، فليحضر قلبه فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما سبق في باب الصلاة وليعلم أنه في الطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، ولا يظن أن المقصود طواف جسمه بالبيت بل المقصود طواف قلبه بذكر رب البيت حتى

(١) اشارة الى قوله تعالى لابراهيم (ع) : واذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

(٢) لم نجد هذا الحديث كما هو انما وجدنا حديث قريب منه في المستدرک ج٢ ص ١١٩ وفيه : عن الازدي انه قال في حديث ولقد حججت معه اي الصادق (ع) سنة فلما استوت به راحلته عند الاحرام كان كلما همم بالتلبية انقطع الصوت في حلقه وكاد ان يخر من راحلته فقلت قل يا بن رسول الله ولا بذلك من ان تقول فقال يا بن ابي عامر كيف اجسر ان اقول لبيك اللهم لبيك وأخشي ان يقول عز وجل لي لا لبيك ولا سعديك

(٣) الذمة والذمام : بمعنى العهد والامان ، والضمان ، والحرمة ، والحق ، كذا عن النهاية .

لا يتدّى الذّكر إلّا به ، ولا يختم إلّا به ، كما يتدّى الطّائف الطّواف من البيت ويختم بالبيت .

وليعلّم أنّ الطّواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الرّبّوبية ، وأنّ البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الملكوت كما أنّ البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وأنّ عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب .

وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأنّ البيت المعمور في السماوات بازاء الكعبة وأنّ طواف الملائكة بها كطواف الانس بهذا البيت ، ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطّواف امرؤا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأنّ من تشبه بقوم فهو منهم .

وأما استلام الحجر فليعلّم أنّه بمنزلة اليمين قال رسول الله (ص) : استلموا الرّكن فانه يمين الله في خلقه يصفاح بها خلقه مصافحة العبد أو الدّخيل^(١) ويشهد لمن استلمه بالموافاة .

أراد بالرّكن الحجر الأسود لأنه موضوع في الركن وإنما شبهه باليمين لأنه واسطة بين الله وبين عباده في النيل والوصول والتحبّب والرّضا كاليمين حين التصافح ، والدّخيل الملتجئ .

قال الصّادق (ع) : « ان الله تبارك وتعالى لما أخذ موثيق العباد أمر الحجر فالتقمها فلذلك يقال أماني أدبتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة^(٢) »^(٣) وقال (ع) : « الركن اليماني باب من أبواب الجنّة لم يغلقه الله منذ فتحه »^(٤) وقال (ع) : « الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه الجنّة وفيه نهر من الجنة يلقى فيه أعمال العباد »^(٥) ، إنّما شبهه بباب الجنّة لأنّ استلامه وسيلة إلى دخولها ، وبالنهر لأنه يغسل به الذّنوب .

وليكن نيّته عند الاستلام طلب القرب حبّاً وشوقاً للبيت ولربّ البيت وتبركاً بالمماساة ورجاءً للتحصن عن الناس في كل جزءٍ لاقى البيت ، وليكن نيّته في التعلق بأستار البيت الاحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرّع إليه في عفوه عنه المظهر أنّه لا ملجأ له منه إلاّ اليه ، ولا مفرّج له إلاّ عفوه وكرمه ، وأنّه لا يفارق ذيله إلاّ بالعفو وبذل الأمن في المستقبل .

(١) دخيل الرجل : الذي يداخله في اموره ويختص به . م .

(٢) اي بالاتيان اليك وقراري بالعهد الذي أودعتك اياه ؛ من من وافيته موافاة أي أتيته .

(٣) العلل : ص ٤٢٣ (٤) الكافي : ج ٤ ص ٤٠٩ (٥) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٣٤

الفصل الثالث

فيما يجب ان يشعر به المرء عند اوان مناسك الحج

وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فيصاهي تردّد العبد بفناء دار الملك جاثياً وذاهباً مرة بعد اخرى إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرّحمة ، كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول أو ردّ .

وأما الوقوف في العرفات فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في التردّدات على المشاعر عرصات القيامة واجتماع الامم مع الانبياء والأئمة عليهم السّلام واقتفاء كل امة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرّد والقبول .

فاذا تذكر ذلك فليزلم قلبه الضّراعة^(١) والابتهاال إلى الله ليحشر في زمرة الفائزين المرحومين وليتحقق رجاؤه بالاجابة ، فالموقف شريف والرّحمة انما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الصّالحين وأرباب القلوب ، فاذا اجتمعت همّتهم وتجرّدت للضّراعة والابتهاال قلوبهم وارتفعت إلى الله أيديهم وامتدّت إليه أعناقهم وشخصت نحو السّماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فبعيد أن يخيب أملهم ويضيع سعيهم ، ولذلك قيل : من أعظم الذّنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله لم يغفر له .

وأما الوقوف بالمشعر فليستحضر أنه قد أقبل عليه مولاه بعد أن كان مدبراً عنه طارداً له عن بابه فأذن له في دخول حرمه ، فان المشعر من جملة الحرم وعرفات خارجه عنه فقد أشرف على باب الرّحمة وهبت^(٢) عليه نسيمات الرّافة وكسى خلع القبول بالاذن في دخول حرم الملك .

وأما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرق والعبودية وانتهاضاً^(٣) لمجرّد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ، ثم ليقصد به التشبه بابراهيم (ع) حيث عرض له إبليس في هذا الموضع ليدخل على حجّه شبهة أو فتنة فأمره الله أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله وليعلم أنه في الظاهر يرمي الحصا إلى الجمار وفي الحقيقة يرمي به وجه الشيطان ويقصم به ظهره إذ لا يحصل ارغام أنفه إلا بامتثال أمر الله تعظيماً بمجرّد الأمر من غير حظ للعقل فيه .

(١) ضرع ضراعة : ذل وخضع (٢) هبت الرياح اي هاجت وتحركت . م . (٣) نهض نهوضاً وانتهض : قام

وأما ذبح الهدي فليعلم أنه تقرب إلى الله بحكم الامتثال وليكمل الهدي وأجزائه ويرج أن يعتق بكل جزء منها جزءاً منه من النار كما ورد الوعد به^(١).

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « إذا أردت الحج فجرد قلبك لله تعالى من شغل كل شاغل وحجاب كل حاجب وفوض أمورك كلها إلى خالقك وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك ، وسلم لقضائه وحكمه وقدره ، وودع الدنيا والراحة ، والخلق ، واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ، ولا تعتمد على زادك وراحتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة أن يصير ذلك عدواً ووبالاً فان من ادعى رضا الله واعتمد على ما سواه صيره عليه وبالاً وعدواً ليعلم أنه ليس له قوّة وحيلة ولا لأحد إلا بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد من لا يرجو الرجوع .

واحسن الصحبة وراع أوقات فرياض الله وسنن نبيه (ص) وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وإيثار الزاد على دوام الاوقات .

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع ، واحرم من كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولب بمعنى اجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك متمسكا بالعروة الوثقى ، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت ، وهروول هرولة من هواك وتبراً من حولك وقوتك واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى ولا تمن ما لا يحل لك ولا تستحقه .

واعترف بالخطايا بعرفات ، وجدّد عهدك عند الله تعالى بوحدايته وتقرب إليه وأتقه بمزدلفة واصعد بروحك إلى الملاء الأعلى بصعودك على الجبل ، واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة ، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات ، واحلق العيوب، الظاهرة والباطنة بحلق شعرك ، وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم ودخول البيت متحققا لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه .

(١) قال الغزالي في « الاحياء » : فهكذا ورد الوعد ، وقال العراقي في « المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار » : حديث انه يعتق بكل جزء من الاضحية جزء من المضحي من النار ، لم أف له على اصل

واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعاً لقوته (لعزته خ) وودّع ما سواه بطواف الوداع ، واصف روحك وسرك للقاته يوم تلقاه بوقوفك على الصفا ، وكن بمرءاً من الله نقياً أو صافك عند المروة واستقم على شرط حجتك هذه ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربك وأوجبت له إلى يوم القيامة .

واعلم بأن الله تعالى لم يفرض الحج ولم يخصه من جميع الطاعات بالاضافة إلى نفسه بقوله تعالى : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾^(١) ولا شرع نبيه سنة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه إلا للاستعانة والاشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة وفضل بيان السابقة من الدخول في الجنة أهلها ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحج من أولها إلى آخرها لأولي الألباب وأولي النهى^(٢) .

الفصل الرابع

في زيارة المدينة

وأما زيارة المدينة فاذا وقع بصره على حيطانها فليتذكر أنها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيه (ص) وجعل إليها هجرته وأنها داره التي فيها شرع فريضة ربه وسنته وجاهد عدوه وظهر بها دينه إلى أن توفاه الله ثم جعل تربته فيها .

ثم ليمثل في نفسه أقدام رسول الله (ص) عند تردّاته فيها وأنه ما من موضع قدم إلا وهي موضع قدمه العزيز ، فلا يضع قدمه إلا على سكينه ووجل ، وليتذكر مشيه وتخطيه في سككها ، وليتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعته ذكره حتى قرنه بذكر نفسه ، وأحبط عمل من هتك حرمتك ولو برفع صوته فوق صوته ، فان ترك حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا يأمن أن يحال بينه وبينه بعدوله عن محبته له .

وليعظم مع ذلك رجاءه أن لا يحول الله بينه وبينه بعد أن رزقه الايمان وأشخصه من وطنه لأجل زيارته محبة له وتشوقاً إلى أن ينظر إلى آثاره وإلى حايط قبره .

فاذا بلغ المسجد فليتذكر أن فريضة الله تعالى أول ما اقيمت في تلك العرصة فليعظم أمله في الله أن يرحمه بدخوله إياه خاشعاً معظماً وما أجدر ذاك المكان بان يستدعي الخشوع من

(١) سورة آل عمران : آية ٩٧ (٢) مصباح الشريعة : ص ٤٧ .

قلب كل مؤمن .

وأما زيارته (ص) فينبغي أن يقف بين يديه ويزوره ميتاً كما يزوره حياً ولا يقرب من قبره كما لا يقرب من شخصه الكريم لو كان حياً ، وليعلم أنه عالم بحضوره وقيامه وزيارته وأنه يبلغه سلامه وصلواته ، فليمثل صورته الكريمة في خياله موضوعاً بازائه وليحضر عظيم رتبته في قلبه .
فقد ورد أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته ، هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقاً إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة .

قال الصادق (ع) : « إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي (ص) فأت المنبر وامسحه بيدك فخذ برمانتيه وهما السفلاوان ، وامسح عينيك ووجهك به فإنه يقال إنه شفاء للعين ، وقم عنده فاحمد الله واثن عليه وسل حاجتك ، فان رسول الله (ص) قال : ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ، ومنبري على نزع من نزع الجنة والنزعة هي الباب الصغير »^(١) وسئل (ع) هي روضة اليوم ؟ قال : « نعم لو كشف الغطاء لرأيتم »^(٢) .

الفصل الخامس

في فصل زيارة النبي والأئمة (ع)

قال النبي (ص) « من زار قبري بعد موتي كمن هاجر إلي في حياتي فان لم تستطيعوا فابعثوا إلي بالسلام فإنه يبلغني »^(٣) ، وقال (ص) لعلي (ع) : « يا أبا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة وعرضات من عرضاتها ، وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن^(٤) إليكم وتحتمل المذلة والأذى فيكم ، فيعمرون قبوركم ويكشرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله ومودة منهم لرسوله اولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي وهم زواري وجيرانني غداً في الجنة .

يا علي من عمر قبوركم وشاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود (ع) على بناء بيت المقدس ومن زار قبورهم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام ، وخرج من ذنوبه

(١) الكافي : ج ٤ ص ٥٥٣ التهذيب : ج ٦ ص ٧ (٢) الكافي ج ٤ ص ٤٥٤

(٣) جامع الاخبار : ص ٢١ وتهذيب الاحكام : ج ٦ ص ٣ ودعائم الاسلام ج ١ ص ٢٩٦

(٤) الحنين : الشوق تحن اليكم أي تشتاق اليكم .

حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه .

فابشر يا عليّ وبشر أوليائك ومحبيك من النعيم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولكن حثالة^(١) من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها اولئك شرار امتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي^(٢) .

وقال الصادق (ع) : «لوان أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن عليّ لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله (ص) ، لأن حقّ الحسين فريضة من الله واجبة على كلّ مسلم^(٣) .

والأخبار في فضل زيارة الأئمة المعصومين عليهم السّلام وثوابها ولا سيّما زيارة أبي عبد الله الحسين وأبي الحسن الرضا (ع) وفضلهما على الحجّة والعمرة والغزوة أكثر من أن تحصى .

ولعلّ السرّ في فضل زيارتهم على تلك العبادات ان في زيارتهم صلة وبرّاً لهم ولرسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وفاطمة (ع) وشيعتهم ومحبيهم بل سائر النبيين والوصيين (ع) ، وإدخال سرور عليهم وإجابة لهم وتجديد عهد لولايتهم واحياء لأمرهم وتبكيته^(٤) لأعدائهم^(٥)

(١) حثالة ككناسة : القشارة وما لا خير فيه والردى من كل شيء وهي بالمهملة ثم المثلثة .

(٢) تهذيب الاحكام : ج ٦ ص ٢٢

(٣) تهذيب الاحكام : ج ٦ ص ٤٢ كامل الزيارات ص ١٢٢ (٤) التبكيته : الغلبة بالحجة والتقريع .

(٥) عليّ ما ورد في رواية معارية بن وهب عن الصادق (ع) حيث قال : دخلت على أبي عبد الله (ع) فوجدته في مصلاه في بيته فجلست حتى قضى صلاته فسمعتة وهو يناجي ربه وهو يقول :

يا من خصنا بالكرامة وخصنا بالوصية ووعدنا الشفاعة واعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي الينا ، اغفر لي ولاخواني ولزوار قبر أبي الحسين صلوات الله عليه الذين انفقوا اموالهم واشخصوا ابدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلتنا وسروراً ادخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله واجابه منهم لامرنا وغيظنا ادخلوه على عدونا ، ارادوا بذلك رضاك فكافهم غداً بالرضوان ، واكلاءهم بالليل والنهار ، واخلف على اهلهم واولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف ، واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك او شديد «الى ان قال» اللهم ان اعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص الينا وخلافهم على من خالفنا ، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس ، وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله (ع) وارحم تلك الاعين التي جرت دموعها رحمة لنا ، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا ، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا ، اللهم اني استودعك تلك الانفس وتلك الابدان حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش ، فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء . قال في آخره : يا معاوية ان من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الارض .

وفي ذلك كله رجاء لما عند الله الذي لا يخيب من رجاء وطلب لرضاه سبحانه الذي يرضى لمن أرضاه .

وهي مع ذلك كله عبادة لله تعالى ومسرة له عز ذكره من جهة إدخال السرور على رسوله وعلى ذريته وأوصيائه ، ومن جهة الاتيان بعبادته المأمور بها ومسرة لهم من هذه الجهة أيضاً وقد ثبت وتقرر جلالة قدر المؤمن عند الله وثواب صلته وبره وإدخال السرور عليه من جهة كونه مؤمناً فحسب فما ظنك بمن عصمه الله عن الخطأ وطهره من الرجس وجعله إماماً للمؤمنين وقُدوة للمتقين وله خلق السماوات والأرضين وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله وبابه الذي يؤتى منه وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء وحجج وأولياء هذا .

مع أن مقابرهم مشاهد أرواحهم العلية المقدسة ومحال حضور أشباحهم البرزخية النورية ، فانهم هناك يشهدون وهم احياء عند ربهم يرزقون بما آتاهم من فضله فرحون .

وأما الحجّة والعمرة والغزوة وغير ذلك فانها وإن كان فيها إنفاق أموال ورجاء آمال وإشخاص أبدان وهجران أوطان وتحمل مشاق وشهود شعائر وحضور مشاعر ، إلا أنها ليست بتلك المثابة في المثوبة لأن هذه إنما هي عبادة لله تعالى وإجابة لأمره عز ذكره ومسرة له ولأوليائه بالاتيان بالعبادة فحسب ، وليست فيها جميع تلك الامور التي نبهنا عليها هناك .

مع أنها تتأتى من كل مدع للاسلام وإن كان ناصبياً بخلاف تلك ، فانها لا تتأتى إلا ممن كان يعرف قدراً من قدرهم وطرفاً من منزلتهم ولو ناقصاً .

قال الرضا (ع) : « إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإن من غاية الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة » (١) .

(١) علل الشرائع : ص ٤٥٩

المقالة السادسة

في سائر الأعمال الصالحة وفيها خمسة أبواب .

الباب الاول

في التوبة

في التوبة وهي تبرأ القلب عن الذنب والرجوع من البعد إلى القرب وبعبارة اخرى ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير ، وهي فرض على كل حال وعلى الفور ومن شرطها أن تكون لله لا لمال أو جاه أو خوف من سلطان أو عدم أسباب ، وأن يتندم ، أما الندم أعني تألم القلب وحزنه على الذنب الذي هو روح التوبة فغير مقدور وهو التوبة حقيقة ، إنما المقدور تحصيل أسبابه من العلم والايمان وتحقيقها في قلبه .

قال النبي (ص) : « الندم توبة »^(١) إذ لا يخلو الندم عن علم أوجهه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه ، فيكون الندم محضوفا بطرفيه أعني ثمره ومثمره والطريق إليها ذكر ما ورد في فضلها والعلم بقبح الذنوب وشدة العقوبة وضعف النفس عن الاحتمال وشرف الاخرة وخساسة الدنيا وقرب الموت ولذة المعرفة والمناجاة الممتنعة مع الاصرار ، وخوف الاملاء بعدم الأخذ الحالي والاستدراج بالاحسان وقلع أسباب الاصرار وهي الغرور وحب الدنيا وطول الأمل .

قال الله تعالى : ﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾^(٢) وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ﴾^(٣) الآية ، ومعنى النصوح التخالص لله خالياً عن الشوايب وقال تعالى : ﴿ إن الله يحب المتواابين ويحب المتطهرين ﴾^(٤) .

وقال رسول الله (ص) : « التائب حبيب الله ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له »^(٥) وقال

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٤ وتحف العقول : ص ٤٥ والمعالي : ج ١ ص ٢٩٢

(٢) سورة النور : آية ٣١ (٣) سورة التحريم : آية ٨ (٤) سورة البقرة : آية ٢٢٢ (٥) احياء علوم الدين : ج ٤ ص

الباقر (ع): «ان الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها»^(١) (٢) وقال الصادق (ع) في قوله تعالى: «توبوا إلى الله توبة نصوحاً»^(٣): «قال هو الذنب الذي لا يعود إليه أبداً ، قيل : وأينا لم يعد ؟ قال : يا فلان إن الله يحب من عبده المفتن»^(٤) التواب»^(٥) يعني الكثير الذنب الكثير التوبة .

وقال: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه قيل : وكيف يستر عليه ؟ قال ينسى ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحى الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اکتمي عليه ذنوبه فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»^(٦) .

الفصل الأول

التوبة بالندم على الذنب

اعلم أنه مهما أشرق نور الايمان على القلب أثمر نار الندم على الذنب فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوباً عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فسطح عليه النور بانقشاع^(٧) سحب او انحسار^(٨) حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك ويشتعل نيران الحب في قلبه فينبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتدارك ، فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها .

وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر كما أشرنا إليه فمن نظر أولاً بنور البصيرة إلى التوبة ما هي ثم إلى الوجوب ما معناه فلا يشك في ثبوته لها .

وذلك بأن يعلم (علم خ) أن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد ، وعلم أن لا سعادة في دارالبقاء إلا في لقاء الله وأن كل محجوب عنه شقي لا محالة يحول بينه وبين ما يشتهييه محترق بنار الفراق ونار جهنم ، وعلم أنه لا مبعث عن

(١) فالله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها ، كذا في الوافي .

(٢) الكافي : ج٢ ص٤٣٥ (٣) سورة التحريم : آية ٨ (٤) قال في الوافي : يعني الذي يكثر ذنبه ويكثر توبته ، يذنب الذنب فيتوب منه ثم يتلبى به فيعود ثم يتوب وهكذا من الافئان او التفتين بمعنى الايقاع في الفتنة

(٥) الكافي : ج٢ ص٤٣٢ (٦) الكافي : ج٢ ص٤٣٠ (٧) تقشع السحاب أي تصدع واقلع .

(٨) الانحسار : الانكشاف .

لقاء الله إلا أتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حبّ ما لا بد من فراقه قطعاً ، وعلم أنه لا مقرّب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلباً للانس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته ، وعلم أن الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحباب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله .

وكل علم يراد ليكون باعثاً على عمل فلا يقع التفصي عن عهده ما لم يصر باعثاً فالعلم بضرر الذنوب إنما اريد ليكون باعثاً على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان .

وهو المراد بقول النبي (ص) : « لا يزن الزاني حين يزني وهو مؤمن » (١) ، وما اراد به نفي الايمان بالله وبوحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافي الزنا والمعاصي ، وإنما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعداً عن الله وموجباً للمقت ، وليس الايمان باباً واحداً بل هو كما ورد نيف وسبعون باباً أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .

ومثاله قول القائل ليس الانسان موجوداً واحداً بل هو نيف وسبعون موجوداً أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى عن البشرية بأن يكون مقصوص الشارب ومقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسله المتلوثه بأروائها المستكرهه الصور بطول مخالبتها وأظفارها .

فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرّسالة هو كإنسان مقطوع الاطراف مفقوء^(٢) العينين فاقد لجميع أعضائه الظاهرة والباطنة إلا أصل الروح .

وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فيزايله الروح الضعيفة المنفردة التي يتخلف عنها الاعضاء التي تمدّها وتقويها ، فكذلك من ليس له إلا أصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من أن ينقطع عنه شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدّمة قدوم ملك الموت ووروده .

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٨ ورواه الترمذي ج ١٠ ص ٩١ من حديث ابو هريرة

(٢) فتا الدملي : شقّه ليخرج ما فيه من المدة والعين قلعهما بخقها أي عورها . المنجد «أقول» . ومنه الحديث كما في مجمع البحرين : لو أن رجلاً أضغ في بيت قوم فقفاً اعينه لم يكن عليهم شيء

فكسل ايمان لم يثبت في النفس أصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف^(١) الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة إلا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت فهذا امر يظهر عند الخاتمة وإنما تقطعت نياط العارفين خوفاً من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأقلون .

الفصل الثاني

عمومية وجوب التوبة

اعلم أن وجوب التوبة عام في الاشخاص والاحوال فلا ينفك أحد عنه البتة قال الله تعالى : ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾^(٢) فعمم الخطاب ، ونور البصيرة أيضاً يرشد إليه إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب الى الشيطان ولا يتصور ذلك إلا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان إلى اغواء الانسان .

إذ كمال العقل إنما يكون عند مقاربة الأربعين وأصله إنما يتم عند مراعاة البلوغ ومباده تظهر بعد سبع سنين ، والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكة وإذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة إذ لا يثبت أحدهما للآخر فانهما ضدان فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار وبين النور والظلمة ومهما غلب احدهما أزعج الآخر بالضرورة .

وإذ كانت الشهوات تكمل في الصبي والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به انس والى لا محالة بمقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه وتعسر عليه النزوع عنه .

ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله ومنقذ أوليائه من أيدي أعدائه شيئاً فشيئاً على التدريج ، فان لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعوده حيث قال : ﴿لأحتكن ذريته إلا قليلاً﴾^(٣) وإن قوي العقل وكمل كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر والغلبة إلى العبادات ولا معنى للتوبة إلا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيته^(٤) الشيطان الى طريق الله تعالى .

(١) عصفت الريح : اشتدت فهي عاصفة والجمع عاصفات وعواصف

(٢) سورة النور : آية ٣١ (٣) سورة الاسراء : آية ٦٢

(٤) الخفي : المجرى ومنه الحديث : الحمد لله حمداً يكون خفيراً لي من نعمته أي حافظاً ومجيراً لي من انتقامه وعذابه .

وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة للشيطان متقدّمة على غريزته التي هي عدة للملائكة فكان الرجوع عمّا سبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريًا في حق كل انسان .

وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه فان خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهمّ بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهمّ فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المذهلة عن ذكر الله ، فان خلا منه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وبآثاره بحسب طاقته .

وكل ذلك نقص وله أسباب وترك أسبابه بتشاغله أضدادها رجوع عن طريق إلى ضده ، والمراد بالتوبة الرجوع ولا يتصرو الخلوّ في حق الادمي عن هذا النقص وإنما يتفاوتون في المقادير وأما الاصل فلا بد منه إلا أن الانبياء والاصياء عليهم السلام ليس ذنوبهم كذنوبنا وإنما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات وحرمانهم زيادة الأجر بسبب ذلك .

قال الصادق (ع) : « إن رسول الله (ص) كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مائة مرة من غير ذنب إن الله يخص أوليائه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب »^(١) ، يعني من غير ذنب كذنوبنا ، فان ذنب كل أحد إنما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله .

ثم اعلم أنه لا يكفي في تدارك الشهوات تركها في المستقبل بل لا بدّ من محو آثارها التي انطبعت في القلب بنور الطاعات قال النبي (ص) : « اتبع السيئة بالحسنة تمحها »^(٢) .

وينبغي أن تكون الحسنة الماحية للسيئة مناسبة لتلك السيئة فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبحضور مجالس الذكر ، ويكفر القعود في المساجد جنبًا بالعبادة فيه إلى غير ذلك وليس ذلك شرطًا .

وقد روي أن رجلا قال لرسول الله (ص) : « اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء إلا المسيس فاقض علي بحكم الله ، فقال : أما صليت معنا ؟ فقال : بلى ، فقال : إن الحسنات يذهبن السيئات »^(٣) .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٤٥٠

(٢) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١١ (٣) أخرجه البخاري : ج ٦ ص ٩٤ من حديث ابن مسعود .

ولا بد أن يكون عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويمحو أثرها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو قال الله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾^(١) ومعناه عن قرب عهد به قال: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾^(٢) قال الصادق (ع): «ذلك إذا عاين أمر الآخرة»^(٣).

وذلك لأن التوبة مقبولة، قبل أن يعاين كما ورد عن رسول الله (ص) ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية كان بين خطرتين عظيمين أحدهما أن يتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعاً فلا يقبل المحو والثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر: «أن أكثر صياح أهل النار من التسوية».

الفصل الثالث

كل توبة صحيحة مقبولة

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الآخرة في جوار الله، وعلموا أن القلب خلق سليماً في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وإنما يفوته السلامة بكدورة ترهق^(٤) وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها، وأن نار الندم تحرق تلك الغبرة، وإن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة، وإنه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون والماء الحار إلا أن يتراكم الذنوب حتى تصير طبعاً وريناً.

وهذا مثل أن يغوص^(٥) الوسخ لطول تراكمه في تجايف الثوب وخلله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب وإن قال بلسانه: تبت وهذا البيان كاف لقبول التوبة المتضمنة لشروطها قال الله تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾^(٦) وقال: ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾^(٧).

وقال النبي (ص): «إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ»^(٨) وقال: «لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندتم لتاب الله عليكم»^(٩).

(١) سورة النساء: آية ١٧ (٢) سورة النساء: آية ١٨ (٣) من لا يحضره الفقيه: ج ١ ص ٧٩

(٤) قوله تعالى: ﴿وترهقهم ذلة أي تغشاهم﴾ ومثله قوله تعالى: ﴿وترهقها فترة أي تغشاهم غبرة﴾ م.

(٥) غاص في المعاني إذا بلغ أقصاها حتى استخرج ما تعد منها م. (٦) سورة النساء: آية ١٨

(٧) سورة غافر: آية ٣ (٨) إحياء علوم الدين: ج ٤ ص ١٤ (٩) إحياء علوم الدين: ج ٤ ص ١٤

وقال الباقر (ع) لمحمد بن مسلم : ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة أما والله إنها ليست إلا لأجل الايمان قال : قلت : فان عاد بعد التوبة والاستغفار في الذنوب وعاد في التوبة ، فقال : يا محمد ابن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته ؟ قلت : فانه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر فقال : كلما أعاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وإن الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فأياك أن تقتط المؤمنين من رحمة الله « (١) .

وقال الصادق (ع) : « إن الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله بالذنب الجنة ، قيل يدخله الله بالذنب الجنة ؟ قال : نعم إنه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة » (٢) .

الفصل الرابع أقسام الذنوب

اعلم ان الذنوب تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله وإلى ما يتعلق بحقوق العباد ، والأول إما مغفور وإما مرجو المغفرة .

قال أمير المؤمنين (ع) : « الذنوب ثلاثة : فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه ، قيل : يا أمير المؤمنين فبينها لنا ، قال : نعم .

أما الذنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا والله تعالى أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين .

وأما الذنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض إن الله إذا برز للخلقة أقسم قسماً على نفسه فقال : وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفأ بكف ولو مسحة بكف ولو نطحة ما بين القرناء إلى الجماء (٣) فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد مظلمة ثم يعثهم الله للحساب .

وأما الذنب الثالث فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة منه فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربه فنحن له كما هو لنفسه ونرجو له الرحمة ونخاف عليه العقاب « (٤) .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٤٣٤ (٢) الكافي : ج ٢ ص ٤٢٦ (٣) كيش أجم لا قرن له والائى جماء ، وقرناء خلاف جماء

(٤) الكافي : ج ٢ ص ٤٤٣

ولعله (ع) اراد بالتوبة التوبة المشكوك في شروطها لما عرفت أن التوبة الجامعة للشرايط مقبولة فاذا كانت مقبولة فالذنب لا محالة مغفور .

وبقسمة ثانية تنقسم الذنوب إلى صغائر وكبائر قال الله تعالى : ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾^(١) وقال تعالى : ﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللثم﴾^(٢) وقال النبي (ص) : « الصلاة الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن إن اجتنب الكبائر »^(٣) .

وقد كثرت الأقوال في تعيين الكبائر واختلفت الروايات فيها فعن الصادق (ع) في قوله تعالى : ﴿ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ قال : « الكبائر التي أوجب الله عليها النار »^(٤) وعنه (ع) « أنه سئل عن الكبائر فقال : هن في كتاب علي (ع) سبع : الكفر بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، واكل الربا بعد البينة ، واكل مال اليتيم ظلماً ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، قيل له : فأكل درهم من مال اليتيم ظلماً أكبر أم ترك الصلاة ؟ قال : ترك الصلاة قيل : فما عدت ترك الصلاة في الكبائر ، فقال : أي شيء أول ما قلت لك ؟ قال : الكفر ، قال فإن تارك الصلاة كافر يعني من غير علة »^(٥) .

وعن الكاظم (ع) « انه سئل عن الكبائر كم هي وما هي ؟ فكتب : الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر الله عنه سيئاته إذا كان مؤمناً ، والسبع الموجبات^(٦) قتل نفس الحرام ، وعقوق الوالدين وأكل الربا ، والتعرب بعد الهجرة^(٧) وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف^(٨) »^(٩) .

وعن الجواد (ع) قال : « سمعت أبي يقول سمعت أبي موسى بن جعفر (ع) يقول : دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله (ع) فلما سلم وجلس تلا هذه الآية : ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش﴾^(١٠) ثم أمسك فقال له أبو عبد الله (ع) ما أسكتك ؟ قال : احب أن أعرف

(١) سورة النساء آية ٣١ (٢) سورة النجم : آية ٣٢

(٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٧ (٤) الكافي : ج ٢ ص ٢٧٦ (٥) الكافي : ج ٢ ص ٢٧٨

(٦) الموجبات بفتح الجيم أي التي اوجب الله عليه النار ، ويحتمل كسرهما أي التي توجب النار ، كذا كذا في الوافي (٧) التعرب بعد الهجرة هو ان يعود الى البادية ويقيم مع الاعراب بعد أن كان مجابراً وكان من رجع بعد الهجرة الى موضعه من غير عذر يعدونه كالمترد كذا قال ابن الاثير في نهايته ، ولا يعد تعميمه لكل من تعلم آداب الشرع وسنته ثم تركها واعرض عنها ولم يعمل بها . كذا في الوافي .

(٨) المحصنة بفتح الصاد : المعروفة بالعفة ، والزحف المشي الى العدو للمحاربة . الوافي

(٩) الكافي : ج ٢ ص ٢٧٦ (١٠) سورة الشورى : آية ٣٧

الكبائر من كتاب الله ، فقال : نعم يا عمرو أكبر الكبائر الاشرار بالله يقول الله : ﴿من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾^(١) وبعده الاياس من روح الله لأن الله يقول : ﴿إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾^(٢) ثم الأمن من مكر الله لأن الله تعالى يقول : ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾^(٣) ومنها عقوق الوالدين لأن الله تعالى جعل العاق جباراً^(٤) شقيماً ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق لأن الله يقول : ﴿فجزاءه جهنم خالداً فيها﴾^(٥) الآية وقذف المحصنة لأن الله تعالى يقول : ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾^(٦) وأكل مال اليتيم لأن الله تعالى يقول : ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾^(٧) والفرار من الرّحف لأن الله يقول : ﴿من يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً﴾^(٨) لقتال أو متحيزاً^(٩) إلى فئة فقد باء بغضب من الله وماويه جهنم وبئس المصير﴾^(١٠) وأكل الربا لأن الله يقول : ﴿الذين يأكلون الربوا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾^(١١) والسحر لأن الله يقول : ﴿ولقد علموا لمن اشتريه ماله في الآخرة من خلاق﴾^(١٢) والزنا لأن الله يقول : ﴿ومن يفعل ذلك يلق اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾^(١٣) واليمين الغموس^(١٤) الفاجرة لأن الله يقول : ﴿الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾^(١٥) والغلول^(١٦) لأن الله يقول : ﴿ومن يغلل يأتي بما غل يوم القيامة﴾^(١٧) ومنع الزكاة المفروضة لأن الله تعالى يقول : ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾^(١٨) وشهادة الزور وكتمان الشهادة

(١) سورة المائدة : آية ٧٢ (٢) سورة يوسف : آية ٨٧ (٣) سورة الاعراف : آية ٩٩

(٤) حيث قال سبحانه عن عيسى (ع) : ﴿وبراً بالذمتي ولم يجعلني جباراً شقيماً﴾ أي عاقاً لها

(٥) سورة النساء : آية ٩٣ (٦) سورة النور : آية ٢٣ (٧) سورة النساء : آية ١٠

(٨) فسر بالكر بعد الفرخييل عدوه انه منهزم ثم يتعطف عليه وهو نوع من مكاييد الحرب

(٩) أي منحازاً متضمناً إلى فئة أي جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها

(١٠) سورة الانفال : آية ١٦ (١١) سورة البقرة : آية ٢٧٥

(١٢) سورة البقرة : آية ١٠٢ (١٣) سورة الفرقان : آية ٦٨/٦٩

(١٤) قال في محجة البيضاء : وهي التي يحق بها باطلاً أو يبطل بها حقاً ، وسميت غموساً لانها تغمس صاحبها في النار .

وقال في الوافي : الغموس الفاجرة أي الكاذبة سميت غموساً لانها تغمس صاحبها في الاثم .

(١٥) سورة آل عمران : آية ٧٧

(١٦) الغلول الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة سميت غلولاً لان الايدي فيها مغلولة أي ممنوعة كذا

في النهاية الاثيرية (١٧) سورة آل عمران : آية ٦١ (١٨) سورة التوبة : آية ٣٥

لأن الله يقول: ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾^(١) وشرب الخمر لأن الله نهى عنها^(٢) كما نهى عن عبادة الأوثان، وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله، لأن رسول الله (ص) قال: من ترك الصلاة متعمداً فقد برأ من ذمة الله وذمة رسوله، ونقض العهد وقطيعة الرحم لأن الله يقول: ﴿لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾^(٣).

قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه يقول: هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم^(٤).

إن قيل كيف ورد الشرع بما لم يبين حدّه؟ قلنا إن كلّ ما لا يتعلق به حكم في الدّنيا جاز أن يتطرق إليه الإبهام والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدّنيا من حيث إنها كبيرة، فإن موجبات الحدود معلومة بأسبابها وإنما حكم الكبيرة أن اجتنابها يكفر الصّغائر وأن الصلاة الخمس لا يكفرها، وهذا أمر يتعلق بالأخرة والإبهام أليق به حتّى يكون النّاس على وجل وحذر فلا يتجرؤون على الصّغائر اعتماداً على الصّلوات الخمس واجتناب الكبائر.

ثم اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصّغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والإرادة، كمن يتمكن من امرأة ومن مواععتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع أشدّ تأثيراً في تنوير قلبه من اقدمه على النظر في إظلامه فهذا معنى تكفيره، فإن كان امتناعه لعجز أو خوف أو نحو ذلك فلا يصلح للتكفير وكذلك من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصّغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوزار.

الفصل الخامس

الذنوب الصغيرة بوابة الذنوب الكبيرة

اعلم أنّ الصغيرة قد تكبر بأسباب.

منها الاصرار والمواظبة، قال الصادق (ع): «لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار»^(١) مثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على التوالي فتؤثر فيه، وذلك القدر من الماء لو صبّ عليه دفعة لم يؤثر، وقال الباقر (ع) في قوله تعالى: ﴿ولم يصروا على ما

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٣

(٢) في قوله تعالى ﴿انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾.

(٣) سورة الرعد: آية ٢٥ (٤) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٥

(٥) الكافي: ج ٢ ص ٢٨٨

فعلوا وهم يعلمون»^(١) قال : « الاصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة
فذلك الاصرار »^(٢).

ومنها أن يستصغر الذنب فان العبد كلما استعظمه من نفسه صغر عند الله وكلما استصغره
كبر عند الله ، لان استعظامه يصدر عن نفور^(٣) القلب عنه وكراهيته له وذلك النفور يمنع من
شدة تأثره به واستصغاره يصدر من الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو
المطلوب تنويره بالطاعات والمحدور تسويده بالسيئات ، ولذلك لا يؤخذ بما يجري عليه في
الغفلة .

قال الصادق (ع) : « قال رسول الله (ص) : اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر
قيل : وما المحقرات ؟ قال : الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك »^(٤).

وقال (ع) : « إن الله يحب العبد أن يطلب إليه في الجرم العظيم ويبغض العبد أن
يستخف بالجرم اليسير »^(٥).

وقال الكاظم (ع) : « لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب فان (قليل خ) الذنوب
تجتمع حتى تكون كثيراً وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف »^(٦).

ومنها السرور بالصغيرة والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب
الشقاوة ، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه فان
الذنوب مهلكات وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحمد عليها فينبغي أن يكون في
مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله .

ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه ولا يدري أنه إنما يمهل مقتاً ليزداد
بالامهال إثماً ، فيظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله به ، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله
وجعله بمكان الغرور بالله كما قال الله تعالى : «ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير »^(٧).

ومنها أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتي به في مشهد غيره فان ذلك جنابة

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٥ (٢) الكافي : ج ٢ ص ٢٨٨

(٣) نفر نفورا الظى وغيره : شردوا بعد المنجد . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٢٨٧

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٤٢٧ (٦) الكافي : ج ٢ ص ٢٨٧ (٧) سورة المجادلة : آية ٨

منه علي ستر الله الذي أسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله ، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلّظت به ، فان انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر ، وهذا لأن من صفات الله سبحانه ونعمه أنه يظهر الجميع ويستر القبيح ولا يهتك السّتر ، فالإظهار كفران لهذه النعمة .

قال الرّضا (ع) : قال رسول الله (ص) : « المستر بالحسنة يعدل سبعين حسنة والمذيع بالسيئة مخذول ، والمستر بها مغفور له »^(١) .

وقال الصادق (ع) : « من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه ، ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله عليه فنحوه »^(٢) .

ومنها أن يكون المذنب عالماً يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه ، كلبس العالم الأبريسم والذهب وأخذه مال الشبهة وإطلاق اللسان في الاعراض ونحو ذلك فهذه ذنوب يتبع العلم عليها فيموت ويبقى شرّه مستطيراً في العالم فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ، فعلى العالم وظيفتان أحدهما ترك الذنب والآخرى إخفاؤه وكما يتضاعف أوزاره فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات إذا اتبع .

الفصل السادس نتائج ارتكاب الذنوب

في الحديث النبويّ (ص) : « ما من يوم طلع فجرها ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما : يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، فيقول الآخر : ويا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا ، فيقول الآخر : ويا ليتهم إذا لم يعملوا بما علموا تابوا ممّا عملوا »^(٣) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « لا تبدين عن واضحة^(٤) وقد عملت الاعمال الفاضحة ، ولا تامنّ البيات^(٥) وقد عملت السيئات »^(٦) .

وقال الباقر (ع) : « إن الله قضى قضاء حتماً أن لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى

(١) الكافي : ج ٢ ص ٤٢٨ (٢) امالي : المفيد : ص ١٢ والكافي : ج ٢ ص ٤٤٢

(٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٤٩ (٤) الواضحة : الاسنان التي تبدو عند الضحك المنجد

(٥) البيات : الاخذ بالمعاصي . م . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٢٧٣

يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النعمة»^(١).

وقال (ع): «ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إنَّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله»^(٢) وقال (ع): «إن العبد ليذنب الذنب فيزوي عنه الرزق»^(٣).

وقال الصادق (ع): «أما أنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب وذلك قول الله تعالى في كتابه: ﴿ما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾»^(٤) قال: وما يعفو الله أكثر مما يؤخذ به»^(٥).

وقال (ع): «إنَّ الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم»^(٦).

وقال (ع): «يقول الله تعالى: إن أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن احرمه لذيق مناجاتي»^(٧).

وقال (ع): «من همَّ بسيئة فلا يعملها فانه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب تبارك وتعالى فيقول وعزتي لا اغفر لك بعد ذلك أبداً»^(٨).

وقال الكاظم (ع): «حق على الله أن لا يعصى في دار إلا أضحاها للشمس حتى تطهرها»^(٩).

وقال رسول الله (ص): «إنَّ العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام، وأنه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن»^(١٠).

وعن أمير المؤمنين (ع) أنه قال لقائل بحضرته: استغفر الله ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار، إن الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما

(١) الكافي: ج٢ ص٢٧٣ (٢) الكافي: ج٢ ص٢٦٨

(٣) الكافي: ج٢ ص٢٧٠ (٤) سورة الشورى: آية ٣٠ (٥) الكافي: ج٢ ص٢٦٩ (٦) المحاسن: ص١١٥ والكافي: ج٢ ص٢٧٢ (٧) احياء علوم الدين: ج٤ ص٥٢.

(٨) الكافي: ج٢ ص٢٧٢ والمحاسن: ص١١٧

(٩) الكافي: ج٢ ص٢٧٢

(١٠) الكافي: ج٢ ص٢٧٢

مضى والثاني العزم على ترك العود عليه أبداً والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس^(١) ليس عليك تبعة والرابع أن تعتمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها والخامس أن تعتمد إلى اللحم الذي نبت على السحت^(٢) فتذيب بالأحزان حتى يلمص الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد السادس ان تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذنته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله .

وقال (ع) : «ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة وكم من شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا ، والموت فضح^(٣) الدنيا ولم يترك لذي لب فرحاً^(٤)» (٥)

الفصل السابع

فيما يجب أن يفعله التائب

في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : «التوبة جبل الله ومدد عنايته ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال ، وكل فرقة من العباد لهم توبة ، فتوبة الانبياء من اضطراب السر ، وتوبة الاولياء من تلوث الخطرات ، وتوبة الاصفياء من التنفيس وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله ، وتوبة العام من الذنوب .

(١) شيء أملس أي لاختشونة فيه ، نزل حقوق الناس منزلة الخشونة فمن أداها بتمامها فكانما أزالها فصار أملس ولم يبق عليه خشونة .

(٢) سحته واسحته أي استأصله ويسمى الحرام سحتا لانه يعقب عذاب الاستيصال أو لانه يسحت مروة الانسان .

(٣) فضحه فضحاً : كشف مساوئه . المنجد

(٤) ومجمل القول في طريق تحصيل التوبة والعلاج لحل عقدة الاصرار على الذنوب : أن يتذكر ما ورد في فضلها كما مر في المتن ، ويتذكر قبح الذنوب وشدة العقوبة وما ورد في الكتاب والسنة من ذم المذنبين والعاصين ويتأمل في حكايات الانبياء عليهم السلام وما جرى عليهم في الدنيا من المصائب والشدايد بسبب تركهم الاولى كآدم (ع) حيث أخرج من الجنة لاكله الشجر ، ويعقوب (ع) حيث ابتل بفراق يوسف لقوله لاختوته : اني أخاف ان يأكله الذئب ، ويوسف (ع) حيث لبث في السجن بضع سنين لقوله (ع) للناسي من الفتين : اذكروني عند ربك .

وان يعلم ان كلما يصيب العبد في الدنيا من العقوبة والمصائب فانما هو بسبب معصيته وجنایاته كما دلت عليه الاخبار الكثيرة المذكور بعضها في المتن ، وان يتذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والكبر والكذب والحسد واخذ مال الحرام وغير ذلك من آحاد المعاصي ، ثم يتذكر ضعف نفسه وعجزها عن احتمال عذاب الآخرة وعقوبة الدنيا ، ثم يتذكر خساسة الدنيا وشرف الآخرة وقرب الموت ولذة المناجاة مع ترك الذنوب ولا يغتر بعدم الاخذ الحالي اذ لعله من الاملاء والاستدراج ،

فمن تأمل في جميع ذلك حق التأمل انبعث نفسه للتوبة البتة ومن لم ينزعج بعد ذلك الى التوبة فهو اما معتوه أو غير معتقد بالمعاد ، فان من يقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ، ولم يكن له في الدنيا مستقر . وفقنا الله تعالى لما يحب ويرضى (٥) الكافي : ج٢ ص٤٥١

ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره وذلك يطول شرحه هنا .

فاما توبة العام فان يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنائته دائما واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك إلى الكسل ويديم البكاء والاسف على ما فاته من طاعة الله ويحس نفسه من الشهوات ، ويستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه من العود إلى ما سلف ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ، ويقضي الفوايت من الفريض ويرد المظالم ويعتزل قرناء السوء ويسهر ليله ويظماً نهاره ، ويتفكر دائما في عاقبته ويستعين بالله سائلا منه الاستقامة في سرائه وضرائه ، ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين ، فان في ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله : ﴿ فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ (١) (٢) .

الباب الثاني

في المحاسبة والمراقبة

قال الله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (٣) وقال الله تعالى : ﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ﴾ (٤) وقال : ﴿ يوم يعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصيه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد ﴾ (٥) وقال : ﴿ يومئذ يصدر الناس اثناتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ (٦) وقال : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ﴾ (٧) وقال : ﴿ واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ﴾ (٨) .

فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات ، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند

(١) سورة العنكبوت : آية ٣ (٢) مصباح الشريعة : ص ٩٧

(٣) سورة الانبياء : آية ٤٧ (٤) سورة الكهف : آية ٤٩ (٥) سورة المجادلة : آية ٦

(٦) سورة الزلزلة : آية ٨/٦ (٧) سورة آل عمران : آية ٣٠ (٨) سورة البقرة : آية ٢٣٥

السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات
القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي سيئاته .

وقال الصادق (ع) : « إذا أراد احدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فليأس من الناس كلهم
ولا يكون له رجاء إلا من عند الله ، فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه فحاسبوا
انفسكم قبل أن تحاسبوا عليها ، فان للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقام ألف سنة ثم تلا ﴿ في
يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ (١) (٢) .

فتفريع المحاسبة على الأمر باليأس من الناس والرجاء من الله يدل على أن الانسان إنما
يرجو الناس من دون الله في عامة أمره وهو غافل عن ذلك وأن عامة المحاسبات إنما ترجع إلى
ذلك وذكر الوقوف في مواقف القيامة بعد الأمر بمحاسبة النفس يدل على أن الوقفات هناك إنما
تكون للمحاسبات ، فمن حاسب نفسه في الدنيا يوماً فيوماً لم يحتج إلى تلك الوقفات في ذلك
اليوم قال الله تعالى : ﴿ ولتنتظر نفس ما قدمت لغد ﴾ (٣) .

وورد في الخبر ينبغي أن يكون للعاقل أربع ساعات (٤) ساعة يحاسب فيها نفسه ، وفي
مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « لو لم يكن للحساب مهولة « مهول خ » إلا حياء العرض على
الله تعالى وفضيحة . هتك السر على المخفيات لحق للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ولا
يأوي إلى عمران ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطراب متصل بالتلف ومثل ذلك يفعل من يرى
القيامة بأهوالها وشدايدها قائمة في كل نفس ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار حينئذ يأخذ
نفسه بالمحاسبة كانه إلى عرصاتها مدعو وفي غمراتها مسؤول ، قال الله تعالى : ﴿ وإن كان مثقال
حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾ (٥) (٦) .

الفصل الأول

معنى المحاسبة

معنى المحاسبة أن يطالب نفسه أولاً بالفرايض التي هي بمنزلة رأس ماله فان أدتها على
وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها ، فان فوتتها من أصلها طالبها بالقضاء ، فان أدتها
ناقصة كلفها الجبران بالنوافل ، وإن ارتكبت معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها ومعاقبتها واستوفى

(١) سورة المعارج : آية ٤ (٢) الكافي : ج ٨ ص ١٤٣ (٣) سورة الحشر : آية ١٨

(٤) ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر في صنع الله ، وساعة للمطعم والمشرب .

(٥) سورة الانبياء : آية ٤٧ (٦) مصباح الشريعة : ص ٨٥

منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه ، كما انه يفتش في حساب الدنيا من الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغيب في شيء منها .

فينبغي أن يتقي غائلة النفس ومكرها فانها خداعة ملبسة مكاراة فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لم سكت وعن سكونه لم سكن .

فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ما أدى الحق منه كان ذلك القدر محسوباً له فيظهر له الباقي عليه فليشته عليها وليكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته .

ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الديون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة له على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء .

قال الكاظم (ع) : « ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة استزاد الله وإن عمل سيئة استغفر الله منها وتاب إليه »^(١) .

وقال الباقر (ع) : « لا يغرنك الناس من نفسك فان الأمر يصل إليك دونهم ولا يقطع نهارك بكذا وكذا فان معك من يحفظ عليك عملك فاحسن فاني لم أر شيئاً أحسن دركا ولا أسرع طلباً من حسنة محدثة لذنب قديم »^(٢) .

وقال الصادق (ع) : « إن رجلاً أتى النبي (ص) فقال له : يا رسول الله اوصني ، فقال له رسول الله (ص) : فهل أنت مستوص إن أنا اوصيتك حتى قال له ذلك ثلاثاً وفي كلها يقول له الرجل : نعم يا رسول الله فقال له رسول الله (ص) : فاني اوصيتك إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته فان يك رشحاً فامضه وإن يك غياً فانت عنه »^(٣) ، فهذه الوصية من محاسبة النفس بل هي رأسها .

(١) الكافي : ص ٢ ص ٤٥٣ والاحتصاص : ص ٢٦ محاسبة النفس ابن طاووس ص ٢٠ ط دار الحوراء

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٤٥٤ (٣) الكافي : ج ٨ ص ١٥٠

الفصل الثاني

مراقبة العبد لنفسه

ينبغي للعبد أن يراقب نفسه عند الخوض في الأعمال ويلاحظها بالعين الكالية فانها إن تركت طغت وفسدت ، ثم يراقب الله في كل حركة وسكون ، وذلك بأن يعلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سرَّ القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك قال الله تعالى : ﴿الم يعلم بأن الله يرى﴾ (١) وقال الله تعالى : ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ (٢) .

وقال النبي (ص) : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » (٣) وحكي إن زليخا لما خلت بيوسف فقامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف : ما لك أتستحيين من مراقبة جماد ولا استحيين من مراقبة الملك الجبار (٤) .

وفي الحديث القدسي «إنما يسكن جنات عدن الذين إذا همّوا بالمعاصي ذكروا عظمي فراقبوني والذين انحنت اصلاّبهم من خشيتي وعزّتي وجلالي إني لأهمّ بعذاب أهل الارض فاذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب» (٥) .

فهذه المعرفة إذا صارت يقينا يعني أنها إذا خلت من الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب استجرت القلب وقهرته على مراعاة جانب الرقيب وصرفت الهمّة إليه .

والموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين احدهما مراقبة المقربين ، وهي مراقبة التعظيم والاجلال ، وهي أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسراً تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير ، وهذا هو الذي صار همّه همّاً واحدا وكفاه الله ساير الهموم والثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين ، وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم .ملاحظة الجمال والجلال بل بقيت قلوبهم على حدّ الاعتدال متسعة لتلتفت (٦) إلى الأحوال والأعمال والمراقبة فيها وغلب عليهم الحياء من الله فلا

(١) سورة العلق : آية ١٤ (٢) سورة النساء : آية ١ (٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٦٣

(٤) وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها ليلاً فقالت ألا تستحيين ؟ فقال : ممن استحيين وما يرانا الا الكواكب ، فقالت : وأين مكوكبها ؟ .

(٥) المحجّة ج ٨ ص ١٥٩ .

(٦) قوله تعالى ﴿تلفتنا عن آلهتنا﴾ أي تصرفنا عنها من قولهم لفت وجهه لفتنا صرفه الى ذات اليمين أو الشمال . م .

يقدمون ولا يحجمون^(١) إلا بعد الثبوت ويمتنعون من كل ما يفتضحون به في القيامة ، فانهم يرون الله مطلعاً عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة .

فإن العبد لا يخلو اما أن يكون في طاعة أو معصية أو مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص ، والاكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات ، ومراقبته في المعصية بالتوبة والنَّدْم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير ، ومراقبته في المباح بمراعاة الأدب بأن يقعد مستقبل القبلة وينام على اليد اليمنى مستقبلاً إلى غير ذلك .

فكل ذلك داخل في المراقبة وبشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها وبالصبر على البلاء فان لكل ذلك حدوداً لا بدّ من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه^(٢) .

الباب الثالث

في التفكير والتدبّر

قال الله تعالى : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(٣) وقال : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهِا﴾^(٤) وقال النبي (ص) :

(١) اجحم عن الشيء كفت عنه ، مثل أحجم م .

(٢) وحاصل الكلام في المحاسبة والمراقبة : أن يعلم أن العقل بمنزلة تاجر في طريق الآخرة والنفس شريكه فكما ان التاجر يشارط شريكه اولاً ؛ ويراقبه نانياً ، فان قصر في التجارة بالخيانة والخسران يعاتبه ويعاقبه رابعاً ويأخذ منه الزمانة كذلك العقل يحتاج في مشاركة النفس الى هذه الاعمال

فأولها المشارطة وهي ان يشارط النفس ويأخذ منها العهد والميثاق في كل يوم وليلة أن لا يرتكب المعاصي ولا يصدر منها شيء يوجب سخط الله ولا يقصر في شيء من الطاعات الواجبة .

وثانيها المراقبة وهو أن يراقب نفسه عند الخوض في الاعمال فيلاحظها بالعين الكائنة ، ثم يراقب الله في كل حركة وسكون فانه تعالى كما قيل :

شهيّد علينا من رجونا شهوده رقيب علينا من بغونا وفوده

وثالثها المحاسبة وهي أن يطالب النفس ويحاسبها في آخر النهار على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في آخر كل سنة مع الشركاء .

ورابعها المعاتبة والمعاقبة فانه اذا حاسب نفسه فوجدها خائنة في الاعمال مرتكبة للمعاصي مقصرة في حقوق الله فلا ينبغي ان يهملها بل اللازم حينئذ أن يعاتبها ويعاقبها ويكلفها الطاعات الشاقة ويلزمها الرياضات الشديدة اذ لو اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنس بها بحيث يعسر بعد ذلك فطامها عنها ، فهذا ملخص الكلام في هذا الباب والمصنّف « قد » في المحجّة وكذا الغزالي في الاحياء جعلها ستة فجعل الرابعة المعاقبة ، ثم المجاهدة ، ثم المعاتبة ، والله الموفق والمعين .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٩١ (٤) سورة محمد : آية ٢٤

« تفكر ساعة خير من عبادة سنة »^(١) وقال أمير المؤمنين (ع) : « التفكر يدعو إلى البر والعمل به »^(٢) وقال (ع) : « نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربك »^(٣) ، وقال الصادق (ع) : « أفضل العبادة إيمان التفكر في الله وفي قدرته »^(٤) .

ليس المراد بالتفكر في الله التفكير في ذاته سبحانه فانه ممنوع منه لأنه يورث الحيرة والدَّهش واضطراب العقل ، بل المراد منه النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فانها تدلُّ على جلاله وكبريائه وتقديسه وتعالیه ، وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته وإحاطته بالأشياء ومعيته لها .

وهذا تفكر اولي الألباب قال الله تعالى : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه . فقنا عذاب النار ﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿ ومن آياته ﴾^(٦) في مواضع كثيرة ، فتلك الآيات مجاري التفكير في الله وفي قدرته لاولي العلم لا ذاته سبحانه .

وفي الحديث المشهور عن النبي (ص) أنه قال : « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله فانكم لم تقدروا قدره »^(٧) وقال الباقر (ع) : « إياكم والتفكر في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظم خلقه »^(٨) وقال الصادق (ع) : « من نظر في الله كيف هو هلك »^(٩) .

وأما التفكير الذي يدعو إلى البر والعمل فهو أعم من هذا ، فإنه يشمل التفكير في الحسنات والسيئات فإنَّ العبد إذا تفكر في حسناته هل هي تامة أو ناقصة موافقة للسنة أو مخالفة لها خالصة عن الشرك والشك أو مشوبة بهما ، يدعو لا محالة هذا التفكير إلى إصلاحها وتدارك ما فيها من الخلل .

وكذا إذا تفكر في سيئاته وما يترتب عليها من العقوبات والبعد عن الله ، يدعو ذلك إلى الانتهاء عنها وتدارك ما أتى بها بالتوبة والندم .

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٨٦ ومصباح الشريعة : ص ١١٤ والعوالي : ج ٢ ص ٥٧

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٥٥ (٣) الكافي : ج ٢ ص ٥٤ (٤) الكافي : ج ٢ ص ٥٥

(٥) سورة ال عمران : آية ١٩٠ / ١٩١ (٦) سورة الروم : آية ٢٠ (٧) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٥٠ . وحياء علوم

(٨) الدين : ج ٤ ص ٣٨٦ (٩) التوحيد : ص ٤٥٨ (١٠) التوحيد : ص ٤٦٠

وإذا تفكر في صفات الله تعالى وأفعاله من لطفه بعباده واحسانه إليهم بسوابغ النعماء وبسطه الآلاء والتكليف دون الطاقة والوعد لعمل قليل بثواب جليل وتسخير له ما في السماوات والارض وما بينهما إلى غير ذلك يدعو ذلك لا محالة إلى البرّ والعمل به والرغبة في الطاعات والانتهاز عن المعاصي .

وهذا تفكر المتوسّطين وإليه الاشارة بقول الرضا (ع) : « ليس العبادة كثرة الصلّاة والصّوم إنما العبادة التفكر في امر الله »^(١) وسئل الصادق (ع) « عما يروي الناس أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة كيف تتفكر؟ قال : تمر بالخربة مرة أو بالدار فتقول : أين ساكنوك؟ أين بانوك؟ ما لك لا تتكلمين »^(٢).

وهذا التفكر المفسّر به الحديث النبوي (ص) دون الأولين في الفضل ، ولعل الحديث النبوي أعم منه وإنما فسره الصادق (ع) على قدر مرتبة المخاطب ، فان تفكر كلّ أحد إنما يكون بحسب فهمه ورتبته ، وقد أوردنا مجاري التفكير بتفصيلها في كتابنا الموسوم بعلم اليقين من أرادها رجع إليها^(٣) .

الفصل الأول

الاتعاظ بما مضى من الدنيا

في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « اعتبروا بما مضى من الدنيا هل يبقى على أحد وهل فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي والعدوّ؟ وكذلك ما لم يأت منها بما مضى أشبه من الماء بالماء ، وقال رسول الله (ص) : كفى بالموت واعظاً ، وبالعقل دليلاً ، وبالتقوى زاداً ، وبالعبادة شغلاً ، وبالله مونساً ، وبالقرآن بياناً قال (ص) : لم يبق من الدنيا

(١) الكافي : ج ٢ ص ٥٥ وتحف العقول ص ٣٢٥ (٢) الكافي : ج ٢ ص ٥٤

(٣) ومن مجاري التفكير قول النبي (ص) كما في المحجة والاحياء : ان روح القدس نفث في روعي : أحبب ما

« من خ » أحببت فانك مفارقة ، وعش ما شئت فانك ميت ، واعمل ما شئت فانك مجزى به

فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والآخرين ، وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر ، اذ لو وقفوا على

معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية « اقول » :

ومن مجاري التفكير أيضاً قول الشاعر :

روزها فکرم اینست همه شب سختم	که جرا غافل از احوال دل خویشتم
از کجا آمده ام آمدنم بهرجه بود	بکجا میروم آخر نسمائی وطنم
مرغ باغ ملکوتم نیم از عالم خاک	دوسه روزی قفسی ساخته اند از بدنم
من بخود نا مدم اینجاکه بخود بازروم	آنکه آورد مرا باز برد بر وطنم

إلا بلاء وفتنة وما نجا من نجا إلا بصدق الالتجاء وقال نوح (ع) : وجدت الدنيا كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

هذا حال صفي الله فكيف حال من اطمأن فيها وركن اليها وأضاع عمره في عمارتها وفرق دينه في طلبها والفكرة مرآة الحسنات وكفارة السيئات وضيء للقلوب وفسحة^(١) للمخلوق وإصابة في صلاح المعاد واطلاع على العواقب واستزادة في العلم ، وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها ، قال رسول الله (ص) : فكرة ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة التفكير إلا من خصه الله بنور التوحيد والمعرفة^(٢) .

الفصل الثاني معرفة الله بالقلب

قال الصادق (ع) : « ابن آدم لو اكل قلبك طائر لم يشبعه ، وبصرك لو وضع عليه خرق ابرة لغطاه ، تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض ، إن كنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت أن تملأ عينك منها فهو كما تقول^(٣) .

أراد (ع) بالقلب : اللحم الصنوبري المعروف ، ولهذا جعله مأكولاً وظاهر أنه لا يصح أن يعرف به ملكوت السماوات والأرض كما لا يصح أن يعرف بالبصر لأنهما من عالم الملك فكيف يعرف بهما الملكوت ، فالخطاب خاص بمن لا يتجاوز درجة الحس والمحسوس من أفراد بني آدم المشار اليهم بقوله تعالى : لهم قلوب لا يفقهون بها ، فأما من جاوزها منهم وبلغ إلى درجة العقل والمعقول وهم أصحاب القلوب الملكوتية المشار إليهم بقوله تعالى : ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾^(٤) ، فلهم أن يعرفوا بقلوبهم ملكوت السماوات والأرض ، لأن قلوبهم من الملكوت ، ولهذا حث الله تعالى على النظر في الملكوت في غير موضع من كتابه .

قال تعالى : ﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾^(٦) إلى غير ذلك من الآيات بلى إن

(١) الفسحة بالضم : السعة وفي الحديث : لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً . ومعناه : لا يزال المؤمن في سعة من دينه يرجي له الرحمة ولو باشر الكباري سوى القتل فإذا قتل آيس من رحمته ، وهو تغليظ شديد ، وقيل معناه أنه : لا يزال موفقاً للخيرات ما لم يصبه فإذا أصابه انقطع عنه التوفيق بشومة . م .

(٢) مصباح الشريعة ١١٣ (٣) التوحيد : ص ٤٥٥ (٤) سورة ق : الآية ٣٧

(٥) سورة الاعراف : آية ١٨٥ (٦) سورة الانعام : آية ٧٥

ذاته تعالى لا يجوز أن يكتنه بالقلب كما لا يجوز أن يدرك بالبصر بل إنما يجوز أن يطلع بالقلب على شيء من عظمته فحسب .

الباب الرابع

في ذكر الموت وقصر الأمل

قال الله تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَأَمَّا تَوْفُونِ أَجْرِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرْح (١) عَنِ النَّارِ وَادْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (٢) .

وقال النبي (ص) : « أكثروا ذكر هادم اللذات ، قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا ، وفي شدة إلا اتسعت عليه » (٣) وقال (ص) : « الموت كفارة لكل مسلم » (٤) وقال (ص) : « تحفة المؤمن الموت » (٥) وقال (ص) : « الموت الموت ألا ولا بدّ من الموت جاء الموت بما فيه جاء بالروح والراحة والكرة المباركة إلى جنة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم » (٦) وقال (ص) : « إذا استحققت ولاية الله والسعادة جاء الأجل بين العينين وذهب الأمل وراء الظهر ، وإذا استحققت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين وذهب الأجل وراء الظهر ، وسئل أي المؤمنين أكيس ؟ فقال : أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم له استعداداً » (٧) (٨) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « ما انزل الموت حقّ منزلته من عدّ غداً من أجله » (٩) وقال (ع) : « ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل ، وكان يقول لو رأى العبد أجله وسرعته إليه لأبغض العمل من طلب الدنيا » (١٠) .

وقيل للباقر (ع) : « حدثني ما انتفع به قال : أكثر ذكر الموت فإنه لم يكثر ذكره إنسان إلا

(١) أي نحى وبعده عنها يقال : زحه يزحه : دفعه وتزحزح عن محله : تنحى م .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٨٥ (٣) مصباح الشريعة : ص ١٧١ وتنبية الخواطر : ج ١ ص ٢٦٨

(٤) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٤٠٩ وتنبية الخواطر : ج ١ ص ٢٦٨

(٥) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٤٠٩ والدعوات للراوندي ص ٢٣٤

(٦) الكافي : ج ٣ ص ٢٥٧

(٧) قيل لأمير المؤمنين (ع) : ما الاستعداد للموت ؟ قال : أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ؛ والاشتمال على المكارم ثم لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه .

(٨) الكافي : ج ٣ ص ٢٥٨ (٩) الكافي : ج ٣ ص ٢٥٩ (١٠) الكافي : ج ٣ ص ٢٥٩

وقال الصادق (ع) : « إذا أنت حملت جنازة فكن كأنك المحمول وكأنك سألت ربك الرجوع إلى الدنيا ففعل فانظر ماذا تستأنف ، ثم قال : عجبا لقوم حبس أولهم عن آخرهم ثم نودي فيهم بالرحيل وهم يلعبون »^(٢) وقال (ع) : « ما خلق الله قبيلاً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت »^(٣)

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « ذكر الموت يميم الشهوات في النفس ويقلع نبات الغفلة ويقوي القلب بمواعيد الله ويرق الطبع ويكسر أعلام الهوى ويطفى نار الحرص ويحقر الدنيا ، وهو معنى ما قال النبي (ص) فكر ساعة خير من عبادة سنة وذلك عندما يحل اطناب خيام الدنيا ويشدها في الآخرة ولا تشكن نزول الرحمة على ذاك الموت بهذه الصفة ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيره في القيامة فلا تحير فيه قال النبي (ص) « أكثروا ذكر هادم اللذات » ثم ذكر تمام الحديث كما مر .

قال والموت أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها ، والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعدّه أبعد فما أجرى الانسان على نفسه وما أضعفه من خلق ، وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين لذلك اشتاق من اشتاق وكره من كره ، قال النبي (ص) : « من أحب لقاء الله أحب لقاء الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره لقاءه »^(٤)

الفصل الاول

انواع الناس

اعلم أن الناس إما منهمك في الدنيا مكب على غرورها محب لشهواتها ، وإما تائب مبتدي أو عارف منته .

أما المنهمك فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكر ليتأسف على دنياه ويستغل بمذمته ويفر منه اولئك الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ قل إن الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾^(٥) وهذا يزيد ذكر الموت من الله بعداً إلا ان

(١) الكافي : ج ٣ ص ٢٥٥ (٢) الكافي : ج ٣ ص ٢٥٨

(٣) فلاح السائل : ص ٦٢ وتحف العقول ص ٢٦٨

(٤) مصباح الشريعة : ص ١٧١ (٥) سورة الجمعة : آية ٨

يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا ويتنصص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذته .

وأما التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة^(١) ورهما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ، ولا يدخل هذا تحت قوله (ع) : « من كره لقاء الله كره الله لقاءه »^(٢) لأن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله ، وإنما يخاف فوت لقائه لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعدّ كارهاً للقاء ، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه ، وإلا ألحق بالمنهمك في الدنيا .

وأما العارف فانه يذكر الموت دائماً لأنه موعد للقاء حبيبه ، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطي مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار ربّ العالمين ، وأعلى رتبة منهما من يفوض أمره إلى الله فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياتاً بل يكون أحبّ الاشياء إليه أحبها إلى مولاه^(٣) فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى درجة التسليم والرّضاء .

الفصل الثاني فوائد ذكر الموت

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس لقلّة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع^(٤) ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كلّ شيء إلاّ عن ذكر الموت الذي بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فأنه لا يتفكر إلاّ فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه

-
- (١) قيل لزين العابدين (ع) : ماخير ما يموت عليه العبد ؟ قال : أن يكون قد فرغ من أبنيته ودوره وقصوره قيل : وكيف ذلك ؟ قال : أن يكون من ذنوبه تائباً ، وعلى الخيرات مقيماً يرد على الله حبيباً كريماً .
(٢) احياء علوم الدين : ج٤ ص٤٠٩ ومصباح الشريعة ص١٧٢
(٣) ولنعم ما قيل :

يكي درد ويكي درمان بسندد يكي وصل ويكي هجران بسندد
من از درمان ودرود وصل وهجران بسندم آنچه را جانان بسندد
(٤) نجع فيه الامر والخطاب والوعظ : اذا اثر فيه ونفع . ومنه حديث علي (ع) : فانجعوا لما يحق لكم من السمع والطاعة . م .

وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه^(١) .

وأوقع طريق فيه أن يكثر ذكر أقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصراعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ، وكيف تبددت أجزاءهم في قبورهم وكيف ارموا نساءهم وايتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم واوحشت ديارهم .

فمهما تذكر رجلاً رجلاً وفصل في قلبه حاله وكيفية حياته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وأمله في العيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتة^(٢) الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع^(٣) والهلاك السريع ، فإنه كيف كان يتردد والان قد تهدمت رجلاه ومفاصله ، وكيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وأنه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراى به حتى جاء الموت في وقت لا يحتسب فانكشفت له صورة ملك الموت وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار .

فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم والسعيد من وعظ بغيره فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه .

فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبية ، ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بد من مفارقتة .

الفصل الثالث فوائد قصر الأمل

وأما قصر الأمل فقد قال النبي (ص) : « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ من دنياك لأخرتك ومن حياتك لموتك ومن صحبتك

(١) وروى أنه لما حضرت الحسن بن علي (ع) الوفاة بكى بكاء شديداً وقال : اني اقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط .

(٢) المواتة : حسن المطاوعة والموافقة أصله الهمة وخفف وكثر حتى صار يقال بالواو الخالصة . م .

(٣) موت ذريع أي فاش أو سريع . المنجد .

لسقمك فانك لا تدري ما اسمك غدا»^(١) .

وقال (ص) : « إن اشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق وأما طول الأمل فانه يحب الدنيا ثم قال : إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن يبغض وإذا أحب الله عبداً أعطاه الايمان ، إلا ان للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ألا إن الآخرة قد أتت مقبلة ، ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ، ألا وإنكم يوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل»^(٢) .

وروي أنه (ص) : « قد اطلع ذات عشية إلى الناس فقال أيها الناس أما تستحيون من الله تعالى ؟ قالوا : وما ذلك يا رسول الله ؟ فقال : تجمعون مالا تأكلون ، وتأملون مالا تدركون ، وتبنون مالا تسكنون»^(٣) .

وروي أن اسامة بن زيد اشترى من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فقال النبي (ص) : « ألا تعجبون من اسامة المشتري إلى شهر إن اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت^(٤) عيناى إلا ظننت أن شفري^(٥) لا يلتقيان حتى يقبض الله روجي ، ولا رفعت طرفي فظننت أنني واضعه حتى اقبض ، ولا لقيت لقمة إلا ظننت أنني لا أسيغها حتى اغص بها من الموت ، ثم قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده ﴿إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾^(٦)»^(٧)

الفصل الرابع اسباب طول الأمل

اعلم ان طول الامل له سببان : أحدهما الجهل ، والآخر حب الدنيا ، أما حب الدنيا فهو أنه إذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلايقها ثقلت على قلبه مفارقتها ، فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها ، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمضي نفسه أبداً ما يوافق مراده ، وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقرره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا^(٨) على هذا الفكر موقوفاً عليه فيلهو عن ذكر الموت ، ولا يقدر قربه .

(١) و(٢) و(٣) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٧١ وإحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٤١٢ .

(٤) طرف بصره او طرف بعينه : اطلق احد جفنيه على الآخر ومنه الدعاء لا تكلمي الى نفسي طرفة عين م .

(٥) الشفر والشفر جمع اشفار : اصل منبت شعر الجفن . المنجد (٦) سورة الانعام : آية ١٣٤

(٧) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٧١ وإحياء علم الدين : ج ٤ ص ٤١٢ (٨) عكف على الامر : لزمه مواظباً . المنجد .

فان خطر له في بعض الاحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سَوِّف ووعده نفسه وقال الايام بين يديك فالى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول إلى أن تصير شيخاً ، وإذا صار شيخاً قال : إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذا السفر أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له ، أو تفرغ عن قهر هذا العدو الذي يشمت بك .

ولا يزال سَوِّف ويؤخر ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق باتمامه ذلك الشغل عدة أشغال اخر وهكذا على التدرج يؤخر يوماً بعد يوم ويفضى به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تحتطفه المنية في وقت لا يحتسبها فيطول عند ذلك حسرته .

وأكثر أهل النار صياحهم من سوف يقولون ، واحزنانه من سوف ، والمسوف المسكين لا يدري إن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غداً ، وإنما يزداد بطول المدّة قوّة ورسوخا ، ويظن أنه يتصور أن يكون للمخائض في الدّنيا والحافظ لها فراغ قط وهيئات ما فرغ منها إلا من أطرحها .

فما قضى أحد منها لبانته^(١) وما انتهى ارب إلا إلى ارب وأصل هذه الاماني كلّها حبّ الدنيا والانس بها والغفلة عن قوله (ع) : «احب ما احببت فانك مفارقه»^(٢) .

وأما الجهل فهو ان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين في ان مشايخ بلده لو عدواً لكانوا اقل من عشر اهل البلد وإنما قلوا لأن الموت في الشبان أكثر ، وإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب .

وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة^(٣) ولا يدري أن ذلك غير بعيد^(٤) وإن

(١) اللبنة : الحاجة من غير فاقة بل من همة والهمة ما هم به من امر ليفعل تقول : قضيت لبانتي جمع لبان

ولبانات . المنحد . (٢) احياء علوم الدين : ج٤ ص٤١٦

(٣) ولا يخفى أن هذا الاستبعاد لعله كان في زمان المصنف (قد) وما قبله واما في زماننا هذا فصار موت الفجأة كثيراً شايعاً واما عادياً بحيث لا يستبعده كل احد والعجب مع ذلك ترى الناس لا هون ساهون كأن الموت في الدنيا على غيرهم كتب وان الحق فيها على غيرهم وجب ولا يقدر احد نزوله فيه وليس هذا الا للجهل وحب الدنيا والغفلة نبهنا الله عن نومة الغافلين .

(٤) كما روي ان الباقر (ع) دخل المسجد يوماً فرأى شاباً يضحك في المسجد فقال له : تضحك في المسجد وانت بعد ثلاثة من اهل القبور ؟ فمات الرجل في اول اليوم الثالث ودفن في آخره .

كان بعيداً فالمرض فجأة غير بعيد ، وكلّ مرض فأنما يقع فجأة ، وإذا مرض لم يكن الموت بعيداً .

ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص عن شباب وشيب وكهولة . ومن صيف وشتاء وخريف وليل ونهار لعظم اشتغاله بالاستعداد له واستشعاره ولكن الجهل بهذه الامور وحبّ الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب .

فهو أبدأ يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله ووقوعه فيه ، ويشيع الجنائز ولا يقدر أن يشيع جنازته ، لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو شاهد موت غيره فأما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور ان يألفه ، فانه لم يقع ، فاذا وقع لا يقع دفعة اخرى بعده فهو الأول وهو الاخر .

وإذا عرفت أن سبب طول الأمل الجهل وحبّ الدنيا فعلاجه دفع سببه .

أما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة .

وأما حبّ الدنيا فالعلاج في إخراجها من القلب شديد ، وهو الداء العضال الذي أعى الأولين والآخرين علاجه ولا علاج له إلا الايمان باليوم الاخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ، ومهما حصل اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حبّ الدنيا فان حبّ الخطير هو الذي يمحو من القلب حبّ الحقيق فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلّها ، فكيف وليس لكلّ عبد من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منغص ، فكيف يفرح بها ويترسخ في القلب حبّها مع الايمان بالاخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده^(١)

الباب الخامس

في الاخاء والالفة

قال الله تعالى في معرض الامتنان : ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾^(٢) وقال عزّ وجلّ : ﴿فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾^(٣)

(١) ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر الى من مات ، من الاقران وأنهم كيف جاء هم الموت في وقت لم يحتسبوا ، أما من كان مستعداً له فقد فاز فوزاً عظيماً ، وأما من كان مغروراً بطول الامل فقد خسر خسراً مبيئاً ؛ قال رسول الله (ص) : اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك : وحياتك قبل موتك .

(٢) سورة الانفال : آية ٦٣ (٣) سورة آل عمران : آية ١٠٣

يعني بالالفة ، ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(١) وقال : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾^(٢) .

وقال النبي (ص) : «أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون»^(٣) وقال (ص) : «المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف»^(٤) ، وقال (ص) : «في الشاء على الاخوة في الدين : من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه»^(٥) .

وقال (ص) : «من آخى اخأ في الله رفع الله له درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله»^(٦) وقال (ص) : «إن الله تعالى يقول : حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من اجلي ، وحقت محبتي للذين يتحابون من اجلي ، وحقت محبتي للذين يتبادلون من اجلي»^(٧) .

وقال (ص) : «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث»^(٨) .

وقال (ص) : «المؤمنون هينون لئنون كالجمال الأنف إن قيد انقاد وإن انيخ على صخرة استناخ»^(٩) .

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٣ (٢) سورة آل عمران : آية ١٠٥ (٣) احياء علوم الدين : ج ٢ ص ١٤٤

(٤) وهذا هو السر في الترغيب على التسليم والمعانقة والمصافحة والسعي في انجاح مقاصدهم قال رسول الله (ص) : «أولى اناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام» ، وقال (ص) : «إذا لقي أحدكم اخاه فليسلم وليصافحه فان الله تعالى اكرم بذلك الملائكة فاصنعوا صنع الملائكة» ، وقال (ص) : «إذا التقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح ، وإذا تفرقتم فتفرقوا بالاستغفار وقال الصادق (ع) : ان المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمة فاذا التزما لا يريدان بذلك الاوجه الله ولا يريد ان غرضاً من اغراض الدنيا قيل لهما : مغفوراً لكما فاستانفا» ، وقال النبي (ص) : «من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين» ، وقال (ص) : «من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره . الى غير ذلك من الاخبار المرغبة على ما يوجب الالف والمحبة .

(٥) احياء علوم الدين : ج ٢ ص ١٤٤ الكافي : ج ٢ ص ١٠٢

(٦) احياء علوم الدين : ج ٢ ص ١٤٤ والكافي : ج ٢ ص ١٠٢

(٧) احياء علوم الدين : ج ٢ ص ١٤٤

(٨) مسند احمد : ج ٤ ص ٣٨٦ وذكر جزء منه في احياء علوم الدين : ج ٢ ص ١٤٥

(٩) العوالي : ج ١ ص ٤٣٣ وذيل الحديث في الفقيه : ج ٤ ص ٢٧٢ (١٠) الكافي : ج ٢ ص ٢٣٤

وقال امير المؤمنين (ع) : « اعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز منه من ضيَع من ظفر به » (١).

وقال النبي (ص) : « اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله ، والتولي لاولياء الله ، والتبري عن اعداء الله » (٢).

وقال السَّجَاد (ع) : « إذا جمع الله الاولين والآخرين قام مناد فنأدى يسمع الناس فيقول : اين المتحابون في الله ؟ قال : فيقوم عنق من الناس فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنة بغير حساب قال : فتلقاهم الملائكة فيقولون ، إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة بغير حساب ، قال : فيقولون فأي حزب انتم من الناس فيقولون نحن المتحابون في الله قال : فيقولون : وأي شيء كانت أعمالكم ؟ قالوا : كنّا نحَب في الله ونبغض في الله ، قال : فيقولون : نعم أجر العاملين » (٣).

وقال الباقر (ع) : « إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك ، فان كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته فبيك خير والله يحبك ، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من أحب » (٤).

وقال الصادق (ع) : « ما التقى مؤمنان قط إلا كان أحدهما أشدَّهما حباً لأخيه » (٥) وقال (ع) : « كلٌّ من لم يحب في الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له » (٦).

الفصل الأول أقسام الحبِّ والمصاحبة

اعلم أن الحبِّ في الله والبغض في الله غامض وإنما ينكشف الغطاء عنه بأن يعلم أن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق ، كالصحبة بحسب الجوار أو بحسب الاجتماع في مدرسة أو سوق أو سفر أو على باب سلطان أو غير ذلك ، وإلى ما ينشأ اختياراً وبقصد وهو الذي يبعث على الاخوة في الدين إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها .

والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة ، وهذه الامور لا يقصد بها الانسان غيره إلا إذا أحبّه ، فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته والذي يحب فاماً أن يحب لذاته لا ليتوسل إلى محبوب ومقصود وراءه ، وإما أن يحب ليتوسل به إلى مقصود وذلك

(١) نهج البلاغة : ص ٤٧٠ (من قصار الحكم) حكمة رقم ١٢

(٢) الكافي : ج ٢ ص ١٢٦ (٣) الكافي : ج ٢ ص ١٢٦

(٤) الكافي : ج ٢ ص ١٢٦ (٥) الكافي : ج ٢ ص ١٢٧ (٦) الكافي : ج ٢ ص ١٢٧

المقصود إِمَّا أن يكون مقصوراً على الدنيا وحفظها ، وإِمَّا أن يكون متعلقاً بالآخرة وإِمَّا أن يكون متعلقاً بالله فهذه أربعة أقسام :

أما القسم الأول وهو حبك الإنسان لذاته وذلك ممكن وهو أن يكون هو في ذاته محبوباً عندك على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعيته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له ، فإن كل جميل لذيد في حق من أدرك جماله ، وكل لذيد محبوب ، واللذة يتبع الاستحسان ، والاستحسان يتبع المناسبة والملايمة والموافقة بين الطباع .

ثم ذلك المستحسن إِمَّا أن يكون الصورة الظاهرة أعني الخلقة ، وإِمَّا أن يكون الصورة الباطنة أعني كمال العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم ، وكل مستحسن مستلذ به ومحبوب .

بل في ايتلاف القلوب امر اغمض^(١) من هذا فانه قد يستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحظة في صورة وحسن في خلق وخلق ؛ ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة ، فإن شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع والأشياء الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها .

وعنه عبر رسول الله (ص) بقوله : « الارواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر^(٢) »

(١) غمض الكلام : خفى مأخذه ومعناه . المنجد .

(٢) تعارفوا : عرف بعضهم بعضاً . وتناكروا : انكر بعضهم بعضاً وتعادرا ، ومعنى الحديث على ما في المجمع أن الاجساد التي فيها الارواح تلتقي في الدنيا فتألف وتختلف على حسب ما خلقت عليه ولهذا ترى الخير يجب الاختيار ويميل اليهم ، والشريير يحب الاشرار ويميل اليهم . قال الغزالي في الاحياء : وروى ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء ، وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عايشة (رض) فأضحكتها فقالت : أين نزلت ؟ فذكرت لها صاحبها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجنّدة الخ وقال العلامة المجلسي (قد) في الجزء الرابع عشر من البحار : وروت عايشة في سبب هذا الحديث ان مختا قدم المدينة فنزل على مختن من غير أن يعلم انه مختن فبلغ ذلك النبي (ص) فقال : الارواح جنود مجنّدة الحديث .

« أقول : » رواية الحديث في المقامين كما ترى هي عايشة ، والحديث من طريق أصحابنا الامامية (رض) عن جابر بن يزيد كما في الجزء المذكور من البحار هكذا قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : الارواح جنود مجنّدة فما تعارف منها عند الله ائتلف في الارض ، وما تناكر عند الله اختلف في الارض .

منها اختلف»^(١) فالتناكر نتيجة التباين ، والايلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه (ص) بالتعارف .

ويدخل في هذا القسم المحبة للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة ، فان الصورة الجميلة مستلذة في عينها وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ بالنظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح المشوب بالحمرة وإلى الماء وإلى الخضرة من غير غرض سوى عينها ، وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله بل هو الحب بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً ، وإلا فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم .

والقسم الثاني أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب فلذلك يحب الناس الذهب والفضة من حيث إنهما وسيلة إلى المقاصد كما يحب الرجل سلطاناً للانتفاع به ، ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره في قلبه ، فالمتوسل إليه إن كان مقصوداً لفائدة دنيوية لم يكن من جملة الحب في الله ، ثم ينقسم ذلك إلى مذموم ومباح .

والقسم الثالث أن يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير غير راجع إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة وهذا أيضاً ظاهر لا غموض فيه ، وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لأن يتوسل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة ، وهذا من جملة المحبين لله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء .

قال عيسى (ع) : «من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء»^(٢) ولا يتم التعليم إلا بمتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا الكمال ، فان أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه^(٣) فهو محب لله ، بل نزيد ونقول : من يجمع الضيفان ويهيء لهم الأطعمة اللذيذة تقرباً إلى الله فأحب طبأخا يحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله .

وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله بل نزيد على هذا فنقول : من أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك

(١) احياء علوم الدين : ج ٢ ص ١٤٧ ومن لا يحضره الفقيه : ج ٤ ص ٢٧٢

(٢) الكافي : ج ١ ص ٣٥

(٣) الحرث اصلاح الارض والقاء البذر فيها ويسمى الزرع الحرث أيضاً وفي الحديث : المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعها الله لاقوام .

للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة ، فهو محبٌ في الله .

القسم الرابع أن يحب الله وفي الله لا لينال منه علماً أو عملاً أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته ، وهذا أعلى الدرجات ، وهو أدقها وأغمضها وهذا القسم أيضاً ممكن ، فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلّق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد ، فمن أحب إنساناً حباً شديداً أحب محب ذلك الانسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يشي عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه قال المجنون :

امرّ على الدّيار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الدّيار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

فاذن المشاهدة والتجربة تدلان على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يتعلق به ولو من بعد ، ولكن ذلك خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكفي فيه وقد مضى تمام الكلام فيه في باب المحبة .

ثم اعلم ان من يحبّ في الله لا بد وان يبغض في الله ، فإنك ان احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله ، فان عصاه لا بد وان تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله فهما متلازمان وكل واحد منهما دفين^(١) في القلب وإنما يترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة ، وفي الموافقة والمخالفة فاذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعادة .

وروي إن الله تعالى اوحى إلى نبي من الانبياء أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إليّ فقد تعزّزت بي ، ولكن هل عاديت فيّ عدواً أو واليت فيّ ولياً ؟

وقال عيسى (ع) : «تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم ، والتمسوا رضاء الله بسخطهم ، قالوا : يا روح الله من نجالس ؟ قال : جالسوا من يذكركم الله رؤيته ، ومن يزيد في علمكم كلامه ؛ ومن يرغبكم في الآخرة عمله»^(٢) .

الفصل الثاني

أنواع الاخوان

قال الباقر (ع) : « قام رجل بالبصرة إلى أمير المؤمنين (ع) فقال : يا أمير المؤمنين اخبرنا عن الاخوان ، فقال (ع) : الاخوان صنفان : اخوان الثقة وإخوان المكاشرة .

(١) الدفين : المدفون المستور .

(٢) تحف العقول : ص ٣٧ وصدر الحديث في تنبيه الخواطر : ج ٢ ص ٢٥

فأما إخوان الثقة فهم الكفّ والجناح والاهل والمال فاذا كنت من أخيك على حدّ الثقة فابذل له مالك وبدنك وصاف من صافاه وعاد من عاداه واكنم سرّه وعييه واطهر منه الحسن واعلم أيها السائل أنهم أقلّ من الكبريت الأحمر .

وأما إخوان المكاشرة فانك تصيب لذتك منهم فلا تفتعن ذلك منهم ولا تطلبن ما وراء ذلك عن ضميرهم ، وابدل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان^(١) « والكشر » التبسم كاشره كشف عن أنيابه .

وقال الصادق (ع) : « قال أمير المؤمنين (ع) : لا عليك أن تصحب ذا العقل وان لم يحمد كرمه ولكن انتفع بعقله واحترس من سيء اخلاقه ولا تدعن صحبة الكريم فان لم تنفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك ، وافرر كل فرار من اللئيم الأحمق »^(٢) .

وقال الصادق (ع) : « عليك بالتلاد^(٣) واياك وكل محدث لا عهد له ولا أمان ولا ذمّة ولا ميثاق ، وكن على حذر من أوثق الناس في نفسك فان الناس أعداء النعم »^(٤) .

وقال (ع) : « لا تكون الصداقة إلا بحدودها فمن كانت فيه هذا الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصداقة ، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة فأولها أن يكون سريرته وعلانيته لك واحدة والثانية أن يرى زينك زينه^(٥) وشينك شينه والثالثة أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال والرابعة أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته والخامسة وهي مجمع هذه الخصال أن لا يسلمك^(٦) عند النكبات »^(٧) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « قد قل ثلاثة أشياء في كل زمان : الاخاء في الله ، والزوجة الصالحة الأليفة في دين الله ، والولد الرشيد ، ومن أصاب أحد الثلاثة فقد أصاب خير الدارين والحظ الأوفر في الدنيا ، واحذر أن تواخي من أراذك لطمع أو خوف أو فشل^(٨) أو أكل أو شرب ، واطلب مواخاة الأتقياء ولوفي ظلمات الارض ، ولو أفنيت عمرك في طلبهم فان الله تعالى لم يخلق على وجه الارض أفضل منهم بعد النبيين ، وما أنعم الله بمثل ما

(١) الكافي : ج ٢ ص ٢٤٨ (٢) الكافي : ج ٢ ص ٢٣٨

(٣) التلاد ما ولد عندك من مالك أو نتج . ق . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٢٤٩

(٥) زان الشيء يزينه زيناً : حسنه وزخرفه . وشانه يشينه شيئاً ضد زانه . المنجد .

(٦) الاسلام : الخذلان كذا في الوافي . (٧) الكافي : ج ٢ ص ٦٣٩

(٨) فشل فشلاً ضعفاً وتراخى وجبن عند حرب أو شدة . المنجد .

انعم به من التوفيق بصحبتهم قال الله تعالى : ﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ (١) .

واظن ان من طلب في زماننا هذا صديقا لا عيب فيه بقي بلا صديق ، الا ترى ان اول كرامة اكرم الله بها انبيائه عند اظهار دعوتهم بصديق امين او ولي ، وكذلك من اجل ما اكرم الله به اصدقائه واوليائه وامنائه صحبة انبيائه ، وهو دليل على ان ما في الدارين نعمة اجل واطيب وازكى من الصحبة في الله والمواخاة لوجهه ، (٢) .

(١) سورة الزخرف : آية ٦٧ (٢) مصباح الشريعة : ص ١٥٠

خاتمة الكتاب

اعلم ان ما اوردناه في هذا الكتاب وحققناه في هذه المقالات والابواب من الاسرار الدينية والمعارف اليقينية ، وما اشرنا إليه من رموز العقائد وما بسطنا الكلام فيه من بيان الاخلاق المحمودة والمذمومة ومن اسرار الاعمال الحسنة والسّيئة قلّمًا يوجد في غيره من الكتب بهذا التنقيح والتهذيب ، وهذا التوضيح والترتيب ، مع ابتناء مأخذ جملها على الاصول الاصيلية التي لا اعتماد إلا عليها ولا وثوق إلا بها من الكتاب والسنة واحاديث اهل بيت النبوة دون آراء الناس من اصحاب الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس .

ولقد وفقنا الله تعالى لجمعها وتأليفها في مدة أشهر قلائل من سنة تسعين وألف الهجرية حين كنت اشرفت على الرحيل وكان قد مضى من عمري ثلاث وثمانون ونيف قليل ، وكان قد اكتفتني أسباب إختلال الأحوال وتشتت البال من أمراض وعلل جسمانية غير مرجوة الزوال .

وإنما وفقني الله لذلك بسبب ما أنعم الله به عليّ من العقائد الحقة ، وبما تفضل الله به عليّ من موالاته وأوليائه ومعاداة أعدائه بعد أن عرفني الله أوليائه وأعداءه بوحي منه سبحانه إلى رسوله وتبليغ رسوله إلى عباده وتسليمي له بمعونته وإرشاده .

وأما فائدة هذا الجمع والتأليف وجدواه فهي أن يطلع عليه من كان من أهله ورزق التوفيق من الله وقويت همته وبلغ سعيه متناه فيعمل بمقتضاه ثم يفوز بمبتغاه^(١) ، ومن كان دونه يعمل به بقدر مقدوره وعلى حسب ميسوره ، وهكذا إلى ما ينتفع به بشيء يسير وبوزن سنبله من بيدر^(٢) كبير .

(١) ابتغى وتبغى الشيء : طلبه . (٢) البيدر الموضع الذي يجمع فيه الحصيد ويداس ويسمى بالفارسية : خرمن

وأما أمثالنا من الذين يقولون مالا يفعلون وينسون أنفسهم إذا كانوا بالبرّ يأمرّون ففايدته في حقهم زيادة بصيرتهم في تقصيرهم وقصورهم حتى يصير ذلك سبباً لمقتهم أنفسهم وذلمهم وانكسارهم واطلاعهم على بواطن عيوبهم وفصائح غيوبهم وانزجارهم ، فان الايمان يقتضي أن لا يرضى العبد المؤمن لنفسه ما لا يرضى به مولاة ، فاذا لم يرض به يكون لا محالة دائم الحزن والتّدم ، كثير الغم والألم ، فاذا كان كذلك يرجى له أن يتداركه الله بالرحمة والمغفرة فان الله غفور رحيم .

وقد ورد أن العبد ليذنب الذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً^(١) لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة ، وما خرج عبد من ذنب إلا بالافرار ، والاعتراف بالذنب كفارة له ، ومن أذنب ذنباً فعلم أن الله مطلع عليه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له غفر الله له وإن لم يستغفر^(٢) ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً^(٣).

ونحن نستغفر الله من كلّ ما زل به القدم أو طغى به القلم ، ومن أقوالنا التي لا يوافقها أعمالنا ، وممّا أدعينا وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ، ومن كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثمّ خالطه غيره ، ومن كل وعد وعدنا به من أنفسنا ثمّ قصرنا في الوفاء به ، ومن كل نعمة أنعم الله بها علينا فاستعملناها في معصيته ، ومن كلّ تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصّر كنا متصفين به ، ومن كلّ خطرة^(٤) دعتنا إلى تصنّع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أقدناه واستفدناه .

ثمّ نرجع إليه به^(٥) الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن يتفضل علينا بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ، فان الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلايق فايض ، ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه .

فقد قال رسول الله (ص) : « إن الله تعالى مائة زحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ والانس والطير والبهائم والهوام ، فيها يتعاطفون وبها يتراحمون ، وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة »^(٤).

(١) مقت ومقتا الرجل أبغضه أشد البغض . المنجد (٢) سورة النساء : آية ١١٠

(٣) وفي الدعاء أو خطر بها مني خطرات يريد بها ما يقع في الخاطر ، والخاطر : الهاجس والجمع خواطر . م .

(٤) كنز العمال : خ٥٦٦٧/ وخ٥٦٦٨

الهي درست^(١) الامال وتغيرت الاحوال وكذبت الالسن وأخلفت العداة إلا عدتک فانک وعدت مغفرة وفضلا ، اللهم صل على محمد وآل محمد ، واعطني من فضلك وأعذني من الشيطان الرجيم ، سبحانک وبحمدک ما أعظمک وأحلمک واکرمک وسع حلمک تمرّد المستکبرين ، واستغرقت نعمتک شکر الشاکرين ؛ وعظم حلمک من إحصاء المحصين ، وجلّ طولک عن وصف الواصفين .

كيف لولا فضلك حلمت عن خلقته من نطفة ولم يك شيئاً فریبته بطيب رزقک ، وإنشأته في تواتر نعمک ، ومكنت له في مهاد ارضک ودعوته إلى طاعتک فاستنجد^(٢) على عصيانک باحسانک وعبد غيرک وفي سلطانک .

كيف لولا حلمک امهلتني وقد شملتني بسترک ، واکرمتني بمعرفتک ، واطلقت لساني بشکرک ، وهديتني السبيل إلى طاعتک ، وسهلتني المسلك إلى کرامتک ، واحضرتني سبيل قربتک ، فكان جزاءک مني ان کافأتک عن الاحسان بالاساءة ، حريصاً على ما اسخطک ، منتقلاً فيما استحق به المزيد من نعمتک ، سريعاً إلى ما ابعد من رضاک مغتبطاً بغرة الأمل ، معرضاً عن زواجر الاجل ، لم يقنعني حلمک عني وقد أتاني توعدک بأخذ القوة مني حتى دعوتک على عظيم الخطیئة استزیدک في نعمک غير متأهب^(٣) لما قد اشرفت عليه من نعمتک مستبسطاً لمزيدک ، ومتسخطاً لمیسور رزقک ، مقتضياً جوائزک بعمل الفجار کالمراصد رحمتک بعمل الأبرار مجتهداً اتمني عليك العظام کالمدل الأمن من قصاص الجرائم .

فأنا لله وأنا إليه راجعون مصيبة عظم رزؤها وجلّ عقابها ، بل كيف لولا أملي ووعدک الصّفح عن زللي أرجو اقاتلتک وقد جاهرتک بالكباير مستخفياً عن أصاغر خلقک ، فلا أنا راقبتک وأنت معي ولا أنا راعيت حرمة سترک عليّ بأيّ وجه ألقاک وبأيّ لسان اناجیک وقد نقضت العهود والایمان بعد توكيدها ، وقد جعلتک عليّ كفيلاً ، ثم دعوتک مقتحماً^(٤) في الخطیئة فاجبتني ، ودعوتني وإليك فقري فلم اجب ، فواسواتاه وقبيح صنيعاه آية جراءة تجرات ، وأي تغرير غررت نفسي .

سبحانک فیک أتقرب إليك وبحقک اقسم عليك ومنک أهرب إليك بنفسي استخففت عند

(١) درس دروسا الرسم عفا وانمحي فهو دارس جمع دوارس . الشيء ذهب اثره . المنجد .

(٢) استنجد عليه : اجترأ عليه بعد أن كان يهابه .

(٣) اهب وتأهب للامر : تهيأ واستعد . والمتأهب للشيء المستعد له .

(٤) اقتحم الامر : رمى نفسه فيه بشدة ومشقة .

معصيتي لا بنفسك ، وبجهلي اغتررت لا بعلمك ، وحقني اضعت لا عظيم حَقك ، ونفسي ظلمت ولرحمتك رجوت وبك آمنت وإليك أنبت وتضرعت فارحم إليك فقري وفاقتي وكبوتي لحرّ وجهي ، وحيرتي في سوء ذنوبي إنك أرحم الرّاحمين .

صورة خط المصنف

ولنختم الكلام حامدين لله مصلّين على نبيّه وأهل بيت نبيّه عليه وعليهم الصّلاة والسّلام ، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، وكتب مصنفه بيده الجانية « وصار تاريخ ختمه ختمنا » إلى هنا كلام المصنّف رحمه الله .

الحمد لله على ما وفقنا وانعم علينا بتصحيح هذا الكتاب النفيس وتهذيبه والتعليق عليه ، وفرغنا من ذلك في مفتح شهر محرم الحرام سنة ١٣٧٩ لله الحمد كما هو أهله أبد الأبدين ، والصلاة على نبيه (ص) وعترته الهداة المهديين وأنا العبد : « السيد ابراهيم الميانجي » عفى عنه وعن والديه .

قِرَّةُ الْعَيُونِ

في المعارف والنحى كَم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا مبدع الأركان والاصول ، وواهب النفوس والعقول ، يا مفيض القلوب والأرواح ، وجاعل الصور والأشباح ، يا مبدئ يا معيد ، يا فعلاً لما يريد ، تسربلت^(١) باللاهوتية الأزلية ، وتفرّدت بالوحدانية السمرديّة ، العقل قطرة من قطرات بحار ملكوتك ، والنفس شعلة من شعلات جلال جبروتك ، والعوالم العلوية أشعة أنوارك ، والاجرام السفلية خزائن أسرارك ، تركت قلوب الطالبين في بيداء^(٢) كبرياتك والهة حيرى ، ولم تجعل لمرقى أقدام العقول إلى حريم عظمتك مجرى ، هيهات ما لأذلاء بحر العبودية وإدراك سبحات^(٣) جلال الربوبية ، وأنى لاسراء ذلّ الناسوت ونيل سرادقات^(٤) جمال اللاهوت ، نحمدك اللهم على نعمائك والحمد من نعمائك ونشكرك على آلائك والشكر من آلائك ، ونصلي على محمد سيّد أنبيائك وخير أصفيائك ، وعلى آله الملكوتيين أرباب العقول الكاملة ، وأصحاب البصائر النافذة ، وخصوصاً عليّ أمير المؤمنين وإمام المتقين .

أما بعد فيقول المعتصم بحبل الله الملتحي إلى باب الله المهتدي بهدى الله « محسن بن مرتضى أيده الله » : قد جئتكم من معدن العلم بحقّ اليقين ، ومن عين الحكمة بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، يستقر بها في صدور أهلها اصول اصول الدين ، فينجون من اتباع الظنّ ويظنون من غير غير أهله كل الظنّ ، وهي حقيق بان تسمى « بقرة العيون في اعزّ الفنون » وهي ستون كلمة في اثنتي عشرة مقالة في كل مقالة خمس كلمات بلسان عربيّ ومزاجه من عجمي منشور وابيات .

(١) السربال بالكسر القميص او الدرع أو كل ما لبس . ق . وتسربل بالخشوع من هذا الباب وهو استعارة . م .

(٢) البيداء المفازة لاشيء بها ؛ الفلاة .

(٣) السبحات بضمّتين مواضع السجود ، وسبحات وجه الله : أنواره . ق .

(٤) السرادق بالضم كل ما احاط بشيء من حايط أو مضرب أو خباء وفي « ق » هو ما يمد فوق صحن البيت .

والجمع سرادقات .

مقدمة

اعلموا اخواني هداكم الله كما هداني أني ما اهتديت إلا بنور الثقلين ، وما اقتديت إلا بالائمة المصطفين ، وبرتت مما سوى هدى الله ، فان الهدى هدى الله نه متكلم ونه متفلسف ، نه متصوف ونه متكلف ، بلکه مقلد قرآن وحديث پیغمبرم وتابع أهل بیت آن سرور ، از سخنان حیرت افزای طوایف اربع ملول وبر کرانه ، واز ماسوای قرآن مجید وحديث أهل بیت وآنچه بدین دو آشنا باشد بیکانه

من هرجه خوانده ام همه از یاد من برفت **إلا** حدیث دوست که تکرار میکنم حافظ عشق میورزم و امید که این فن شریف چون هنرهای دگر باعث حرمان نشود چراکه مدتی مدید که در بحث و تفتیش و تعمق در فکرهاي دور اندیش بودم ، طرق مختلفه قوم را آزمودم ، و بکنه سخنان هر یک رسیدم ، و دیده بصیرت دیدم که چشم عقل از ادراک سبحات جلال صمدیت حاسر و نور فکر از رسیدن بسراذقات جمال احديث قاصر بود ، کلماً رام (۱) العقل أن یبصر منها شیئاً انقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسیر (۲) و کلماً بزغ (۳) نور الفکر لیضیء اضمحل بها متلاشیاً ثم أفل وهو حسیر (۴) .

فلما رأیت الأمر كذلك نادیت من وراء حجاب العبودیة : ﴿سبحانک انی کنت من الظالمین﴾ (۵) غفرانک انی ﴿لا أحب الآفلین﴾ (۶) ﴿انی وجهت وجهی للذی فطر السماوات والأرض حنیفاً وما أنا من المشرکین﴾ (۷) ﴿ان صلاتی ونسکی ومحیای ومماتی لله رب العالمین لا شریک له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمین﴾ (۸) .

هر جمیلی که بدیدیم بدویار شدیم هر جمالی که شنیدیم گرفتار شدیم
کبریای حرم حسن تو چون روی نمود چار تکبیر زدیم از همه بیزار شدیم
مصحف روی وحديث لبث از ییاد ببرد هرچه خواندیم ودگر برسر تکرار شدیم
هرچه دادند بما از دگری بهتر بود تا سزاوار سرا پرده اسرار شدیم

(۱) رام روماً الشیء : اراده فهو رائم . المنجد

(۲) حسر البصر یحسر حسوراً : کل وانقطع من طول مدی وهو حسیر . ق .

(۳) بزغت الشمس بزوغاً : طلعت ومنه قوله تعالی : فلما رأى الشمس بازغة وقوله : فلما رأى القمر بازغاً .

(۴) حسر : ضل فهو خاسر وخسیر . (۵) سورة الانبیاء : الآية ۸۷ .

(۶) سورة الانعام : الآية ۷۶ . (۷) سورة الانعام : الآية ۷۹ (۸) سورة الانعام . الآية ۱۶۲ و ۱۶۳ .

المقالة الاولى

في معرفة الله تعالى ، ﴿هو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ الحديد ٣ .
كلمة

بها يجمع بين امتناع المعرفة والرؤية وبين امكانهما

طلب اي عاشقان خوش رفتار طرب أي نیکوان شیرین کار
در جهان شاهدي وما فارغ در قدح باده وما هو شيار
زين سپس دست ما ودامن دوست بعد از اين گوش ما وحلقه يار

اگرچه کز و بیان ملاء اعلى در مقام لودنوت متوقفند ، ومقربان حضرت عليا بقصور ما
عرفناك معترف ، وكريمه لا تدرکه الأبصار هربيننده را شامل است ، ونصّ ان الله احتجب عن
العقول كما احتجب عن الأبصار راننده هربينا وعاقل ، أما شیر مردان بیشه ولایت دم ازلم أعبد
رباً لم أره ميزند ، وقدم برجاده لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا میدارند حافظ .

زملك تاملکوتش حجاب بردارند هر آنکه خدمت جام جهان نما بکند

بلى بکنه حقيقت راهي نیست چراکه او محیط است بهر چیز پس محاط بچیزی نتواند
شد ، وادراك چیزی بي احاطه بآن صورت نبندد ، فاذن لا يحيطون به علماً .

عنقا شکار کس نشود دام بازچین کاینجا همیشه باد بدست است دام را
فدع عنك بحراً ضلّ فيه السوايح

شعر

دراین ورطه کشتی فرو شد هزار که پیدا نشد تخته بر کنار

أما باعتبار تجلی در مظاهر اسماء وصفات درهر موجودی روئي دارد ، ودرهر مرآتى جلوه
مینماید ، فاینما تولوا فثم وجه الله ، ولو أنکم أدلیتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله ،
واین تجلی همه راهست لیکن خواص میدانند که چه مبینند امام حسین (ع) میفرماید : تعرّف
إلى في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء فانت الظاهر لكل شيء ، وعوام نمیدانند که چه
مبینند ، ألا إنهم في مریة من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محیط حافظ .

کفتم بکام وصلت خواهم رسید روزی کفتاکه نیک بنکرشاید رسیده باشی

دوست نزدیکتر از من بمن است وین عجب تر که من از وی دورم
چه کنم با که توان گفت که دوست در کنار من ومن مهجورم

قال الله سبحانه : ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلُ مَا يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١) وقال أمير المؤمنين : « ان الله تجلى لعباده من غير أن يراه وأراهم نفسه من غير أن يتجلى »^(٢) . حافظ

در بزم دل از روی تو صد شمع برافر وخت وین طرفه که بر روی تو صد گونه حجابست

وقال ابنه الحسين (ع) في دعاء عرفة : (كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ، ومتى بعدت حتى تكون الاثار هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيقاً ؛ وخسرت صفقة^(٣) عبد لم تجعل له من حبك نصيباً^(٤)) ، وقال (ع) أيضاً : (تعرّف لکل شيء فما جهلك شيء)^(٥) .

وسئل الصادق (ع) (عن الله عزّ وجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة ؟ قال : نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة ، فقيل : متى ؟ قال : حين قال : ألسن بربكم قالوا لا) ، ثم سكت ساعة ثم قال ، وإنّ المؤمنین ليرونه في الدنیا قبل يوم القيامة ألسن تراه في وقتك هذا ؟ قيل : فاحدث بهذا عنك ، فقال : لا ، فانك اذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر أن هذا تشبيه كفر ، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالی الله عمّا يصفه المشبهون والملحدون)^(٦) .

وقد تبين مما ذكر أنّ المعرفة والرؤية ترجعان إلى أمر واحد وأنها ثمران الايمان على البصيرة ، وقد ثبت أن أصل المعرفة فطري للأشياء ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم^(٧) وقد ورد في قوله سبحانه : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾^(٨) أنها

(١) سورة فصلت : الآية ٥٣ .

(٢) نهج البلاغة : ص ٢٠٤ خطبة : ١٤٧ وفيه « فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته . . . » (٣) الصفقة عقد البيع يقال : صفقة رابحة و صفقة خاسرة المنجد . (٤) الاقبال : ص ٣٤٩ .

(٥) الاقبال : ص ٣٥٠ . (٦) التوحيد : ص ١١٧ ح ٢٠ .

(٧) قال في مجمع البيان : اي لا تعلمون تسبيح هذه الاشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالتها على توحيد . وقال الراغب في المفردات : الفقه هو التوصل الى علم غايب بعلم شاهد فهو اخص من العلم الخ .

(٨) سورة الروم : الآية ٣٠ .

التوحيد وقال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾^(١) وإنما ضلّ عنهم المعرفة بالمعرفة والبصيرة بالرؤية ، بلى هرزده که ازخانه بصحرا شود صورت آفتاب بیند اما نمیداندچه میبیند شعر

چندین هزار ذره سرا سیمه میدوند در آفتاب وغافل از آن کافتاب چیست
وقتی ما هیان جمع شدند وگفتند چند کاهست که ما حکایت آب میشنومیم ومیکویند حیاة
ما از آبست وهر کز آب راندیده ایم ، بعضی شنیده بودند که در فلان دریا ما می است دانا وآب
رادیده گفتند بیش اورویم تا آب را بما نماید چون باور سیدند وپرسیدند ، گفت شما چیزی غیر
آب بمن نمائید تا من آب را بشما بنمایم شعر

بادوست ما نشسته که ای دوست دوست کو کوکو همی ز نیم زمستی بکوی دوست حافظ
سالها دل طلب جام جم از ما میکرد آنچه خود داشت زیگانه تمنا میکرد
گوهری کز صدف کون ومکان بیرون بود طلب از گمشدگان لب دریا میکرد
بیدلی درهمه احوال خدا با او بود او نمید یدش واز دور خدا را میکرد

کلمة

بها یجمع بین المنع من التفكير والكلام فيه سبحانه وبين الحث على المعرفة .

طالبان تصور حقیقت رابدور باش ﴿ویحذّرکم الله نفسه﴾^(٢) میراندتا طلب محال نکنند ،
(تفکروا فی آلاء^(٣) الله ولا تفکروا فی ذات الله فانکم لم تقدروا قدره)^(٤) شعر .

زبان بکام خموشی کشیم ودم نزنیم چه جای نطق تصوّر دراو نمیگنجد
وعاشقان وصول حضرت را بمقام ﴿والی الله المصیر﴾^(٥) میرسانندتا در خلوت خانه حق
الیقین بیاسایند ﴿من کان یرجو لقاء الله فانّ اجل الله لآت﴾ .

هله عاشقان بشارت که نماند این جدائی ^{مولوی} برسد زمان دولت بکند خدا خدائی

وشک نیست که حضور شیء غیر تصور حقیقت آن شیء است مثنوی

(١) سورة لقمان : الآية ٢٥ . (٢) سورة آل عمران : الآية ٢٨ .

(٣) الالاء : النعم واحدها آلی علی وزن معا وآلی قفا . مجمع البیان .

(٤) تنبیه الخواطر : ج ١ ص ٢٥٠ واحیاء علوم الدین : ج ٤ ص ٣٨٦ . (٥) سورة آل عمران : الآية ٢٨ .

من نمیدانم چه درجه فنی این قدر دانم که درجهان منی
 دوران را بتبعید ، إذا بلغ الكلام إلى الله فامسكوا ، ترهیب کردند و نزدیکان را
 بتقریب : « من عرف نفسه فقد عرف ربه »^(۱) ترغیب نمودند آنرا محکم « ليس كمثله شيء »^(۲)
 حیرت افزود ، واینرا متشابه « وهو السميع البصير »^(۳) دلالت نمود آنرا تنزیه ، لیس له مکان
 یحویه ، حیران کرد ، واینرا تشبیه « اینما تولوا فثم وجه الله »^(۴) کار آسان کرد ، آن را بیاس :
 كلما ميز تموه بأوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلکم مردود إليکم ، محروم
 ساخت ، واینرا برجای : فاحبب أن اعرف ، نواخت ، آنرا بتازیانه ما للتراب ورب الأرباب :
 دور کردانید ، واینرا در آشیانه « وهو معكم اینما كنتم »^(۵) مطمئن و مسرور نشانید « اولئك
 ینادون من مكان بعيد »^(۶) ، « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد »^(۷) بیگانگان را بخطاب « وما
 اوتيتم من العلم إلا قليلاً »^(۸) سر باز زد ، و آشنایان را بشارت « ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
 خيراً كثيراً »^(۹) سرفراز کرد ، در حق آنان آمد : عليكم بدین العجایز ، و در شان اینان
 فرمود : « إن من العلم كهیئة المكنون لا یعلمه إلا أهل المعرفة بالله »^(۱۰).

وقال أمير المؤمنين (ع) « اندمجت علی مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب
 الأرضية في الطوى البعيدة »^(۱۱) «^(۱۲).

وقال (ع) مشيراً إلى صدره : « إن ههنا لعلما جما »^(۱۳) لو اصبحت له حملة »^(۱۴) وقال سيد
 العابدين (ع) : « لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله »^(۱۵) وقال (ع) : شعر

- (۱) غرر الحكم : ص ۴۰۳ ح ۸۰۴۸ واحياء علوم الدين : ج ۵ ص ۱۵۷ .
 (۲) سورة الشورى : الآية ۱۱ . (۳) سورة الشورى : الآية ۱۱ . (۴) سورة البقرة : الآية ۱۱۵ .
 (۵) سورة الحديد : الآية ۴ . (۶) سورة فصلت : الآية ۴۴ . (۷) سورة ق : الآية ۱۶ . (۸) سورة الاسراء : الآية ۸۵
 (۹) سورة البقرة : الآية ۲۶۹ . (۱۰) الترغيب والترهيب : ج ۱ ص ۱۰۳ واحياء علوم الدين : ج ۱ ص ۲۴ .
 (۱۱) قال العلامة الخوئي (قد) في شرح نهج البلاغة : اندمج في الشيء : دخل فيه وتستر به وباح بسره : أظهره
 كإباحه ؛ والارضية جمع رشاء ككساء وهو الحبل ، والطوى كغنى اسم بئر بذى طوى على ما ذكره الفيروزي
 آبادي ، ولعل المراد هنا مطلق البئر كطوية . وقال في الترجمة : پیچیده شده ام بعلم مخزون و سر مکنونی که
 پنهان است که اگر اظهار بدارم آنرا بشما هراینه مضطرب من شوید و بیلرزه می افتید مانند لرزیدن ریسمان
 درجه دور و دراز .

(۱۲) نهج البلاغة : ص ۵۲ خطبة ۵ .

(۱۳) جم الكيل جما : كاله الى رأس المكيال . الماء : تركه يجتمع المكيال : ملاء الى رأسه طفافاً . المنجد .

(۱۴) نهج البلاغة : ص ۴۹۶ حکمة ۱۴۷ . (۱۵) الكافي : ج ۱ ص ۴۰۱ .

اني لأكتفم من علمي جواهره
وقد تقدّم في هذا ابو حسن
يا ربّ جوهر علم لو ابوح به
ولا استحلّ رجال مسلمون دمي
هرکه شد محرم دل در حرم يا ربماند
وانکه اين کار ندانست درانکار بماند
کیلا یرى الحق ذو جهل فيفتتنا
إلى الحسين ووصى قبله الحسننا
لقليل لي أنت ممّن يعبد الوثننا
يرون اقبح ما يأتونه حسنا

کلمه

بها یجمع بین ظهوره سبحانه وخفائه

هستی او بیدانرا از هستی سایر اشیاست زیرا که هستی او حقیقی و بخود پیدا
و هستی سایر اشیا مجازی و باو هو یداست چنانچه میفر ما ید ﴿الله نور السموات والأرض﴾^(۱) چه
نور چیز را کویند که خود پیدا و پیدا کننده سایر اشیا باشد اشیا بی هستی عدم محضند و مبدء
ادراک همه هستی است هم از جانب مدرک و هم از جانب مدرک ، و هرچه را ادراک کنی اول
هستی مدرک و اگرچه از ادراک این ادراک غافل باشی و از غایت ظهور مخفی ماند ادراک مبصر
بیواسطه نور دیگر چون شعاع صورت نبندد با آنکه شعاع از غایت ظهور در آن حالت غیر مرئی
مینماید تا آنکه طایفه انکار آن میکنند نوری که واسطه ادراک شعاع بود بر این قیاس باید ﴿نور
علی نور یهدی الله لنوره من یشاء﴾^(۲) .

قال بعض العلماء : ولا تتعجب من اختفاء شيء بسبب ظهوره فإنّ الأشياء إنما تستبان
بأضدادها ، وما عمّ وجوده حتى لا ضدّ له عسر ادراکه ، فلو اختلفت الأشياء فدلّ بعضها علی
الله تعالی دون بعض ادركت التفرقة علی قرب ولما اشترکت فی الدلالة لأنه علی نسق واحد
أشکل الأمر ، ومثاله نور الشمس المشرق علی الأرض فانا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث
فی الأرض ویزول عند غیبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الاشراق لا غروب لها لکننا نظن أن
لاهیة فی الأجسام إلا ألوانها ، وهي السواد والبیاض وغيرهما ، فانا لا نشاهد فی الاسود إلا
السواد و فی الأیض إلا البیاض فأمّا الضوء فلا ندركه وحده لکن لما غابت الشمس واطلمت
المواضع ادركت تفرقه بین الحالتین فعلمنا أن الأجسام قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة
فارتقا عند الغروب ، فعرفنا وجود النور بعده وما کنا نطلع علیه لولا عدمه الا بعسر شدید ،
وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غیر مختلفة فی الظلام والنور ، هذا مع أن النور أظهر

(۱)سورة النور : الآية ۳۵ . (۲) سورة النور : الآية ۳۵ .

المحسوسات إذ به يدرك ساير المحسوسات ، فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصوّر استيهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده ، فاذن الحق سبحانه هو أظهر الامور ، وبه ظهرت الأشياء كلها ، ولو كان له عدم او غيبة أو تغير لانهدت السموات والارض وبطل الملك والملكوت ، ولادركت التفرقة بين الحالتين ، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لادركت التفرقة بين الشئيين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه . فلا جرم اورث شدة الظهور خفاء .

شعر

خفى لافراط الظهور تعرّضت لادراكه أبصار قوم أخافش
وحظّ عيون الزرق من نور وجهه لشدته حظ العيون العوامش
اي تومخفى در ظهور خویشتن وى رخت پنهان بنور خویشتن

شعر

لقد ظهرت ولا تخفى على أحد إلا على أكمه^(١) لا يعرف القمر
لكن بطنت بما أظهرت محتجباً فكيف يعرف من بالعرف استترا

شعر

حجاب روى توهم روى تست درهمه حال نهانی از همه عالم ز بسکه پیدائی

قال أمير المؤمنين (ع) : « لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها ، وبها امتنع منها »^(٢) وقال (ع) : « ظاهر في غيب وغائب في ظهور وقال (ع) : « لا تجنّه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون ، قرب فئأى وعلا فدنا وظهر فبطن وبتن فعلم ودان ولم يدن »^(٣) ، أي ظهر وغلب ولم يغلب ، ومن هنا قيل عرفت الله بجمعه بين الأضداد .

كلمة

فيما اشارة الى الطريق الى معرفة الله

كما أن لكل شيء ماهية هو بها هو وهي وجهه الذي إلى ذاته كذلك لكل شيء حقيقة محيطه به بها قوام ذاته وبها ظهور آثاره وصفاته ، وبها حوله عمّا يرديه ويضره وقوته على ما ينفعه ويسره ، وهي وجهه الذي إلى الله سبحانه وإليه اشير بقوله عزّ وجلّ : ﴿والله بكلّ شيء

(١) كنه كنهاً : عمي أو صار أعشى . بصره : اعترته ظلمة تطمس عليه المنجد .

(٢) نهج البلاغة : ص ٢٦٩ خطبة ١٨٥ . (٣) نهج البلاغة : ص ٣٠٩ خطبة ١٩٥ .

محيط^(١) ﴿وإنسه على كل شيء شهيد﴾^(٢) وبقوله سبحانه : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^(٣) وبقوله تعالى : ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾^(٤) ﴿^(٥) وبقوله عز وجل : ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾^(٦) وبقوله عز اسمه : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾^(٧) فان تلك الحقيقة هي التي تبقى بعد فناء الأشياء ، فاذا نظرنا إلى الأشياء بهذا الوجه وعرفنا الله عز وجل بهذا النظر فقد عرفنا الله بالله ، بل عرفنا الأشياء أيضاً بالله ، (سئل نبينا (ص) بماذا عرفت ربك ؟ قال : بالله عرفت الأشياء) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (اعرفوا الله بالله)^(٨) ، يعني انظروا في الأشياء إلى وجوهها التي إلى الله سبحانه لكي تعرفوا أولاً أن لها رباً صانعاً ثم اطلبوا حينئذ معرفته بآثاره فيها من حيث تدبيره لها وقيوميته إياها وتسخيره لها واحاطته بها وقهره عليها حتى تعرفوا الله بهذه الصفات القائمة به ، ثم تعرفوا الأشياء بقيامها به ، ولا تنظروا إلى وجوه الأشياء التي إلى أنفسها أعني من حيث إنها أشياء لها ماهيات لا يمكن أن توجد بذاتها بل مفتقرة إلى موجد بوجودها ؛ فانكم إذا نظرتم إليها من هذه الجهة تكونوا قد عرفتم الله بالأشياء يعني اثبتموه بها واقررتم بوجوده فحسب ، فلن تعرفوه إذن حق المعرفة ، فان معرفة مجرد كون الشيء مفتقراً إليه في وجوه الأشياء ليست بمعرفة له في الحقيقة .

على أن ذلك غير محتاج إليه ، لانها فطرية بخلاف النظر الأول فانكم تنظرون في الأشياء أولاً إلى الله عز وجل وآثاره من حيث هي آثاره ، ثم إلى الأشياء وافتقارها في أنفسها ، فانا إذا عزمنا على أمر مثلا وسعينا في إمضائه غاية السعي فلم يكن علمنا أن في الوجود شيئاً غير مرئي الذات يمنعنا عن ذلك ويحول بيننا وبين ذلك ، وعلمنا أنه غالب على أمره وأنه مستخر للأشياء على حسب مشيئته ومدبر لها إرادته ، وأنه منزّه عن صفات أمثالنا وهذه صفات بها يعرف صاحبها بعض المعرفة .

وفي دعاء الحسين بن علي (ع) : (منك اطلب الوصول اليك وبك استدلل عليك)^(٩)

- (١) سورة فصلت : الآية ٥٤ . (٢) سورة فصلت : الآية ٥٣ . (٣) سورة الحديد : الآية ٤ .
(٤) قال الراغب في المفردات : الوريد عرق يتصل بالكبد والقلب وفيه مجاري الدم والروح قال : ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اي من روحه وقال الطبرسي في مجمع البيان : هو عرق يتفرق في البدن يخالط الانسان في جميع اعضائه الخ .
(٥) سورة ق : الآية ١٦ . (٦) سورة الواقعة : الآية ٨٥ . (٧) سورة القصص : الآية ٨٨ .
(٨) التوحيد : ص ٢٨٥ ح ٣ . (٩) الاقبال : ص ٣٤٩ .

والى طريق تحصيل مثل هذه المعرفة اشير في غير موضع من القرآن المجيد بالآيات حيث قيل : ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الاباب﴾ (١) وأمثال ذلك من نظائره (وسئل أمير المؤمنين (ع) بماذا عرفت ربك؟ قال : بفسخ العزم ونقض الهم (٢) لما هممت فحيل بيني وبين همي وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي علمت أن المدبر غيري (٣) .

وهذا رجوع في المعرفة إلى الفطرة واستمداد بها وإنما يكون لاكثر الناس عند الأضطراب فانا نرى الناس عند الوقوع في الاهوال وصعاب الاحوال يتوكلون بحسب الجبله على الله ، ويتوجهون توجهاً غريزيا إلى مسبب الاسباب ومسهل الامور الصعاب وإن لم يتفطنوا لذلك ويشهد لهذا قول الله عز وجل : ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ، بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون﴾ (٤) .

(إن الصادق (ع) سئل عن الله فقال للسائل هل ركبت سفينة قط؟ قال : بلى ، قال : فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة (٥) تغنيك؟ قال : بلى ، قال : فهل تعلق قلبك هناك ان شيئاً من الاشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال : بلى قال الصادق (ع) : فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حين لا منجى وعلى الاغاثة حين لا مغيث (٦) .

وفي قوله سبحانه : ألت بربكم اشارة لطيفة إلى الفطرة حين استفهم منهم الأقرار بربوبيته تنبيهاً لى أنهم كانوا مقرين بوجوده في بداية عقولهم وفطر نفوسهم ، (وسئل الباقر (ع) عن قول الله تعالى : ﴿حنفاء لله غير مشركين﴾ (٧) وعن الحنفية فقال : هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، قال : فطرهم الله على المعرفة (٨)

(١) سورة ال عمران : الآية ١٩٠ .

(٢) الهم ما هم به الرجل أو أجال فكره لفعله وإيقاعه وكذا الهمه ما هم به من أمر ليفعل ، والعزم القوى جمع همم . المنجد .

(٣) التوحيد : ص ٢٨٨ ح ٦ . (٤) سورة الانعام : الآية ٤٠ - ٤١ .

(٥) السبح : المرالسريع في الماء وفي الهواء يقال : سبح سبحا وسباحه ، كذا في المفردات

(٦) معاني الاخبار : ص ٤ ح ٢ وعن تفسير العسكري كما في البحار : ج ٣ ص ٤١ ح ١٦

(٧) سورة الحج : الآية ٣١ . (٨) التوحيد : ص ٣٣٠ ح ٩ .

شب ظلمت و بیابان بکجا توان رسیدن مگر آنکه شمع رویت برهم جراغ دارد
کلمة

بها يتبين انه لا سبيل الى اکتناه ذاته والاحاطة به جل جلاله

قال الله عز وجل : ﴿ولا يحيطون به علما وعتت الوجوه للحي القيوم﴾^(١) وقال سبحانه : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾^(٢) وقال أمير المؤمنين (ع) « لا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين »^(٣) ، وقال (ع) : « ما وحده من كيفه ، ولا حقيقته أصاب من مثله ، ولا إياه عنى من شبهه ، ولا صمده^(٤) من أشار اليه وتوهمه »^(٥) ، وقال (ع) : « من قال فيه لم فقد علله ، ومن قال فيه متى فقد وقته ، ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال إلى فقد أنهاه ، ومن قال حتى فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد الحد فيه ، لا يتغير الله بتغاير المخلوق ، ولا يتحدّد « يتحدّخ » بتحدّد المحدود »^(٦) ، وقال الصادق (ع) : « وكيف أصفه بالكيف وهو الذي كيف الكيف ، حتى صار كيفا فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف »^(٧) نظامي :

جهان متفق بر الهيئتش فرو مانده در كنه ماهيتش
نه ادراك در كنه ذاتش رسد نه فكرت بغور صفاتش رسد
نه براوج دانش پردمرغ وهم نه در ذيل وصفش رسد دست فهم
كه خاصان در اين ره فرس رانده اند بلا احصى ازتك فرو مانده اند

ولا تلتفت إلى من يزعم أنه قد وصل إلى كنه الحقيقة المقدسة بل احث التراب في فيه ،
فقد ضل وغوى وكذب وافتري ، فان الأمر ارفع واطهر من أن يتلوّث^(٨) بخواطر البشر ، وكل ما
يتصوّره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ واقصى ما وصل اليه الفكر العميق فهو غاية
مبلغه من التدقيق سنائي :

(١) سورة طه : الآية ١١٠ - ١١١ . (٢) سورة الانعام : الآية ٩١ . (٣) نهج البلاغة : ص ١٢٥ خطبة ٩١ .

(٤) الصمد : السيد المعظم الذي يصمد اليه في الحوائج اي يقصد ، وقيل هو السيد الذي ينتهي اليه السؤدد وفي الحديث عن الحسين بن علي (ع) أنه قال : الصمد الذي قد انتهى سؤدده والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال ، والصمد الذي لا جوف له ، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب ، والصمد الذي لا ينام . مجمع البيان .

(٥) نهج البلاغة : ص ٢٧٢ خطبة ١٨٦ . (٦) التوحيد : ص ٣٦ . (٧) التوحيد : ص ١١٥ ح ١٤ .

(٨) تلوث ثوبه بالطين : تلطخ به ، المنجد .

انچه پیش تویش از آن ره نیست غایت فهم تواست الله نیست

گفتم همه ملک حسن سرمایه تست خورشید فلک جوذ ره در سایه تست
گفتا غلطی زما نشان نتوان یافت از ما توهر آنچه دیده پایه تست

فسبحان من حارت^(۱) لطائف الأوهام في بیداء کبریائه وعظمته ، وسبحان من لم يجعل
للخلق سبيلا إلى معرفته الا بالعجز عن معرفته شعر :

اعتصام الوری بمغفرتک عجز الواصفون عن صفتک
تب علیا فاننا بشر ما عرفناک حق معرفتک

المقالة الثانية

في صفاته واسمائه سبحانه ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾ الصافات / ۱۸۰ .

کلمة

فيها اشارة الى الصفات وانها عين الذات باعتبار وغيرها باعتبار

چنانکه کنه ذات حق معلوم نیست کنه صفات او نیز معلوم نیست لیکن جون اشعه
صفات بر ماهیت انسان تابیده ادراک آن بوجه معتدّ به میتوان ووجوب وجود اعنی غنای ذاتی
ووجود بلا ماهیه که انسان را نیست در فهم آن قاصر است وإنما يطلق عليه أشرف النقيض
كالعلم والجهل والقدرة والعجز والحياة والموت .

قال مولينا الباقر (ع) : (هل سمي عالما قادر إلا لما وهب العلم للعلماء والقدرة
للقادرين ، وكلما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم .
والباري تعالى واهب الحياة ومقدر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله زبائنين^(۲) لانهما
كمالها وتتصور أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له)^(۳) .

وصفات حق عين ذاتست بحسب حقيقة وهويت وغير است بحسب مفهوم وهم چنین
صفات با یکدیگر ومرجع این سخن نفی صفاتست از حق باصول نتایج وثمرات آن ، وإليه أشار

(۱) حار الماء في الغدير : تردد فيه ، و حار في أمره : تحير . المفردات .
(۲) زبانيا العقرب بالضم : قرناها . ق . (۳) المحجة البيضاء : ج ۱ ص ۲۲۰ .

امير المؤمنين (ع) بقوله : (كمال التوحيد)^(١) ، وفي لفظ اخر ، (كمال الاخلاص نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله)^(٢) .

ونيزاكر صفات بحسب حقيقة وهوية غير ذات باشد احتياج ذات لازم آيد بغير وحكم غير بر او ، فيبطل كون الذات يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فالصفات الكمالية كلها ترجع إلى وجوده سبحانه ، فكما أن وجوده لا يشوب بعدم ونقص ، فكذلك علمه الذي هو حضور ذاته لذاته لا يشوب بغيبة شيء من الأشياء وقدرته لا تشوب بعجز عن شيء ، وهكذا حكم ساير صفاته ، وذلك لأنه تعالى محقق الحقائق ومنشأ مشييء خ ل « الأشياء ، فذاته أحقّ بالأشياء من الأشياء بأنفسها .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (كل شيء خاضع له ، وكل شيء قائم به ، غنى كل فقير ، وعزّ كل ذليل ، وقوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف)^(٣) وقال (ع) : (به توصف الصفات لا بها يوصف ، وبه تعرف المعارف لا بها يعرف ، وبه عرف المكان لا بالمكان عرف ، وبه كان الخلق لا بالخلق كان)^(٤) .

وروي عن هشام بن سالم قال : (دخلت على أبي عبد الله (ع) فقال : أتنتع الله ؟ قلت : نعم ، قال : هات ، فقلت : هو السميع البصير ، قال : هذه صفة يشترك فيها المخلوقون ، قلت : فكيف تنعته ؟ فقال : هو نور لا ظلمة فيه وحياة لا موت فيه وعلم لا جهل فيه وحق لا باطل فيه ، فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد)^(٥) .

وبإسناده عن محمد بن عروة قال : (قلت للرّضا (ع) : خلق الله الأشياء بقدرة أم بغير قدرة ؟ فقال : لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة لأنك اذا قلت خلق الأشياء بالقدرة فكأنك قد جعلت القدرة شيئاً غيره وجعلت آلة له بها خلق الأشياء وهذا شرك ، وإذا قلت خلق الأشياء بقدرة فانما تصفه أنه جعلها باقتدار عليها وقدرة ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره)^(٦) .

وعن الباقر (ع) : (يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع) أنه واحد أحدي المعنى ليس

(١) نهج البلاغة : ص ٣٩ خطبة ١ . (٢) نهج البلاغة : ص ١٥٨ خطبة ١٠٩ .
(٣) تحف العقول : ص ١٧٦ . (٤) التوحيد : ص ١٤٦ ح ١٤ . (٥) التوحيد : ص ١٣٠ ح ١٢ .
(٦) التوحيد : ص ١٤٤ ح ٩ .

بمعاني كثيرة مختلفة قال بعض أهل العلم : وجود كلة ، وجوب كلة ، علم كلة ، قدرة كلة ، حياة كلة ، لا أن شيئاً منه علم وشيئاً آخر قدرة ليلزم التركيب في ذاته ، ولا أن شيئاً فيه علم وشيئاً آخر فيه قدرة ليلزم التكثر في صفاته الحقيقية

شعر

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير
ولا تتعجب من ذلك فانك إذا حدثت بشيء فانت حينئذ عليم به سميع له بصير اياه متكلم به ، بل أنت إذا ذاك علم وسمع وبصر وكلام ، بل وأنت في تلك الحال معلوم ومسموع ومبصر ، فالعين الواحدة تصوّرت بالصّور المتعدّدة وتجلت بالوجوه الكثيرة وظهرت بالأحكام المختلفة من غير أن يتعدّد الذات ولا الصفات إلا بحسب المفهوم فحسب .

كلمة

فيها إشارة الى تأويل ما يوهم التشبيه من الصفات

هر صفت كه مشعر است بتشبيه بدايت آن كه انفعال است از حق منفي است وغايتش كه كمال است مثبت اعني ثبوت ثمرتها للذات منفردة ، وذلك لأن صفات الموجودات تختلف بحسب المظاهر والمقامات ، فهي إنما تكون في كل بحسبه فالغضب مثلاً في الجسم جسماني يظهر بشوران^(١) الدم وحرارة الجلد وحمرة الوجه ، وفي النفس نفساني ادراكي يظهر بارادة الانتقام والتشفي عن الغيظ ، وفي العقل عقلي يظهر بالحكم الشرعي بتعذيب طائفة أو حربهم لأعداء دين الله وفي الله سبحانه ما يليق بمفهومات صفاته الموجودة بوجود ذاته .

وكذا الشهوة فانها في النبات الميل إلى جذب الغذاء والنمو ، وفي الحيوان الميل إلى ما يوافق طبعه ويشتهيه ، وفي النفس الانسانية الميل إلى ما يلائم الناطقة من كرايم الملكات ، وفي العقل الابتهاج بمعرفة الله وصفاته واسمائه وافعاله ممّا يعرف وفي الله سبحانه كون ذاته مبدىء الخيرات كلها وغايتها وخلقها الخلق لكي يعرف ، وعلى هذا القياس ساير الصفات ، وهو سبحانه بحسب كلّ صفة ونعت ليس كمثله شيء في تلك الصّفة لأن المخلوق لا يكون أبداً مثل خالقه في شيء من الأشياء ، لأنه محتاج وخالقه غير محتاج فلا حدّ لصفة الله ولا كيف لانهما من خواص الحاجة .

(١) نار الغبار والسحاب ونحوهما يثور ثوراً وثورناً : انشتر ساطعاً وقد اثرته قال تعالى : يثير سحاباً . المفردات .

وفي كلام أمير المؤمنين (ع) (وتوحيده تمييزه من خلقه ، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة) (١) ، رواه في كتاب الاحتجاج ، ولك أن تقول ما يوهم التشبيه في الله سبحانه يرجع إلى خواص أوليائه ، فإن الولي الكامل لما قويت ذاته بحيث وسع قلبه وانشرح صدره وصار جالسا في مقام التمكين على الحد المشترك بين الحق والخلق غير محتجب بأحدهما عن الآخر فحينئذ كلما يصدر عنه من الاعمال والافعال والمجاهدات والمخاصمات وغيرها كان لله وبالله ومن الله وفي الله ، فان غضب كان غضبه بالله ولله ، وإن رضي كان رضاه كذلك فهكذا في جميع ما يفعل او يفعل فيصح نسبة صفاته وأفعاله إلى الله سبحانه .

روي عن الصادق (ع) قال : (ان روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها) (٢) وعن الصادق (ع) في قوله سبحانه : ﴿ فلما آسفونا (٣) انتقمنا منهم ﴾ (٤) قال : «إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه ، لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه فلذلك صاروا كذلك وليس أن ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال : «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليه» (٥) وقال : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (٦) وقال : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ (٧) فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك ، وهكذا الرضا والغضب وغيرها من الأشياء مما يشاكل ذلك .

رباعي :

ذاتي كه نگنجد بخيال من وتو شد فهم صفات او كمال من وتو
اي دل چه همیشه گرد كنهش كردی ترسم كه بسوزد پرو بال من وتو

كلمة

فيها اشارة الى اسمائه سبحانه ومظاهرها

الاسم هو الذات باعتبار صفة معينة وتجلي خاص ؛ فان الرحمان ذات له الرحمة ، والقهار ذات له القهر (سئل أبو الحسن الرضا (ع) عن الاسم ما هو؟ فقال : صفة

(١) الاحتجاج : ج ١ ص ٢٩٩ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ١٦٦ ح ٤ .

(٣) قال في المفردات : الاسف : الحزن والغضب معاً وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام ، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضباً ، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً « الى أن قال » قوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم ، أي أغضبونا « اقول » ثم يذكر الرواية التي رواها المصنف « قد » في المتن بنقصان وتغيير غير محل بالمقصود فراجع (٤) سورة الزخرف : الآية ٥٥ .

(٥) الكافي : ج ١ ص ١٤٤ ح ٦ . (٦) سورة النساء : الآية ٨٠ . (٧) سورة الفتح : الآية ١٠ .

لموصوف^(١) ، فالاسم أيضاً كالصفة فانه عين المسمى باعتبار الحقيقة وغيره باعتبار المفهوم ، فالاسماء اللفظية أسماء للاسماء ، ثم الأسماء تنقسم باعتبار الأنس والهيئة إلى جمالية كاللطف والغفار ، وجلالية كالمنتقم والقهار .

والله سبحانه وان كان بذاته غنيا عما سواه كما قال عز وجل : ﴿ان الله غني عن العالمين﴾^(٢) ولكن أسماءه الغير المتناهية تقتضي أن يكون لكل منها مظهر في الخارج يظهر فيه أثر ذلك الاسم ومعناه ويتجلى المسمى الذي هو الذات تعالى شأنه بذلك الاسم لأهل التوحيد حتى يعرف الله بصفات الكمال كلها ، ولذلك إنما يخلق الله ويدبر ويربي كل نوع من أنواع العالم باسم من أسمائه كما اشير إليه في أدعية أهل البيت (عليهم السلام) بالاسم الذي خلقت به العرش وبالاسم الذي خلقت به الكرسي وبرب كذا وبرب كذا إلى غير ذلك .

وإنما اختص كل مخلوق باسم بسبب غلبة ظهور الصفة التي دل عليها ذلك الاسم فيه كما اشير إليه في الحديث القدسي : (يا آدم هذا محمد وأنا الحميد المحمود في فعالي شققت له اسما من اسمي وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له اسما من اسمي)^(٣) الحديث ، فمظهر الرحمن مثلا من يجري على يديه الرحمة لمن يستحق الرحمة ثم من يجري عليه الرحمة ، ومظهر القهار من يجري على يديه القهر لمن يستحق القهر ثم من يجري عليه القهر إلى غير ذلك ، فانه لو لم يكن في الخارج راحم ومرحوم لم يظهر الرحمانية ، ولو لم يكن قاهر ومقهور لم يظهر القهارية وقس عليه ساير الأسماء حافظ :

سايه معشوق اگر افتاد بر عاشق چه شد ما باو محتاج بوديم او بما مشتاق بود

شعر :

ظهور تو بمن است ووجود من از تو ولست تظهر لولاي لم اكن لولاك
ولما كانت الاسماء كلها تحت حيطه اسم الله الجامع لها المحيط بها فمظهره مظهر الكل ومظهر الكل خليفة الله المفيض لجميع الكمالات من اسم الله على ما سواه .

(١) التوحيد : ص ١٩٢ ح ٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٣) البرهان في تفسير القرآن : ج ١ ص ٨٨ ح ١٣ .

كلمة

فيها اشارة الى كيفية تربية الاسماء للمخلوقات

كل مخلوق يدعو بلسان استحقاقه الفايض عليه من اسم الله ما يستحق له واعطاؤه سبحانه الاستحقاق دعاء منه إلى الطلب ، فالطلب بهذا الاعتبار اجابة لدعوة الحق ، أجيئوا داعي الله ، وهو باعتبار آخر سؤال من الله سبحانه يسأله من في السموات والأرض وهذا السؤال إنما هو بلسان الحاجة والافتقار وعلى وجه الذل والاضطرار ، وإنما هو اسم من أسمائه سبحانه مناسب لحاجة السائل ، فالفقير مثلا يدعو باسم المغني والمريض باسم الشافي والمظلوم باسم المنتقم ، وعلى هذا القياس فكل ذرة من ذرات العالم يدعو الله اضطراراً بلسان حاله باسم من أسمائه تعالى وهو يجيب دعوته في حضرة ذلك الاسم الذي دعاه به كما قال : ﴿امن يجيب المضطر إذا دعاه﴾^(١) .

ومطالب الكل على حسب مسؤولاتهم مبذولة دائماً وحوادثهم مقضية أبداً ﴿وأتاكم من كل ما سألتموه﴾^(٢) لا يخيب منه احد قط إلا من كان على بصيرته غشاوة من استعداده ، فاخذ يدعو بلسان المقال ما يدعو بلسان الحال ، ولذلك يخيب قولاً وان استجيب حالاً وهو قوله سبحانه : ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾^(٣) .

شعر

گرجان بدهند سنك سیه لعل نگرردد باطینت اصلی چه كندبد گهر افتاد
وهذا الذي ذكرناه أخذ معاني قوله سبحانه : ﴿كل يوم هو في شان﴾^(٤) يعني در هر حادثه كاری دارد .

(مصراع)

أي تورا باهر کسی كاری ديكر

كلمة

بها يتبين معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها

قد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) أن المراد بالاسماء أسماء المخلوقات من الجبال

(١) سورة النمل : الآية ٦٢ . (٢) سورة ابراهيم : الآية ٣٤ . (٣) سورة الرعد : الآية ١٤ .

(٤) سورة الرحمن : الآية ٢٩ .

والبهار والأودية والنبات والحيوان وغيرها ، وفي رواية أسماء أنبياء الله وأوليائه وعتاة أعدائه .

أقول : ولعل وجه التوفيق أن المراد بالأسماء أسماء الحسنى التي بها خلقت المخلوقات كما اشرنا إليه سابقاً وإنما اضيفت تارة إلى المخلوقات كلها لأنها كلها مظاهرها التي فيها ظهرت اتصاف مجتمعه أي ظهرت صفات اللطف كلها أو جلها في الأولياء وصفات القهر كلها أو جلها في الأعداء .

والمراد بتعليمها آدم كلها خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة حتى استعد لادراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات ، والهامة معرفة ذوات الأشياء وخواصها واصول العلم وقوانين الصناعات وكيفية آلتها والتميز بين أولياء الله وأعدائه فتأتى بمعرفة ذلك كله مظهريته لاسمائه تعالى كلها وجامعيته جميع كمالات الوجود اللايقة به حتى صار منتخبا لكتاب الله الكبير الذي هو العالم الاكبر كما قال أمير المؤمنين (ع) ، شعر

دواؤك فيك وما تشعر ودأوك منك وما تستنكر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمّر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر^(١)

وإنما تعرف الملائكة حقايق الأشياء كلها لاختلافها وتباينها وكونهم وحدانية الصفة ليس في جبلتهم خلط وتركيب ، ولهذا لا يفعل كل صنف منهم إلا فعلا واحدا فالراكع منهم راعع أبداً ، والساجد منهم ساجداً أبداً ، والقائم منهم قائم أبداً كما حكى الله عز وجل عنهم بقوله : ﴿وما متاً إلا له مقام معلوم﴾^(٢) ولهذا ليس لهم تنافس^(٣) وتباغض ، بل مثالهم مثال الحواس فان البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما يزاحمان الشم فلا جرم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾^(٤) ، ﴿ويسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾^(٥) ﴿^(٦)

فكل صنف منهم مظهر لاسم واحد من الأسماء الإلهية لا يتعداه ففاقهم آدم بمعرفته الكاملة ومظهريته الشاملة فمعنى قوله تعالى سبحانه : ﴿أنبئهم باسمائهم﴾^(٧) أخبرهم بالحقايق

(١) من الشعر المنسوب للامام علي (ع) : ص ٧٥ .

(٢) سورة الصفات : الآية ١٦٤ . (٣) نافس فيه : رغب على وجه المباراة في الكرم كتنافس . ق .

(٤) سورة التحريم : الآية ٦ . (٥) فتر يفترون : سكن بعد حدة ولان بعد شدة . ق .

(٦) سورة الانبياء : الآية ٢٠ . (٧) سورة البقرة : الآية ٣٣ .

المكنونة عنهم والمعارف المصوّرة عليهم ليعرفوا جامعيتك لها وقدرة الله على الجمع بين الصفات المتباينة والاسماء المتناقضة ومظاهرها بما فيها من التضاد في مخلوق واحد كما قيل :
شعر

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
وروي عن الصادق (ع) أنه قال : (إن الصّورة الانسانية أكبر حجة الله على خلقه ، وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل^(١) الذي بناه بحكمته ، وهي مجموع صور العالمين ، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ ، وهي الشاهد على كل غائب ، وهي الحجّة على كل جاحد ، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير ، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار) . مغربي

چه مهر بود که بسرشته اندر کل من چه کنج بود که بنهاد دوست در دل من
بدست خویش چهل صبح باغبان ازل نماند تخم کلی تانکشت در کل من

المقالة الثالثة

في الصنع والابداع ﴿صنع الله الذي اتقن كل شيء﴾ النمل / ١٨ .

كلمة

فيها اشارة الى اصول العوالم والنشآت

اصول العوالم في البدو ثلاثة : عالم عقلي روحاني ، وعالم خيالي مثالي ، وعالم حسي جسماني ، وينشأ من كل منها سوسيلة علوم الانسان وأعماله وأمانيه في العود ثلاثة اخرى بازائها ، فينشأ لها من الانسان أهل وأصحاب ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾^(٢) .

والعالم العقلي يسمّى بالملكوت الأعلى وعالم الأرواح وأعلى عليّين والجبروت وهو عرى عن الصور والمواد بري من القوة والاستعداد أنشأه الله من نوره سبحانه ، والعالم الخيالي يسمّى بالملكوت الأسفل وعالم الأشباح وعالم النفوس والبرزخ ، وهو عرى عن المواد دون الصور أنشأه الله من نور العقل ، والعالم الحسي يسمّى بعالم الملك وعالم الأجسام وعالم الكون والفساد والدنيا ، وهو مقارن الصور والمواد والقوة والاستعداد وفيه التقابل والتضاد أنشأه الله من

(١) الهيكل : الضخم من كل شيء . ق . (٢) سورة الواقعة : الآية ٧ .

الهيولي الاولى المسماة بالماء التي هي ظل النفس ، وذلك بأن حرك الهيولي طولاً وعرضاً وعمقاً فكان منهم الجسم المطلق ، ثم خلق من الجسم الأرضين والسّموات بصورها وطبايعها ، ثم أدار الأفلاك حول الأركان فاختلف بعضها ببعض فكانت منها المولدات الكائنات من المعادن والنباتات والحيوانات .

ولعله إلى بعض هذه المعاني اشير مرموزاً في الحديث النبوي (ص) حيث قال : (أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فذابت أجزاءه فصارت ماء فتحرك الماء وطفى^(١) فوقه زبد وارتفع منه دخان ، فخلق السّموات من ذلك الدخان والأرضين من ذلك الزّبد)^(٢) .

عن الباقر (ع) (ما يقرب من هذا مع الزيادات)^(٣) ، وقد يطلق الروح على ما يقابل الجسم فيشتمل ما في العالمين الأولين جميعاً باعتبار تأثيرها في الاجسام واعطائها الحياة لها ، وكذلك النفس يطلق على ما فيها جميعاً باعتبار تصرفها في الجسم وتديرها له والعالم العلوي يقابل الحسي فيشملهما أيضاً وقد يطلق على السّموات في مقابلة الأرضين .

كلمة

فيها اشارة الى انتشاء المخلوقات من العقل باذن الله تعالى

روي عن الصادق (ع) قال : (إن الله خلق العقل وهو أول خلق من الرّوحانيين عن يمين العرش من نوره فقال له : أدبر فأدبر ثم قال له : أقبل فاقبل فقال الله تعالى : خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي ، قال : ثم خلق الجهل من البحر الاجاج ظلماتياً فقال له : أدبر فأدبر ثم قال له أقبل فلم يقبل فقال له : أستكبرت فلعنه)^(٤) الحديث .

أقول : العقل جوهر ملكوتي نوراني خلقه الله من نور عظمته وبه أقام السّموات والأرضين وما فيهنّ وما بينهن من الخيرات ، ولأجله البس الجميع حلة نور الوجود ، وبواسطته فتح أبواب الكرم والجد ، ولولاه لكنا جميعاً في ظلمة العدم ، ولأغلقت دوننا أبواب النعم ، وهو بعينه نور نبينا (ص) وروحه الذي تشعب منه أنوار أوصيائه المعصومين وأرواح الأنبياء والمرسلين ، ثم خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم من الأولين والآخرين .

والعرش عبارة عن جميع الخلايق وله معان اخر يأتي ذكرها إنشاء الله تعالى ، ويمينه أقوى

(١) طفي فوق الماء طفواً : علا . ق . (٢) البحار : ج ٥٤ ص ٣٦٣ و ص ٢٤٩ .

(٣) الكافي : ج ٨ ص ٩٤ و ٩٥ . (٤) الكافي : ج ١ ص ٢٠ ح ١٤

جانبيه وأشرفهما ، وهو عالم الرّوحانيات كما أن يساره أضعفهما وأدونهما وهو عالم الجسمانيات ، ومعنى قوله : أدبر ، أي انصرف الى الدنيا واهبط إلى الأرض رحمة للعالمين فادبر . فنزل إلى هذا العالم بأن أفاض باذن ربّه النفوس السّماوية والأرضيّة واطلالها « واطلالها خ » من الطبايع والمواد ، فظهر في حقيقة كل منها وفعل فعلها فصار كثرة وأعداداً وتكثر أشخاصاً وأفراداً ، ثم قال له : أقبل أي توجه إليّ وترق إلى معارج الكمال باكتساب المقامات والأحوال ، فاقبل فأجاب داعي ربّه وتوجّه إلى جناب قدسه بأن صار جسماً مصوراً من ماء عذب وأرض طيبة ثم انبت نباتاً حسناً ثم صار حيواناً ذا عقل هيلواني ، ثم صار عقلاً بالملكة ، ثم عقلاً مستفاداً ، ثم عقلاً بالفعل ، ثم فارق الدنيا ولحق بالرفيق^(١) الأعلى .

وكذلك فعل كل من تبعه وشيعه من الأرواح المنشعبة منه المقتبسة من نوره والمنبجسة من شعاعه ويلحق به الجميع ويحشر معه في عروجه إلى العالم الأعلى ورجوعه إلى الله تعالى .

فادباره عبارة عن توجهه إلى هذا العالم الجسماني والفائه عليه من شعاع نوره وإظهاره الأعيان فيه وإفاضته الشعور والإدراك والعلم والنطق على كلّ منها بقدر استعداده له وقبوله منه من غير أن يفارق معدنه ويخلي مرتبته ومقامه في القرب ، بل يرشح بفضل وجوده الفائض من الله تعالى على وجود ما دونه .

واقباله عبارة عن رجوعه إلى جناب الحق وعروجه إلى عالم القدس باستكمال لذاته بالعبودية الذاتية شيئاً فشيئاً من أرض المادة إلى سماء العقل حتى يصل إلى الله ويستقر على مقام الأمن والراحة ، ويبعث إلى المقام المحمود الذي يغطيه به الأولون والآخرون .

فادباره في جميع المراتب ايجابي تكويني لا يحتمل العصيان وأمرّي دفعي لا يدخل تحت الزمان ولا يتطرق إلى السّابق عند وجود اللاحق بطلان ولا نقصان ، وإقباله في الأواخر تكليفي تشريعي وكله خلقي تدريجي مقيّد بالزمان يبطل السّابق عند اللاحق شخصاً وجسماً لا حقيقة وروحاً ، وكل مرتبة منهما عين نظرية من الآخر حقيقة ، وغيره شخصاً والشرف والكمال إنما هو بالدنو من الحق المتعال ففي البدو كل ما تقدم كان أوفر اختصاصاً ، وفي العود كل ما تأخر كان أعلي مكاناً .

ومثل نور العقل في عالم الغيب مثل نور الشمس في عالم الشهادة فكما أن عين البصر

(١) في حديث عائشة سمعته (ص) يقول عند موته : بل الرفيق الأعلى ، وذلك انه (ص) خير بين البقاء في الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله تعالى . م .

تدرك بنور الشمس المحسوسات في هذا العالم ولولاه لما ابصرت شيئاً فكذلك عين البصيرة تدرك بنور العقل المعقولات في ذلك العالم ولولاه لما ابصرت شيئاً، وكما أن من عمي بصره لا يبصر بنور الشمس شيئاً فكذلك من عميت بصيرته لا يبصر بنور العقل شيئاً .

ثم إن هذه الأنوار الشعاعية المنبجسة^(١) من ضياء العقل والنور المحمّدي منها ما هو غريزي للانسان به يتهيأ لادراك العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية فيخرجها من القوة إلى الفعل شيئاً فشيئاً وبها يفارق ساير الحيوانات ، ومنها ما هو مكتسب له به يميّز بين النافع له في المآل والضار به فيه ، فيقدم على النافع ويجتنب الضار ويختار الاجل الباقي على العاجل الفاني في النفع وبالعكس في الضرر ، وهو ثمرة الاولى والغاية القصوى له ويؤيده الملائكة وتلهمه وتهديه .

وإلى كلا العقلين اشير فيما ينسب إلى أمير المؤمنين (ع) أنه قال : (رأيت العقل عقليين : فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع كمالا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع)^(٢) ولكل منهما درجات ومراتب فكامل وأكمل وناقص وأنقص .

والجهل جوهر نفساني ظلماني خلق بالعرض وبتبعية العقل من غير صنع فيه غير صنع العقل يقوم به كل ما في الأرض من الشرور والقبايح وهو بعينه نفس إبليس وروحه الذي به قوام حياته الذي تشعب منه أرواح الشياطين ثم خلقت من ظلمتها أرواح الكفار والمشركين ، والبحر الاجاج هو المادة الجسمانية الظلمانية الكدرة التي هي منبع الشرور والافات في هذا العالم ، وهو إشارة إلى علته القابلية قال الله تعالى : ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾^(٣) أي كان بناء العالم الجسماني وقوامه على المادة التي لها قبول كل خير وشر كالماء القابل للتشكلات المختلفة بسهولة فمنه عذب فرات ومنه ملح اجاج^(٤) .

وعن الباقر (ع) (ان الله تعالى قبل أن يخلق الخلق قال : كن ماء غذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي ، وكن ملحاً اجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ثم أمرهما فامتزجا ، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً والكافر مؤمناً)^(٥) .

(١) بجست الماء فانبجس من باب قتل أي فجرته فانفجر وفي دعاء الغيث منبجسة بروقه أي منفجرة بالماء . م .
(٢) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٨٠ . (٣) سورة هود : الآية ٧ . (٤) ملح اجاج : شديد الملوحة والحرارة . المفردات .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٦ ح ١ .

ويؤيد هذا التشبيه والتجوز ويشيده ما يقال : إن نسبة المادة إلى مقبولاتها التي هي لابستها وخالعتها من الصور والاعراض نسبة البحر إلى الامواج ، ولك أن تعمم المادة التي عبر عنها بلسان الشرع بالماء بما يشمل مادة الأرواح فان التحقيق الاتم يقتضي أن لا تخلو الأرواح أيضاً من مادة هي منشأ امكانها الذاتي القابل للوجود الخاص ومبدأ استعدادها الفطري كامتثال أمركن في علم الله سبحانه .

فان كلّ ممكن جسماً كان أو روحاً فهو زوج تركيبى له عدم من نفسه ووجود من ربّه ، تميّز غدمه بذلك الوجود وتخصّص به ، أحدهما بمنزلة المادة ، والآخر بمنزلة الصّورة وباعتبار تقدم القابل على المقبول ورد : (أول ما خلق الله الماء) (١) ، ولكون القابل ليس من عداد المخلوق بل هو شرط له ورد : (أول ما خلق الله العقل) (٢) ، وفي كلام الإمام (ع) إشارة لطيفة إلى ذلك كما لا يخفى .

وأمر الجهل بالادبار أمر تكوين اي اهبط من عالم الملكوت والنور إلى عالم المواد والظلمات مصلحة للنظام وابتلاء للانام إذ نظام هذا العالم وعمارته لا ينصلح الا بنفوس شريرة وقلوب قاسية ، وتكميل السعداء المهتدين لا يتمشى إلا بوجود الاشقياء المرودين ، ولأن يتحقق مظاهر بعض الأسماء فيوجد آثارها كالعدل والمنتقم والجبار والتواب والغفور والعفو فانها أسماء إلهية وصفات ربانية لا يظهر آثارها وغاياتها إلا إذا جرى على العبد ذنب .

ولذلك ورد في بعض الأخبار (لو لا أنكم تذبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذبون فيستغفرون فيغفر الله لهم) (٣) .

فادبار الجهل توجّهه الى عالم الزور (٤) وبعده عن مقام الرّحمة والنور هابطاً مع العقل حيث هبط ، وظهوره في حقايق النفوس والطبايع والصور والمواد بأن صار جسماً مصوراً من ماء اجاج وأرض خبيثة منتنة ، ثم صار نباتاً ثم حيواناً ذا جهل هيولاني ، ثم اكتسب جهلاً بالملكة ، ثم جهلاً مستفاداً ، ثم جهلاً بالفعل ، وعند ذلك انتهى ادباره وصار في غاية البعد من الله سبحانه وكذلك فعل من تبعه وشيعه من الأرواح الخبيثة المنشعبة منه ويلحق به ويحشر معه في هوية

(١) كما في الكافي : ج ٨ ص ٩٤ و ٩٥ . (٢) العوالي : ج ٤ ص ٩٩ ح ١٤١ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٤١ وصحيح مسلم : ج ٤ ص ٢١٥ .

(٤) الزور : الميل عوج الزور أو اشراف احد جانبيه على الاخر . المنجد . وقال في المفردات وقيل للكذب زور لكونه ما يلا عن جهته .

(هويه) إلى دركات الجحيم ونزوله إلى أسفل السافلين .

وإدباره في جميع المراتب تابع لادبار العقل وإقباله جميعاً ، وإنما تحقق بالعرض لا بالذات إذ كل من لم يقبل من شعاع نور العقل أو قل قبوله منه بقي في ظلمة الجهل بمقدار عدم قبوله منه ، وذلك لسوء استعداد مادته وخبث طبيئته حافظ

كوهر پاك ببايد كه شود قابل فيض ورنه هر سنك سيه لولو ومرجان نشود وقد ثبت في محله أن الخيرات كلها راجعة إلى الوجود ، والشروع كلها راجعة إلى العدم وأمر الجهل بالاقبال أمر تكليفي تشريعي وإنما لم يقبل لأنه بلغ بالادبار أقصى مراتب الكمال المتصور في حقه ، ولهذا استكبر لتأكد وجوده الظلماني ورسوخه في ذمائم الصفات وقوة إنانيته واغتراره ، والاقبال إلى الحق إنما يتيسر لنفوس السعداء لاجل ضعف وجودهم الجسماني وقبولهم التبدل في الأكوان الوجودية ، ونطورهم^(١) في الأطوار الاخرية بفناء بعد فناء لبقاء فوق بقاء ، وعدم تعلقهم بهذا الوجود ولا تقيدهم بهذه المحاسن والقيود ، وترك التفاتهم إلى شيء سوى مبدأ كل خير وجود ، وليس شيء من هذه في الأشقياء ، بل هم متصفون باضدادها فلعله أي أبعده عن رحمته وطرده عن دار كرامته .

والجوهر العقلي من جهة ذاته بذاته سعيد في الدنيا والآخرة لا ذنب له ولا معصية وإنما يعتريه شيء من ذلك لأجل صحة البدن ومخالطة الوهم والخيال والنزول في منزل الارادل .

حافظ

من ملك بودم وفردوس برين جايم بود آدم آورد بدين دير خراب آبادم
طاير گلشن قدسم چه دهم شرح فراق كه در اين دامگه حادثه چون افتادم
كلمة

فيها تمثيل مراتب الخلق في صدوره من الله تعالى

مثال البارى عز اسمه في ترتيب خلقه ولا مثال له مثال الواحد في ترتيب الاعداد وانتشائها منه فانه ادل دليل على وحدانية البارى جل اسمه وكيفية اختراع الأشياء وابدائه « ابداعه خ ل » لها .

(١) الطور : الهيئة ، الحال . التارة يقال : اتيته طوراً بعد طور ؛ اي تارة بعد تارة المنجد ؟

وذلك أن الواحد وإن كان منه يتصور وجود العدد وتركيبه في افكار النفوس فهو لم يتغير عما كان عليه ولم يتجز ، وكذلك الباري تعالى وإن كان هو الذي اخترع الأشياء من نور وحدانيته وأبدعها وأنشأها وبه قوامها وبقاؤها وكمالها فهو لم يتغير عما كان من الوحدانية قبل اختراعه ، وكما أن الواحد لا جزء له ولا مثل في العدد ، كذلك الباري جلت عظمته لا مثل له في خلقه ولا شبه ، وكما أن الواحد محيط بالأعداد كلها يعدّها ويقدرها ، كذلك الباري جل ثناؤه محيط بالأشياء علما وقدرة ورحمة .

وكما أن الواحد أصل الأعداد ومبدأها وهو معها من غير ممازجة ولا مخالطة كذلك الباري سبحانه أصل الموجودات ومبدأها وهو معها من غير ممازجة ولا مخالطة ، وكما أن الواحد إذا رفع من الوجود توهمًا ارتفع العدد كله ، كذلك لو لم يكن الباري جل اسمه ارتفع الموجودات وجوداً وتوهمًا ، وكما أن من الأعداد ما هو أقرب من الواحد رتبة ومنزلة وهو الاثنان ثم الثلاثة ثم الأربعة ثم ما زاد ، كذلك من الموجودات ما هو أقرب إلى الباري رتبة ومنزلة إلى غير ذلك .

ومهما نظرت إلى الوجود جمعاً وتفصيلاً وجدت التوحيد يصحبه لا يفارقه ألبتة صحبة الواحد للأعداد ، فإن الاثنان لا يوجد أبداً ما لم تضاف إلى الواحد مثله ، ولا يصح الثلاثة ما لم تزد على الاثنان واحداً وهكذا إلى ما لا يتناهى ، فالواحد نصف العدد والعدد كله واحد لو نقص من الألف واحد انعدم اسم الألف وحقيقته وبقيت حقيقة اخرى وهي تسعمائة وتسعة وتسعون ، ولو نقص منها واحد ذهب عينها البتة فمتى انعدم الواحد من شيء عدم ذلك الشيء هكذا التوحيد إن حققته ، ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾^(١) .

ومن اللطائف أن العدد مع غاية تباينه للوحدة وكون كل مرتبة منه حقيقة برأسها موصوفة بخواص ولوازم لا توجدان في غيرها إذا فتشت حاله وحال مراتبه المختلفة لم تجد فيها غير الوحدة ، وأنت لا تزال تثبت في كل مرتبة من المراتب عين ما تنفيه فتقول : الواحد ليس بعدد والعدد ليس بواحد ، لأنه يقابله مع أنه عين الواحد الذي يتكرر ، والواحد عين العدد الذي يحصل بتكرره ، فلك أن تقول لكل مرتبة إنها مجموع الاحاد وأن تقول إنها ليس مجموع الاحاد لتأصافها بخواص ولوازم لا توجدان في غيرها .

ومجموع الاحاد جنس لكل مرتبة وكل مرتبة نوع برأسها فلا بد لها من أمر آخر غير جميع الاحاد وليس فيها شيء غير جميع الاحاد فلا تزال تثبت عين ما تنفي وتنفي عين ما تثبت ، وهذا

(١) سورة الحديد : الآية ٤ .

أمر عجيب وهو بعينه ما نحن بصدد بيانه من أن الحق المنزه عن نقايص الحدثان^(١) بل عن كمالات الاكوان هو الظاهر بأسمائه في الأعيان .

شعر

اي برون از وهم وقال وقيل من خاك بر فرق من وتمثيل من
كلمة

في معنى العرش والكرسي

قد يراد بالعرش الجسم المحيط بجميع الاجسام ، وقد يراد به ذلك الجسم مع جميع ما فيه من الأجسام أعني عالم الجسماني بتمامه وقد يراد به ذلك المجموع مع جميع ما يتوسط بينه وبين الله سبحانه من الارواح والعقول التي لا تقوم الاجسام إلا بها أعني العوالم كلها بملكها وملكوتها وجبروتها ، وبالجملة ما سوى الله عز وجل ، وقد يراد به علم الله سبحانه المتعلق بما سواه ، وقد يراد به علم الله الذي اطلع عليه أنبياءه ورسله وحججه صلوات الله عليهم خاصة وقد وقعت الإشارة إلى كل منها في كلامهم (عليهم السلام) .

وعن الصادق (ع) (أنه سئل عن العرش والكرسي ما هما ؟ فقال : العرش في وجه هو جملة الخلق والكرسي وعاؤه ، وفي وجه العرش هو العلم الذي اطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه (عليهم السلام) والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه احدا من أنبيائه ورسله وحججه (عليهم السلام)^(٢) وكان جملة الخلق عبارة عن مجموع العالم الجسماني والسوءاء عن عالمي الملكوت والجبروت لاستقراره عليهما وقيامه بهما .

وقد يراد بالكرسي الجسم الذي تحت العرش بالمعنى الاول الذي دونه السماوات والارض لاحتوائه عليهما كأنه مستقرهما والعرش فوقه كأنه سقفه ، وفي الحديث «ما السماوات والأرضون السبع مع الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة»^(٣) وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة .

(١) الحدثنان بالتحريك : الموت وفي حديث الارواح الخمسة هذه الارواح الاربعة يصيبها الحدثنان الارواح القدس لا تلهو ولا تلعب كانه يريد بالحدثنان ما يحدث لها من النوم والغفلة واللهو والزهو ونحو ذلك . م . وحدثنان الدهر : نوائبه . المنجد .

(٢) معاني الاخبار : ص ٢٩ . (٣) الفلاة : الصحراء الواسعة جمع فلوات . المنجد .

وعن الصادق (ع) (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكُلِّ شَيْءٍ فِي الْكُرْسِيِّ)^(١) وفي رواية (العرش وكل شيء في الكرسي)^(٢) وربما يقال كون العرش في الكرسي لا ينافي كون الكرسي في العرش ، لأن أحد الكونين بنحو والآخر بنحو آخر ، لأن أحدهما كون عقلي إجمالي ، والآخر كون نفساني تفصيلي ، وقد يجعل الكرسي كناية عن الملك لأنه مستقر الملك وقد ثبت أن العلم والمعلوم متحدان بالذات متغايران بالاعتبار فمعاني العرش كلها متقاربة .

كلمة

في معنى أركان العرش وقوائمه وحملته

أركان العرش وقوائمه عبارة عن أركان العالم أعني ما كان بناء الخلق عليه وهي الحياة والموت والرزق والعلم التي وكل بها أربعة أملاك هي إسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرائيل

وفعل الأوّل نفخ الصور والأرواح في قوالب المواد والأجساد وإعطاء القوة والحركة لانبعث الشوق والطلب ، وله ارتباط مع المفكرة ولو لم يكن هو لم ينبعث الشوق والحركة لتحصيل الكمال في احد .

وفعل الثاني تجريد الأرواح والصور عن الأجساد والمواد وإخراج النفوس من الأبدان ، وله ارتباط مع المصوّرة ولو لم يكن هو لم يكن الاستحالات والانقلابات في الاجسام والاستكمالات والانتقالات الفكرية في النفوس ولا الخروج من الدّنيا والقيام عند الله للأرواح ، بل كانت الأشياء كلها واقفة في منزل واحد ومقام أول .

وفعل الثالث إعطاء الغذاء والانماء على قدر لائق وميزان معلوم لكل شيء بحسبه وله ارتباط مع الحفظ والامساك ، ولو لم يكن هو لم يحصل النشؤ والنماء في الأبدان ولا التطور في الاطوار الملكوت في الأرواح ولا العلوم الجمة للفترة وفعل الرابع الوحي والتعليم وتأدية الكلام من الله سبحانه إلى عباده ، وله ارتباط مع القوة النطقية ولو لم يكن هو لم يستفد أحد معنى من المعاني بالبيان والقول ولم يقبل قلب أحد الهام الحق والقائه في الروع^(٣) وحملة العرش عبارة عن الأرواح الموكلة بتدبيره على المعاني الاول وعن حملة العلم على الاخرين .

(١) التوحيد: ص ٣٢٧ ح ٣ . (٢) التوحيد: ص ٣٢٧ ح ٤ . (٣) الروع بالضم فالسكون : العقل والقلب . م .

وفي اعتقادات الصدوق طاب ثراه فأما العرش الذي هو جملة الخلق فحملته أربعة من الملائكة لكل واحد منهم ثماني أعين كل عين طباق^(١) الدنيا ، واحد منهم على صورة بني آدم يسترزق الله لولد آدم ، والآخر على صورة الثور يسترزق الله للبهائم كلها ، والآخر على صورة الاسد يسترزق الله للسباع ، والآخر على صورة الديك يسترزق الله للطيور ، فهم اليوم هؤلاء الأربعة وإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية .

وأما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين ، فأما الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين (عليهم السلام) ، هكذا روي بالاسانيد الصحيحة عن الأئمة (عليهم السلام) في العرش وحملته انتهى كلامه (ره) .

ويشبه أن يكون الملائكة كناية عن أرباب الأنواع العقلية على ما رواه طائفة من الحكماء ، وتكون أربعة من جانب البدو والنشأة الأولى ، وهي التي ذكر تفصيلها وأنها على صور تلك الأنواع تربيتها وتفيض عليها ما تحتاج إليه ، وتصير ثمانية في جانب العود والنشأة الأخرى التي تصير إليها الأنواع بعد تحصيل كمالها في هذه النشأة .

وأعين الملائكة كناية عن أصناف علومهم بما يحتاج إليه في تربية الأنواع ، فان بالعلم يبصر العالم كما أن بالعين يبصر الرائي ، وعددهم مطابق لعدد حملة العلم كأنهم يبصرون بعلومهم إذ لكل منهم علم وكمال خاص يقتضيهما المزاج الخاص وطباق أعينهم الدنيا عبارة عن شمول علومهم وتديبرهم جميعاً جزئيات تلك الأنواع ، وفي الحديث تخصيص لمعنى العرش ببعض أجزائه وهو العالم السفلي رعاية لافهام المخاطبين او اريد بهؤلاء الملائكة ما يشمل مبادئها .

المقالة الرابعة

في النفوس والاشباح ، ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ الذاريات / ٢١ .

كلمة

فيها اشارة الى لمية النفوس والاشباح وانيتها

لما كان تدبير الاجسام مفوضاً إلى الأرواح وتعذر الارتباط بين الأرواح والاجسام للمباينة

(١) طباق الارض ما علاها . م .

بينهما خلق الله سبحانه عالم المثال والأشباح برزخاً جامعاً بين عالم الأرواح وعالم الأجسام ليصح ارتباط أحد العالمين بالآخر ، فيتأتى حصول التأثير والتأثير ووصول الامداد والتدبير ، فهو عالم روحاني يشبه بالجواهر الجسماني في كونه محسوساً مقدارياً يظهر في الزمان والمكان ، وبالجواهر العقلي في كونه نورانياً منزهاً عن المكان والزمان ، وليس بجسم مركب مادي ولا جوهر مجرد عقلي بل له جهتان يشبه بكل منهما ما يناسب عالمه .

وما من موجود محسوس أو معقول إلا وله مثال مقيد في هذا العالم البرزخي وهو في العالم الكبير بمنزلة الخيال في العالم الانساني الصغير ، فمنه ما يتوقف إدراكه على القوى الدماغية ويسمى بالخيال المتصل ، ومنه ما لا يتوقف على ذلك ويسمى بالخيال المنفصل ، وبهذا العالم وخاصيته يتجسد الأرواح في مظاهرها المثالية المشار إليها بقوله سبحانه : ﴿فتمثل لها بشراً سوياً﴾^(١) ويقول عز وجل حكاية عن السامري : ﴿قبضت قبضة من أثر الرسول﴾^(٢) يعني به جبرئيل (ع) : إذ كان راكباً على فرس ، وبما ورد (أن النبي (ص) كان يرى جبرئيل (ع) في صورة دحية الكلبي)^(٣) وأنه كان يسمع منه (ع) كلاماً مقروء في كسوة الألفاظ والحروف .

وإلى هذا العالم يرقى المترحون^(٤) في معارجهم الروحانية الحاصلة بالانسلاخ من هذه الصور الطبيعية العنصرية واكتساء ارواحهم المظاهر الروحانية وفيه تتشكل النفوس الكاملة بصورهم المحسوسة في مكان آخر غير مكانهم الذي كانوا فيه أو يتشكل باشكال غير أشكالهم المحسوسة وهم في دار الدنيا ، ويظهرون لمن يريدون الظهور له وبعد انتقالهم إلى الآخرة أيضاً لازدياد تلك القوة بارتفاع المانع البدني .

وبالجملة به وفيه تجسد الأرواح وتروح الاجساد وتشخص الاخلاق والأعمال وظهور المعاني بالصور المناسبة لها ، بل ظهور الأشباح في المرايا وسائر الجواهر الصيقلية والماء الصافي أيضاً فانها كلها من هذا العالم بل وفيه يرى ما يرى في الخيال من الصور في منام كانت أو يقظة فانها متصلة بهذا العالم مستنيرة منه كالكوى^(٥) والشبايبك التي يدخل منها الضوء في البيت فهو عالم وسيع يسع ما فوقه من المجردات بصورها وما تحته من الجسمانيات بصورها ، وهو واسطة العقل إليه تعرج الحواس وإليه تنزل المعاني وهو لا يبرح من موطنه ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾^(٦) .

(١) سورة مريم : الآية ١٧ . (٢) سورة طه : الآية ٩٦ . (٣) البحار : ج ٥٨ ص ٩ .

(٤) تروح القوم : ذهب اليهم في العشي . (٥) الكو والكوة : الخرق في الحايض جمع كواء وكوى . المنجد .

(٦) سورة القصص : الآية ٥٧ .

وبه يصح ما ورد في أخبار معراج النبي (ص) (من رؤية الملائكة والأنبياء مشاهدة)^(١) وفيه (حضور الأئمة المعصومين (عليهم السلام) عند احتضار الميت)^(٢) كما ورد في أخبار كثيرة ، وفيه (سؤال القبر ونعيمه وعذابه وزيارة المؤمن أهله بعد موته)^(٣) ، وما ورد (أن الأرواح بعد الموت في صفة الاجساد تتعارف وتتساءل)^(٤) وغير ذلك مما يشاكله .

ويشبه أن يكون من هذا القبيل نزول عيسى (ع) ، قال الصدوق طاب ثراه : نزول عيسى (ع) إلى الأرض رجوعه إلى الدنيا بعد موته ، لأن الله قال : ﴿إني متوفيك ورافعك إليّ﴾^(٥) وكذا ما استفاض به الاخبار عن أهل البيت (عليهم السلام) أن الله عز وجل سيعيد قوماً عند قيام المهدي (ع) ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ممن محض الايمان محضاً ليفوزوا بشواب نصرته ومعونته ويتجهجو^(٦) بظهور دولته ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه ممن محض الكفر محضاً لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العقاب في القتل على أيدي شيعة ، او الذل والخزي^(٧) ^(٨) بما يشاهدونه من علو كلمته ، وهي الرجعة التي اختص بالايمان بها أصحابنا الاماميون ، وبها أولوا بعض آيات الحشر والبعث نقلاً عن ائمتهم (عليهم السلام) .

وفي حديث أبي الطفيل في الرجعة قال : (قال أمير المؤمنين (ع) : هذا علم خاص يسع الأمة جهله ورد علمه إلى الله قال : وقرأ عليّ بذلك قراءة كثيرة وفسره تفسيراً شافياً حتى صرت ما أنا بيوم القيامة أشد يقيناً مني بالرجعة ، وكان مما قلت يا أمير المؤمنين أخبرني عن حوض النبي (ص) في الدنيا أم في الآخرة ؟ فقال : بل في الدنيا ، قلت : فمن الذي يد عنه ؟ فقال أنا بيدي فليردنه أوليائي وليصرفن عنه أعدائي)^(٩) .

وعن الباقر (ع) (في الرجعة تلك القدرة لا تنكرها)^(١٠) وكثيراً ما يقع الاشتباه بين ما يراه الانسان بعين الحس وبين ما يراه بعين الخيال مع انهما مختلفتا الاحكام فرب قليل في عين الحس هو كثير في عين الخيال وبالعكس كما قال الله تعالى : ﴿وإذا يريكم وهم إذ التقيتم في

(١) كما في روضة الواعظين : ص ٥٦ في معراج النبي (ص) . (٢) البحار : ج ٦ ص ١٧٣ .

(٣) كما في الكافي : ج ٣ ص ٢٣٥ و ص ٢٣٠ . (٤) الكافي : ج ٣ ص ٢٤٤ ح ٣ . (٥) سورة آل عمران : الآية ٥٥ .

(٦) البهجة : حسن اللون وظهور السرور فيه قال عز وجل . حدائق ذات بهجة . المفردات .

(٧) خزي الرجل لحقه انكسار اما من نفسه واما من غيره فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط ومصدره الخزية والذي يلحقه من غيره يقال هو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي المفردات .

(٨) كما في البحار ج ٥٣ ص ٣٩ ح ١ وانظر ص ٤٤ ح ١٦ (٩) قال تعالى ووجد من دونهم امراةين تزدوان . أي تطردان .

المفردات . (١٠) عن منتخب البصائر كما في البحار : ج ٥٣ ص ٦٨ ح ٦٦ (١١) البحار : ج ٥٣ ص ٧٢ ح ٧١

أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم^(١) وقال عز وجل : ﴿يرونهم مثلهم رأيتهم﴾^(٢) وما كانوا مثلهم في الحسن فما ذاك إلا بعين الخيال وهو حق في الخيال وليس بحق في الحسن لاختلاف الشأنتين^(٣) .

وهذا كما ترى في المنام اللبني تشربه ولم يكن ذلك إلا عين العلم فما رأيتهم لبنا وهو علم ليس إلا بعين الخيال ، ومن هذا يظهر أن الرؤية ليس من شرطها أن تكون بالعين ولا المرئي إنما يسمّى مرئياً لكونه يحصل بالعين ، بل لكونه غاية انكشاف الشيء فلو وقعت غاية الانكشاف بقوة اخرى كانت حقيقة الرؤية بحالها كالصّور التي يراها النائم في عموم أوقاته فالنفوس إذا كانت قوية كان اقتدارها على الاختراع أقوى فيكون متصوّراتها موجودات خارجية حاضرة عندها بذواتها وعند من يكون درجته في القوة والنورية هذه الدرجة .

قال بعض أهل المعرفة بالوهم يخلق كل انسان في قوة خياله ما لا وجود له إلا فيها . وهذا هو الأمر العام لكل انسان والعارف يخلق بالهمة ما يكون له وجود من خارج محل الهمة ولكن لا يزال الهمة تحفظه ولا تؤده^(٤) حفظ ما خلقته فتمت، طراً على العارف غفلة عن حفظ ما خلق عدم ذلك المخلوق إلا أن يكون العارف قد ضبط جميع الخطرات وهو لا يعقل مطلقاً .

أقول : ولعله كان من هذا القبيل ما ورد عن الصادق (ع) (أنه كان عنده ناصبٍ يؤذيه بمشهد من المنصور فأمر (ع) صورة أسد كانت على وسادة^(٥) أن خذ عدوّ الله فصارت أسداً فافترسه ثم عادت إلى مكانها)^(٦) .

كلمة

بها يجمع بين تقدم النفوس على الاجساد وبين حدوثها بحدوث الاجساد

وجود نفوس جزئية انسانية كه عموم آدميان راست بنحويكه درعالم شهادت است بعد از حصول مزاجست وبحسب استعداد آن كما تبين في محله بالبرهان ، واكرچه بنحوى ديكر بيشت

(١) سورة الانفال : الآية ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٣ .

(٣) قوله عز وجل : ولا يؤده حفظهما ، اي لا يثقله واصله من الاود آد يؤد أوداً اذا أثقله . المفردات .

(٤) الوسادة : المتكأ والميخدة : ان وسادك لعريض كناية عن كثرة النوم . م . (٥) كما في عيون اخبار الرضا : ص

در عالم ذر بوده اند و این نفوس ارواح برزخیه اند که از ماده مجردند نه صورت و مشتمل اند بر شهوت و غضب .

و اما وجود نفوس کلیه انسانیة که مختص کل و خواصی است بیش از وجود اجسام است و در نفوس جزئیة ایشان استعداد آن هست که ترقی کنند از مرتبۀ جزئیة و منسلخ شوند از صفات تقیدیۀ عرضیۀ به حیثیتی که از کلیات خود عود کنند و به آن ها متصل کردند ، و این نفوس ارواح قدسیه اند که مجردند از ماده و صورت هردو ، و ان كان لها في البرزخ صور هي لها بمنزلة الابدان ولأبدانها العنصرية بمنزلة الأرواح ، فان كل عال يشتمل على ما هو أسفل منه دون العكس ، فللأرواح المجردة عن الأمرين التي هي من جنس الملائكة المقربين والعقول القدسيين تقدم على الاجساد والأرواح الصورية البرزخية حادثة بحدوث الاجساد .

ومما يدل على تقدم الأرواح والخواص والكمّل على الأجساد من جهة النقل قول النبي (ص) في الخبر المشهور : (أول ما خلق الله روعي)^(١) وفي رواية (نوري)^(٢) وقوله (ص) ، (إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام)^(٣) ، وقوله (ص) : (أول ما أبدع الله تعالى النفوس المقدسة المطهرة فأنطقها بتوحيده ثم خلق بعد ذلك ساير خلقه)^(٤) ، وقوله (ص) (نحن الآخرون السابقون)^(٥) ، وقوله (ص) (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)^(٦) ، وقوله (ص) (أنا أول الانبياء خلقاً وآخرهم بعثاً)^(٧) جامی .

بودم آن روز من از دایره باده کشان که نه از تانک نشان بودونه از تانک نشان
کلمة

بها یتبین ان للانسان نفوساً عديدة وان بعضها يختص بالخواص

روي عن أمير المؤمنين (ع) (إن للأنبياء وهم السابقون خمسة أرواح روح القدس ، وروح الإيمان ، وروح القوة ، وروح الشهوة ، وروح البدن . فبروح القدس بعثوا الأنبياء وبها علموا الأشياء ، وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم ، وبروح الشهوة أصابوا لذيق الطعام ونكحوا الحلال من شباب النساء ، وبروح البدن ذبوا

(١) البحار ج ٣٤ ص ٣٠٩ باب حدوث العالم (٢) العوالي : ج ٤ ص ٩٩ ح ١٤١ . (٣) الكافي : ج ١ ص ٤٣٨ ح

٠١ (٤) عن الاعتقاد : ص ٧٥ كما في البحار : ج ٦ ص ٢٤٩ . (٥) بصائر الدرجات : ج ٢ ص ٨٣ .

(٦) العوالي : ج ٤ ص ١٢١ ح ٢٠٠ . (٧) العوالي : ج ٤ ص ١٢٢ ح ٢٠٢ .

(٨) قولهم من دب ودرج اي من كان حيا فمشى ومن مات فطوى أحواله . المفردات .

ودرجوا^(٨) (٩) قال : (وللمؤمنين وهم أصحاب اليمين الأربعة الأخيرة ، وللكفار وهم أصحاب الشمال الثلاثة الأخيرة كما للدواب في لفظ هذا معناه^(١)) .

وعن كميل بن زياد قال : (سألت مولنا علياً أمير المؤمنين (ع) فقلت : يا أمير المؤمنين أريد أن تعرفني نفسي ، فقال : يا كميل واي الانفس تريد أن اعرفك ؟ فقلت : يا مولاي هل هي إلا نفس واحدة ، فقال (ع) : يا كميل إنما هي أربعة : النامية النباتية والحسية الحيوانية ، والناطقة القدسية ، والكلية الالهية ، ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان .

فالنامية النباتية لها خمس قوى : ماسكة ، وجاذبة ، وهاضمة ، ودافعة ، ومربية ، ولها خاصيتان : الزيادة ، والنقصان ، وانبعاتها من الكبد ، والحسية الحيوانية لها خمس قوى : سمع ، وبصر ، وشم ، وذوق ، ولمس ، ولها خاصيتان : الشهوة ، والغضب ، وانبعاتها من القلب ، والناطقة القدسية لها خمس قوى : فكر ، وذكر ، وعلم ، وحلم ونباهة ، وليس لها انبعات وهي أشبه الاشياء بالنفوس الملكية ولها خاصيتان : النزاهة والحكمة ، والكلية الالهية لها خمس قوى : بقاء في فناء ، ونعيم في شقاء ، وعز في ذل ، وفقر في غناء ، وصبر في بلاء ، ولها خاصيتان : الرضا والتسليم ، وهذه التي مبدؤها من الله وإليه تعود ، وقال الله تعالى : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾^(٢) والعقل وسط الكل^(٣) .

وروي (ان أعرابياً سأل أمير المؤمنين (ع) عن النفس فقال له عن اي نفس تسأل فقال : يا مولاي هل النفس أنفس عديدة ؟ فقال (ع) : نعم نفس نامية نباتية ، ونفس حسية حيوانية ، ونفس ناطقة قدسية ، ونفس إلهية ملكوتية كلية .

قال : يا مولاي ما النامية النباتية ؟ قال : قوة أصلها الطبايع الاربع بدو إيجادها مسقط النطفة ، مقرها الكبد ، مادتها من لطايف الأغذية ، فعلها النمو والزيادة ، وسبب فراقها اختلاف المتولدات فاذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة .

فقال : يا مولاي وما النفس الحسية الحيوانية ؟ قال : قوة فلكية وحرارة غريزية أصلها

(٩) الكافي : ج ٢ ص ٢٨٢ (١٠) الكافي : ج ٢ ص ٢٨٣ (بالمعنى) .

(١) سورة الحجر : الآية ٢٩ . (٢) سورة الفجر : الآية ٢٧ - ٢٨ . (٣) البحار : ج ٥٨ ص ٨٥ باب حقيقة النفس ...

الافلاك بدو ايجادها عند الولادة الجسمانية فعلها الحياة والحركة والظلم والغشم والغلبة واكتساب الاموال والشهوات الدنيوية مقرها القلب سبب فراقها اختلاف المتولدات ، فاذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة فتعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها .

فقال : يا مولاي وما النفس الناطقة القدسية ؟ قال : قوة لاهوتية بدو ايجادها عند الولادة الدنيوية ، مقرها العلوم الحقيقية الدينية ، موادها التأييدات العقلية ، فعلها المعارف الربانية ، سبب فراقها تحلل الآلات الجسمانية ، فاذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود مجاورة لا عود ممازجة .

فقال : يا مولاي وما النفس اللاهوتية الملكوتية الكلية ؟ فقال : قوة لاهوتية جوهرية بسيطة حية بالذات أصلها العقل منه بدت وعنه دعت وإليه دلت وأشارت وعودتها إليه إذا كملت وشابهته ، ومنها بدأت الموجودات وإليها تعود بالكمال فهو ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدره المنتهى وجنة المأوى ، من عرفها لم يشق ، ومن جهلها ضلّ سعيه وغوى .

فقال السائل : يا مولاي وما العقل ؟ قال : العقل جوهر درّاك محيط بالاشياء من جميع جهاتها ، عارف بالشيء قبل كونه ، فهو علة الموجودات ونهاية المطالب .

كلمة

في شأن العالم العلوي وترقيات النفس الانسانية اليه

روي إن أمير المؤمنين (ع) سئل عن العالم العلوي ، فقال صور عارضة عن المواد عالية من القوة والاستعداد تجلى لها فاشرقت ، وطالعتها فتلاّلات ، والقى في هويتها مثاله فاطهر عنها أفعاله وخلق الانسان ذات نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل ، فقد شابتهت جواهر أوائل عللها ، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الاضداد فقد شارك بها السبع الشداد (١)

وروي (انّ بعض اليهود اجتاز به (ع) وهو يتكلم مع جماعة فقال له : يا ابن أبي طالب لو أنّك تعلمت الفلسفة لكان يكون منك شأننا من الشأن ، فقال (ع) : وما تعني بالفلسفة ؟ ليس من اعتدل طباعه صفا مزاجه ، ومن صفا مزاجه قوي أثر النفس فيه ، ومن قوي أثر النفس فيه

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ج ١ ص ٤٥٩ ح ٧٥ (ط ايران) . وص ٣٠٨ ح ٥٩٦١ (ط مؤسسة الوفاء) .

سما إلى ما يرتقيه ، ومن سما إلى ما يرتقيه فقد تخلق بالاخلاق النفسانية ، ومن تخلق بالأخلاق النفسانية فقد صار موجوداً بما هو إنسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان فقد دخل في الباب الملكي الصوري وليس له من هذه الغاية مغير فقال اليهودي : الله أكبر يا ابن أبي طالب لقد نطقت بالفلسفة جميعاً في هذه الكلمات رضي الله عنك .

وفي الحديث القدسي المتفق عليه بين أهل الاسلام (ما يتقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه وأنه ليتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها إن دعاني أحبته ، وإن سألتني أعطيتها)^(١) .

أقول أعني محبة الله تعالى للعبد كشفه الحجاب عن قلبه وتمكينه إياه من قربه ومعنى المحبة من العبد ميل نفسه إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها إلى ما يقربها إليه ، فإذا علم العبد أن الكمال الحقيقي ليس إلا الله وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله وإلى الله ، لم يكن حبه إلا الله وفي الله ، وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه واتباع من كان وسيلة إلى معرفته ومحبته .

قال الله تعالى لرسوله : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾^(٢) فان بمتابعة الرسول في عبادته وسيرته وأخلاقه وأحواله ونوافله يحصل القرب إلى الله وبالقرب يحصل محبة الله إياه .

قال العلامة المحقق نصير الدين محمد الطوسي قدس الله سره : (العارف إذا انقطع عن نفسه واتصل بالحق رأى كل قدرة مستغرقة في قدرته المتعلقة بجميع المقدورات وكل علم مستغرقاً في علمه الذي لا يعزب^(٣) عنه شيء من الموجودات ، وكل ارادة مستغرقة في إرادته التي لا يتأبى عنها شيء من الممكنات ، بل كل وجود وكل كمال وجود فهو صادر عنه فايض من لدنه فصار الحق حينئذ بصره الذي به يبصر وسمعه الذي به يسمع وقدرته التي بها يفعل وعلمه الذي به يعلم ووجوده الذي به يوجد فصار العارف حينئذ متخلفاً بأخلاق الله بالحقيقة) .

(١) المحاسن : ج ١ ص ٢٩١ ح ٤٤٣ والكافي : ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٨ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٣) قال تعالى : لا يعزب عنه مثقال ذرة ، أي لا يغيب عن علمه ولا يخفى وعن الصادق (ع) في لا يعزب الآية

قال : أي بالاحاطة والعلم لا بالذات وإذا كان بالذات لزمها الحواية . م .

أقول : ويأتي لهذا المعنى مزيد بيان في الثالثة من السابعة إنشاء الله ؛ وورد في الحديث القدسي : (من طلبني وجدني ، ومن وجدني عرفني ، ومن عرفني أحبني ومن أحبني عشقني ، ومن عشقني عشقته ، ومن عشقته قتلته ، ومن قتلته فعلي دينه ، ومن علي دينه فإنا دينه) .

وروى محمد بن جمهور اللحسائي^(١) عن أمير المؤمنين (ع) (أنه قال : إن الله تعالى شراباً لا وليائه إذا شربوا سكروا ، وإذا سكروا طربوا ، وإذا طربوا طابوا ، وإذا طابوا ذابوا ، وإذا ذابوا خلصوا ، وإذا خلصوا طلبوا ، وإذا طلبوا وجدوا وإذا وجدوا وصلوا ، وإذا وصلوا اتصلوا ، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيهم) .

عن الصادق (ع) (إن روح المؤمن لأشدّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها)^(٢)

وعن الصادق (ع) : (العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سهى قلبه عن الله طرفه عين لمات شوقاً إليه والعارف أمين وداع الله وكتر أسراره ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله ، قد غنى عن الخلق والمراد والدنيا ، ولا مونس له سوى الله ولا نطق ولا إشارة ولا نفس الا بالله لله من الله مع الله ، فهو في رياض قدسه متردد ، ومن لطايف فضله إليه متزود ، والمعرفة أصل فرعه الايمان)^(٣) .

كلمة

في علة تنزل الارواح من الملكوت الاعلى

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال (قلت لأبي عبد الله (ع) لأي علة جعل الله تبارك وتعالى الأرواح في الابدان بعد كونها في الملكوت الأعلى في أرفع محل ؟ فقال (ع) : إن الله تبارك وتعالى علم أن الأرواح في شرفها وعلوها متى تركت على حالها نزع^(٤) أكثرها إلى دبعوى

(١) هكذا في النسخة والصحيح محمد بن أبي جمهور الاحساوي ، رواه في كتاب « المجلي » ص ٥٣٦ باسقاط « طربوا واذا طربوا » ولعل هذا الاسقاط من النسخ كما هو الظاهر فرغ من تأليفه سنة خمس وتسعين وثمانمئة ، وقد تقدم منا سابقاً في ص ١٧٥ نقل كلام بعض الاعلام من ان هذا الحديث لم يعثر له على مصدر في كتب أصحابنا الامامية رضوان الله عليهم .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ١٦٦ ح ٤ . (٣) مصباح الشريعة : ص ١٩١ .

(٤) نزع نزاعاً ونزوعاً الى أهله : اشتاق . المنجد .

الربوبية دونه عز وجل ، فجعلها بقدرته في الأبدان التي قدرها لها في ابتداء التقدير نظراً لها ورحمة بها ، وأحوج بعضها إلى بعض وعلا بعضها على بعض ورفع بعضها فوق بعض درجات وكفى بعضها ببعض .

وبعث إليهم رسله واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين يأمرونهم بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالأنواع التي تعبدهم بها ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الأجل ، ومثوبات في العاجل ومثوبات في الأجل ليرغبهم بذلك في الخير ، ويזהدهم في الشر ، وليذللهم بطلب المعاش والمكاسب فيعلموا بذلك أنهم مربوبون وعباد مخلوقون ، ويقبلوا على عبادته فيستحقوا بذلك نعيم الأبد وجنة الخلد ويأمنوا من النزوع إلى ما ليس لهم بحق .

ثم قال (ع) : يابن الفضل إن الله تعالى أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم ، ألا ترى أنك لا ترى فيهم إلا محبباً للعلو على غيره حتى أن منهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبية . ومنهم من قد نزع إلى دعوى النبوة بغير حقها ومنهم من قد نزع إلى دعوى الامامة بغير حقها ، مع ما يرون في أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والالام المتناوية عليهم ، والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم يا ابن الفضل ان الله لا يفعل لعباده إلا الأصلاح لهم ولا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون (١) .

المقالة الخامسة

في حدوث العالم ﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش﴾ الاعراف / ٥٤ .

كلمة

بها يتبين معنى الحدوث ومعنى ثبوته للعالم

أما الحدوث بمعنى أن له صانعا يفتقر إليه فلسنا نحن بصدد بيانه ، لأن كلامنا مع الخواص وهو عندهم بديهي ولهم ولغيرهم فطري كما مر بيانه ﴿أفي الله شك فاطر السموات والارض﴾ (٢) . ﴿ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله﴾ (٣) فهو ثابت بالفطر والنظر والعبر .

(١) التوحيد: ص ٤٠٢ ح ٩ . (٢) سورة ابراهيم : الآية ١٠ . (٣) سورة رمان : الآية ٢٥ وسورة الزمر : الآية ٣٨ .

وأما الحدوث بمعنى المسبوقية بالمحدث فله معنيان : أحدهما الحدوث الذاتي وهو أن يكون ذات الحادث مسبقاً بذات المحدث والآخر الحدوث الزماني وهو أن يكون زمان وجود الحادث مسبقاً بزمان عدمه ، والمعنى الأول يجري في كل ما سوى الله وهو ثابت في كل ما يجري فيه ، والمعنى الثاني إنما يجري فيما يدخل تحت الزمان دون ما تقدم على الزمان ، وهو أيضاً ثابت في كل ما يجري فيه لا يشذ عنه شاذ .

وبيان المعنى الأول أن المصنوع يمتنع أن يكون في مرتبة ذات الصانع ، لأن معنى الصانعية والمصنوعية ليس إلا تقدم ذات الشيء ذات توجد الثانية من الأولى ، ولو كانتا معاً لكان الصنع تحميلاً للحاصل ، فكان الصانع في أزل قدمه والمصنوع بعد في حيز عدمه ، فكان الصانع ولا مصنوع ثم حدث المصنوع باحداث الصانع إياه .

وبعبارة أخرى الوجود لا يتعلق إلا بالمعدوم فلا يكون العالم أزلياً^(١) ، وأيضاً فكل ما وجوده من الغير فله مبدأ والابتداء يناهز الأزلية ، وأيضاً يلزم أن يكون مستفيد الوجود من الغير لا يكون مستفيد الوجود من الغير .

وهذا معنى حديث كان الله ولم يكن معه شيء ، ومعنى قول من قال الآن كما عليه كان ، ومعنى كان هنا معناها في قوله عز وجل : ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾^(٢) فهو منسلخ عن معنى الماضي بل عن مطلق الزمان وهذا التقدم لصانع العالم على مصنوعاته هو التقدم الحقيقي الذاتي الذي لا تقدم أشرف منه ولا في مرتبته في الشرف إذ لا ملاك لهذا التقدم سوى ذات الصانع بذاته ولا يفتقر المتقدم في تقدمه إلى واسطة تكون علّة لتقدمه .

وكذا التأخر الذي بازائه هو التأخر الحقيقي الذي لا تأخر أحسن منه ولا في مرتبته في الخسة إذ لا ملاك لتأخره سوى ذاته بذاته من دون واسطة ، وأما المعنى الثاني فيتبين مما يأتي .

كلمة

بها يتبين انتفاء الزمان عن الله وعن ابتداء العالم

ليس بين الله وبين العالم بعد مقدر ، لأنه إن كان أمراً موجوداً يكون من العالم ، وإلا لم

(١) الأزل بالتحريك : القدم ومنه يقال أزلي أي قديم وقيل : إن أصله ياء من قولهم للقديم لم يزل ثم نسب إليه فقيل يزلي فابدلته ياء همزة . م .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧ .

يكن شيئاً ولا ينسب أحدهما إلى الآخر من حيث الزمان بقبلية ولا بعدية ولا معية ، لانتفاء الزمان عن الله وعن ابتداء العالم ، وذلك لأن سبب افتقار العالم إلى الصانع إنما هو هلاكه الذاتي وفقره الجلي واتصافه بالامكان ، لا كون زمانه متناهياً وليس الزمان إلا عدد حركة الفلك كما أن المكان ليس إلا ما أحاط بالفلك أو ما ملأ به الفلك ، فإذا لم يكن فلك فلا زمان ولا مكان .

فلما أبدع الله عز وجل الفلك وما فيه من الاجسام وأداره وجد المكان والزمان ، وذلك بعد ما أبدع جل ذكره كثيراً من الأرواح والأملاك وما عمر به الفلك فالزمان إنما حدث بعد اصول كرائم الموجودات وعظائمها ، وبعد حدوث أركان السخلوقات ودعائمها^(١) ، وقد ثبت ذلك بقواطع البراهين وقوائمها فالتقدم الزمني منتف في حق الله سبحانه وفي حق ابتداء العالم ، فسقط السؤال بمتى عن بدو العالم كما هو ساقط عن وجود الحق لأن متى سؤال عن الزمان ولا زمان قبل العالم .

وليس قدم الحق ، بتطاول مرور الزمان تعالى عن ذلك ، بل بالوجوب الذاتي والفرق بين الازل والقدم أن الازل عبارة عن معقول القبلية لله تعالى ، والقدم عبارة عن انتفاء المسبوقية بالعدم في نفس قبلية على الاشياء فليس إلا وجوب بحت^(٢) خالص ليس من العدم ، وهو وجود الحق ، ووجود من العدم وهو وجود العالم ، فالعالم حادث في غير زمان ، فالعالم وإن كان موجوداً في علم الله أزلاً فهو محدث في نفس ذلك الوجود ، لأنه فيه مفتقر إلى موجد يوجده في العين ، فوجوده مرتب على وجود الحق وهذا معنى الحدوث فلا يصح عليه اسم القديم .

وفي كلام أمير المؤمنين (ع) : (عالم إذا لا معلوم ، ورب إذ لا مربوب ، وقادر إذ لا مقدور)^(٣) ، وفي لفظ آخر (له حقيقة الربوبية إذ لا مربوب ، ومعنى الالهية إذ لا مألوه ، ومعنى العالمية إذ لا معلوم ، ومعنى الخالقية إذ لا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس منذ خلق استحق معنى الخالق ، ومن حيث احدث استفاد معنى المحدث)^(٤) .

(١) الدعامة بالكسر عماد البيت الذي يقوم عليه واستعير لغير ذلك كما في الحديث : لكل شيء دعامة ودعامة الاسلام الشيعية . والجمع دعائم . ومنه في وصف أهل البيت عليهم السلام أشهد أنكم دعائم الدين م .

(٢) البحث : الصرف الخالص مسك بحت : خالص من الاختلاط بغيره المنجد .

(٣) تهج البلاغة : ص ٢١٢ خطبة ١٥٢ والتوحيد : ص ٥٦ خ ١٤ .

(٤) التوحيد : ص ٣٨ .

وقال (حمته قدمته مطاولة الزمان ، ومنعته عزته مداخلة المكان)^(١) ، وقال : (لا يقال له : متى ، ولا يضرب له أمد بحتى)^(٢) .

وليعلم ان نسبة ذاته تعالى إلى مخلوقاته يمتنع أن يختلف بالمعية واللامعية وإلا فيكون بالفعل مع بعض وبالقوة مع آخرين ، فيتركب ذاته سبحانه من جهتي فعل وقوة ويتغير صفاته بحسب تغير المتجددات المتعاقبات ، تعالى عن ذلك .

بل نسبة ذاته التي هي فعلية صرفة وغناء محض من جميع الوجوه إلى الجميع وإن كان من الحوادث الزمانية نسبة واحدة ومعية قيومية ثابتة غير زمانية ولا متغيرة أصلا . والكل بفنائها بعد استعداداتها مستغنيات كل في وقته ومحله وعلى حسب طاقته ، وإنما فقرها وفقدتها ونقصها بالقياس إلى ذواتها وقوابل ذواتها ، وليس هناك إمكان وقوة البتة .

فالمكان والمكانيات بأسرها بالنسبة إلى الله تعالى كنقطة واحدة في معية الوجود ، والسّموات مطويات بيمينه ، والزمان والزمانيات بازالها وإبادهها كان واحد عنده في ذلك جف القلم بما هو كائن ، والموجودات كلها شهادياتها وغيباتاتها كموجود واحد في الفيضان عنه ، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة .

وإنما التقدم والتأخر والتجدد والتصمّم^(٣) والحضور والغيبة في هذه كلها بقياس بعضها إلى بعض ، وفي مدارك المحبوسين في مطمورة الزمان المسجونين في سجن المكان لا غير وإن كان هذا ممّا تستغربه الأوهام ، ويشمئز عنه قاصر الافهام وأما قوله عز وجل : ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٤) فهو كما قال بعض أهل العلم أنها شؤون يديها لا شؤون بيتديها .

كلمة

فيها تمثيل لكيفية صدور العالم من الله عز وجل

كلّ موجود تامّ فإنّه يفيض على ما دونه ممّا في جوهريته وصورته المقومة لذاته ما لو أمسك عنه لبطل ذلك الفيض ، مثال ذلك النار ، فإنها تفيض على ما حولها من الاجسام

(١) نهج البلاغة : ص ٢٣٢ خطبة ١٦٣ .

(٢) تصرمت وانصرمت السنة : انقضت وتصرم الرجل وانصرم : تقطع وانقطع المنجد

(٣) سورة الرحمن : الآية ٢٩ .

التسخين والحرارة ، وهي جوهريتها والصورة المقومة لها ، ومتى لم تتواتر منها الحرارة متصلاً
عدمت وبطلت ، إذ يضمحل الأولى منها فالأولى .

وهكذا يفيض من الماء الرطوبة والبلل على الاجسام المجاورة له ، والرطوبة هي جوهرية
الماء والصورة المقومة لذاته ، فما لم تكن متصلة إلى المحل بطلت عنه واضمحلت .

وهكذا يفيض من الشمس النور والضياء على الأرض والهواء ، وهو جوهرية لها فاذا
حجز^(١) بينهما حاجز اضمحل الضوء وبطل ، وهكذا تفيض من الروح الحياة على البدن وهي
جوهريه لها فاذا فارقت الروح بطلت حياة الجسد من ساعته واضمحلت .

وذلك لأن الفيض ما دام متواتراً متصلاً دائماً دام المفاض فان انقطع انقطع ، فهكذا حكم
وجود العالم من الباري سبحانه الذي هو وجود بحت ووجوب صرف ، على أن وجود هذه
الأفعال ليس من هذه المخلوقات بل هي أيضاً من الله عز وجل وإنما هي معدّات للقابلات
والافاضة من خالقها ، جل صنعه عن المثال كما جل ذاته عن الوهم والخيال .

وقد ظهر من هذا البيان أن وجود العالم من الباري عز ذكره ليس كوجود الدار من البناء
المستقلة بذاتها المستغنية عن البناء بعد فراغه ، وحاشا أن يكون الأمر كذلك ، لأن البناء مركب
للدّار ومؤلف لها عن أشياء هي موجودة أعيانها قائمة ذواتها وليس الابداع والاختراع تركيباً ولا
تأليفاً ، بل إحداث وإخراج من العدم .

ولكن كوجود الكلام عن المتكلم إن سكت بطل الكلام ، بل كوجود ضوء الشمس في جو
المظلم الذات ما دامت الشمس طالعة فان غابت الشمس بطل الضوء من الجو لكنّ شمس
الوجود يمتنع عليه العدم لذاته .

وكما أن الكلام ليس جزء المتكلم بل فعله وعمله أظهره بعدما لم يكن ، وكذا النور الذي
يرى في الجو ليس بجزء الشمس بل هو انبجاس وفيض .

فهكذا الحكم في وجود العالم عن الباري جل ثناؤه ليس بجزء من ذاته بل فضل وفيض
يتفضّل به ويفيض إلا أن الشمس لم تقدر أن تمتنع نورها وفيضها ، لأنها مطبوعة على ذلك
بخلافه سبحانه فانه مختار في أفعاله بنحو من الاختيار أجل وأرفع مما يتصوّره العوام ، وأشدّ

(١) الحجر : المنع بين الشيين بفاصل بينهما يقال : حجز بينهما قال عز وجل : وجعل بين البحرين حاجزاً .
والحجاز سمي بذلك لكونه حاجزاً بين الشام والبادية . المفردات .

وأقوى من اختيار المتكلم القادر على الكلام ، إن شاء تكلم وإن شاء سكت .

فهو سبحانه إن شاء أفاض فيضه وجوده وفضله وأظهر حكمته ، وإن شاء أمسك ولو أمسك طرفه عين عن الافاضة والتوجه لهافتت^(١) السماوات وبادت^(٢) الافلاك وتساقطت الكواكب وهدمت الاركان ، وهلكت الخلايق ودثر^(٣) العالم دفعة واحدة بلا زمان كما قال عز وجل : ﴿إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده﴾^(٤) .

كلمة

فيها اشارة الى تجدد الخلق مع الانات

العالم بمجموعه متغير أبداً وكل متغير يتبدل تعينه مع الأنات ، فيوجد في كل آن متعين غيز المتعين الذي هو في الآن الاخر مع أن العين الواحدة التي تطرأ عليها هذه التغيرات بحالها ، فالعين الواحدة هي الجوهر المعقول الذي قبل هذه الصور المسماة عالما ، ومجموع الصور أعراض متبدلة في كل آن .

وذلك لأن الله سبحانه يتجلى في كل نفس بالاسماء الجمالية والجلالية معاً ، وكل تجلي يعطي خلقاً جديداً ويذهب بخلق ، وهو أحد معنى قوله تعالى عز وجل ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾^(٥) وأحد معاني قوله عز وجل : ﴿كل يوم هو في شأن﴾^(٦) أي كبل وقت واريد به الان وهو أصغر الايام وأحد معاني قوله تعالى عز وجل : ﴿خلق الأرض في يومين﴾^(٧) .

ففي تفسير علي بن إبراهيم المنسوب إلى أهل البيت عليهم السلام (أي وقتين ابتداء الخلق وانقضائه)^(٨) ، وقال في قوله تعالى ﴿ففضيهن سبع سموات في يومين﴾^(٩) أي (في وقتين ابداء وانقضاء)^(١٠) ، (وأما قوله عز وجل : ﴿وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام﴾^(١١) فقال :

(١) تهافت على الشيء تساقط وتتابع وأكثر استعماله في الشر المنجد .

(٢) باد الشيء يبيد بباداً إذا تفرق وتوزع في البيداء أي المفازة قال عز وجل : ما أظن أن تبديد هذه أبداً . المفردات .

(٣) أصل الدثور : الدروس وهو أن تهب الرياح على المنزل فيغتسي رسومه الرمل ويغطيه ومنه دثر الرسم دثوراً من باب قعد ، ومثله حادثوا هذه القلوب بذكر الله فانها سريعة الدثور م .

(٤) سورة فاطر : الآية ٤١ . (٥) سورة الرعد : الآية ٣٩ . (٦) سورة الرحمن : الآية ٢٩ .

(٧) سورة فصلت : الآية ٩ (٨) تفسير القمي : ج٢ ص٢٦٢ (٩) سورة فصلت : الآية ١٢

(١٠) تفسير القمي : ج٢ ص٢٦٣ (١١) سورة فصلت : الآية ١٠

يعني في أربعة أوقات ثم فسرها بالفصول الأربعة (١).

وعلى هذا يحتمل أن يكون المراد بالسته أيام هذان الوقتان مع هذه الأربعة أوقات. فان خلق السماوات مع تقدير الاقوات إنما يتم بهذه الأوقات ، والسّر في خلق السماوات والارض في ابداء وانقضاء أن الممكن مفتقر في حد ذاته إلى موجد قويم ، لأنه في حد ذاته معدوم فهو في كل آن معدوم في ذاته موجود بموجده مفتقر إلى وجوده الجديد بعد وجوده القديم ، فلا يزال سبحانه يبدع ويصنع ويخلق ويرزق .

روي عن الصادق (ع) (في قول الله عز وجل : ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ (٢) قال لم يعنوا أنه هكذا ، ولكنهم قالوا قد فرغ من الامر فلا يزيد ولا ينقص ، فقال الله عز وجل تكذيباً لقولهم : ﴿غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ (٣) ألم تسمع الله عز وجل يقول : ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾ (٤) (٥)

ولما كان هذا الخلق من جنس ما كان أولاً التمس على المحجوبين ولم يشعروا بالتجدد وذهب ما كان بالفناء في الحق ﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ (٦) ﴿واتوا به متشابهاً﴾ (٧) و﴿هو يبدىء ويعيد﴾ (٨) ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب﴾ (٩).

ويظهر هذا المعنى في الماء الجاري فانه في كل آن تدخل قطعة منه في النهر ويتشكل بشكل ما يحاذيه من النهر ، ثم تذهب فتدخل اخرى مع أنها ترى واحدة بالشخص دائماً ، وفي النار المشتعلة من الدهن والفتيلة ، فانه في كل آن يدخل منهما شيء في تلك النارية ويتصف بصفة النورية ، ثم تذهب تلك الصورة بصيرورته هواء .

هكذا شأن العالم بأسره ، فانه يستمد دائماً من الخزائن الالهية التي لا تنقص ولا تغيض بل تزداد وتفيض (١٠) فتفيض منها ويرجع إليها ، قال الله عز وجل : ﴿وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ (١١) وقال الله تعالى : ﴿ما عندكم ينفذ وما عند الله باق﴾ (١٢)

(١) تفسير القمي : ج ٢ ص ٢٦٢ (٢) سورة المائدة : الآية ٦٤ (٣) سورة المائدة : الآية ٦٤

(٤) سورة الرعد : الآية ٣٩ (٥) التوحيد : ص ١٦٧ ج ١ (٦) سورة ق : الآية ١٥ . (٧) سورة البقرة : الآية ٢٥ .

(٨) سورة البروج : الآية ١٣ . (٩) سورة النمل : الآية ٨٨ . (١٠) غيض الماء أى نقص يقال : غاض يغيض

غيضاً من باب سار وأفاض السيل يفيض فيضاً : كثر وسال من شفا الوادى ، م .

(١١) سورة الحجر : ٢١ (١٢) سورة النحل : الآية ٩٦

رباعى

عالم چون آب جوست بسته نمايدوليک ميرود ميرسد نو نواین از کجاست
نوز کجا ميرسد کهنه کجا ميرود گر نه وراى نظر عالم بی متهاست

فامداد الحقّ وتجلياته واصل إلى العالم في كل نفس ، وفي التحقيق الاتمّ ليس إلا تجلي واحد يظهر له بحسب القوابل ومراتبها واستعداداتها تعيّنات فيلحقه لذلك التعدد النعوت المختلفة والاسماء والصفات ، لا أن الأمر في نفسه متعدّد أو وروده طار ومتجدد ، وإنما التقدّم والتأخر وغيرهما من أحوال الممكنات يوهم التجدّد والطريان والتقيّد والتغير ونحو ذلك كما يوهم التعدّد .

ولما لم يكن الوجود ذاتياً لسوى الحقّ بل مستفاداً من تجليه افتقر العالم في بقائه إلى الامداد الوجودي الاحديّ مع الانات من دون فترة ولا انقطاع ، إذ لو انقطع الامداد المذكور طرفة عين لفني العالم دفعة واحدة ، فان الحكم العدمي امر لازم للممكن وإنما الوجود له من موجهه . رباعى

اي جود تو سرمايه وسود همه كس وى ظل وجود تو وجود همه كس
گر فيض تويك لحظه بعالم نرسد معلوم شود بود ونبود همه كس

كلمة

في كيفية ارتباط حادث الزماني بالقديم

إنّ بعض الموجودات لذاته متغير لا لتغير عارض له من غيره بل حقيقته وجوهره تقتضيان التغير ، كالزمان الذي هو ظرف المتغيرات ، والحركة التي هي متقدّرة بالزمان ، فان ماهيتهما الحدوث بعد الحدوث والتجدد بعد التجدد ، فالزمان والحركة بهويتهما الامتداديتين الغير القاربتين فاضاً^(١) من الحق الفياض فيضة واحدة في متن الواقع وظرف الابداع بالاحداث والايجاد بلا زمان وامتداد ، فصار ذلك سبباً لتجدّد المتجددات وتعدّد الاضافات .

وان سألت الحق فالتغير الجبلي والتبدّل الذاتي إنما سري في الحركة من المتحركات وإنما جرى في الزمان من الزمانيات ، وذلك لأن الحركة إنما هي من الصفات

(١) فاض الاناء فيضاً امتلاً ، وفاض كل ساير جرى م .

والنسبيات ، لأنها عبارة عن الخروج من القوة إلى الفعل فلا بد من تقوّمها بذات من الذوات تخرج من القوة إلى الفعل ، والزّمان مقدار الحركة تابع لها ، والحركة والزّمان من آثار الطبيعة فالطبيعة متحركة دائماً .

فهي إذن أمر سيّال الذات متجدد الحقيقة إذ لو لم تكن سيّالة لم يمكن صدور الحركة عنها لاستحالة صدور المتجدد عن الثابت اللهم إلا بتوارد أحوال عليها تصلح لأن تكون مع أصل الحركة معدات لاجزائها لسبقهما عليها بالزمان .

وأما العلة المقتضية للحركة فلا بدّ أن يكون مع معلولها وليس فوق الطبيعة متغير فالتغير الذاتي إنّما هو للطبيعة من غير تخلل جعل بينه وبينها ، وبهذا يصح ارتباط الحادث بالقديم ، وذلك لأن تجدد الطبيعة عين ثباتها كما أن القوّة المادة الاولى عين فعليتها ، فالطبيعة بما هي ثابتة مرتبطة بالحقّ تعالى ؛ وبما هي متجددة يرتبط إليها تجدد المتجددات وحدوث الحادثات .

فالمتحرك بالذات ليس إلا الطبيعة السارية في العالم الجسماني بأمر الله سبحانه بل الوجود الساري في العالم الامكاني باذن الله جلّ جلاله ، وما سوى ذلك فانما يتحرك بالعرض وبالتبع ، فالحقّ سبحانه دفعي الابداع والصنع أحديّ الامر والتكوين ، والعالم تدريجي الوجود متبدل الكون وإنما يوجد بامر كن فهو الله سبحانه إذا قضى أمراً فانما يقول له كن بلا حرف ولا صوت فيكون .

فاذا كان أشرف على العدم لهلاكه الاصيلي وبطلانه الذاتي فيقول الله جلّ جلاله ثانياً كن فيكون ثانياً بهذه الكلمة الثانية وإن شئت قلت بتلك الكلمة الاولى بعينها لأنّ أمر الله واحد وكلمته واحدة إلا أنها ثانية في حقّ العالم ، فاذا كان ثانياً أشرف على العدم من ساعته ، فيقول الله عزّ سلطانه ثالثاً كن فيكون ثالثاً ، وهكذا إلى ما شاء الله .

نظير ذلك ما ورد في الحديث (إن الله تعالى يخاطب عباده من الاولين والآخرين يوم القيامة بمجمل حساب عملهم مخاطبة واحدة يسمع منها كلّ واحد قضيتّه دون غيره ، ويظنّ أنه المخاطب دون غيره ، لا يشغله عزّ وجلّ مخاطبة عن مخاطبة ويفرغ من حساب الأولين والآخرين في مقدار نصف ساعة من ساعات الدنيا) (١).

ولا استبعاد في ذلك فان الصّباغ يدخل كلّاً من الثوب الابيض والثوب الازرق في الصّبغ

(١) البحار ج ٧ ص ٢٥١ عن الاعتقاد : ص ٨٨ - ٨٩ .

الاصفر فيخرج أحدهما اصفر والآخر أخضو ، وليس فعل الصّفرة فيهما إلا واحد وإنما اختلفا بسبب اختلاف القابلية ، واختلاف القابلية في الأشياء إنما هو مقتضى ذواتها التي بها يتميز كل من الآخر ، وبها صار هو هو دون غيره . حافظ

حسن روى توييك جلوه كه در آينه كرد اينهمه نقش در آئينه اوهام افتاد اينهمه رنگ می نقش مخالف كه نمود يك فروغ رخ ساقی است كه درجام افتاد

المقالة السادسة

في القضاء والقدر ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ القمر / ٤٩ .

كلمة

في معنى القضاء والقدر وسر القدر

القضاء عبارة عن الحكم الالهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الاحوال الجارية من الازل إلى الابد ، والقدر هو تفصيل ذلك الحكم بإيجادها في أوقاتها وأزمانها التي تقتضي الأشياء وقوعها فيها باستعداداتها الجزئية ، فتعلق كل حال من أحوال الاعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر ، وسر القدر أنه لا يمكن لعين من الاعيان الخلقية أن يظهر في الوجود ذاتا وصفة وفعلا إلا بقدر خصوصية قابليته واستعداده الذاتي الذي لا يقبل التغير والتبديل والمزيد والنقصان .

وذلك لأن الخلق هم المعلومون لله سبحانه وهو العالم بهم على ما هم عليه في أنفسهم ولا أثر للعلم في المعلوم بأن يحدث فيه ما لا يكون له في حد ذاته ، بل هو تابع للمعلوم ، والحكم على المعلوم تابع له فلا حكم من العالم على المعلوم إلا بالمعلوم وبما يقتضيه ذاته بحسب استعداده الكلي والجزئي .

إن قيل : فالمعلومات اعطت العلم من أنفسها ثم العلم حكم عليه فلا يصح له الغنى عن العالمين ، وأيضاً فإن العلم له وصف ذاتي فكيف يحصل له من المعلومات وكذا الإرادة والقدرة .

قلنا : المعلومات إنما تعينت في العلم الالهي الكلي الاصلي الذاتي قبل خلقها وإيجادها بما علمها عليه لا بما اقتضته ذواتها ، ثم اقتضت بعد ذلك من أنفسها أموراً هي عين ما علمها عليها أولاً ، فحكم لها ثانياً بما اقتضته ، وما حكم إلا بما علمها عليه فما قدر الله سبحانه على

الخلق الكفر والعصيان من نفسه بل باقتضاء أعيانهم وطلبهم بالسنة استعدادهم أن يجعلهم كافرين أو عاصياً .

فما كانوا في علم الله ظهوراً في وجوداتهم العينية فليس للحق إلا افضاضة الوجود عليهم وأما الحكم فلهم عليهم فلا يحمدهوا إلا أنفسهم ولا يذموا إلا أنفسهم ، وما يبقى للحق إلا حمد افضاضته الوجود ، لأن ذلك له لا لهم .

ولذلك قال : ﴿ ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام ﴾^(١) للعبيد^(٢) ، أي ما قدرت عليهم الكفر الذي يشقيهم ثم طلبتهم بما ليس في وسعهم أن يأتوا به ، بل ما عاملناهم إلا بما علمناهم وما علمناهم إلا بما أعطوا في نفوسهم مما هم عليه فان كان ظلماً فهم الظالمون ، ولذلك قال : ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾^(٣) وفي الحديث (من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) .
شعر

بر من جفا زبخت من آمد وگر نه یار حاشا که رسم لطف وطریق کرم نداشت
فان قلت : فما فائدة قوله سبحانه : ﴿ ولو شاء لهديكم أجمعين ﴾^(٤) .

قلنا : لو حرف امتناع لامتناع فما شاء إلا ما هو الامر عليه ولكن عين الممكن قابل للشيء ونقيضه في حكم دليل العقل وأي الحكمين المعقولين وقع فهو الذي عليه الممكن في حالة ثبوته في العلم ، فمشيئته إحدى التعلق وهي نسبة تابعة للعلم ، والعلم نسبة تابعة للمعلوم فعدم المشية معلل بعدم إعطاء أعيانهم وهداية الجميع لتفاوت استعداداتهم وعدم قبول بعضها الهداية .

وذلك لأن الاختيار في حق الحق تعارضه وحدانية المشية فنسبته إلى الحق من حيث ما هو الممكن عليه لا من حيث ما هو الحق عليه قال الله تعالى : ﴿ ولكن حق القول مني ﴾^(٥)

(١) قال في مجمع البيان : أي لست بظالم احدأ في عقابي لمن استحقه ، بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصي التي استحق بها ذلك ، وانما قال بظلام على وجه المبالغة رداً على من أضاف الظلم اليه ، تعالى وتقدس عن ذلك . وقال في تفسير قوله تعالى : وان الله ليس بظلام للعبيد : وانما ذكر لفظ الظلام وهو للتكثير تأكيداً لنفي الظلم عنه

(٢) سورة ق : الآية ٢٩ (٣) سورة البقرة : الآية ٥٧

(٤) سورة النحل : الآية ٩٥ (٥) سورة السجدة : الآية ١٣ .

وقال : ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾^(١) وقال : ﴿ما يبذل القول لدي﴾^(٢) فهذا هو الذي يليق بجناب الحق والذي يرجع إلى الكون ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ، فما شاء فان الممكن قابل للهداية والضلال من حيث هو قابل فهو موضع الانقسام وفي نفس الامر ليس للحق فيه إلا أمر واحد .

فان قيل : حقايق المخلوقات واستعداداتها فايضة من الحق سبحانه فهو جعلها كذلك .

قلنا : الحقايق غير مجعولة بل هو صور علمية للأسماء الالهية وإنما المجعول وجوداتها في الاعيان ، والوجودات تابعة للحقايق .

فان قيل : أليس الاختيار حكم من أحكام العزة والعظمة ووصف من أوصاف الالهية والخالقية ليس لعله ولا ضرورة ولا بد ، بل شأن الهي ووصف ذاتي كما قال : ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾^(٣) .

قلنا : بلى ولكن لا بدّ بعده من وقوع المختار دون غيره ، والمختار لا بد أن يكون أحسن ما يمكن أن يكون ، وهو ما هو الأمر عليه وهو معنى شاء ما شاء ، ولهذا (قال الله تعالى في جواب داود حين سأله لماذا خلقت الخلق ؟ قال : لما هم عليه)^(٤) ، فليس في الامكان أكمل من هذا العالم إذ ليس أكمل من الحق سبحانه ، فلو كان في الامكان أكمل من هذا العالم لكان ثمة من هو أكمل من موجدته وما ثمة إلا الله فليس في الامكان إلا مثل ما ظهر لا أكمل منه .

رباعى

جز حق حكيمى كه ملك را شايد نيست حكيمى كه زحكم حق فزون آيد نيست
هر چيز كه هست آنچنان ميبايد آن چيز كه آنچنان نمي بايد نيست

كلمة

في نفي الجبر والتفويض واثبات امر بين الامرين

قد ثبت ان الله عزّ وجلّ قادر على جميع الممكنات ولم يخرج شيء من الاشياء عن مصلحته وعلمه وقدرته وابعاده بواسطة أو غير واسطة ، وإلا لم يصلح لمبدئية الكل ، فالهداية والضلال والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضّر وسائر المتقابلات كلها منتهية إلى قدرته وتأثيره وعلمه وإرادته ومشيته إمّا بالذات أو بالعرض .

(١) سورة الزمر : الآية ١٩ (٢) سورة ق : الآية ٢٩ (٣) سورة القصص : الآية ٦٨ (٤) العوالي : ج ٤ ص ١١٧ ح ١٨٥

فاعمالنا وأفعالنا كسائر الموجودات وافاعيلها بقضائه وقدره وهي واجبة الصدور منا بذلك ولكن بتوسط اسباب وعلل من إدراكاتنا وإراداتنا وحركاتنا وسكناتنا وغير ذلك من الأسباب العالية الغاية عن علمنا وتديبنا الخارجة عن قدرتنا وتأثيرنا فاجتماع تلك الامور التي هي الأسباب والشرايط مع ارتفاع الموانع علة تامة يجب عندها وجود ذلك الأمر المدبّر المقضي المقدر ، وعند تخلف شيء منها أو حصول مانع بقي وجوده في حيز الامتناع ويكون ممكنا وقوعيا بالقياس إلى كل واحد من الاسباب الكونية .

ولما كان من جملة الأسباب وخصوصاً القريبة منها إرادتنا وتفكرنا وتخيلنا وبالجملة ما نختار به أحد طرفي الفعل والترك ، فالفعل اختياري لنا فان الله تعالى أعطانا القوة والقدرة والاستطاعة ليلبونا أيأنا أحسن عملا مع إحاطة علمه فوجوبه لا ينافي إمكانه واضطرارته لا ندافع كونه اختياريًا ، كيف وأنه ما وجب إلا بالاختيار .

ولا شك أن القدرة والاختيار كسائر الأسباب من الادراك والعلم والارادة والتفكر والتخيل وقواها وآلاتها كلها بفعل الله تعالى لا بفعلنا واختيارنا ، وإلا لتسلسلت القدر والارادات إلى غير النهاية .

وذلك لأننا وإن كنا بحيث إن شئنا فعلنا وإن لم نشأ لم نفعل لكننا لسنا بحيث إن شئنا شئنا وإن لم نشأ لم نشأ بل إذا شئنا ولم يتعلق مشيئتنا بمشيئتنا بل بغير مشيئتنا فليست المشية إلينا إذ لو كانت المشية إلينا لاحتجنا إلى مشية اخرى سابقة وتسلسل الامر إلى غير النهاية .

ومع قطع النظر عن استحالة التسلسل نقول جملة مشيئتنا الغير المتناهية بحيث لا يشذ عنها مشية لا يخلو إما وقوعها بسبب أمر خارج عن مشيئتنا أو بسبب مشيئتنا والثاني باطل لعدم امكان مشية اخرى خارجة عن تلك الجملة ، والأول هو المطلوب فقد ظهر أن مشيئتنا ليست تحت قدرتنا كما قال الله تعالى : ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾^(١) رباعي .

خواهم بكنم گنه نحواهم نكنم خواهم بكنم توبه نحواهم شكنم
ليكن چه نحواهم نتوانم خواهم خواهم نتوانم كه نحواهم چكنم

فاذن نحن في مشيئتنا مضطرون وإنما تحدث المشية عقيب الداعي وهو تصور الأمر الملايم تصوراً ظنياً أو تخييلياً أو علمياً ، فانا إذا أدركنا شيئاً فان وجدنا ملاءمته أو منافرته لنا دفعة

(١) سورة الانسان : الآية ٣٠ (٢) وسورة التكوير : الآية ٢٩

بالوهم أو ببديهة العقل انبعث منا شوق الى جذبته أو دفعه وتأكد هذا الشوق هو العزم الجازم المسمى بالارادة .

وإذا انضمت إلى القدرة التي هي هيئة للقوة الفاعلية انبعث تلك القوة لتحريك الاعضاء الادوية من العضلات وغيرها فيحصل الفعل ، فاذن إذا تحقّق الداعي للفعل الذي تنبعث منه المشية تحققت المشية ، وإذا تحققت المشية التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة .

فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة ، والقدرة محرّكة ضرورة عند انجزام المشية ، والمشية تحدث ضرورة في القلب عقيب الداعي ، فهذه ضروريات يترتب بعضها على بعض وليس لنا أن ندفع وجود شيء منها عند تحقق سابقه فليس يمكن لنا أن ندفع المشية عند تحقق الداعي للفعل ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ، فنحن مضطرون في الجميع فنحن في عين الاختيار مجبورون فنحن اذن مجبورون على الاختيار .

هذه طريقة أهل العقل والنظر القريبة من الافهام ، ونرتقي إلى طريقة اخرى أعلى وأتم هي طريقة أهل المعرفة والشهود ، وهي أقرب إلى التحقيق وإن كان أبعد من الافهام فنقول :

إنّ المخلوقات مع تباينها في الذوات والصفات والأفعال وترتيبها في القرب والبعد من الحقّ الأوّل والذات الأحادية تجمعها حقيقة واحدة إلهية جامعة لجميع حقايقها وطبقاتها ، لا بمعنى أن المركب من المجموع شيء واحد هو الحق سبحانه حاشا للجناب الالهي عن وصمة^(١) الكثرة والتركب ، بل هو هو ، والأشياء أشياء .

بل بمعنى أن تلك الحقيقة الالهية مع أنّها في غاية البساطة والاحدية تنفذ نورها في أقطار السّموات والأرضين ، فما من ذرة إلا وهو محيط بها قاهر عليها ظاهر فيها ، كما قال إمام الموحّدين أمير المؤمنين (ع) : (مع كلّ شيء لا بمقارنة ، وغير كلّ شيء لا بمزايلة)^(٢) (٣) .

وكذلك لصفات المخلوقات جهة وحدة إلهية جامعة للجميع ، فإن السّمع والبصر وغيرهما من الصفات في أي موصوف كان هو الله سبحانه حقيقة ، ولذلك قال : ﴿وهو السّميع

(١) الوصم : العيب والعار يقال : ما في فلان وصمة اي ليس فيه عيب ونقص م .

(٢) المزايلة المفارقة يقال : زايله مزايلة وزبالا ومنه قوله (ع) خالطوا الناس وزابلوهم اي فارقوهم في أفعال لا ترضي الله ورسوله م .

(٣) نهج البلاغة : ص ٤٠ خطبة ١

البصير ﴿^(١)﴾ اي لا غيره يعني هو السميع بعين سمع كل سميع والبصير بعين بصر كل بصير وقال : ﴿هو الحي لا إله إلا هو﴾ ﴿^(٢)﴾ اي بعين كل حياة وفي الحديث القدسي : (في يسمع وبصر) بيصر ﴿^(٣)﴾ .

مشوي

خلق راجون آب دان صاف وزلال واندر آن تابان صفات ذو الجلال
پادشاهان مظهر شاهي حق عالمان مرآت آگاهی حق
خوب رویان آینه خوبی او عشق ایشان عکس مطلوبی او
قرنها برقرنها رفت ای همام وین معانی برقرار ویر دوام
آب مبدل شد در این جوچند بار عکس ماه و عکس اختر بر قرار

وكذلك الأفعال فانها منسوبة إلى الموجودات من ذلك الوجه الذي ينسب إلى الحق بعينه ، فكما أنّ وجود زيد بعينه أمر متحقق في الواقع وهو شأن من شؤون الحق سبحانه ، ولمعة من لمعاته ومظهر من مظاهره ، فكذلك هو فاعل لما يصدر عنه بالحقيقة لا بالمجاز ، ومع ذلك ففعله أحد أفاعيل الحق تعالى بلا شوب قصور وتشبيه تعالى عن ذلك كما قال تعالى : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ﴿^(٤)﴾

حافظ

بارها گفته ام وبار د گر میگویم که من دل شده این ره نه بخود میبویم
در پس آینه طوطی صفتم داشته اند آنچه استاد ازل کفت بگو میگویم
من اگر خارم اگر گل چمن آرائی هست که از آن دست که میپر ودم میرویم

فاحمد ضرام ﴿^(٥)﴾ أوها مك أيها الجبري فالفاعل ثابت لك بمباشرتك إياه وقيامه بك وسكن جاشك ﴿^(٦)﴾ أيها القدري فان الفعل مسلوب منك من حيث أنت انت لان وجودك إذا قطع النظر عن ارتباطه بوجود الحق فهو باطل ، وكذا فعلك إذ كل فعل متقوم بوجود فاعله ، وانظرا جميعاً بعين الاعتبار في فعل الحواس كيف انمحي وانطوى في فعل النفس وتصورها في تصور

(١) سورة الشورى : الآية ١١ (٢) سورة غافر : الآية ٦٥ كما في الكافي : ج ٢ ص ٣٥٢ ذيل ح ٨

(٣) سورة الانفال : الآية ١٧ (٤) الضرام بالكسر اشتعال النار في الحلقاء ونحوها

(٥) جاشت القدر اي غلت ، وجاشت نفس اي ارتاعت وخافت وفي الحديث اياك ان تقذف بما جاش صدرك اي بما فار وارتفع به صدرك والجاش جاش القلب ، وهو رواغه اذا اضطرب عند الفزع . م .

النفس ، واتلوا جميعا قوله تعالى : ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾^(١) ، وتصالحا بقول الامام (ع) بالحق : (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين)^(٢) .

قال الله تعالى : ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾^(٣) أثبت المشية للعبد فنفى به الجبر وجعلها بعد مشية الله للعبد فنفى به التفويض وقال : ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾^(٤) ، وما كسبت يداك إلا بالله لا من دون الله فيكون وهنا في سلطانه ، ولا مع الله فيكون شركاً بالله ، فبيد العباد طاعة الله ومعصية الله إلا أنه لا حول عن المعصية ولا قوة على الطاعة إلا بالله ، ولا مشية إلا بعد مشية الله .

والتنزيه والحسنات والمحامد ترجع إلى مقام الوحدة والتشبيه ، والسيئات والمذام ترجع إلى محال الكثرة فسبحان من تنزه عن الفحشاء^(٥) ، وسبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء .

وعن النبي (ص) (من زعم أنه يأمر بالفحشاء ، فقد كذب على الله ومن زعم أن الخير والشر بغير مشية الله فقد اخرج الله من سلطانه ، ومن زعم أن المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ، ومن كذب على الله ادخله الله النار)^(٦) .

وعن الصادق (ع) قال : (الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقونه ، والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد)^(٧) .

وفيه قيل للرضا (ع) : (الله فوض الأمر إلى العباد ؟ قال : الله أعز من ذلك ، قيل : فجبرهم على المعاصي ؟ قال : الله أعدل وأحكم من ذلك ، ثم قال : قال الله تعالى يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك)^(٨) .

اقول : أما أولويته سبحانه بالحسنات فلأنه تعالى أمر بها ووعد الثواب عليها ووهب القوة عليها ، ووفق لها ولأن الكمالات والخيرات راجعة إلى الوجود وهو منه سبحانه .

(١) سورة التوبة : الآية ١٤ .

(٢) التوحيد : ص ٣٦٢ ح ٨ ، والكافي : ج ١ ص ١٦٠ ح ١٣ . (٣) سورة الانسان : الآية ٣٠ (٤) سورة الحج : الآية ١٠

(٥) الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال ، المفردات .

(٦) التوحيد : ص ٣٥٩ ح ٢ ، والكافي : ج ١ ص ١٥٨ ح ٦

(٧) التوحيد : ص ٣٦٠ ح ٤ ، والكافي : ج ١ ص ١٦٠ ح ١٤ (٨) التوحيد : ص ٣٦٢ ح ١٠ ، والكافي : ج ١ ص ١٥٧ ح ٣

وأما أولوية العبد بالسّيئات فلأن الله عزّ وجلّ نهى عنها وأوعد العقاب عليها ووهب القوة ليصرفها في الطاعات فصرفها في المعاصي ، ولأن التقايس والشُرور راجعة إلى العدم ، وهو من سوء الاستعدادات ولوازم الماهيات المتنزّلة في عالم التضاد حافظ

هرچه هست از قامت ناساز بي اندام ماست ورنه تشریف تو در بالای کس کوتاه نیست

كلمة

في الفرق بين الامر الارادي والامر التكليفي وان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

انّ الله سبحانه بالنسبة إلى عباده امرين ، امرأ إرادياً ايجادياً ، وأمرأ تكليفاً ايجابياً ، والأوّل بلا واسطة الأنبياء (عليهم السلام) ولا يحتمل العصيان ، والمطلوب منه وقوع المأمور به ويوافق مشيئته تعالى طرداً وعكساً ، ولا يتخلّف عنها البتة فيقع المأمور به لا محالة ، وإليه اشير بقوله عزّ وجلّ : ﴿أَمَّا قَوْلَنَا لَشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) .

والثاني يكون بواسطة الأنبياء (عليهم السلام) والمطلوب منه قد يكون وقوع المأمور به فيوافق مشيئة الله تعالى ويقع المأمور به من غير معصيته فيه كالأوامر التي كلف بها الطائعين ، وقد يكون نفس الأمر من دون وقوع المأمور به لحكم ومصالح ، فهذا الأمر الذي لا يوافق المشيئة ولا الإرادة ، يعني لم يشأ الله به وقوع المأمور به ولا أراد وإن أراد الأمر به وشاء وأمر ولذلك لم يقع المأمور به .

روي عن الصادق (ع) : (أمر الله ولم يشأ وشاء ولم يأمر ، أمر إبليس أن يسجد لأدم ، وشاء أن لا يسجد ، ولو شاء أن يسجد لسجد ، ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها ولو شاء أن لا يأكل لما أكل)^(٢) .

وفيه عنه (ع) : (حكم الله أن لا يقوم أحد من خلقه بحقه ، فلما حكم بذلك وهب لأهل محبته القوة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله ، ووهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ، ومنعهم إطاعة القبول منه فواقعوا ما سبق لهم في علمه ولم يقدروا أن يأتوا حالاً تنجيهم من عذابه ، لأن علمه أولى بحقيقة التصديق ، وهو معنى شاء ما شاء وهو سرّه)^(٣)

(١) سورة النحل : الآية ٤٠ (٢) الكافي : ج١ ص١٥٠ ح٣ (٣) الكافي : ج١ ص١٥٣ ح٢

وفيه عنه (ع) (أنه قال : مَما اوحى الله إلى موسى وأنزل عليه في التوراة : إني أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق وخلقته الخبير وأجرته على يدي من أحب فطوبى لمن أجرته على يديه وأنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخلق وخلقته الشر وأجرته على يدي من أريده فويل لمن أجرته على يديه)^(١) .

وفيه عن الباقر (ع) قال : (لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم أحد أحداً)^(٢) .

وفي مناجاة سيّد الشهداء الحسين بن عليّ (ع) (الهي كيف أعزم وأنت القاهر ، وكيف لا أعزم وأنت الأمر)^(٣) ، وفيها ، (الهي حكمتك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركها لذي مقال ولا لذي حال حالا)^(٤) ، ولي في هذا المعنى . فيض

منم كه ساختهُ دست ابتلاي توام منم كه سوخته قهر كبريائي توام
مراچه ساختهُ آنچنان كه ساختهُ بمدعای خود ارنه بمدعای توام

حافظ

مكن در اين جمنم سرزنش بخود روئي جنانكه يرورشم ميدهند ميرويم
والسّر في ذلك أن المشية والارادة والتقدير والقضاء كلها من فعل الله سبحانه ، وهي حكم الله في الأشياء على حدّ علمه بها ، وأما المشيئة المراد المقدر المقضي الذي يقع في الوجود ، فانه ربّما يكون من فعل العبد الذي يطلبه من الله باستعداده ، وهو قد يكون محبوا مرضياً كالإيمان والطاعات ، وقد يكون مبغوضاً مسخوطاً كالكفر والمعاصي .

ولا شك أن الحكم غير المحكوم به والمحكوم عليه لكونه نسبة قائمة بهما ، فلا يلزم من كون الحكم الذي من طرف الحق خيراً أن يكون المحكوم به الذي من جهة العبد خيراً ومحبوباً .

وهذا هو التحقيق في التفصي عن شبهة مشهورة هي أنه قد ثبت وجوب الرضا بالقضاء وعدم جواز الرضا بالكفر والمعاصي فاذا كان الكفر والمعاصي بالقضاء فكيف التوفيق .

وليعلم أن تعذيب الله سبحانه لعباده ليس من جهة غرض له فيه سبحانه لانه بريء من

(١) الكافي : ج ١ ص ١٥٤ ح ١ (٣) الكافي : ج ٢ ص ٤٤٤ ح ١ ولكن ذكره عن الامام الصادق (ع)

(٢) الاقبال : ص ٣٤٨ س ٢٤ (٤) الاقبال : ص ٣٤٨ س ٢٠

الغرض غني عما سواه ، بل انساق^(١) حجة البالغة وحكمته الكاملة إلى تعذيب فريق ، وتنعيم فريق بما ركب في كل واحد من الآلات وخلق لهم من الدواعي والآراء وغيرها من أسباب المعاصي والطاعات والشُّرور والخيرات فانقسمت أفعال الله إلى ما ينساق إلى الغاية المطلوبة بالذات وإلى ما ينساق إلى غاية أخرى مرادة بالعرض ، فاطلق على الأول اسم المحبوب وعلى الثاني اسم المكروه .

وانقسم عباده الذين هم أيضاً من فعله واختراعه إلى من سبقت لهم العناية بالحسنى بتسليط الدواعي والبواعث عليه لسياقتهم « لسياقتهم خ » إلى غاية الحكمة وإلى المشية الربانية .

عن الصادق (ع) (قال : كان أمير المؤمنين (ع) كثيراً ما يقول : اعلموا علماً يقينا أن الله تعالى لم يجعل للعبد وإن اشتد جهده وعظمت حيلته وكثرت مكابדתه ان يسبق ما سمي له في الذكر الحكيم ، أيها الناس إنه لن يزداد امرء نقيراً بحذقه^(٢) ، ولم ينقص امرء نقيراً بحمقه ، فالعالم بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة ، والعالم بهذا التارك له أعظم الناس شغلا في مضرة ، ورب منعم عليه مستدرج بالاحسان إليه ، ورب مغرور في الناس مصنوع له^(٣) .

وعن النبي (ص) (اعلم أن الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف ، وفي التنزيل ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾^(٤) وقال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها^(٥) إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾^(٦) (٧) .

وعن الصادق (ع) (أوحى الله تعالى إلى داود يا داود تريد واريد ولا يكون إلا ما اريد ، وإن لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما اريد^(٨)) .

(١) انساق مطاوع ساق وانساق الابل : سارت متابعة المنجد .

(٢) حذق حذفاً كان ماهراً فهو حاذق . (٣) الكافي : ج ٥ ص ٨١ ح ٩ . (٤) سورة التوبة : الآية ٥١

(٥) الضمير في نبرأها للنفس او المصيبة ، والمراد بالمصيبة في الأرض مثل القحط ونقص الثمار ؛ وفي الانفس

مثل الامراض والشكل بالاولاد ؛ والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ . م .

(٦) سورة الحديد : الآية ٢٢- ٢٣ (٧) علم اليقين : ج ١ ص ٢٠٨ عن الترمذي .

(٨) التوحيد : ص ٣٣٧ ح ٤ ولكن ذكره بسند عن الامام امير المؤمنين (ع) .

فاذن ظهر أن لا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا ملجأ لعباده فيما قضى ، ولا حجة لهم فيما ارتضى لم يقدرُوا على عمل ولا معالجة فيما احدث في أبدانهم المخلوقة إلا برّبهم هذا .

وقد ثبت أن المواد تحت قهر الطبايع باذن الله ، والطبايع تحت قهر النفوس باذن الله ، والنفوس تحت قهر العقول باذن الله ، والعقول تحت قهر كبرياء الله عز وجل وهو الله الواحد القهار .

ومن وجه آخر أن الأرضين تحت تأثير السماوات باذن الله ، والسماوات في ذل تسخير الملكوت باذن الله ، والملكوت في قيد اسر الجبروت باذن الله ، والجبروت مقهور بأمر الجبار جلّ سلطانه وهو الغالب على أمره والقاهر فوق عباده ، والأرض جميعاً قبضته ، والسماوات مطويات بيمينه ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها .

أيدي الكل مغلولة بيد قدرته ، والله خلقكم وما تعملون ، وأرجلهم معقولة بعقال^(١) مشيته هو الذي يسيّرکم في البر والبحر ، وآمالهم منقطعة إلا بحوله وقوته ، وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ، إن ينصرکم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصرکم من بعده ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ، وتبارك الذي بيده الملك .

وفي الحديث النبوي (ص) (اعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ بك برضاك من سخطك واعوذ بك منك)^(٢) ، أشار بالأول إلى توحيد الأفعال ، وبالثاني إلى توحيد الصفات ، وبالثالث إلى توحيد الذات ، وفي مناجاة سيّد الشهداء (ع) في دعاء عرفة ، (أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك)^(٣) .

حافظ

نيسر بر لوح دلم جز الف قامت يار چکنم حرف دگر ياد نداد استادم

(١) العقال : حبل يشد به البعير في وسط ذراعه ومنه العقال الذي يشد على الرأس المنجد .

(٢) صحيح مسلم : ج١ ص٣٥٢ ح٤٨٦ (٣) الاقبال : ص٣٤٩ س٢٠

بها يجمع بين مدخلية الاسباب الخارجة في الأفعال وبين الفراغ من الامر وبها يتبين ما يتبع ذلك

كما أن الأشياء الداخلة في وجود الانسان كالعلم والقدرة والارادة من جملة أسباب الفعل ، وكذلك الامور الخارجة من الدعوات والطاعات والسعي والجهد والتدبير والحذر والالتماس والتكليف والوعد والوعيد والارشاد والتهديب والترغيب والترهيب وأمثال ذلك ، فإن ذلك كله أسباب ووسائط ووسائل وروابط لوجود الأفعال ، ودواعي إلى الخير ومهيجات للأشواق مهيئة للمطالب موصلة إلى الارزاق مخرجة للكمالات من القوة إلى الفعل .

وكل ذلك مما يقاوم القضاء لا من حيث إنه فعل العبد فانه من هذه الحيثية مما يتحكم به القضاء لانه لو لم يقض لم يوجد بل من حيث إن الله سبحانه جعله من الأسباب على حسب ما قدر وقضى لربط ومواخاة بينه وبين الفعل كما جعل شرب الدواء سبباً لحصول الصحة في هذا المريض ؛ فالسبب والمسبب كلاهما ينبعثان من القضاء ويستندان إلى الله سبحانه وإلى أمره إرادياً أيجادياً أو تكليفياً .

(سئل النبي (ص) أنحن في أمر فرغ منه أو أمر مستأنف ؟ قال (ص) : في أمر فرغ منه وفي أمر مستأنف)^(١) (وسئل هل يغني الدواء والرقية من قدر الله ؟ قال : الدواء والرقية أيضاً من قدر الله)^(٢) .

(وسئل أمير المؤمنين (ع) عند انحرافه عن جدار يريد أن ينقض^(٣) أتفر من قضاء الله ؟ قال أفر من قضائه إلى قدره)^(٤) ، ولما كانت الحكمة الإلهية تقتضي أن يكون العبد معلقاً بين الرجاء والخوف الذين بهما يتم العبودية ، جعل الله كيفية علمه وقضائه وقدره وسائر الأسباب غايه عن العقول ، وجعل الدعوات والطاعات وما يجري مجرى ذلك مناط التكليف وملاك العبودية ليتم المقصود ، وهذا إحدى الطرق في تصحيح القول بالتكاليف مطلقاً مع الاعتراف باحاطة علم الله وكون الأقدار جارية والأقضية سابقة في الكل .

وأما الابتلاء من الله سبحانه فهو إظهار ما كتب لنا أو علينا في القدر وإبراز ما اودع فينا

(١) علم اليقين ج ١ ص ٢٠٧ . (٢) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٦١

(٣) انقض الحائط اذا سقط وقيل : اذا تصدع ولم يسقط فاذا سقط قيل : انهار . م . (٤) التوحيد : ص ٣٦٩ ح ٣

وغرز^(١) في طباعنا بالقوة بحيث يترتب عليه الثواب والعقاب فانه ما لم يخرج من القوة إلى الفعل لم يوجد بعد وإن كان معلوماً لله تعالى فلا يحصل ثمرته وتبعته اللازمتان ، ولهذا قال سبحانه تعالى : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصّابرين ونبلو أخباركم﴾^(٢) .

وأما الثواب والعقاب فهما من لوازم الأعمال الواقعة منّا وثمراتها ولواحق الامور الموجودة فينا وتبعاتها ليسا يردان علينا من خارج ، فالمجازاة أيضاً هو إظهار ما كتب لنا أو علينا في القدر وإبراز ما اودع فينا وغرز في طباعنا بالقوة كما قال سبحانه : ﴿سيجزيهم وصفحهم﴾^(٣) .

وأما تفاوت النفوس في ذلك وعدم تساويها في الخيرات والشرور واختلافها في السعادة والشقاوة فلاختلاف استعداداتها المادية في اللطافة والكثافة والقرب من الاعتدال الحقيقي والبعد عنه وتفاوت الأرواح التي بازائها في الصفاء والكدرة والقوة والضعف بحسب الفطرة المناسبة تلك المواد وغير ذلك من الاسباب قال الله تعالى : ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾^(٤) اي ما يوافق استعداده ، وفي الحديث النبوي (ص) (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)^(٥) . حافظ

كرجحه وصالش نه بكوشش دهنند آنقدر ايدل كه توانى بكوش

والسرّ فيه إنما هو تقابل الاسماء الالهية الكمالية الطالبة لمظاهرها المختلفة ، فان من الواجب أن يكون من جملة صفات الملك وخصوصا ملك الملوك صفة لطف وفهر لأنهما من أوصاف الكمال ونعوت الجلال ولا بد لكل من الوصفين من مظهر ولكل منهما فروع وشعب غير متناهية كل منهما يوجب تعلق ارادته سبحانه وقدرته إلى ايجاد مخلوق يدلّ عليه كما مرّ الاشارة إليه فكل من الموجودات مظهر لاسم خاص الهي فلذلك اقتضت رحمة الباري ايجاد المخلوقات كلها لتكون مظاهر لأسمائه الحسنی ومجالي^(٦) لصفاته العليا .

مثلا لما كان منتقما قهاراً أوجد المظاهر القهرية من الجحيم وساكنيها والزقوم ومتناولها ، ولما كان عفواً غفراً أوجد مجالي للعفو والغفران كالجنة واهليها والتسليم^(٧) وشاربيها ومنها

(١) غرزت الشيء غرزا من باب ضرب : اثبت في الارض واعرزته بالالف لغة ومنه حديث لف الخرقه للميت : واعرزها في الموضع الذي لفتت فيه الخرقه . م .

(٢) سورة محمد : الآية ٣١ (٣) سورة الانعام : الآية ١٣٩ (٤) سورة الاسراء : الآية ٨٤

(٥) التوحيد : ص ٣٥٦-٣٦٣ (٦) من جلا جلاء على معنى ظهر ووضح .

(٧) قال الراغب في المفردات : قيل هو عين في الجنة رقيقة القدر وفسر بقوله : عينا يشرب بها المقربون وقال الطريحي في مجمع البحرين : وعن ابن عباس وقد سئل عن تسليم فقال : هذا مما يقول الله تعالى : فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين .

يظهر السعادة والشقاوة فمنهم شقي وسعيد فظهر أن لا وجه لاسناد الظلم والقبيح إلى الله سبحانه لأن هذا الترتيب والتمييز من وقوع فريق في طريق اللطف وآخر في طريق القهر من ضروريات الوجود والايجاد ومن مقتضيات الحكمة والعدالة .

ومن هنا قال بعض العلماء ليت شعري لم لا ينسب الظلم إلى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيراً قريباً وبعضهم كئاساً بعيداً ؛ لأن كلا منهما من ضروريات مملكته ، وينسب الظلم إلى الله تعالى في تخصيص كل من عبده بما خصص مع أن كل منهما ضروري في مقامه وكما أن لكل من المخلوقات استعداداً كلياً لقبول الوجود كذلك لكل منها استعداد جزئي لظهور اسم خاص فيه وأسماء خاصة واحداً بعد واحد حتى يصل إلى كماله اللائق به والحق سبحانه منزّه عن التقييد بالأسماء والحصر فيها .

وهذا هو السبب في اختلافات الاضافات المتكررة من طرفي الحق والخلق كما أشار إليه الحسين بن عليّ (ع) في دعاء عرفه بقوله : (إلهي ما أقربك مني وابعدني عنك الهي ما أرفك بي فما يحجبني عنك) (١) .

فإن طريقه وقربه سبحانه بالنسبة إلى الخلق خلاف طريقهم وقربهم بالنسبة إليه ، لأن طريقه وقربه من حيث الوجود والاحاطة والمعية التي لا تفاوت فيها بالنسبة إلى الجميع أصلاً كقرب المداد مثلاً بالنسبة إلى حروف الكتاب وطريقهم وقربهم من حيث الظهورات الأسمائية والاستعدادات الذاتية التي هم فيها مختلفون وإن كان مصير الكل إليه سبحانه لعدم تقيده عز وجل باسم دون اسم كما قال سبحانه : ﴿وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله المصير﴾ (٢) .

فهو سبحانه قريب منهم جميعاً غاية القرب دائماً ، ﴿وإذا سألك عبادي عني فاني قريب﴾ (٣) ، وهو معهم أين ما كانوا ، على صراط مستقيم أبداً ، ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ (٤) ، ومع هذا فبعضهم بعيد عنه وبعضهم أبعد وأبعد إلى غاية البعد ، وعلى طرق يفرض بها إلى الشقاوة ، وذلك لأن قرب كل واحد منهم إليه سبحانه من جهة اسم معين هو مقيد به وهو بعيد عنه من جهة الأسماء الأخر لعدم تحققه بها وشعوره لها .

(١) الأقبال : ص ٤٨٣ ص ١٥ (٢) سورة الشورى : الآية ٥٢ - ٥٣ - (٣) سورة البقرة : الآية ١٨٦

(٤) سورة هود : الآية ٥٦

حافظ

اگر بزلف دراز تو دست ما نرسد گناه بخت پریشان و دست کوتاه ماست

ومثل ذلك كمثل الأعمى والأصم يكون مطاوبه حاضراً لديه وهو لا يشعر به ، ويكون في طلبه فهو بعيد من مطلوبه وإن كان مطلوبه في غاية القرب . حافظ

با رب بکه شاید گفت این نکته که در عالم رخساره بکس ننمود آن شاهد هر جایی
دیشب گله زلفش با باد همی گفتم گفتا غلطي بگذر زین فکرت سودائی
صد باد صبا اینجا با سلسله میر قصند اینست حریر ایدل تا باده نه پیمائی

واستقامة صراط كل احد عبارة عن رجوعه إلى الاسم الذي بدأ منه وذلك الاسم هو الذي يريه ويهديه وصراطه مستقيم بالنظر إلى كماله الذي هو منتهى سيره واللايق بحاله وإن لم يكن مستقيماً بالنظر إلى الوصول وإلى سعاده التي هي الفوز بالنجاة والظفر بالدرجات .

اگر از ناهمواری زمین در سایه کجی بینی آن کجی را عین استقامت سایه دان ، وهمچنین راستی ابرو و کمان در کجی است .

(مصراع) ابروی تو کج است بود کج باشد

از کجی راستی کمان آید چرا که راستی ابرو و کمان عبارت از هیئت است که میباید بر آن باشند تا ابرو و کمان باشد و شک نیست که ایمنی در کجی ایشان راست میآید و همچنین است استقامت و راستی حقیقت و بودن آن بر طریق مستقیم آنست که ظهور آن در قوایل بحسب اقتضای قابلیت ایشان باشد پس اگر چنانکه قابل تقاضای آن کند که حقیقت در آن با اسم مضمحل ظاهر شود ظهور وی بطریق استقامت خواهد بود که اگر بفرض محال با اسم هادی ظاهر شود آن حقیقت در آن مظهر بر طریق مستقیم نخواهد بود .

قال مولينا الباقر (ع) : (إن الله الحليم العليم إنما غضبه على من لم يقبل منه رضاه ، وإنما يمنع من لم يقبل منه عطاءه ، وإنما يضل من لم يقبل منه هدايه) (۱)
طیب عشق مسیحا دمست و مشفق لیک ^{حافظ} چو درد در تو نبیند که را دوا بکند

(۱) الکافی ج ۸ ص ۵۲ .

كلمة

بها ينكشف سر المحو والاثبات واسناد التردد والبداء الى الله تعالى في الروايات .

قد عرفت معنى القضاء والقدر فاعلم أن محل القضاء عالم العقول والأرواح ويسمى باللوح المحفوظ ، لأنه محفوظ عن التغير ، وأم الكتاب لاحاطته بالاشياء اجمالاً ، ومحل القدر عالم النفوس والاشباح ويسمى النفس الكلية الفلكية بالكتاب المبين لظهور الاشياء فيها تفصيلاً ، والنفس المنطبعة في الجسم الفلكي بكتاب المحو والاثبات لوقوعهما فيها .

قال الله تعالى : ﴿يُمحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) وقال عزَّ وجلَّ ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ آتَيْنَا خَزَائِنَهُ﴾^(٢) اي ما في العقول والأرواح وما ننزله إلا بقدر معلوم أي الى النفوس والاشباح ، وذلك لأن النفوس المنطبعة الفلكية وقواها. التي هي بمنزلة الخيال فينا لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الامور دفعة واحدة ، لعدم تناهيتها بل انما ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً وجملة فجملة مع اسبابها وعللها على نهج مستمر ونظام مستقر .

فما يحدث في عالم الكون والفساد إنما هو من لوازم حركات الأفلاك ونتائج بركاتها باذن الله عزَّ سلطانه فهي تعلم أنه كلما كان كذا كان كذا فمهما حصل لها العلم باسباب حدوث أمر ما في هذا العالم حكمت بوقوعه فيه فينتقش فيها ذلك الحكم وربما تأخر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما توجهه بقية الاسباب لولا ذلك السبب ولم يحصل لها العلم بذلك السبب بعد لعدم اطلاعها على سبب ذلك السبب ثم لما جاء اوانه واطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأول فيمحي عنها نقش الحكم السابق ويثبت حكم الآخر .

مثلاً لما حصل لها العلم بموت زيد بمرض كذا في ليلة كذا لأسباب يقتضي ذلك ولم يحصل لها العلم بتصدقه الذي يأتي به قبيل ذلك الوقت لعدم اطلاعها على أسباب التصدق بعد ثم علمت به وكان موته بتلك الاسباب مشروطاً بان لا يتصدق فيحكم أولاً بالموت وثانياً بالبرء ، وذلك لأن شأن النفوس أن يكون توجهها إلى بعض المعلومات واشتغالها به يذهلها عن البعض الآخر .

ثم إذا كانت الأسباب لوقوع الأمر ولا وقوعه متكافية ولم يحصل لها العلم برجحان أحدهما بعد لعدم مجيء أوان سبب ذلك الرجحان بعد كان لها التردد في وقوع ذلك الأمر ولا

(١) سورة الرعد : الآية ٣٩ . (٢) سورة الحجر : الآية ٢١

وقوعه فينتقش فيها الوقوع تارة واللاوقوع اخرى فهذا هو السبب في المحو والاثبات والتردد والحكمة فيها .

ثم لما كانت أفعال الملائكة المسخرين وإراداتهم مستهلكة في فعله سبحانه وإرادته إذلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ومكتوبهم مكتوب الله عز وجل بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأول ، جاز أن يوصف الله سبحانه بالبداء وكل ما يشعر بالتغيير والسنوح^(١) مع تقدسه سبحانه وتنزهه عن ذلك وقد مرّ نظيره في وصفه عز وجل بالأسف والمحاربة ونحوهما .

وقد ورد في الحديث القدسي : (ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددني في قبض روح عبدي المؤمن ، يكره الموت واكره مساءته له)^(٢) مع ان الله عز وجل قد قضى عليه الموت قضاء حتما كما قال عز وجل : ﴿ثُمَّ قُضِيَ أَجَلًا ، وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾^(٣) وقال : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٤) .

قال بعض أهل المعرفة ومن هذه الحقيقة الالهية التي كني عنها بالتردد انبعث الترددات الكونية والتحير في النفوس وذلك إنا قد نتردد في فعل أمر ما هل نفعل أم لا وما زلنا نتردد حتى يكون أحد الأمور المتردد فيها فذلك الامر الواقع هو الثابت في اللوح من تلك الأمور .

وذلك أن القلم الكاتب في اللوح القدري يكتب أمراً ما وزمان الخاطر ثم يمحوه فيزيل ذلك الخاطر لأن من هذا اللوح إلى النفوس دقائق ممتدة إليها تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فإذا صار الامر ممحواً كتب غيره فيمتد منه رقيقة إلى نفس هذا الشخص الذي كتب هذا من أجله فيخطر له نقيض الخاطر الأول وهكذا إلى أن أراد الحق اثباته فلم يمحه فيفعله الشخص أو يتركه حسب ما ثبت في اللوح والموكل بالمحو ملك كريم والاملاء عليه من الصفة الالهية ، ولو لم يكن الامر كذلك لكانت الامور كلها حتما مقضياً وهذا شان الأقلام القدرية .

وأما القلم الأعلى فاثبت في اللوح المحفوظ صورة كل شيء يجري من هذه الأقلام من محو واثبات ففيه اثبات المحو ومحو المحو ومحو الاثبات على وجه أرفع فصورته مقدسة عن المحو والتغيير ، لأن نسبة القلم الأعلى الى هذه الأقلام كنسبة قوانا العقلية إلى مشاعرنا الخيالية والحسية ، ونسبة اللوح المحفوظ إلى هذه الأرواح كنسبة الارادة الكلية لمطلوب نوعي إلى ارادة جزئية وقعت في طريق تحصيله في ضمن واحد منه .

(١) سنح سنوحاً الامر أو الرأي : عرض المنجد . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٧

(٣) سورة الانعام : الآية ٢ (٤) سورة الاعراف : الآية ٣٤

وعن الباقر (ع) أنه قال: (العلم علمان: فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علمه ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فانه سيكون لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء ويثبت ما يشاء) (١).

وقال (ع): (ما عبد الله بشيء مثل البداء) (٢)، وفي رواية (ما عظم الله بمثل البداء) (٣)، وإنما لم يعبد الله ولم يعظم بمثل البداء لأن مدار استجابة الدعاء والرغبة إليه سبحانه والرهبة منه وتفويض الأمور إليه والتعلق بين الخوف والرجاء وأمثال ذلك من أركان العبودية عليه (٤).

المقالة السابعة

في حجة الله على خلقه ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ الحديد ٢٥.

كلمة

في بيان اضطرار الخلق الى الحجة وتفاوت درجات الحجج

عن الصادق (ع) (انه قال للزنديق الذي سأله من اين اثبت الأنبياء والرسل قال : لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسه فيباشروهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقائهم وفي تركه فنائهم .

فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جلّ وعزّ وهم الأنبياء وصفوته من خلقه ، حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم

(١) الكافي : ج ١ ص ١٤٧ ح ٦

(٢) التوحيد : ص ٣٣١ ح ١ والكافي : ج ١ ص ١٤٦ ح ١

(٣) التوحيد : ص ٣٣٣ ح ٢ والكافي : ج ١ ص ١٤٦ ح ١

(٤) الظاهر ان مسألة البداء كما قيل مما انفردت به الامامية (رض) وقد شنع عليهم بذلك كثير من المخالفين حتى ان الفخر الرازي في خاتمة المحصل نقلنا عن سليمان بن جرير نسب الى الائمة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين في ذلك منكرأ من القول وزوراً مع اتفاق الكل على عصمتهم وقد استهم سلام الله عليهم . ولعلمائنا الامامية رضوان الله عليهم كالصديق في التوحيد ، والعقائد ، والشيخ في العدة والشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد ، والسيد الداماد في نبراس الضياء ، والسيد المرتضى في جواب مسائل اهل الرأي ، وغيرهم في غيرها حول مسألة البداء مقالات لا يسع المقام لذكرها من أراد التفصيل فليرجع اليها .

في الخلق والتّركيب في شيء من أحوالهم ، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة .

ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرّسل والأنبياء من الدلائل والبراهين كيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته (١) ، وقد نبّه الله سبحانه في قصة آدم على نبيّنا وعليه السّلام على وجوب الحجة واصطفائه على الملائكة إذ قال تعالى :

﴿وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السّموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ (٢) وقال عزّ وجلّ : ﴿فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ (٣) .

وذلك لأنّه مظهر الأسماء كلّها بخلاف الملائكة وأنه المفيض للكلمات من اسم الله إلى ما سواه بل هو بعينه الاسم الجامع للأسماء كلّها ، لأنّه يدلّ على الله بظهوره في المظاهر كلّها دلالة الاسم على المسمى ، فان الدلالة كما تكون في الألفاظ كذلك تكون بالذّوات من غير فرق بينهما فيما يؤوّل إلى المعنى .

قال الصّادق (ع) (نحن والله الاسماء الحسنی التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفةنا) (٤) ، وذلك لأنّهم (عليهم السّلام) وسایل معرفة ذاته تعالى ووسایط ظهور صفاته سبحانه ، وإنما لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفتهم لأن العلم بكيفية العمل وبمن يعمل له إنما يؤخذ منهم فالحجّة كما أنه لا بد منه كذلك معرفته أيضاً لا بد منها .

قال النبي (ص) (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) (٥) ، ثمّ المستفاد من الأخبار المعصومية أن الحجّة إما نبي رسول يسمع الصّوت ويعاين الملك وقد ارسل إلى قوم ، وإما نبي يسمع الصوت ويرى في النّوم ولا يعاين في اليقظة ولم يبعث إلى أحد ، وربّما يكون عليهما إمام كما كان إبراهيم على لوط فان الامامة فوق النّبوة والرسالة وإما وصي نبي يحدثه

(١) الكافي : ج ١ ص ١٦٨ ح (٢) سورة البقرة : الآية ٣٠-٣٣ (٣) سورة ص : الآية ٧٢

(٤) الكافي : ج ١ ص ١٤٣ ح ٤٤ (٥) الدعائم : ج ١ ص ٢٧ وفيه « من مات لا يعرف امام دهره مات ميتة جاهلية »

الملك يسمع صوته ولا يراه ، وقد يكون إماما من دون ان يكون نبياً كأوصياء نبينا صلوات الله عليه وعليهم ، وبالجملة فهم متفاوتون في الفضل .

قال الله تعالى : ﴿تلك الرّسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾^(٣) والكل حجّة الله على عباده وامناؤه في بلاهه وداعيهم الى الله بمقاله وفعاله ومشاهدة أحواله ومن هو منهم إمام يأتون به في أقواله وأفعاله ، وهو أولى بهم من أنفسهم لأنّه وليهم ومولاهم والشهيد عليهم في عقابهم حاكم بينهم يحكم بالحق فيما اختلفوا فيه وأمير عليهم يكونون تحت أوامره ونواهيهم ويتيقنون بالرجوع إليه ما شكوا فيه كما جعل الله تعالى لحواس الانسان قلبا لتكون مسخرة تحت أمره ونهيهِ وتردّ إليه ما شكّت فيه .

والحجة بمنزلة روح العالم والعالم جسده فكما أنّ الرّوح إنّما يدبّر الجسد ويتصرّف فيه بما يكون له القوى الروحانية والجسمانية كذلك الحجة يدبّر العالم ويتصرّف فيه باذن الله بواسطة الأسماء الإلهية التي أودعها فيه وعلمها إياه وركبها في فطرته ، فانها منه بمنزلة القوى من الرّوح ، ولهذا تخرب الدّار الدنيا بانتقال الحجة عنها كما أنّ الجسد يبلى ويفنى بمفارقة الرّوح عنه .

قال النبي (ص) (النجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهبّت النجوم ذهب أهل السّماء ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض)^(١) . وقال أمير المؤمنين (ع) : (لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إما ظاهر مشهور وإما خائف مغمور)^(٢) . وقال السّجاد (ع) : (لولا ما في الأرض منّا لساخت^(٣) بأهلها)^(٤) ، وقال الباقر (ع) (لو أنّ الأمام رفع من الارض ساعة لماجت^(٥) بأهلها كما يموج البحر بأهله)^(٦) ، ومثله عن الصادق والكاظم والرّضا (ع) ، فالحجة هي الغاية القصوى من وجود العالم والمقصد الأقصى عن خلقه بني آدم غرض توتي ز وجود همه جهان ورنه لما تكوّن في الكون كائن لولاك

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٥٣

(١) امالي الطوسي : ص ٣٨٨ والاكمال : ص ١٩٩ ونور الثقلين : ج ٣ ص ٤٦

(٢) نهج البلاغة : ص ٤٩٧ حكمة ١٤٧ (٣) ساخت الارض بهم سوخا أي خسفت . ق .

(٤) الاحتجاج : ج ٢ ص ٤٨ (٥) ماج البحر يموج موجاً اضطربت أمواجه . م .

(٦) الكافي : ج ١ ص ١٧٩ ح ١٢

ولهذا تواصلت الحجج نبين ووصيتين من زمان أبينا آدم على نبينا وعليه السلام إلى زمان قائمنا (ع) من دون فترة وانقطاع بنص كل سابق على لاحقه باخبار من الله سبحانه منهم من ظهر ومنهم من استخفى كما ورد عنهم (ع) في أخبار كثيرة .

كلمة

فيها إشارة الى كيفية حصول الوحي وغيره من انواع العلم في قلوب اهلبيها

إن حقايق الاشياء كلها مسطورة في اللوح المحفوظ ، وإنما تفيض على قلوبنا من ذلك العالم بواسطة القلم العقلي الكاتب في ألواح نفوسنا كما قال عز وجل ﴿اولئك كتب في قلوبهم الايمان﴾^(٧) وقال سبحانه : ﴿علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم﴾^(٨) .

وقلب الانسان صالح لأن ينتقش فيه العلوم كلها وهو كمرآة مستعدة لأن يتجلى فيه حقيقة الحق في الامور كلها من اللوح المحفوظ ، وإنما خلى عما خلى عنه من العلوم إما لنقصان ذاته كقلب الصبي وهو يشبه نقصان صورة المرآة كجوهر الحديد قبل أن يصقل ، أو لكثرة المعاصي والخبث الذي تراكم عليه من كثرة الشهوات المانعة من صفائه وجلائه ، وهذا يشبه خبث^(١) المرآة وصدائها .

أو لعدوله عن جهة الحقيقة المطلوبة لاستيعاب همته بتهيئة أسباب المعيشة وتفضيل الاعمال البدنية المانعة من التأمل في الحضرة الربوبية والحقايق الحقّة الالهية ، فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه وهذا يشبه كون المرآة معدولا بها عن جهة الصورة .

أو لحجاب بينه وبين المطلوب من اعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن ، فان ذلك يحول بينه وبين حقايق الحق ويمنع أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد ، وهذا يشبه الحجاب المرسل بين المرآة وبين الصورة المطلوب رؤيتها .

أو لجهل بالجهة التي يقع فيها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم المطلوب إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا ذكرها وربتها في نفسه ترتيباً مخصوصاً حصل له المطلوب فإذا لم يكن عنده العلوم المناسبة لذلك لم يحصل له

(٧) سورة المجادلة : الآية ٢٢ (٨) سورة العلق : الآية ٤ - ٥

(١) الخبث من الحديد ونحوه وسخه وصدى الحديد صدهاً اذا علاه الجرب .

المطلوب ، وهذا يشبه الجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة ، فهذه هي الاسباب المانعة لادراك الحقائق .

ثم إن العلوم التي ليست ضرورية إنما تحصل في القلب تارة بالاكتساب بطريق الاستدلال والتعلم ، ويسمى اعتباراً واستبصاراً ويختص بالعلماء والحكماء ، وتارة بهجومه على القلب كأنه القي فيه من حيث لا يدري سواء كان عقيب طلب وشوق اولا وسواء كان مع الاطلاع على السبب الذي استفيد ذلك العلم أولاً .

فانه قد يكون بمشاهدة الملك الملقى في القلب وسماع حديثه ، وقد يكون بمجرد السماع من غير مشاهدة ، وقد يكون بنفته في الروح من غير سماع ينكت^(١) في القلب نكتاً أو يلهم الهاماً ، وقد يكون ذلك الهجوم في النوم كما يكون في اليقظة والمشاهدة تختص بالانبياء والرسل وخصّ باسم الوحي عرفاً ، وقد يكون لغيرهم .

وكما أن الحجاب بين المرأة والصورة يزال تارة بتعمل اليد المتصرفة ، وتارة لهبوب ريح تحركه فكذلك استفادة العلوم بالقلم الالهي للانسان قد تكون بقوة فكرته المتصرفة في تجريد الصور عن الغواشي^(٢) والانتقال من بعضها الى بعض ، وقد تهب رياح اللطاف الالهية فيكشف الحجب والغواشي عن عين بصيرته فيتجلى فيها بعض ما هو مثبت في اللوح الاعلى .

فيكون تارة عند المنام ، فيظهر ما سيكون في المستقبل وتارة بتقشع الحجاب بلطف خفي من الله فينمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرايب أسرار الملكوت في اليقظة فربما يدوم وربما يكون كالبرق الخاطف ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام وحديث الملك الاكتساب في العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه في طريقة زوال الحجاب وجهته ولم يفارق الوحي الالهام والحديث في شيء من ذلك بل في شدة الوضوح والتورية ومشاهدة الملك المفيد للعلم .

والكل مشتركة في أنها بواسطة الملك الذي هو القلم كما قال عز وجل : ﴿علم بالقلم﴾^(٣) ولعله اشير إلى هذه المراتب الثلاث في قوله سبحانه : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾^(٤) .

(١) في الحديث : اذا أراد الله بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور . النكتة في الشيء كالنقطة . م .
(٢) جمع الغاشية : والغاشية كل ما يغطي الشيء . (٣) سورة العلق : الآية ٤ (٤) سورة الشورى : الآية ٥١

قال بعض العلماء السرّ في اطلاع النبيّ على الملك الموحى دون غيره أنه لما صقل روحه بصقالة العقل للعبودية التامة وزالت عنه غشاوة الطبيعة ورين^(١) المعصية بالكلية وكانت نفسه قدسية شديدة القوى قوية الانارة لما تحتها لم يشغلها جهة فوقها عن جهة تحتها فتضبط الطرفين وتسع الجانبين ولا يستغرقها حسّها الباطن عن حسّها الظاهر .

فاذا توجهت إلى الافق الاعلى وتلقت أنوار المعلومات بلا تعليم بشريّ من الله يتعدى تأثيرها إلى قوبها ويمثل صورة ما يشاهده لروحها البشري ومنها إلى ظاهر الكون فتمثل للحواس الظاهرة سيّما السّمع والبصر لكونهما أشرف الحواس الظاهرة والطفها فيرى شخصاً محسوساً ويسمع كلاماً منظوماً في غاية الجودة والفصاحة أو يرى صحيفة مكتوبة .

فالشخص هو الملك النازل الحامل للوحي الالهي ، والكلام هو كلام الله والكتاب كتابه وقد نزل كلّ منها من عالم الامر القولي القضائي وذاته الحقيقيّة وصورته الأصلية إلى عالم الخلق الكتابي القدري في أحسن صورته وأجمل كسوة كتمثل جبرئيل (ع) لنبيّنا (ص) في صورة دحية بن الخليفة الكلبي الذي كان أجمل أهل زمانه .

ويقال ما رآه في صورته الحقيقيّة الأمرتين وذلك أنه (ص) سأله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء^(٢) فطلع له جبرئيل (ع) فسدّ الأفق من المشرق الى المغرب ، وفي رواية كان له ستمائة جناح ، ورآه مرّة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى .

كلمة

فيها اشارة الى سادة الانبياء والاوصياء واصول الشرايع

عن الصادق (ع) (سادة النبيين والمرسلين خمسة : وهم اولو العزم من الرّسل وعليهم دارت الرّحى : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمّد صلوات الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء)^(٣) .

وفي رواية (قيل : كيف صاروا اولو العزم ؟ قال : لأن نوحاً بعث بكتاب وشريعة وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه حتى جاء إبراهيم بالصحف وبعزيمة ترك كتاب

(١) الرين صدأ يعلو الشيء الجليل قال : بل ران على قلوبهم ، اي صار ذلك كصداء على جلاء قلوبهم فعمى عليهم معرفة الخير من الشر ، المفردات .

(٢) حراء بالكسر والمد : جبل بمكة . م . (٣) الكافي ج ١ ص ١٧٥ ح ٣

نوح لا كفراً به وكل نبي جاء بعد إبراهيم أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصّحف حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف ، وكل نبي جاء بعد موسى (ع) أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه حتى جاء المسيح (ع) بالانجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى (ع) ومنهاجه ، فكل نبي جاء بعد المسيح (ع) أخذ بشريعته ومنهاجه حتى جاء محمّد (ص) بالقرآن وبشريعته ومنهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة فهؤلاء اولو العزم من الرّسل (ع) (١).

وفيه عنه (ع) قال : (إن الله أعطى محمّداً (ص) شرايع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى التوحيد والاخلاص وخلع الانداد^(٢) والفترة الحنفيّة السمحة ولا رهبانية ولا سياحة ، أحلّ فيها الطيبات وحرم فيها الخبائث ووضع عنهم إصرهم^(٣) والاغلال التي كانت عليهم ثم افترض عليه فيها الصّلاة والزكاة والصّيام والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والموارث والحدود والفرايض والجهاد في سبيل الله وزيادة الوضوء ، وفضله بفاتحة الكتاب وبخواتيم سورة البقرة ، والمفصل وأحلّ له المغنم والفيء ونصره بالرّعب وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً وأرسله كافة إلى الابيض والاسود والجنّ والانس وأعطاه الجزية واسر المشركين وفداهم ، ثم كلف ما لم يكلف أحد من الأنبياء وانزل عليه سيف من السماء من غير غمد ، وقيل له قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) (٤).

وفيه عنه (ع) قال : ان الله أدب نبيه فاحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال : ﴿إنك لعلی

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٧ ح ٢

(٢) نديد الشيء مشاركة في جوهره وذلك ضرب من المماثلة فان المثل يقال في اي مشاركة كانت فكل ند، مثل وليس كل مثل ندأ ويقال نده ونديده ونديدته قال : فلا تجعلوا لله أنداداً . المفردات .

(٣) الاصر عقد الشيء وجسه بقدره قال تعالى : ويضع عنهم اصرهم اي الامور التي تشبطهم وتقيدهم عن الخيرات . وعن الوصول الى الثوابات كذا في المفردات وقال في مجمع البحرين : هو مثل لثقل تكليفهم نحو قتل النفس في التوبة وكذلك الاغلال وقال في مجمع البيان : اصرهم اي ثقلهم شبه ما كان على بني اسرائيل من التكليف الشديد بالثقل وذلك ان الله سبحانه جعل توبتهم ان يقتل بعضهم بعضاً وجعل توبة هذه الامة الندم بالقلب حرمة للنبي (ص) عن الحسن وقال في تفسير الاغلال : معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعناق للزومها كما يقال : هذا طوق في عنقك وقيل : يريد بالاغلال التي تكون في ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة وقرض ما يصيبه البول من اجسادهم وما اشبه ذلك « الخ »

(٤) الكافي : ج ٢ ص ١٧ ح ١

خلق عظيم ﴿^(١)﴾ ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس ^(٢) عبادته فقال تعالى : ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ^(٣) وأن رسول الله (ص) كان مسدداً موفّقاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطيء في شيء مما يسوس به الخلق ، فتأدّب بآداب الله ^(٤) .

ثم ذكر (ع) (ما سن رسول الله (ص) وأضاف إلى الشرايع وما حرم الله وما عاف وكره ثم رخص فيه قال فأجازته الله ذلك كله فوافق أمر رسول الله (ص) أمر الله ، ونهيه نهي الله ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله ^(٥) ، وزاد في رواية (فما فوض إلى رسول الله فقد فوّضه اليها) ^(٦)

ستارة بدر خشيد وماء مجلس شد دل رميده ما را أنيس ومونس شد
نگار من كه بمكتب نرفت وخط ننوشت بغمزة مسئله آموز صد مدرس شد

وفيه عنه (ع) (قال : ما جاء به علي (ع) اخذ به وما نهى عنه انتهى عنه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد (ص) ، ولمحمد (ص) الفضل على جميع ما خلق الله المتعقب عليه في شيء من احكامه كالتعقب على الله وعلى رسوله ، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله .

كان أمير المؤمنين (ع) باب الله الذي لا يؤتى إلا منه ، وسيله الذي من سلك بغيره يهلك ، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الارض أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى .

وكان أمير المؤمنين (ع) كثيراً ما يقول : أنا قسيم الله بين الجنة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم ولقد اقترت لي جميع الملائكة والروح والرسول بمثل ما أقروا به لمحمد (ص) ، ولقد حملت مثل حملته وهي حمولة الرّب وأن رسول الله (ص) يدعى فيكسى وادعى فاكسى ، ويستنطق فينطق واستنطق فانطق على حدّ منطقه ، ولقد اعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي ، علمت المنايا والبلايا والانساب وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني ابشر باذن الله واؤدي عنه كل ذلك من الله ، مكنتي فيد بعلمه ^(٧)

(١) سورة القلم : الآية ٤ (٢) ساس يسوس سياسة القوم : دبرهم وتولى أمرهم وسست الرعية سياسة أمرتها ونهيتها
(٣) سورة الحشر : الآية ٧ (٤) الكافي : ج ١ ص ٢٦٦ ح ٤
(٥) الكافي : ج ١ ص ٢٦٦ ذيل ح ٤ ، بالمعنى ، (٦) الكافي : ج ١ ص ٢٦٥ ذيل ح ٢ (٧) الكافي : ج ١ ص ١٩٦ ح ٥

أقول : « المتعقب » الطاعن والمعترض وإنما كان علي (ع) قسيم الله بين الجنة والنار لأن حبه موجب للجنة وبغضه موجب للنار ، وفيه ينقسم الفريقان وبه يتفرقان كذا ورد عنهم (ع) (١) .

وإنما كان الفاروق الأكبر لانه به يفرق بين الحق والباطل وأهليهما « والعصا » عصا موسى (ع) التي صارت إليه من شعيب (ع) وإلى شعيب من آدم (ع) يعني هي عندي اقدر بها على ما قدر عليه موسى (ع) « والميسم » بالكسر المكواة (٢) لما كان بحبه وبغضه (ع) يتميز المؤمن عن المنافق فكأنه كان يسم على جبين المنافق بكفي النفاق .

« والحمولة » بالضم الاحمال يعني كلفني الله ربي مثل ما كلف محمد (ص) من أعباء التبليغ والهداية ، « وهي حمولة الرب » اي الاحمال التي وردت من الله سبحانه لتربية الناس وتكميلهم .

والدعوة (٣) يشبه أن يكون كناية عن الأمر بالاقبال الذي مرّ بياناه في حديث العقل والجهل ، وهو السير إلى الله في سلسلة العود ، والكسوة (٤) كناية عن تغشيهما بنور الجبار وغفران انيتهما في الجليل الغفار ، واضمحلال وجودهما في الواحد القهار كما ورد في الحديث النبوي (ص) (علي ممسوس في ذات الله) . شعر

زبس بستم خيال تو تو كوشتم پای تا سرمن
تو آمد رفته رفته رفت من آهسته آهسته
قال بعض العارفين إذا تجلى الله سبحانه بذاته لاحد يرى كل الذوات والصفات والافعال متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله يجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنها مدبرة لها وهي

(٢) روى الشيخ الصدوق بإسناده المتصل عن المفضل بن عمر قال : قلت لابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) : بما صار علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار ؟ قال (ع) لان حبه ايمان وبغضه كفر وانما خلقت الجنة لاهل الايمان وخلقت النار لاهل الكفر فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة ، والجنة لا يدخلها الا اهل محيته ، والنار لا يدخلها الا اهل بغضه (الخ) رواه المصنف في علم اليقين عن كتاب علل الشرايع ؛ قال ابن أبي الحديد :

والله لولا حيدر ما كانت الدنيا ولا جمع البرية مجمع
واليه في يوم المعاد حسابنا وهو الملاذ لنا غداً والمفزع
(٢) المكواة : حديدة يكوى بها : ميسم تؤسم به الغنم . المنجد .

(٣) في قوله « ع » في الرواية المذكورة (٤) وان رسول الله (ص) يدعى فيكسى وادعى فاكسى

أعضائها لا يلم^(١) بواحد منها شيء الا ويراه ملما به ويرى ذاته الذات الواحدة وصفته صفتها وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد وليس للانسان وراء هذه الرتبة مقام في التوحيد .

ولما انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة ، وارتفع التمييز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق . شعر

عشق بگرفت مرا از من وبنشت بجای سیتاتم ستندد وحسناتم دادند
وقد مضى كلام آخر في هذا المعنى في الرابعة من الرابعة ، ولعل هذا هو السر في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين (ع) في خطبة البيان وفي خطبته الموسومة بالطنجية وغيرهما من نظائرها .

كقوله (ع) : (أنا آدم الأول أنا نوح الأول أنا آية الجبار أنا حقيقة الأسرار أنا مورك الأشجار أنا مونغ^(٢) الثمار أنا مجري الانهار « إلى أن قال » أنا ذلك النور الذي اقتبس موسى منه الهدى أنا صاحب الصرر أنا مخرج من القبور أنا صاحب يوم النشور أنا صاحب نوح ومنجيه أنا صاحب أيوب المبتلى وشافيه أنا اقامت السموات بامر ربي) إلى آخر ما قال من امثال ذلك صلوات الله وسلامه عليه

حافظ

الا اي طوطى گوياي اسرار
سرت سبزودلت خوش بادوجا ويد
سخن سربسته گفتی با حریقان
بروی مازن از ساغر گلابی
خرد هر چند نقد کاینانست
سکندر را نمی بخشند آبی
بیا و حال اهل دود بشنو
مبادا خالیت شکر ز منقار
که خوش نقشی نمودی از رخ یار
خدا رازین معما نکتہ بردار
که خواب آلوده ایم ای بخت بیدار
چه سنجد پیش عشق کیمیا کار
بزور وزر میسر نیست این کار
بلفظ اندک ومعنی بسیار

(١) لم لما الشيء : جمعه وضمه .

(٢) اینع الثمر یونع وینع الثمر کمنع وضرب اذا أدرك ونضح وحنان قطافه . م .

كلمة

فيها إشارة الى ان افضل الخلايق « الانبياء خ » نبينا (ص) ثم اوصياؤه الاثنى عشر سلام الله عليهم

قال (ص) : (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر)^(١) ، وقال (ص) (آدم ومن دونه تحت لوائي)^(٢) لا واسطة بينه وبين الله عز وجل كما قال (ص) (أوّل ما خلق الله نوري أو روجي)^(٣) ، وقد خاطبه الله سبحانه بقوله : (لولاك لما خلقت الأفلاك)^(٤) .

عن الكاظم (ع) قال : (لن يبعث الله رسولا إلا بنبوة محمّد (ص) ووصية علي (ع))^(٥) وعن الباقر (ع) (إن في السماء لسبعين صفّا من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كلّ صنف منهم ما أحصوهم ، وأنهم ليدينون بولايتنا)^(٦) .

وعن الصادق (ع) قال : (ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا ويفضلنا على من سوانا)^(٧) وعنه (ع) (نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله ، ونحن وديعة الله في عباده ، ونحن حرم الله الأكبر ، ونحن ذمة الله ، ونحن عهد الله ، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله ، ومن خفّرها فقد خفّر^(٨) ذمة الله)^(٩) ، وفي رواية (بعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله)^(١٠) .

وذكر اخبار بسيار وارد شده كه ايشان بعد از پيغمبر (ص) افضل خلايق واكمل خلايقتند خصوصاً أمير المؤمنين وسيّد الموحدين ومطلوب الكاملين ويعسوب^(١١) الواصلين ، خورشيد سپهر امامت وسلطان سرير كرامت ، واقف معارج لاهوت عارف مدارج ناسوت ، منبع عيون

(١) امالي الصدوق : ص ١٥٧ (٢) العوالي : ج ٤ ص ١٢١ ح ١٩٨ (٣) العوالي : ج ٤ ص ٩٩ ح ١٤٠

(٤) الامثال النبوية : ج ١ ص ١٧٩ (٥) الكافي : ج ١ ص ٤٣٧ ح ٦ (٦) الكافي : ج ١ ص ٤٣٧ ح ٥ وبصائر الدرجات : ص ٨٧ ح ١ (٧) الكافي : ج ١ ص ٤٣٧ ح ٤

(٨) اخفرت الرجل وخفّرتة : اذا نقضت عهده وغدرت به والخفارة بالكسر والضم : الذمام والعهد ومنه الخبر : من صلى الغداة فانه في ذمة الله فلا يخفرون الله في ذمته ، أي فلا ينقضن عهده وذمامه . م .

(٩) الكافي : ج ١ ص ٢٢١ ح ٣ (١٠) الكافي : ج ١ ص ١٤٤ ح ٥

(١١) وفي حديث علي (ع) : كنت للمؤمنين يعسوباً يعسوباً : امير النحل وكبيرهم وسيدهم تضرب به الامثال ، لانه اذا خرج من كوره تبعه النحل بأجمعه والمعنى يلوذون بي كما تلوذ النحل ببعسوبها وهو مقدمها وسيدها .

مشاهده مجمع فنون مجاهده ، ومظهر انوار فتوت مصدر آثار مروت ، فاتحة كتاب ولايت خاتمه مصحف وصايت ، مركز دائره سيادت قطب فلك سعادت ، شمع لكن فصاحت سرو جمن صباحت قاضي محكمه قضا وقدر صاحب راز سيد البشر آئينه اسماء وصفات الهي لايق مرتبه خلافت وباد شاهي ، منصوص بنص من كنت مولاه فعلي مولاه مخصوص بفض ما انتجته ولكن الله اجتبه ، سلام الله عليه وعلى من انتسب في المعرفة اليه .

حافظ

توئي آن كوهر باكيزه كه در عالم قدس ذكر خير تو بود حاصل تسبيح ملك روى ابن المغازلي الشافعي (عن سليمان رضي الله عنه قال سمعت حبيبي المصطفى (ص) يقول : كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل ، مطيعاً يسبح الله ذلك النور ويقدمه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم يزل في شيء واحد حتى افرقنا في صلب عبد المطلب فجزء أنا وجزء علي (١) ، ونحوه روى أحمد بن حنبل في مسنده ، وابن أبي ليلى في كتاب الفردوس .

عن ابن خالويه يرفعه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : (سمعت رسول الله (ص) يقول : إن الله عز وجل خلقتي وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين من نور واحد ، فعصر ذلك النور عصرة فخرج شيعتنا فسبحنا فسبحوا وقدسنا فقدسوا وهللنا فهللوا ومجدنا فمجدوا ووحدنا فوحدوا ، ثم خلق الله السماوات والارض وخلق الملائكة مائة عام لا يعرف تسبيحاً ولا تقديساً فسبحنا فسبح شيعتنا فسبحت الملائكة (٢) ، وكذلك في اليواقي .

(فنحن الموحدون حيث لا موحد غيرنا وحقيق على الله عز وجل كما اختصنا وشيعتنا أن يزلفنا وشيعتنا في أعلى عليين إن الله اصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل أن نكون أجساماً ، فدعانا فاجبناه فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر الله عز وجل (٣) ولي في هذا المعنى بلسانهم .

فيض

پيشتر ز افلاك شور عشق در سر داشتيم
پيشتر ز املاك تسبيح تو از بر داشتيم
پيش از آن كز مشرق هستي بر آيد مهرومه
بر كمر از شمس مهر تو زيور داشتيم
پيش از ناهيد در بزم تو مطرب بوده ام
پيش از اين بهرام بهر ديو خنجر داشتيم
كي زكيوان بودوا زير جيس واز بهرام نام
كز جوارت تخت واز قرب تو افسر داشتيم

(١) المناقب للمغازلي ، ص ٨٧ ح ١٣٠ وعن كفاية الطالب : ص ١٧٦

(٢) جامع الأخبار : ص ١١

(٣) جامع الأخبار : ص ١٢ .

پیشتر از سروتیر و خمامه تدبیر او حرف مهرش مینوشتم کلك و دفتر داشتم
 یاسناده إلى أبي الحسن الرضا عن أبيه عن آبائه (ع) قال : (قال رسول الله (ص) أنا سيد
 من خلق الله عز وجل ، وأنا خير من جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وحمالة العرش وجميع ملائكة
 الله المقربين وأنبياء الله المرسلين ، وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف وأنا وعليّ أبوا هذه
 الأمة ، من عرفنا فقد عرف الله ومن أنكرنا فقد أنكر الله ومن عليّ سبطا أمّتي سيّدا شباب أهل
 الجنّة الحسن والحسين ، ومن ولد الحسين أئمة تسعة طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي
 تاسعهم قائمهم ومهديهم)^(١) .

وفي رواية اخرى (والفضل لك بعدي يا علي وللأئمة من بعدك ، وإنّ الملائكة لخدامنا
 وخدام محبينا ، ثم قال بعد كلام : إنا الله خلق آدم وادعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له
 تعظيماً لنا واکراماً وكان لله عزّ وجلّ عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه ، فكيف لا نكون
 أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون)^(٢) .

حافظ
 ملك در سجده آدم زمین بوس تونیت کرد که در طور توجیزی یافت بیش از حدانسانی
 وعنه (ص) أنه قال : (يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا الحوا ، ولا الجنّة ولا النار ،
 ولا الارض ولا السماء)^(٣) .

وعن الصادق (ع) قال : (إن الله خلقنا من نور عظمته ثم صور خلقنا من طينة مخزونة
 مكنونة من تحت العرش ، فاسكن ذلك النور فيه ، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيّين لم يجعل
 لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا ، وأبدانهم من طينة مخزونة
 أسفل من تلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم نصيباً إلا الأنبياء والمرسلين ،
 ولذلك صرنا نحن وهم الناس وسائر الناس همجاً للنار)^(٤) .

والأخبار في كراماتهم (ع) من الأخبار بالضمائر والمغيبات والمعرفة بمنطق الطير وجميع
 اللغات ، وإبراء أصحاب الأمراض المزمنة دفعةً ، وإحياء الأموات وسائر المعجزات وخوارق
 العادات تتجاوز عن حد الحصر والاحصاء ، وهي مذكورة في كتب العامة والخاصة
 وتصانيفهما ، مثل مناقب ابن أبي طلحة ، ودلائل الحميري ؛ وخرايج الراوندي وغيرها .

(١) اكمال الدين : ص ٢٦١ ح ٧ (٢) اكمال الدين : ص ٢٥٥ ذيل ح ٤

(٣) اكمال الدين : ص ٢٥٤ ح ٤ (٤) بصائر الدرجات : ص ٤٠ ح ٣ .

وعن الصادق (ع) قال : (اجعلوا لنا ربا نؤب اليه ثم قولوا في فضلنا ما شئتم)^(١) .

وعن أمير المؤمنين (ع) قال : (نزلونا عن الربوبية ثم قولوا في فضلنا ما شئتم ، فان البحر لا ينزف^(٢) وسر الغيب لا يعرف وكلمة الله لا توصف) وقال (ع) : (نحن أسرار الله المودعة في الهياكل البشرية) .

وروي (أنه وجد بخط مولينا أبي محمّد العسكري (ع) ما صورته : قد سعدنا ذرى الحقايق بأقدام النبوة والولاية ، ونورنا سابع طبقات أعلام الفتوى بالهداية فنحن ليوث الوغى وغيوث الندى وطعنا العدى ، وفينا السيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد في الأجل وأسباطنا خلفاء الدين وخلفاء النبيين ، ومصابيح الأمم ومفاتيح الكرم ، فالكليم البس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء وروح القدس في جنان الصاغورة ذاق من حدائقنا الباكورة^(٣) ، وشيعتنا الفئة الناجية والفرقة الزاكية ، صاروا لنا ردةً وصوناً وعلى الظلمة البأوعوناً ، وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران ، لتمام الم وطه والطواسين^(٤) ، وهذا الكتاب ذرة من جبل الرحمة وقطرة من بحر الحكمة وكتب الحسن بن علي (ع) في سنة أربع وخمسين ومأتين^(٥) .

فيض

بهشت ديدہ آمد روی ایشان
شود مشکین نسیم صبح گاهی
چہ خضرت کوسر آب حیا است
بگفتاری از ایشان خوش دلم من
دماغ آسوده دارد بوی ایشان
گر آمیزد بخاک کوی ایشان
بخوریک شربت آب از جوی ایشان
خوشا ایشان وگفت وگوی ایشان

كلمة

بها يتبين ان الحججة بماذا يعرف

أما للخواص فيعرف بالعليم والمعرفة بما يحتاج إليه الناس والجواب عن مسائلهم

(٥) بصائر الدرجات : ص ٥٢٧ ح ٨ .

(٦) نزلت ماء البئر اذا نزلته كله ومنه قول بعضهم : ان في رأسي كلاماً لاتنزفه الدلاء أي لا تفنيه م .

(٢) الباكورة اول ما يدرك من الفاكهة . أول كل شيء المنجد . (٣) المحجة : ج ١ ص ١٩٨ .

(٤) هذه الرواية رواها المصنف (قده) في علم اليقين أيضاً . ورواها العلامة المجلسي اعلى الله درجته بتفاوت يسير في الجزء السابع من البحار في باب جوامع مناقبهم وفضائلهم عليهم السلام عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان الحلبي تلميذ شيخنا الشهيد الاول « ره » وقوله : « وسينفجر لهم » في الرواية المذكور في البحار بعنوان النسخة والاصل فيه : وسيسفر لنا الخ .

على وفق مرادهم ، وبأقواله الحكيمة وأفعاله الكريمة ، وبأخلاقه الحميدة ومقاماته المشهودة وخصاله المحموده ، وأما للعوام فبالبيّنة والمعجزة ومع ذلك فالنص عليه من الله لا بد منه ، وذلك لأن صفاته وكمالاته أمور خفية لا يطلع عليه سوى الله سبحانه أو من أوحى الله عليه .

قال قائمتنا (ع) في قوله سبحانه : ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا﴾^(١) في كلام طويل : (فلما وجدنا اختيار من اصطفاه الله للنبوّة ، يعني موسى واقعا على الافسد دون الاصلح وهو يظن أنه الاصلح دون الافسد علمنا أن لا اختيار إلا لمن يعلم ما في الصدور وتكن الضماير)^(٢) ، الحديث ، وعن السجاد (ع) قال : الامام منا لا يكون إلا معصوماً^(٣) .

ولست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف ولذلك لا يكون إلا منصوفاً ، وما زعمته طائفة من الاغبياء تقليداً لشياطين الانس أو خداعاً منهم أن خلافة النبي (ص) ثبت باجماع الناس بلا نص من الله على لسان رسوله ، فبطلانه في غاية الوضوح إذ من له أدنى مسكة من الحدس يعلم أن اتفاق العشرة والعشرين على أمر بلا بيّنة تلجئهم إلى ذلك او تقليد بعضهم بعضاً لا يتحقق بوجه من الوجوه فضلاً عن العدد الكثير والجَمّ الغفير أصحاب الأغراض الفاسدة والأهواء الكاسدة والسلايق المختلفة والعقول المتباينة .

قال الله تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين اوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾^(٤) .

وأما اتفاق أهل الملل والعادات في المدد المتطاولة على ملهم وعاداتهم فليس عن بصيرة ومعرفة ، بل إنّما ذلك لامر مركوز في جبلتهم من تقليد الآباء والاسلاف والالف بما نشأوا عليه كما قالوا : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾^(٥) وكَلّ أمر متجدّد فلا تخلو من تنازع فيه واختلاف كما ترى من أبناء الاعصار ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾^(٦) .

وذلك لأن الاسماء الالهية متقابلة ، فمن هناك صدر الاختلاف اين الضار من النافع

(١) سورة الاعراف : الآية ١٥٥ (٢) اكمال الدين : ج ٢ ص ٤٦٢ (٣) معاني الأخبار : ص ١٣٢ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢١٣ (٥) سورة الزخرف : الآية ٢٣ (٦) سورة هود : الآية ١١٩

والمعز من المذلّ والقابض من الباسط ، وكذلك الامزجة اين الحرارة من البرودة والرطوبة من اليبوسة والنور من الظلمة إلى غير ذلك ، ولذلك زاد الاختلاف في خليفة رسول الله حيث راموا^(١) الاتفاق فنصبوه بالغلبة والقهر طلباً للرّياسات ونبذوا للعهود المحكمات ، وإلى الله المشتكى .

المقالة الثامنة

في فتن هذه الأمة بعد نبينا (ص) ، ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؛ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾ العنكبوت/ ١ - ٣ .

كلمة

فيها اشارة الى نفاق طائفة من الصحابة في زمان النبي (ص) وارتدادهم بعده

لا شك في أنه كان في زمان النبي (ص) من أصحابه طائفة يسطنون الكفر ويظهرون الاسلام كما أخبر الله سبحانه عنهم ووصفهم بما يصفهم في غير موضع من القرآن .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا^(٢) على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردّون إلى عذاب عظيم﴾^(٣) وقال الله سبحانه : ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله اضغانهم﴾^(٤) وقال جلّ وعلا : ﴿وإذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يريكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾^(٥) وقال عزّ وجلّ : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليسوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم﴾^(٦) إلى آخر الآيات ، والقرآن مملو من ذكرهم .

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند حذيفة أنه قال : قال النبي (ص) : (في أصحابي اثني عشر منافقاً : منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل^(٨) في

(١) الروم : الطلب . ق .

(٢) أي عتوا واستمروا عليه من قولهم مرديمرد من باب قتل وسرق وكرم اذا عتى فهو ما ردم

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠١ (٤) اي أحقادهم على المؤمنين ولا يبدي عوراتهم للنبي (ص) مجمع البيان

(٥) سورة محمد : الآية ٢٩ (٦) سورة التوبة : الآية ١٢٧ (٧) سورة البقرة : الآية ٨ - ٩

(٨) أي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون أبداً ، وسئل عن ابن مسعود عن الجمل فقال : هو

سم الخياط ، وأربعة لم أحفظ ما قال فيهم^(١) .

ومما يدل على ذلك دلالة واضحة ما ثبت أن النبي (ص) لما أخذ البيعة لأمر المؤمنين (ع) من الناس يوم الغدير وأمرهم بالتسليم عليه بامرة المؤمنين فسلموا عليه طوعاً وكرهاً وبخبخوا غيظاً وحنقاً استولت عليهم نائرة الحسد والبغضاء ، وأبطنوا الإنكار والاباء ، حتى قصد جماعة منهم قتل النبي (ص) واحتالوا لذلك حيلة فلم يظفروا به كما يشهد له قصة عقبة الهرشي والدباب ومن ارتقاها من الاصحاب ، وهي مشهورة وفي كتبهم مسطورة .

فعند ذلك تعاقدوا صرف الامر عن أهل بيته بعده وكتبوا لذلك كتاباً وتعاهدوا عليه وكانت مواطنهم مشحونة بعداوتة وعداوة أهل بيته كما اشير إليه في آية الوصية بقوله عز وجل : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾^(٢) وكان يبدو من أفواههم البغضاء احياناً وكان ما في صدورهم أكبر .

ثم لما مرض النبي (ص) وأمرهم بخروجهم مع جيش اسامة تخلفوا عنه طمعاً في الامارة وكانوا يخفون تخلفهم ويتعرفون الخبر من عايشة ، وكان النبي (ص) كلما لا يقدر على الخروج إلى الصلاة في مرضه أمر أمير المؤمنين (ع) أن يصلي بالناس فكان يصلي بهم فشغل به يوماً زقد نقل ورأسه في حجره ، فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال (ص) : يصلي بالناس بعضهم فاني مشغول بنفسي ، فقالت عايشة : مروا أبا بكر يصلي بهم ، وقالت حفصة مروا عمر .

فلما سمع كلامهما وحرص كل واحد منهما على تقديم أبيهما قال لهن : اكفني ، ثم اغمي عليه فقالت عايشة لبلال : إن رسول الله (ص) قد اغمي عليه ورأسه في حجر علي لا يقدر على مفارقتة فمر أبا بكر يصلي بالناس فظن بلال أنه بأمر النبي (ص) فلما أفاق وسمع تكبير أبي بكر فقال : سندوني وأخرجوني إلى المسجد فقد نزلت والله في الاسلام فتنة ليست بهيئة .

ثم نظر إلى عايشة وحفصة نظر المغضب وقال : انكن كصويجات يوسف ، يعني في كذبهن على يوسف فخرج بين علي والفضل بن عباس ورجلاه تخطان الارض من الضعف ،

= زوج الناقة كانه استجهل من سألته عن الحبل ، وهذا كما تقول العرب في التباعد للشئ : لا افعل كذا حتى يشب الغراب وحتى يبيض القار الخ وتعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تأكيد له وتحقيق للباس من وجوده مجمع البيان .

(١) صحيح مسلم : ج ٤ ص ٢١٤٣ ح ٩ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٧ .

فنحى أبا بكر عن المحراب وصلى بالناس^(١) جالساً ، ثم أكد في تنفيذ الجيش ولعن المتخلف .

فشهده عمر معتذراً ثم حال بينه وبين ما أراد من تأكيد الوصية بالكتاب كما رواه في صحاحهم أنه (ص) قال : اثنوني بدوات وبياض اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبداً ، وفي رواية لازيل لكم مشكل الأمر واذكر لكم من المستحق لها بعدي ، فقال بعض من حضر ليأتي بالدوات والبياض فقال عمر : دعوا الرجل فإنه ليهجر ، وفي رواية ليهذي ، حسبنا كتاب الله .

قال الراوي فتنازعوا عنده فقال قائل : القول ما قاله النبي (ص) فقرّبوا له كتاباً يكتب لكم ، وقال قائل : القول ما قاله عمر يعني قوله : دعوه ، فلما كثر اللفظ والاختلاف قال النبي (ص) : قوموا عني لا ينبغي عند نبي تنازع ، وفي رواية عن عمر قال : كان يريد أن يصرّح باسمه فحلت بينه وبين ما أراد ، رواه عنه من هو منهم ، وهو ابن أبي الحديد ، وما هي من الظالمين ببعيد .

ثم لما مضى (ص) أعرضوا عن تجهيزه والفجيرة به واشتغلوا به بتهيئة أسباب الامارة لأنفسهم ، وتهيج ذوي الاحقاد على سيد العباد ، الذين كانوا إنما اسلموا خوفاً من سيفه وقتاله بعد أن قتل آباءهم وابنائهم في مواقف نزاله فحملوا عمود الخلافة ، ونبذوا العقود بعد تلك الحصافة ، وادّعوا التأمير على عباد الله ، وتسموا زوراً وبهتاناً بخلفاء رسول الله ، بغير قدم راسخ في علم ولا سبق في فضيلة .

بلى قد شاب قرنهم في الشرك والآثام ، وابيض قودهم في عبادة الاصنام توسّلوا إلى ما ادعوا بالخدايع والحيل والممالات من ارباب الدّخل والدّغل من الذين مردت على النفاق غيوبهم وقالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ثم تنازعوا وتخالقوا وارتفعت أصواتهم ، وقال بعضهم لبعض منّا أمير ومنكم أمير ، وارعدوا وابقوا وسلوا سيوفهم .

ثم بعد ذلك كلّه سمّوه إجماعاً وكان أمير المؤمنين (ع) مشغولاً بتجهيز رسول الله (ص)

(١) قال ابن أبي جمهور الاحساوي في «المجلى» بعد اثبات ان تقديم أبي بكر للصلاة لم يكن بأمر النبي (ص) : ولو سلمنا ان ذلك كان بأمره فخروجه بعده وتبجته له نص دال على نسخه وابطال حكمه ، ولعله فعل ذلك اظهاراً لبقصه بين الناس وأنه لا يصلح لشيء من امور الدين ، فان من لم يصلح ان يكون اماماً للصلاة فبالاولى انه لا يصلح للولاية العامة خصوصاً وامامة الصلاة لا يشترط فيها الدالة على مذهبهم فكيف بغيرها مع اشتراطها بالعدالة عندهم ، فدلالة هذا التقديم على تقدير وقوعه على عدم جواز خلافته أظهر من دلالة على ثبوتها .

فما فرغ إلا من بعدما أحكموا الأمر لأنفسهم ، ثم أظهروا من نفوسهم ما كان كامناً فيها من عداوة ذوي القربى الذين كانت مودّتهم اجر الرسائل ، فلم يستطيعوا أن يخفوا العداوة في صدورهم فكانت تبدو منهم في أحيان ورودهم وصدورهم ، فأولى لهم ثم أولى لهم^(١) .

حافظ

صوفي نهاد دام وسر حقّه باز کرد بنیاد مکر با فلك حقّه باز کرد
بازي چرخ بشکنندش بیضه در کلاه زیرا که عرض شعبده با اهل راز کرد
فردا که پیش گاه حقیقت شود پدید شرمنده ره روی که عمل برمجاز کرد
ایدل بیا که تابه پناه خدا رویم زانچه استین کوته ودست دراز کرد

بلی كانت الحكمة مقتضية لما وقع وإلا لم يقع ما وقع ، على أن الخليفة في الحقيقة ما كان في زمن خلافة الأعداء إلا من كانت الخلافة حقّه لترتب أكثر فوائدها على وجوده (ع) حتى أن الثلاثة كانوا يرجعون إليه في أكثر المسائل الدينية التي كانوا يسألون عنها ، بل وفي كيفية تسخير البلاد وسياسة العباد وسائر كليات الأمور ، لجهلهم بها وعجزهم عنها فالمقصود الأصلي من الخلافة ما فات كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾^(١) .

گلشن راز

دراین مشهد که أنوار تجلی است سخن دارم ولی ناگفتن اولیست

کلمه

بها يتبين حقيقة أمر الخلافة

شکی دراین نیست که نصی وحتی قاطع برخلاف اول نبود كما اعترف به الجمهور ، وإن تتع^(٢) بخلافه من أتى بالزور ، وبتحقیق پیوسته که بسیاری از صحابه با او

(١) قال الطبرسي في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى : أولی لك فأولی : وهذه تهديد من الله لابي جهل ، والمعنى وليك المكروه يا أبا جهل وقرب منك « الی ان قال « وقيل هو وعيد على وعيد عن قتادة ، ومعناه : وليك الشر في الدنيا وليك ، ثم وليك الشر في الآخرة وليك ، والتكرار للتأكيد . وقال المصنف (قد) في الصافي : وفي العيون عن الجواد (ع) أنه سئل عن هذه الآية فقال : يقول الله عز وجل : بعداً لك من خير الدنيا وبعداً لك من خير الآخرة .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣٢

(٣) في وصف علي (ع) ونظمت بالامر حين تعتوا ، هو من التعتة في الكلام التردد فيه من حصر أوعي . م .

بیعت نکرده اند بلکه اساطین واجله أصحاب در آن اجماع زور و حلقه بیعت ذات الغرور حاضر نبوده .

کصاحب الحقّ واهله واولاده (ع) ، وکعمه العباس وبنائه واسامة ابن زید و الزبير و مشاهیر اصحابه الکبار کسلمان و ابي ذر و مقداد و عمار و حذيفة ابن اليمان و ابي بريدة الأسلمي و ابي بن کعب و خزيمه بن ثابت ذی الشهادتين و ابي الهشيم بن التيهان و سهل بن حنيف و اخيه عثمان و ابي ایوب الانصاري و جابر بن عبد الله الأنصاري و خالد بن سعید و سعد بن عبادة و قیس بن سعد إلى غير ذلك .

وقد ذکر قتیبة فی کتابه ثمانية عشر رجلا منهم قال : وکانوا رافضة واز بعضی بوعيد و تهدید بیعت گرفتند ولو بعد حين ، و بعضی بر اصرار بر انکار باقی ما نده اند إلى يوم الدين ، چنانکه در کتب ایشان مسطور است و نیز نزاع میان ایشان بکشیدن شمشیر و غوغای منّا امیر و منکم امیر انجامید و اگر برحق میبودند و اهل اتفاق و خالص از حزب ریاست و نفاق تخاصم باین حد نمیرسید .

و بشبوت پیوسته عقلا و نقلا که در تبلیغ ما انزل الیه فی نصب الوصي تقصیری نشده بود و آنها هم قد سمعوا منه النصوص علی الخصوص مرة بعد اولی و کرة بعد اخرى فلبسوا الامر علی الجاهل و تسلطوا علی العالم و در این چه شبهه است که آنحضرت کمال شفقت و رافت بامت مرحومه خود داشتند با آنکه تعلیم هیچ ادبی را فرو نکذاشتند حتی آداب الخلا و الخلو مع النساء چه جای امور عظیمه و مهمات جسیمة .

از حضرت امام جعفر الصادق (ع) نقل کرده (ما من شيء يحتاج إليه أحد من بني ادم إلا وقد جرت فيه من الله ومن رسوله سنة عرفها من عرفها و أنكرها من أنكرها)^(۱) .

کدام عقل باور میکند که منصب خلافت که بنای ثبات ارکان دین و قاعده استواری و استمرار مراسم ایمان بر آنست مهمل و معطل گذاشته بتعیین امت حواله نموده باشند با این اختلاف آراء که جبلی نوع انسانست ، حاشا ثم حاشا .

با آنکه علمای معتبره اهل سنت و رواة ثقات آن جماعت حدیث نصّ غدیر خم راد رنصب کردن امیر المؤمنین (ع) و بیعت گرفتن از سایر صحابه بجهت آنحضرت و بخیخه ثانی^(۲) اورا

(۱) الکافی : ج ۳ ص ۶۹ ح ۳ (۲) حیث قال : بیخ بیخ لك یا ابن ابي طالب اصبحت مولاي و مولی كل مؤمن و مؤمنة .

بتفصيلي كه هر كس شنیده نقل کرده اند و این نقل از آن قوم عمیا دلیلیست هویدا بر مقتضای عقل بینا .

وأيضاً قد روى ابن المغازلي الشافعي في مناقبه عن أبي ذر الغفاري قال : (قال رسول الله (ص) : من ناصب علياً في الخلافة بعدي فهو كافر ، ومن شك في علي فهو كافر)^(٣) .

ونیز آن حضرت مکرر میفرموده اند علی ما روته العامة والخاصة : (إني تارك فيكم ما ان تمسكتم لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي)^(١) ، وفي لفظ آخر (إني تارك فيكم الثقلين إن تمسكتم بهما لن تضلوا)^(٢) الحديث . وقال (ص) : (مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق)^(٣) . حافظ

حافظ ازدست مده صحبت آن كشتی نوح ورنه این سیل حوادث ببرد بنیادت وایضاً قد ثبت عندنا وعندهم أحقیته بهذا الأمر ؛ لما تواتر عندنا ورووه في كتبهم من شدة اجتهاده وعظم بلائه في وقایع الرسول (ص) وعدم بلوغ أحد درجته في غزواته وشجاعته وقوة حدسه وذكائه وشدة ملازمته للرسول وتربيته إياه منذ حين الصبا إلى أن خلفه بعده ، ورجوع الصحابة في أكثر الوقایع إليه ، واستناد الفضلاء في جميع العلوم إليه .

وكونه (ع) أسخاهم كفاً ، وأكملهم زهداً ، وأجهدهم عبادة ، وأعظمهم حلماً وأوفرهم علماً ، وأحسنهم خلقاً ، وأطلقهم وجهاً ، وأقدمهم إيماناً ، وأفصحهم لساناً ، وأصدقهم قولاً ، وأقلهم كلاماً ، وأصوبهم منطقاً وأشجعهم قلباً ، وأشدهم يقيناً ، وأحسنهم عملاً ، وأكرمهم خصالاً ؛ وأتمهم كمالاً ، وأعظمهم عناء وارفعهم درجة ، وأشرفهم منزلة ، وأحكمهم حكمة وأسدهم رأياً ، وأقضاهم قضاءً ، وأشدهم حياءً ، وأعلاهم همة ، وشهامة ، وأقواهم عزماً ، وجزماً ، وأرفعهم نسباً ، وارومة ، وأكثرهم حرصاً على إقامة حدود الله وأحكامه ، وأحفظهم لكتاب الله ومواقع تنزيله ، وأعلمهم بتفسيره وتأويله .

ولما ثبت من اخباره بالغيب مراراً ، واستجابة دعائه كثيراً ، وظهور المعجزات عنه مرة بعد

(١) المناقب « للمغازلي » : ص ٤٥ ح ٦٨ (٢) اكمال الدين : ص ٢٣٦ ح ٥٣ والصواعق المحرقة : ص ٢٢٤ .

(٣) الاحتجاج : ج ١ ص ١٤٧ .

(٤) الاحتجاج : ج ١ ص ١٤٧ والعوالي : ج ٤ ص ٨٥ و٩٩ و٩٩ عيون اخبار الرضا : ص ٢٦ ح ١٠

اولى كَرَدَ الشمس ، واحياء النفس ، ومكالمة الثعبان وَالْحَيْتَانِ وَالسَّلْطَنَةِ عَلَى الْاَكْوَانِ لوما ظهر من اختصاصه بالقرابة والاخوة ، ولما صح من وجوب محبته ونصرته ومساواته الانبياء ومواساته للرَسُول (ص) وخبر الطاير^(١) والمنزلة^(٢) ، والغدير^(٣) وحديث الكساء في آيتي المباهلة والتطهير^(٤) واختصاصه بسورة هل أتى وكثير من الآيات التي لا تحصى .

ولو لم يكن سوى نزول : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾^(٥) ، حين نصب للإمامة يوم الغدير لكفى ، واعطائه الراية في يوم خيبر بعد انهزام أبي بكر وعمر وثنائه إياه حيثئذ بما انتشر مكنياً به عن عيوب الآخر^(٦) وقلعه بروحانيته الباب وابقاء بابه عند سدّ الأبواب ، وميئته على الفراش ليلة الغار وارتقائه كتف النبي (ص) للاقائه الاصنام بما فيه من الاسرار ، وتشبيهه إياه بعيسى في بغض طائفة إياه واتخاذة اخرى الاله ، والمباهلة به وبزوجته وولديه وإظهار بركة فضل طهوره وتراب قدميه .

وأن نوره ونور النبي (ص) واحد ، وسلمهما واحد ، وحربهما واحد ، بل هما كنفس واحدة إلى ما لا يمكن احصاؤه ولو كان البحر مداداً والاشجار أقلاماً والثقلان كاتبين والملائكة حاسبين كما ورد فيه عن سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى ساير الانبياء والأوصياء اجمعين شعر :

كتاب فضل تورا آب بحر كافي نيست كه تر كنى سر انگشت و صفحه بشمارى

- (١) وهو كما في شرح التجريد أن النبي (ص) قال : اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي (ع) فأكل معه . وفي رواية اللهم ادخل الي أحب اهل الارض اليك .
 (٢) وهو قوله (ص) : أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي .
 (٣) وهو قوله (ص) : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه كيفما دار
 (٤) قال الشاعر .

هم العروة الوثقى لمعتصم بها مناقبهم جاءت بوحى وانزال
 مناقب في الشورى وسورة هل اتى وفي سورة الاحزاب يعرفها التالي
 « أقول » اشار بقوله وفي سورة الاحزاب الى آية التطهير قالت ام سلمة (رض) في بيتي نزلت . انما يريد الله ليذهب عنكم الآية . وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين (ع) فجلبهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ثم قال : هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .
 (٥) سورة المائدة : الآية ٣

(٦) حيث قال (ص) بعد انهزام الاول والثاني : لاسلمن الراية غداً الى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كزار غير فرار ودفع اليه الراية فقتل مرحباً واقتلع الباب وجعله جسراً على الخندق فعبروا وظفروا فليتامل .

ولعمري لو لم يقع عليه نصّ بالخلافة لكانت صفاته الظاهرة ، ومناقبه الباهرة نصوصاً صريحة وبراهين قاطعة ، فكيف وقد وقع ، قال الخليل بن أحمد : احتياج الكل إليه واستغنائه عن الكل دليل على أنه إمام الكل ، وسئل عن مدحه فقال : ما أقول في مدح امرء كتمت أجبأؤه فضائله خوفاً ، وأعدأؤه حسداً ثم ظهر ما بين الكتمين ما ملأ الخافقين .

بحسن خلق ووفاء كس بيار ما نرسد ^{حافظ} تورا در اين سخن انگار كار ما نرسد
هزار نقد ببازار كاینات آرند یکی بسكۀ صاحب عيار ما نرسد
هزار نقش برآید ز كلك صنع یکی بدل پذیری نقش نگار ما نرسد

وقد أخبر رسول الله (ص) عن ارتداد الصحابة بما رووه عنه في صحاحهم أنه (ع) قال : (ليردن اناس من أصحابي على الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي أصحابي ، وفي رواية اصيحابي اصيحابي ^(١) فيقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك) ^(٢) : وزاد في اخرى (وارتدوا على أديارهم القهقري) ^(٣) .

وقد نبه الله سبحانه على ذلك بقوله عزّ وجلّ : ﴿تلك الرّسل فضلنا بعضهم على بعض - إلى قوله تعالى : - ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ ^(٤) .

وكان هذا من ابتلاء الله تعالى أوليائه المخلصين وخواصّ عباده المؤمنين لينظر كيف يعملون ، وعلى البلاء كيف يصبرون ، وفي الحديث النبوي (ص) (إنّ البلاء موكل بالانبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل) ^(٥) حافظ .

من از چشم توای ساقی خراب افتاده ام لیکن بلائی کز حبیب آید هزارش مرحبا گفتم

کلمة

فيها اشارة الى ارتداد أكثر هذه الأمة بعد نبیها والسبب في ذلك

لما اختار الله عزّ وجلّ للوصاية والخلافة والامارة من اختار وأخذت له البيعة في يوم الغدير ممن شهد من الأقطار ، غلب على أراذل العرب حب الرياسة والهواء واشتعل في قلوبهم

(١) صحيح البخاري : ج ٨ ص ١٤٩ (٢) صحيح البخاري : ج ٨ ص ١٤٩ (٣) صحيح البخاري : ج ٨ ص ١٥٠

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٣ (٥) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٨

ناثرة الحسد والبغضاء ، فعادوا إلى الخلاف الأول فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ، فصاروا أصنافاً .

صنفاً من أهل التدليس والتلبيس من جنود إبليس ، وهم الذين شيدوا أركان هذه الضلالة .

وصنفاً من أهل العمى والتقليد قد شبّه لهم الأمر فدخلوا فيه على غير بصيرة تعصباً لمن تولى وكفر ، وتقليداً لشياطين البشر ، ممن كان في الجاهلية لا يفرق بين الله وبين الخشب والحجر ، فكيف بين عليّ وأبي بكر وعمر ، وكان معهم تلك العقول السقيمة ، فلا غرو عن أن يعدلوا عن الطريقة القويمة .

وصنفاً اتبعوهم خوفاً وتقية فارتد أكثر الناس بسبب ارتداد الصحابة عن الدين ، وخرجوا عن زمرة المسلمين كسنة الله في ساير امم النبيين .

وذلك لانه لما استتم الأمر لأبي بكر صعد المنبر وقام خطيباً فقام إليه جماعة من المهاجرين والأنصار ، فأنكروا عليه أشدّ الإنكار ، وذكروه حديث يوم الغدير (فقال : ايها الناس أقبولني أقبولوني فليست بخيركم وعليّ فيكم ، فقام إليه عمر وقال : والله ما أقلناك ولا يلي هذا الأمر أحد غيرك)^(١) .

فكان من جملة من أنكر عليه مالك بن نويرة حين دخل المدينة ورآه على المنبر فتعجب من نبذهم حديث يوم الغدير مع تلك التأكيدات ، فخافوا أن يصيبهم من قبله فتق إذا كانت له قبيلة وكان من شجعان العرب يعد بمائة فارس ، فلما رحل إلى أهله بعث إليه خالد بن الوليد في جيش ليأخذ منه زكاة ماله ، فأخذ من خالد العهود والمواثيق على أن لا يتعرّض له بمكره فيعطيه الزكاة ، فلما جنّ عليه الليل ونام مالك وأصحابه بيّت عليهم خالد وأصحابه ، فقتلوهم غدراً ودخل بامراته في ليلته ، وطبخ رأسه في وليمة عرسه ، وسبى حريمه وسماهم اهل الردة افتراء وكذباً .

فلما رأى الناس أمثال ذلك منهم دخلوا تحت سلطنتهم الجارية الجابرة كما كان الناس يدخلون تحت سلطان الملوك الجابرة ، وما بقي إلا شر ذمة قليلون وكانوا خائفين متقين .

عن الباقر (ع) (أنه قال : ارتد الناس إلا ثلاثة نفر سلمان وأبو ذر والمقداد قال الراوي :

(١) نهج الحق وكشف الصدق : ص ٢٦٤ (ذكر صدر الحديث) وشرح نهج البلاغة : ج ١ ص ١٦٩

فقلت : فعَمَّار ، قال : كان جاض جبيضة^(١) ثم رجع^(٢) ، وفي رواية أخرى (ثم أناب الناس بعد كان أول من أناب أبو ساسان الأنصاري وعمَّار وأبو عمرة وشتيرة ، وكان سبعة فلم يعرف حق أمير المؤمنين (ع) إلا هؤلاء السبعة)^(٣) .

وبإسناده عن أمير المؤمنين (ع) قال : ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون ، منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة رحمهم الله قال : وأنا إمامهم^(٤) .

ثم أخذوا في تغيير احكام الشرع واحداث البدع فيها ، فمنها ما غيَّروه لجهلهم بها ، ومنها ما بدَّلوه ليوافق أغراضهم ومنها ما أحدثوه لحبِّهم احداث البدع ، وقد أشار أمير المؤمنين (ع) إلى بعض منكراتهم في دعاء صمني قريش ، وكان أبو بكر يقول : (إن لي شيطاناً يعتريني فان استقممت فأعينوني وإن عصيت فجنّبوني)^(٥) ، وكان عمر يقول (كان بيعة أبي بكر فلتة وقي الله شرها ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه)^(٦) .

جعل الخلافة بعده شوري بين ستة شهد لهم بأنهم من أهل الجنة وأن النبي (ص) مات وهو عنهم راض ثم أمر بضرب أعناقهم جميعاً إن لم يبايعوا واحداً منهم ، ثم بعد ذلك بدا بين أنفسهم العداوة والبغضاء على حطام الدنيا حتى آل الأمر إلى أن استحلب بعضهم دماء بعض وقتل بعضهم على أيدي بعض كما كان أخبر به النبي (ص) (لا ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)^(٧) ، وكان ممن اتفقوا على اباحة دمه خليفته عثمان ، وكانوا له بين قاتل وخاذل ، وكانت من المولدين على قتله عايشة ، ثم إنها خرجت على أمير المؤمنين (ع) مع طائفة ممن شرك في دم عثمان يطلبونه بدمه .

وقد رووا أن رسول الله (ص) نص على عشرة من الصحابة بأنهم من أهل الجنة وذكرهم بأسمائهم وعدوا منهم العمرين والطلحيتين وعثمان وعلياً مع اعترافهم وعلمهم بأن علياً هو

(١) جاض جبيضة أي مال وعدل ، وأصل الجبيض الميل عن الشيء قال في النهاية : ويرى بالحاء والضاد المهملتين يعني جال جولة يطلب الفرار . م .

(٢) رجال الكشي : ص ١١ ح ٢٤ اول الحديث (٣) رجال الكشي : ص ١١ ح ٢٤ ذيل الحديث (٤) رجال الكشي : ص ٦ ح ١٣ .

(٥) تاريخ الخلفاء (للسيوطي) ص ٧١ والصواعق المحرقة ص ٢١ (٦) الاحتجاج : ج ٢ ص ١٥٣ و ٢٣٥ والصواعق المحرقة : ص ١٨ .

(٧) سنن ابن ماجه : ج ٢ ص ١٣٠٠ ح ٣٩٤٣

المقاتل للطلحيتين في وقعة جمل فقتلا باغيين عليه ، وهم الذين رووا عن النبي (ص) أنه قال : (إذا التقا المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار ، قيل ما بال مقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه) (١) .

ثم بعدما تقرر الأمر تشبثوا في فضائل أئمتهم بما لا يدل أكثره على فضيلة مع روايتهم فيهم كل رذيلة ، وبما يلوح من فحاويه مخايل الاختلاق ، ويفوح من مطاويه رايحة الوضع والنفاق ، ثم بعد التتبع يظهر أن ما هو من أمثاله إنما وضع في زمن بني امية طمعاً في الانتفاع بجاه أحدهم وماله .

قال أمير المؤمنين (ع) في حديث له : (وقد كذب علي رسول الله (ص) في عهده حتى قام خطيباً فقال : أيها الناس قد كثرت علي الكذابة فمن كذب علي متعمداً فليتبوء (٢) مقعده من النار) (٣) ثم كذب عليه بعده ، ثم قال بعد كلام (ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان ، فولوهم الأعمال فحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله) (٤) .

وقد روت طائفة من العامة أن معاوية كان يبذل الأموال لمن كان موثقاً به عند الصحابة ليضع حديثاً في فضل الخلفاء الثلاثة أو في منقصة أمير المؤمنين (ع) ثم يرويه عن النبي (ص) على المنبر بمشهد من الناس أو يروي ما ورد في فضل علي (ع) في فضلهم .

وقد روى ابن ابي الحديد الحنفي المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة عن أبي جعفر الاسكافي (أن معاوية بذل لسمره بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ (٥) وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾ (٦) فلم يقبل ، فبذل له مأتي ألف فلم يقبل ، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل ، فبذل له أربعمائة ألف فقبل (٧) .

عن سليم بن قيس (أن منادي معاوية نادى ان برأت الذمة ممن روى حديثاً من مناقب

(١) سنن ابن ماجه : ج ٢ ص ١٣١١ ح ٣٩٦٤ واحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٣

(٢) بويت له مكاناً : سويته فتبوا ؛ وباء فلان يبوء به أي ساواه ، قال : واوحينا الى موسى وأخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا الخ . المفردات .

(٣) نهج البلاغة : ص ٣٢٥ خطبة ١١٠ (٤) نهج البلاغة : ص ٣٢٦ ذيل خطبة ١١٠

(٥) سورة البقرة : الآية ٢٠٤ (٦) سورة البقرة : الآية ٢٠٧ (٧) شرح نهج البلاغة : ج ١ ص ٣٦١

علي وفضل أهل بيته ، وكان أشد الناس بلية أهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة ، فاستعمل زياد بن أبيه وضم إليه العراقيين الكوفة والبصرة فجعل يتبع الشيعة وهو بهم عارف ، يقتلهم تحت كل حجر ومدبر وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل ، وصلبهم في جذوع النخلة وسمل^(١) أعينهم وطردهم حتى نفوا عن العراق فلم يبق بها أحد معروف مشهور^(٢)

ثم أخذ الناس في الروايات في فضل عثمان ومعاوية زوراً على المنبر في كل كورة^(٣) ومسجد بأمره ، والقوا ذلك على معلّمي الكتاتيب فعلموا ذلك صبيانهم كما يعلمونهم القرآن ونشأ عليه الصبيان ، فاجتمعت على ذلك جماعتهم ، وصارت في أيدي المتسكين والمتدينين منهم الذين لا يستحلون الأفتعال لمثلها ، فقبلوها وهم يرون أنها حق ، ولو علموا بطلانها وتيقنوا أنها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها ولم يبغضوا من خالفها ، فصار الحق في ذلك الزمان عندهم باطلاً والباطل حقاً ، والكذب صدقاً والصدق كذباً ، ولعمري أن أكثر الأمة ما اتبعوا رسولهم ، ولا من الصحابة خيارهم ، ولا استعملوا عقولهم ولا أفكارهم ، ولكن الله أصمّ آذان مقلّدة الجمهور وأعمى أبصارهم ، ثم تركهم حيارى في ظلمات ، هلك فيها من هلك ونجى من نجى .

إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى ، ﴿الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾^(٤) .

روي أنه وجد بخط مولينا أبي محمّد الحسن العسكري (ع) ما صورته (أعوذ بالله من قوم خذفوا محكمات الكتاب ، ونسوا الله ربّ الأرباب ، والنبي وساقى الكوثر في موقف الحساب ولظى والطامة الكبرى ونعيم دار الثواب ، فنحن السنام^(٥) الاعظم ، وفينا النبوة والولاية والكرم ، ونحن منار الهدى والعروة الوثقى والأنبياء كانوا يقتبسون من انوارنا ويقتفون آثارنا ،

(١) في الحديث قضي علي (ع) فيمن رأى المقتول أن تسمل عيناه أي تفقأ يقال : سملت عينه تسمل سملاً من باب قتل اذا فقأتها بحديدة محمأة . م .

(٢) الاحتجاج : ج ٢ ص ١٧ (٣) الكورة البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى جمع كور . المنجد .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٧ .

(٥) السنام حدة في ظهر البعير يقال : فلان سنام قومه أي كبيرهم قاله في المنجد وقال في القاموس : السنام كسحاب من الأرض وسطها وجبل بين البصرة واليمامة الخ وقال في مجمع البحرين بعد كلام : ومنه ان اعش اكن معكم في السنام الا على ، أي في الدرجة الرفيعة العالية

وسيطر حجة الله على الخلق والسيف المسلول لظاهر الحق ، وهذا خط الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أمير المؤمنين (ع) (١) (٢) .

حافظ .

مژده ايدل كه مسيحا نفسي ميآيد كه زانفاس خوشش بوي كسي ميآيد
از غم وهجر مكن ناله وفرياد كه من زده ام فالي وفرياد رسي ميآيد

كلمة

فيها اشارة الى علة ضلال جمهور الامة عن نور الأئمة

لما جرى في الصحابة ما جرى ، وخدع بهم عامة الوري وغلب على الأمر الأولون واستبهم الحق على الآخرين ، أعرض الناس عن الثقلين وتاهوا في بيداء ضلالتهم عن النجدين إلا شردمة من المؤمنين ، فمكثوا بذلك سنين ، وعمهوا في غمرتهم حتى حين .

ثم تسافل الأمر الى أن تقمصها علوج بني امية . الشرابون للخمور المعلنون بالفجور والمستعلنون بلبس الحرير ولعب الطنابير ، قاتلوا ذرية المصطفى المتدينون بسبب « بسب ظ » المرتضى .

ثم تلقفها بنو العباس السالكون مسالك اولئك الأرجاس أخذوها بسيف الخراساني كما ملك من قبلهم بصولة فظاظة الثاني ، وكان العلم في هذه المدة المتطاولة مكتوما وأهله مظلوماً ، لا سبيل لهم إلى إبرازه إلا بتعميته والغازه (٣) .

ثم خلف من بعدهم خلف غير عارفين الولاية ولا ناصبين العداوة ولم يدروا ما صنعوا وعمن أخذوا ، فعمدوا إلى طايفة ممارين من أهل الهواء ، وقوم مرائين من الجهلاء ، زعموا أنهم من العلماء فكانوا يفتونهم بالأراء ، وذلك لأن جملة ما كان عندهم من حديث رسول الله (ص) في الحلال والحرام والفرائض والأحكام ليست الا أربعة آلاف على ما قالوه ، ولم يكفهم ذلك فاذا نزلت حادثة ولم يكن فيها رواية خاضوا في استنباط الحكم فيها بالرأي من اصول

(٢) هذه الرواية أوردها العلامة المجلسي رفع الله درجته في الجزء السابع من البحار في باب جوامع مناقبهم وفضائلهم عليهم السلام عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان بتبديل « الموقف » بالمواقف و « والسيف » ورواها المصنف « قد » أيضاً في علم اليقين . (٢) المحجة : ج ١ ص ١٩٩ عن تفسير الامام العسكري (ع) .

(٣) الغز في كلامه اذا عمي مراده ، والاسم اللغز كرطب ، والجمع الغاز كارطاب . م .

وضعوها وقواعد أسسوها استناداً إلى رواية كانت من اختلاق ائمتهم وافتراء رؤسائهم وكانوا
وضعوها لترويج أهوائهم .

وبالجملة غمضوا العينين ورفضوا الثقلين وأحدثوا في العقائد بدعا ، وتحزبوا فيها شيعياً
واخترعوا في الاحكام أشياء حكموا فيها بالآراء ، وزادوا ونقصوا في التكاليف وصنفوا فيها
تصانيف حتى كثر الاختلاف وخيف على بيضة الاسلام من شيوع القول بالجزاف .

فمنعتهم ملوكهم من الاجتهاد على السعة ، وحصرروا المجتهد في الأربعة واعتمد
جمهورهم في الاصول على قول رجل يقال له أبو الحسن الأشعري ، وكان يقول بالجبر
وبالصفات الزائدة ، واثبات القدماء الثمانية إلى غير ذلك ، ثم لم يفد الناس بذلك ولم يمتنعوا
من منع اولئك بل اتسعوا في أهوائهم وأكثروا من آرائهم قرناً بعد قرن حتى آل الأمر إلى ما آل ،
وكان فيهم وبين اظهرهم الأئمة الحق الذين أقامهم الله مقام رسوله واحداً بعد واحد .

ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد أضعاف ما حمده الحامدون أن جعل لنا إماماً بعد
إمام ظاهراً فينا ، وإن كان مستوراً من أعدائنا إلى أن انقضى من الهجرة النبوية مأتان وستون سنة
ثم جعل الأخير بعد غيبته سفراء إلى قريب من تمام ثلاثمائة وثلاثين سنة .

وكان أصحابنا في هذه المدة المديدة يأخذون العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من معدنها
بقدر قابليتهم ورتبتهم ومنزلتهم على اطمينان من قلوبهم وانتسراح من صدورهم ، فأغناهم الله
بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده ، ونجاهم به من حيرة الحيران .

وبعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون إلى الاصول المأخوذ عنهم المشتملة على أكثر ما
يحتاج إليه الناس حتى شذ مسألة لا يكون فيها حكم جزئي أو كلي عنهم عليهم السلام وفق له
من وفق والله الحمد .

واقوى سببي از اسباب آنکه اکثر این امت بمدعیان خلافت بغير حق کروی ند و بجانب
اجانب متغلبه میل نمودند ومودت حضرت امیر المؤمنین وسایر ذوی القربی را سلام الله علیهم
فرو گذاشتند با آنکه قدر ایشانرا شناخته وفضل ایشانرا دانسته بودند وبطلان رؤسای ضلال رای
برده ونص غدیر وسایر نصوص دل پذیر که از حد احصاء متجاوز است بخاطر سپرده .

آن بود که با آن رؤسا از یکجنس بودند تابعان ومتبوعان در سلیقه وجبله موافق ودر أهواء
واطوار مطابق خصوصاً محبت دنیا در نهاد اکثر مردم سر شته شده کم کسی یافت میشود که از

آن خالی باشد و تحصیل دنیا بجز متابعت آن قوم میسر نبود .

سینه مقدس آنحضرت و سایر عترت او سلام الله علیهم از هجوم علوم و اسرار و دل مطهر ایشان از تجلی أنوار چنان روشن بود که در دنیا نیز با اهل جنان صحبت میداشتند چنانکه خود فرموده اند در شان نظر ای خود :

(صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى)^(۱) .

بی هوشان شراب محبت دنیا چون باچنان کسان انس توانند داشت یا بجانب ایشان رغبت توانند نمود ، (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ایتلف وما تناكر منها اختلف)^(۲) . ، ابنای دنیا و ابنای آخرت ضد یکدیگرند همچنانکه دنیا و آخرت الجنس مع الجنس یمیل .

ذرة کاندر همه ارض و سماست ^{مشوي} جنس خودر اهمچو گاه و کهرباست

سئل بعض اهل العلم كيف مال الناس إلى أبي بكر ولم یمیلوا الی عليّ (ع) ؟ قال : بهر نوره نورهم وخالق جمهوره جمهورهم ، والناس إلى اشکالهم أمیل ، والحق هو ما قاله صلوات الله علیه حیث قال : بهر^(۳) نوری نیرانهم وهذا كله من مقتضیات جمال الجلال وكمال الجمال واستدعاء الأسماء الجلالیة بسط ظهورها وانبساط نورها

مشکل زحد گذشت در آن عقدهای زلف ^{شعر} ای پرتو جمال تو حلال مشکلات

کلمة

فيها اشارة الى ان اردل المخلوقات صنما قریش علیهما لعائن الله

از انواع موجودات هر نوع که شریفت است تفاوت میان افراد آن نوع بیشتر است کما نبه علیه قوله (ص) : خيار الناس خيار العلماء وشرار الناس شرار العلماء پس انسان که اشرف انواع است باید که تفاوت میان افراد او بیشتر باشد از انواع دیگر ، لهذا ورد في بعضهم : ﴿اولئك كالأنعام بل هم أضل﴾^(۴) ، ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾^(۵) .

بلکه چنانچه اشرف موجودات از این نوع است باید که احسن موجودات نیز از این نوع

(۱) نهج البلاغة : ص ۴۹۷ حکمة ۱۴۷ (۲) العلل : ج ۱ ص ۸۴ والبحار : ج ۵ ص ۱۳۵ ح ۹

(۳) البهر : الغلبة يقال : بهر القمر الكواكب كمنع اذا أضاء وغلب ضوءه ضوءها . م .

(۴) سورة الأعراف : الآية ۱۷۹ (۵) سورة النبی : الآية ۴۰

باشد ، چراکه هیچ موجودی در مظهریت اَسْمَاءِ مَقَابِلَةِ الْهَيْبَةِ اتم از انسان نیست پس هم چنانکه اتم مظاهر اسم هادی اشرف واکمل افراد انسانیت اتم مظاهر اسم مضل اُخْسٌ وَاَرْدَلٌ افراد او تواند بود چراکه ضلال از توابع هداست و ضال بالعرض هادی موجود و خستش بقدر شرف او پس هر خلیفه از خلفای حق که بجهت هدایت خلق مبعوث میشود از انبیاء و اوصیاء شخصی بازاء او میباشد که اضلال حق کند از فراعنه و دجاجله ، و هرچند آن هادی اشرف باشد این مضل مقابل او اُخْسٌ وَاَرْدَلٌ باشد و هر چند حقیقت و بطلان طرفین برعامه پوشیده تر و بیکدیگر در نظر ایشان شبیه تر باشد اذیت ولی الله از قبل عدو الله بیشتر باشد .

ولهذا پیغمبر ما (ص) از جاهلان و منکران ظاهر آن مقدار آزار نمیکشید که از منافقان صحابه میکشید و میفرمود : (ما اودى نبي مثل ما اوديت)^(۱) ، و چون آن حضرت و حضرت امیر المؤمنین صلوات الله علیهما از سایر انبیاء و اوصیاء ممتازند بشرف و کمال سعادت تأمه ، باید که مقابل ایشان نیز در میان اعدای حق ممتاز باشد بخست و نقص و شقاوت .

و از اینجا توان دانست که فرعون و هامان این امت بدبخت ترین مخلوقات و اُخْسٌ وَاَرْدَلٌ موجوداتند ، و جای ایشان در اسفل درك سجین است همچنانکه جای نبی و وصی در اعلی درجات علیین است و همچنانکه آثار هدایت ایشان در این امت تا قیام قیامت باقیست ، آثار اضلال آن دونیز تا قیامت باقی باشد ، و لهذا قال الصادق (ع) (ما من محجمة دم اهریقت)^(۲) إلا وفي أعناقهما إلى يوم القيامة)^(۳)

و عن امیر المؤمنین (ع) قال : (إنَّ لله بلدة خلف المغرب يقال لها جابلقا ، وفي جابلقا سبعون ألف أمة ليس منها أمة إلا مثل هذه الأمة فما عصوا الله طرفة عين ، فما يعملون من عمل ولا يقولون قولا إلا الدعاء على الأولین والبراءة منهما والولاية لأهل بیت رسول الله (ص))^(۴) .

و همچنین علماء مضلین این اتم که نسب معنوی بآن دو میرسانند بازای علمای هادین امتند که نسب معنوی به نبی و وصی میرسانند . مثنوی

رگ رگ است این آب شیرین آب شور در خلایق میروند تا نفخ صور

(۱) الجامع الصغیر : ج ۲ ص ۳۴۳ کما فی الامثال النبویة : ج ۲ ص ۱۳۶

(۲) المحجمة الالة التي یجمع فیها دم الحجامه عند المص . و هراق الماء یهریقه بفتح الهاء کدرجه یدرجه هراقه أي صبه واصله اراق یریق اراقه واصل اراق یریق یریق ثم غیر کذا فی مجمع البحرین .

(۳) الکافی ج ۸ ص ۱۰۲ . (۴) بصائر الدرجات : ص ۵۱۰ ج ۱

دراين چمن گل بيخارکس نچيد آری چراغ مصطفوي را شرار بولهبيست
المقالة التاسعة

في العلم والايمان ، ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات بالمجادلة/ ١١ .

کلمة

في تقسيم العلم والعلماء وانه باى عالم يقتدى

العلم علمان علم يقصد لذاته وهو نور يظهر في القلب فيشرح فيشاهد الغيب وينفسح فيتحمل البلاء ويحفظ السر ، وعلامته التجافي عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود وهو الأفضل ، لأنه المقصد الأقصى .

وعلم يقصد للعمل ظاهراً أو باطناً ليتوسل إلى ذلك النور ، وهو العلم بما يقرب إلى الله تعالى وما يبعد عنه ، وعلامته الحلم والصمت وتصديق الفعل القول وهو الأقدم لأنه الشرط ومنه العلم بالأحكام الشرعية إذا اخذ من معدنه .

وأما مجادلة الكلام والتعمق في فتاوى تستنبط بالرأي فليسا من العلم والفقہ في شيء بل هو مما يقسي القلب وهو يبعد عن الله عز وجل ، وإنما رخص في التكلم لضرورة دفع شبهة المعاندين ، وقد ورد عن الرضا (ع) (أن ائمه أكبر من نفعه)^(١) .

وربما يسمى العلم المقصود به العمل بالعلم الظاهر وعلم الشريعة ، والعلم المقصود لذاته بعلم الباطن وعلم الحقيقة ، والمجموع بالحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً ، والعلم لا يكون علماً حتى يكون يقيناً ، ولليقين ثلاث مراتب : علم اليقين وهو تصور الامر على ما هو عليه ، وعين اليقين وهو شهوده كما هو ، وحق اليقين وهو الفناء في الحق والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً .

وعلماء سه طایفه اند یکی آنانند که علم ظاهر دانند وبس وایشان مانند چراغند که خود را سوزند وديکران را فروزند ، واین طایفه کم است که از محبت دنیا خالی باشند ، بلکه دين را بدنيا فروشند ، چراکه ایشان نه دنیا را شناخته اند و نه آخرت رادانسته که این هردو نشأه را بعلم

(١) التوحيد: ص ٤٥٩ ح ٢٦ .

باطن توان شناخت نه ظاهر پس هرآینه این قوم راصلا حیث رهبری خلاق نیست بلی عوام بدیشان مبتدی میشوند وبالعرض منتفع میگردند چنانچه حدیث (إِنَّ اللَّهَ لِيُؤَيِّدَ هَذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لَا خَلْقَ لَهُمْ)^(۱) ، (وَإِنَّ اللَّهَ لِيُؤَيِّدَ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ)^(۲) اشاره بدان نموده ، وگناه باشد درمیان ایشان کسی یافت شود که بیایکی طینت وصفای سریره متصف باشد وبحق رهبری عوام تواند کرد وبدان مثاب ومأجور باشد .

دوم آنانندکه علم باطن داندوبس وایشان مانند ستاره اند که روشنی آن ازحوالی خودش تجاوز نکند ، وازاین طایفه نیز رهبری نیاید ، چراکه بیش از کلیم خود از آب بیرون نتوانند کشید بجهت آنکه علم باطن بی ظاهر سعت واحاطت نتواند داشت وبکمال نتواند بود .

سیم آنانندکه هم علم باطن داندوهم علم ظاهر ومثل ایشان مثل آفتابست که عالمیرا روشن تواند نمود ، وایشانند که سزاوار ورهبری خلاقند که یکی از ایشان شرق وغرب عالم را فرا تواند رسید .

لیکون چون در صدد رهبری وپیشوائی درآیند محل طعن أهل ظاهر میگردند واز ایشان اذیتها میکشند ، چراکه دراین هنگام ایشان را نزد عامه ناچار جاهلی وعزتی رومیدهد وعلمای دنیا که ابنای دنیا اند نمیتوانند دید که دنیاکه معشوق ایشانست با دیگری باشد وسبب دیگر دراذیت ایشان تشبه طایفه از جهال است با ایشان در اقوال وافعل ودعاوی خالی از احوال وکرویدن جمعی از عوام بدین متشبهان ضال . شعر :

عیب ما نیست ورنه میبینیم گوهری درمیان چندین خس
واصول علم حکمت رادر زمان پیشین از انفاس مبارک انبیاء مرسل علیهم السلام زیر کان
هر عصر فراگرفته اند ، وازپرتو سخنان وحی نشان ایشان جهانیان را بدان رهنمائی نموده حافظ
هربوی که از مشک وقر نقل شنوی از دولت آن زلف چو سنبل شنوی

واین حکمت قدما که مورث انبیاست غیر حکمت متعارفتست که امر وزمیان متاخرین شایع است ، چراکه تحریفی چند یافته است بجهت سوی افهام ناقلان وإخلال بشرایط تحصیل آن ، وچون آفتاب حضرت خاتم انبیاء (ص) در غرب عرب تواری نموده بوداز مشرق قریش طالع شد وزمین وزمان را بانوار هدایت آثار روشن کردانید وریاض حکمت قدیمه از انوار آن

(۱) احیاء علوم الدین : ج ۳ ص ۲۹ (۲) احیاء علوم الدین : ج ۳ ص ۲۹

حضرت واهل بيت اوکه خاندان عصمت و طهارت و از جنس انس و زمرة ملائکه مقرب الهی ممتازند خصوصاً حضرت امير المؤمنين و سيد الموحدين سلام الله عليه و عليهم اجمعين رونق و طراوتی دیگر پذیرفت .

ومزارع علم و معرفت از تابش پرتو انوار الطاف آثار ایشان نشو و نمائی تازه یافت ، از هر چمنش کلهای کونا کون شکفانیدن گرفت و برهر شاخساری از درخت جمعیتش الوان بارها بار آورد .

شعر

هردم از این باغ بری میرسد تازه تر از تازه تری میرسد
وذلك لأنهم صلوات الله عليهم نطقوا بمخ الحكمة تصریحا و تلویحا ، و أتوا بلباب العلم
و مکتونه رمزاً و کشفاً علی حسب تفاوت درجات افهام المخاطبین ، إذ كان لهم قدرة النزول في
العلم و الحكمة إلى العامي الضعيف الرأي بما يصلح لعقله من ذلك وإلى الكبير العقل الصحيح
النظر بما يصلح لعقله و انهم كانوا أعلم خلق الله بما غاب عنهم . حافظ

از رهگذر خاک سر کوی شما بود هر نایه که در دست نسیم سحر افتاد
و جمعی از بزرگان این امت که بر ذمت همت خویش التزام متابعت آنحضرت و اهل بیتش
لازم داشته بودند بوسیله پیروی سنن کرامی آثارش ظاهر و باطن خویش را بمراقبت و مقاربت
مزین و محلی کردانیده ، از فهم رموز و اسرار ایشان محل بدایع حکمت کشتند و از نفس مبارک
هریک غرایب علوم ظاهر شد .

حافظ

هرکجا آن شاخ نرکس بشکفتد گلر خانش دیده نرکس دان کنند
لیکن همه مردمان را قابلیت فهم این علم و توفیق این عبادت نیست ، و همه کس شایسته
این شرف و سعادت نه ، فان شامخ^(۱) المعرفة اشمخ من ان يطير إليه كل طائر ، و سراق
البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كل سائر ، یضل به كثيراً و یهدی به كثيراً و لهذا اهلش ازنا
اهل مصون میدارد ، چون در مکنون در صدف سینه مخزون حافظ .

نهفته معنی نازک بسی است در خط یار تو فهم این نکنی ای ادیب من دانم

(۱) شمع الجبل : علا و طال . و الرجل بانفه : تکبر . و .

حضرت امام زين العابدين (ع) ميفرمايد : (اني لاكنم من علمي جواهره) إلى اخر ما قال : وقد سبق ذكره في الثانية من الاولى مع اخبار اخر في هذا المعنى .
 وعن الصادق (ع) (أمرنا سر مستور في سر مقنع بالميثاق من هتكه أذله الله)^(١) وقال (ع)^(٢) ' هو الحقّ وحقّ الحقّ وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السرّ وسرّ المسترّ وسرّ مقنع بسرّ)^(٣) ، وقال (ع) (خالطوا الناس مما يعرفون ودعوهم ممّا ينكرونه ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان)^(٤) .

وعن الباقر (ع) (إن حديث آل محمد صعب مستصعب ثقيل مقنع أمرد ذكوان لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان أو مدينة حصينة)^(٥) .
 ومعنى ذكوان ومعنى أمرد طريّ ، كذا ورد عنهم (ع)^(٦) ، وعن أمير المؤمنين (ع) (إن حديثنا صعب مستصعب خشن مخشوش فانبذوا إلى الناس نبذا فمن عرف فزيده ومن انكر فامسكوا لا يحتمله الا ثلاث ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان)^(٧) .

حافظ

بمستبوران مكو اسرار مستى حديث جان ميرس از نقش ديوار
 (وسأله كميل بن زياد عن الحقيقة فقال (ع) : مالك والحقيقة ؟ قال : أولست صاحب سرّك ؟ قال : بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح^(٨)) مني ثم اجابه عما سأل^(٩)) حافظ .
 شرح مجموعه گل مرغ سحر دانند وبس كه نه هركو ورقى خواند معانى دانست

(١) بصائر الدرجات : ج ١ ص ٤٨ ح ٣ و ٢

(٢) ان أمرنا هو الحقّ الى أن قال « سر السروسر المستر » الخ « كذا في المختصر .

(٣) بصائر الدرجات : ج ١ ص ٤٩ ح ٤ (٤) بصائر الدرجات : ج ١ ص ٤٦ ح ٢ (٥) بصائر الدرجات : ج ١ ص ٤١ ح ٣

(٦) روي الشيخ الجليل الحسن بن سليمان الحلبي في كتاب مختصر بصائر الدرجات عن أبي عبد الله (ع) انه قال :

حديثنا صعب مستصعب ذكوان أجرد مخنع ، قال : قلت : فسر لي جعلت فداك قال : ذكوان ذكي أبدأ قال :

قلت أجرد قال : طوى أبدأ قلت : مقنع قال : مستور

« أقول » : هكذا في المختصر لكن الظاهر أن تكون طوى مصحفة والصحيح طري بالراء اذ هو المناسب

للمعنى اللغوي لان الاجرد الذي لا شعر له على بدنه ضد الاشعر والعلم عند الله

(٧) بصائر الدرجات : ج ١ ص ٤١ ح ٥

(٨) طفح الاناء كمنع طفحاً وطفوحاً امتلاء وارتفع وانا طفحان يفيض من جوانبه . ق .

(٩) رجال النيسابوري كما في الروضات في ترجمة كميل وفي المحجة البيضاء ج ١ ص ٦٤

وعن النبي (ص) (من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ، ومن منع أهلها ظلم فاعط كل ذي حق حقه)^(١) . حافظ .

مصلحة نیست که از پرده برون افتدراز ورنه در مجلس رندان خبری نیست که نیست

كلمة

فيها اشارة الى طريق تحصيل الحكمة وقلة أهلها وعداوة العامة لها بجهلها

إنما يحصل هذا العلم من الله سبحانه لمن تبتل إليه تبتيلا ، واتخذ بالذکر والفکر إليه سبيلا ، على قدر صفاته وقبوله وقوته واستعداده ، فلا يحصل إلا بعد فراغ القلب وصفاء الباطن وتخليته عن الرذائل وتحليلته بالفضائل ولا سيما الزهد في الدنيا ومتابعة الشرع وملازمة التقوى .

﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾^(٢) ، ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾^(٣) ، ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾^(٤) ، ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾^(٥) ، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾^(٦) .

وفي الحديث النبوي (ص) (ليس العلم بكثرة التعلم إنما هو نور يقذفه الله في قلب من يريد أن يهديه)^(٧) وقال (ص) : (من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)^(٨) ، وقال (ص) (العلم نور وضياء يقذفه الله في قلوب أوليائه ونطق به على لسانهم)^(٩) ، وقال (ص) : (ما من عبد إلا ولقلبه عينان وهما غيب يدرك بهما الغيب فإذا اراد الله بعبد خيراً فتح عيني قلبه فيرى ما هو غائب عن بصره)^(١٠) ، وقال (ص) : (إن التور إذا دخل في القلب انشرح وانفسح ، قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة ؟ قال : نعم التجافي عن دار الغرور ، والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله)^(١١) .

وفي كلام أمير المؤمنين (ع) (ان من أحب عباد الله إليه عبد أعانه الله على نفسه فاستشعر لحزن وتجليب الخوف فظهر « فزهرخ » مصباح الهدى في قلبه « إلى أن قال » قد خلع سراويل الشهوات وتخلي من الهموم إلا همًا واحدا انفرد به ، فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل

(١) المحجة : ج ٥ ص ٤٥ .

(٢) عن الجامع الصغير كما في المحجة : ج ٥ ص ٤٦ . (٣) مجمع البيان : مجلد ٣ ج ٨ ص ١٩٠

(٤) المحجة : ج ١ ص ٩١ ورواه نفس المعنى في البحار : ج ٢ ص ٦٦ (٥) سورة البقرة : الآية ٢٨٢

(٦) سورة الانفال : الآية ٢٩ (٧) سورة الاعراف : الآية ٩٦ . (٨) سورة الطلاق : الآية ٢ - ٣

(٩) سورة العنكبوت : الآية ٦٩ . (١٠) المحجة : ج ١ ص ٢٧٧ . (١١) الدر المنثور : ج ٢ ص ٢٣٧

الهوى وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى قد أبصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى بأوثقها ومن الحبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس^(١).

وفي كلام آخر (قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لا مع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعت الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة ، وثبت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه)^(٢).

وفي كلام آخر له (ع) (هجم بهم العلم على حقايق الامور ، وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون^(٣) وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه اه اه شوقاً إلى رؤيتهم)^(٤).

وقال (ع) : (ليس العلم في السماء فينزل إليكم ولا في تخوم الأرض فيخرج لكم ، ولكن العلم مجبول في قلوبكم تأدبوا بأداب الرّوحانيين يظهر لكم) .

وصاحب هذا العلم بعد الأنبياء والاولياء ليس إلا المؤمن الممتحن وهو قليل جداً قال الصادق (ع) : (المؤمن أعز من الكبريت الأحمر)^(٥) ، وقال الباقر (ع) : (الناس كلهم بهائم إلا قليل من المؤمنين)^(٦).

مولوى

باكه گویم در همه ده زنده کو سوى آب زندكي پوينده كو
آنجه ميگويم بقدر فهم تست مردم اندر حسرت فهم درست
سالكان طريق اين علم غرق دريای يقينند هرچه شنوند وبينند حق شنوند وحق بينند آينه
دل ايشان زنك وبادۀ توحيد شان رنك ندارد .

(١) نهج البلاغة : ص ١١٨ خطبة ٨٧ (٢) نهج البلاغة : ص ٣٣٧ خطبة ٢٢٠

(٣) قال (قد) في الوافي : أراد (ع) بما استوعره المترفون يعني المتنعمين رفض الشهوات البدنية وقطع التعلقات الدنيوية وملازمة الصمت والسهر والجوع والمراقبة والاحتراز عما لا يعني ونحو ذلك ، وانما يتيسر ذلك بالتجافي عن دار الغرور والترقي الى عالم النور والانس بالله والوحشة عما سواه وضرورة الهوم جميعاً همماً واحداً « الخ »

(٤) نهج البلاغة : ص ٤٩٧ - حكمة ١٧٤ (٥) الكافي : ج ٢ ص ٢٤٢ ح ١ (٦) الكافي : ج ٢ ص ٢٤٢ ح ٢

حافظ

غلام همت آنم که زیر چرخ کبود زهرچه رنک تعلق پذیرد آزاد است
همشان عالی دلشان از غیر دوست خالی و چون اکثر منسوبان بعلم و اتباع ایشان ابنای
دنیا و بر ستاران جهل و هوا میباشند خصوصاً آنهایی که پیشوائی عوام دردمآغشان جاگرفته با این
قوم که اهل آخرت و اصحاب معرفتند و با این علم که ورای افهام پست و بر تراز ادراک محسوس
پراست ایشانست بجهت ضدیت و تناکر جنسیت و تباین طریق و تخالف سعت و ضیق دشمنی
نموده طریقه این قوم را منکر می شمارند و این علمرا بکفر و زندقه موسوم میگردانند ، الناس
اعداء لما جهلوا .

شعر

آنکس که ز شهر آشنائست داند که متاع ما کجائست

حافظ

ساقی بیار باده و با مدعی بگو انکار ما مکن که چنین جام جم نداشت
کلمه

بها یجمع بین الاراء المختلفة في المسائل الدينية

قال الله سبحانه : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب و آخر
متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ^(١) فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم
تأويله إلا الله و الراسخون في العلم﴾^(٢) .

و هذا نهی صریح عن تأویل المتشابه لغير الراسخين في العلم فيجب علينا أن نؤمن
بالمتشابه و نصدقه على مراد قائله حتى يصل إلينا تأويله ، و عن الرضا (ع) (من رد متشابه القرآن
إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم ثم قال (ع) : و في اخبارنا متشابه كمتشابه القرآن و محكماً
كمحكم القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها و لا تتبعوا متشابهها دون محكمها فضلوا)^(٣) .

و عن الصادق (ع) (إنما الامور ثلاثة : أمر بين رشده فيتبع ، و أمر بين غيه فيجتنب ، و أمر

(١) الزیغ : الميل عن الاستقامة کذا في المفردات و قال في مجمع البحرين : الزیغ : الميل عن الحق ، الى أن
قال ، و الزیغ الشك و الحول و العدول عن الحق

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧ (٣) عيون اخبار الرضا : ج ٢ ص ٢٢٦ ح ٣٩

مشكل يرد علمه إلى الله ورسوله ، قال رسول الله (ص) : حلال بين ، وحرام بين ، وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجى من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم (١) ، وفي رواية أخرى (ومن حام حول الحمى أوشك ان يقع فيه (٢)) (٣) .

وهذا الحديث النبوي (ص) رواه الصادق (ع) مع استفاضة بين أهل الاسلام ومطابقتها للقرآن وموافقته للوجدان نص في تثليث الأحكام وبه يكاد يرتفع الخلاف بين الفقهاء ويحصل الخلاص عما نهينا عنه من القول بالرأي والاجتهاد وما لا يجوز عليه الاعتماد لا بها مناماً أبهم الله وسكوتنا عما سكت الله ، وكما أن تارك الشبهات ليس كالهالك من حيث لا يعلم فكذلك الهالك من حيث لا يعلم ليس كالهالك من حيث يعلم .

فالناس ثلاث فرق مترتبين ولما كان ذلك كذلك وارتفع الحاجة إلى القطع في جميع الاحكام فصح القول بلا ادري الذي هو نصف العلم صح النهي عن التدين بما لا يعلم بالبرهان وعن القول بالرأي من غير استيقان كما ورد في اخبار كثيرة سواء تعلق بالاعتقاد او العمل لأن التشابه في المتشابه محكم ما لم يصل إلينا تأويله من أهله وكذا الشبهة في المشتبه ، فالجاهل بما لا سبيل له إلى القطع فيه معذور وباعترافه بالجهل مأمور ليس له أن يجتهد رأيه ويعمل به ولا أن يقلده في غيره ويثق به بل يحتاط فيما لم يرد فيه نص يعتمد عليه ويتخير فيما اختلفت الرواية فيه كما ورد عنهم (ع) فكل ما نظطر إلى العلم به فلنا طريق إلى العلم به ، كل ما لا طريق لنا إلى العلم به فلا نظطر إلى العلم به والله الحمد على ذلك .

وقال امير المؤمنين (ع) : (ان الله حدّ حدوداً فلا تعتدوها وفرض فرائض فلا تنقصوها وسكت عن أشياء لم يسكت عنها نسياناً لها فلا تكلفوها رحمة من الله لكم فاقبلوها) (٤) وقال (ع) : في ذم اختلاف العلماء في الفتيا : ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند امامهم الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً واليهم واحد وكتابهم واحد ونبئهم واحد .

أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه ؟ أم نهاهم عنه فعصوه ؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً

(١) الكافي : ج١ ص٦٧ ح١٠ (٢) أي من قارب المعاصي ودنا منها قرب وقوعه فيها . م .

(٣) احياء علوم الدين : ج٣ ص٣١

(٤) نهج البلاغة : ص ٤٨٧ حكمة ١٠٥ (باختلاف بسيط)

ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ؟ أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول. ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾^(١) ، ﴿وفيه تبياناً لكل شيء﴾^(٢) وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾^(٣) وأن القرآن ظاهره انيق^(٤) وباطنه عميق^(٥) لا تفتنى عجائبه ولا تنقضى غرايبه ولا تنكشف الظلمات إلا به^(٦) .

وقال (ع) : (اعلموا عباد الله أن المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ عاماً أوّل ويحرّم العام ما حرّم عاماً أوّل وان ما أحدث الناس لا يحلّ لكم شيئاً ممّا حرّم عليكم ، ولكن الحلال ما أحلّ الله والحرام ما حرم الله)^(٧) .

وقال (ع) (يا معشر شيعةنا والمتحلّين ولايتنا إياكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السنن تفلتت منهم الأحاديث ان يحفظوها ، واعيتهم^(٨) السنة ان يعوها^(٩) ، فاتخذوا عباد الله حولا وماله دولا فذلت لهم الرقاب واطاعهم الخلق أشباه الكلاب ونازعوا الحق وأهله وتمثلوا بالأئمة الصادقين وهم من الجهال الملاعين ، فسئلوا عمّا لا يعلمون ، فانفوا أن يعترفوا بأنهم لا يعلمون ، فعارضوا الدين بآرائهم فضلوا وأضلوا اما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرّجلين أولى بالمسح من ظاهرهما)^(١٠) .

وعن الباقر (ع) (من افتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحد وحرّم فيما لا يعلم)^(١١) .

وعن الصادق (ع) (أنه سئل ما حق الله على خلقه ؟ فقال : أن يقولوا ما يعلمون ويكفّوا

(١) سورة الانعام : الآية ٣٨ (٢) سورة النحل : الآية ٨٩ (٣) سورة النساء : الآية ٨٢

(٤) اي حسن معجب بأنواع البيان وأصنافه ، وغرابة الاسلوب وحسنه ؛ وابتلاف النظم وانساقه .

(٥) شرح الخوئي لاشتماله على أنواع الحكم من أمر بحسن ونهي عن قبيح وخبر عن مخبر صدق ودعاء الى مكارم الاخلاق وحث على الخير والزهد واشتماله على تبيان كل شيء ، وعلى ما كان وما يكون وما هو كايين .

(٦) نهج البلاغة : ص ٦٠ خطبة ١٨ (٧) نهج البلاغة : ص ٢٥٤ خطبة ١٧٦

(٨) قوله تعالى أفعيننا بالخلق الاول اي أفاعجز بالخلق الاول حين أنشأناكم يقال : عيا من باب تعب عجز عنه ولم يهتد لوجه مراده وفي حديث الأئمة (ع) فان اعياننا شيء تلقانا به روح القدس وفي المفردات الاعياء عجز يلحق البدن من المشي ، والعي عجز يلحق من تولى الامر والكلام .

(٩) الوعي حفظ الحديث ونحوه قال تعالى : وتعيها اذن واعية وفي الحديث عن النبي (ص) هي اذنك يا علي

(١٠) البحار : ج ٢ ص ٨٤ . (١١) الكافي : ج ١ ص ٥٧ ح ١٧

عَمَّا لَا يَعْلَمُونَ^(١) لَوْعَنَهُ^(ع) أَنَّهُ قِيلَ لَهُ تَرَدُّدٌ عَلَيْنَا أَشْيَاءٌ لَا نَعْرِفُهَا فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ فَتَنْظُرُ فِيهَا؟
قال : لا أما أنك لو أصبت لم توجر ، وإن أخطأت كذبت على الله^(٢) .

والإخبار في هذا المعنى عنهم^(ع) أكثر من أن تحصى فما اشتهر بين أهل الاجتهاد ان
من اجتهد فاصاب فله أجران ومن اجتهد فإخطأ فله أجر واحد ، فهو خير عامي لا يفيد ظناً ،
وإن صح فهو محمول على الاجتهاد في متعلقات الأحكام مثل الاجتهاد في القبلة ودخول الوقت
وفقر أخذ الزكاة إلى غير ذلك إذا لم يتيسر العلم به دون نفس الحكم الشرعي ، فان ذلك تشريع
لا يصح إلا بالوحي قال الله تعالى : ﴿فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) وأهل الذكر
هم الأئمة المعصومون من أهل بيت النبوة والوحي المنصوبون لنجاة الخلق .

وقال الصادق^(ع) : (أما أنه شر عليكم ان تقولوا بشيء ما لم تسمعه منا)^(٤) ، وقال
^(ع) : (اذا أردت العلم الصحيح فخذ عن أهل البيت فانا رويناه واوتينا شرح الحكمة وفصل
الخطاب ان الله اصطفانا واتانا ما لم يؤت أحداً من العالمين)^(٥) ، وقال^(ع) : (احتفظوا بكتبكم
فانكم سوف تحتاجون اليها)^(٦) ، وقال^(ع) : (لمفضل بن عمر : اكتب وبت علمك في
اخوانك فان مت فاورث كتبك بنيك فانه يأتي على الناس زمان حرج لا يأنسون فيه إلا
بكتبهم)^(٧) .

شعر

ان آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار
كلمة

في معنى المحكم والمتشابه والتأويل

المحكم ما اتفق عليه الافهام ، والمتشابه ما اختلف فيه ، وقد يكون المتشابه عند قوم
محكما عند آخرين ولهذا قال الصادق^(ع) : (المتشابه ما اشتبه على جاهله والتأويل تعميم
المعنى المتبادر من اللفظ بحيث يشمل معاني اخر تشترك معه في المفهوم فيحمل على غير
المتبادر من تلك المعاني وبه يرتفع التناقض فيما خص من الالفاظ تارة بهذا المعنى واخرى
بذلك)^(٨) .

وتحقيق القول في التأويل يقتضي الاتيان بكلام مبسوط من جنس اللباب ، وفتح باب من

(١) الكافي : ج ١ ص ٥٠ ح ١٢ (٢) الكافي : ج ١ ص ٥٦ ح ١١ (٣) سورة النحل : الآية ٤٣ (٤) الكافي : ج ٢ ص ٤٠٢
ذيل ح ١ (٥) المحجة : ج ١ ص ٢٠١ راجع البصائر الباب الثامن عشر من الجزء العاشر . (٦) الكافي : ج ١ ص ٥٢
ح ١٠ (٧) الكافي : ج ١ ص ٥٢ ح ١١ (٨) انظر الوسائل : ج ١٨ ص ١٤٨ نقله عن رسالة المحكم والمتشابه .

العلم يفتح منه لأهله ألف باب فنقول وبالله التوفيق .

إن لكل معنى من المعاني حقيقة وروحا وله صورة وقالب وقد يتعدّد الصّور والقوالب لحقيقة واحدة ، وانما وضعت الالفاظ للحقايق والأرواح ولوجودهما في القوالب يستعمل الالفاظ فيها على الحقيقة لاتحاد ما بينهما .

مثلا لفظ القلم إنما وضع لآلة نقش الصّور في الألواح من دون ان يعتبر فيها كونها من قصب أو حديد أو غير ذلك ، بل ولا أن يكون جسماً ، ولا كون النقش محسوسا أو معقولا ، ولا كون اللوح من قرطاس أو خشب ، بل مجرد كونه منقوشا فيه ، وهذا حقيقة اللوح وحده وروحه فان كان في الوجود شيء يتسطر بواسطته نقش العلوم في ألواح القلوب فاخلاق « كذا » به أن يكون هو القلم فان الله علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم بل هو القلم الحقيقي حيث وجد فيه روح القلم وحقيقته وحده من دون ان يكون معه ما هو خارج عنه .

وكذلك الميزان مثلا فانه موضوع لمعيار يعرف بها المقادير وهذا معنى واحد هو حقيقته وروحه وله قوالب مختلفة وصور شتى بعضها جسماني وبعضها روحاني كما يوزن به الأجرام والأنقال ، مثل ذي الكفتين والقيان وما يجري مجراها ، وما يوزن به المواقيت والارتفاعات كالاسطرلاب ، وما يوزن به الدواير والقسي كالفرجار وما يوزن به الأعمدة كالأشاقول ، وما يوزن به الخطوط كالمسطر ، وما يوزن به الشعر كالعروض ، وما يوزن به الفلسفة كالمنطق ، وما يوزن به بعض المدركات كالحس والخيال ، وما يوزن به العلوم والأعمال كما يوضع ليوم القيامة ، وما يوزن به الكل كالعقل الكامل إلى غير ذلك من الموازين .

وبالجمله ميزان كل شيء يكون من جنسه ولفظة الميزان حقيقة في كل منها باعتبار حده وحقيقته الموجودة فيه ، وعلى هذا القياس كل لفظ ومعنى وأنت إذا اهتديت إلى الأرواح صرت روحانيا وفتحت لك أبواب الملكوت وأهلت لمرافقة الملائة الأعلى وحسن اولئك رفيقا .

فما من شيء في عالم الحس والشهادة إلا وهو مثال وصورة لأمر روحاني في عالم الملكوت هو روحه المجرد وحقيقته الصرفة وعقول جمهور الناس في الحقيقة أمثلة لعقول الأنبياء والأولياء فليس للأنبياء والأولياء أن يتكلموا معهم إلا بضرب الأمثال لانهم امروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم بالنسبة إلى تلك النشأة والنائم لا ينكشف له شيء في الأغلب إلا بمثل .

ولهذا من كان يعلم الحكمة غير أهلها رأى في المنام أنه يعلق الدرّ في أعناق الخنازير ،

ومن كان يؤذن في شهر رمضان قبل الفجر رأى أنه يختم على أفواه الناس وفروجهم وعلى هذا القياس .

وذلك لعلامة خفية بين النشآت ، فالناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وعلموا حقايق ما سمعوه بالمثال وعرفوا أرواح ذلك وعقلوا أن تلك الأمثلة كانت قشوراً قال الله سبحانه : ﴿انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾^(١) .

فمثل العلم بالماء والقلوب بالأودية والضلال بالزبد ثم نبه في آخرها فقال ﴿كذلك يضرب الله الامثال﴾^(٢) ، فكل ما لا يحتمل فهمك فان القرآن يلقيه اليك على الوجه الذي كنت في النوم مطاً ما بروحك للوح المحفوظ ليمثل لك بمثال مناسب ، وذلك يحتاج إلى التعبير .

فالتأويل يجري مجرى التعبير ، فالمفسر يدور على القشر ، ولما كان الناس انما يكلمون على قدر عقولهم ومقاماتهم فما يحاطب به الكل يجب أن يكون للكل فيه نصيب ، فالقشرية من الظاهر بين لا يدركون إلا المعاني القشرية كما أن القشر من الانسان وهو ما في الاهداب^(٣) والبشرة من البدن لا ينال إلا قشر تلك المعاني وهو ما في الجلد والغلاف من السواد والصّور .

وأما روحها وسرّها وحقيقتها فلا يدركها إلا اولو الألباب ، وهم الراسخون في العلم وإلى ذلك أشار النبي (ص) في دعائه لبعض أصحابه حيث قال (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)^(٤) ولكل منهم حظ قلّ ام كثر ، وذوق نقص أو كمل ، ولهم درجات في الترقى إلى اطوارها وأغوارها وأسرارها وأنوارها .

وأما البلوغ للاستيفاء والوصول إلى الأقصى فلا مطمع لأحد فيه ولو كان البحر مداداً

(١) الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر ، والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان والوزن يزيد وينقص فاذا كان مساوياً فهو القدر ؛ والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له ويقال علا صوته على فلان فاحتمله ولم يعصه ، والزبد قدر الغليان وهو خبث الغليان ومنه زبد القدر وزبد السيل ، ورابياً أي طافياً عالياً فوق الماء .

شبه سبحانه الحق والاسلام بالماء الصافي النافع لخلق ، والباطل بالزبد الذاهب باطلا وقيل : انه مثل للقرآن النازل من السماء ثم تحتمل القلوب حفظها من اليقين والشك على قدرها فالماء مثل اليقين والزبد مثل الشك كذا في مجمع البيان (٢) سورة الرعد : الآية ١٧ (٣) سورة الرعد : الآية ١٧

(٤) الاهداب ككتاب : الجلد ويقال ما لم يدبغ وربما استعير لجلد الانسان . م .

(٥) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٣٨

لشرحه والاشجار أقلاماً قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً^(١) .

ومما ذكر يظهر سبب اختلاف ظواهر الآيات والاختبار الواردة في اصول الدين وذلك لأنه ممّا خوطب به طوائف شتى وعقول مختلفة ، فيجب أن يكلم كل على قدر فهمه ومقامه ومع هذا فالكل صحيح غير مختلف من حيث الحقيقة ولا مجاز فيه أصلاً ، واعتبر ذلك بمثال العميان والفقيل وهو مشهور .

وعلى هذا فكل من لم يفهم شيئاً من المتشابهات من جهة أن حمله على الظاهر كان مناقضاً بحسب الظاهر لاصول صحيحة دينية وعقائد حقة يقينية عنده فينبغي أن يقتصر على صورة اللفظ ولا يبدلها ويحيل العلم به إلى الله والراسخين في العلم ، ثم يترصد لهبوب رياح الرحمة من عند الله ويتعرض لنفخات أيام دهره الآتية من قبل الله ، لعل الله يأتي له بالفتح أو امر من عنده ، ويقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فان الله سبحانه ذمّ قوماً على تأويلهم المتشابهات بغير علم إذ قال : ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾^(٢) .

كلمة

بها يتبين مراتب الايمان والكفر

قال الله سبحانه : ﴿يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾^(٣) ومرجع الايمان إلى العلم ، وذلك لأن الايمان هو التصديق بالشيء على ما هو عليه ولا محالة هو مستلزم لتصور ذلك الشيء كذلك وهما معنى العلم ، والكفر ما يقابله وهو بمعنى السّر والغطاء ، ومرجعه إلى الجهل ، وللعلم والايمان درجات مترتبة في القوة والضعف والزيادة والنقصان بعضها فوق بعض .

عن الصادق (ع) (للايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل ، فمنه التام المنتهي تمامه ، ومنه الناقص البين نقصانه ، ومنه الراجح الزايد رجحانه)^(٤) .

(١) سورة الكهف : الآية ١٠٩ (٢) سورة آل عمران : الآية ٧

(٣) سورة النساء : الآية ١٣٦ (٤) الكافي : ج ١ ص ٣٨ ح ٧

وعن الباقر (ع) (إن المؤمنين على منازل ، منهم على واحدة ، ومنهم على اثنين ومنهم على ثلاث ، ومنهم على أربع ، ومنهم على خمس ؛ ومنهم على ست ، ومنهم على سبع ، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو ، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو - وساق الحديث ، ثم قال : - وعلى هذه الدرجات)^(١) ، وزاد في رواية (ولو علم الناس أن الله خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحد احداً)^(٢) .

أقول : وذلك لأن الايمان إنما يكون بقدر العلم الذي به حياة القلب ، وهو نور يحصل في القلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الله جل جلاله ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾^(٣) ، ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾^(٤) .

وهذا النور قابل للقوة والضعف والازدياد والنقص كساير الانوار ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً﴾^(٥) ، ﴿وقل رب زدني علماً﴾^(٦) كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيقوى الايمان ويتكامل إلى أن ينسط نوره ، فيشرح صدره ، ويطلع على حقايق الاشياء ويتجلى له الغيوب ويعرف كل شيء في موضعه .

فيظهر له صدق الأنبياء في جميع ما اخبروا عنه اجمالاً وتفصيلاً على حسب نوره بمقدار انشراح صدره . وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مأمور ، والاجتناب عن كل محذور « محظور » ، فيصاب إلى نور معرفة أنوار الأخلاق الفاضلة والملكات الحميدة ، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، نور على نور ، وكل عبادة تقع على وجهها تورث في القلب صفاء تجعله مستعداً لحصول نور فيه وانشراح ومعرفة ويقين ، ثم ذلك النور والمعرفة واليقين تحمله على عبادة اخرى واخلاص آخر فيها يوجب نوراً آخر وانشراحاً أتم ومعرفة اخرى ويقينا أقوى ، وهكذا إلى ما شاء الله .

ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلما أضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي سبباً لأضواء اخرى منه وهكذا في الحديث النبوي (ص) (من علم وعمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)^(٧) .

(١) الكافي : ج١ ص٤٥٣ (٢) الكافي : ج١ ص٤٤٤ ح١ (٣) سورة البقرة : الآية ٢٥٧

(٤) سورة الانعام : الآية ١٢٢ (٥) سورة الانفال : الآية ٢

(٦) سورة طه : الآية ١١٤ (٧) البحار : ج٤٠ ص١٢٨ والحياة : ج١ ص٩٩

فأوائل درجات الايمان تصديقات مشوبة بالشكوك والشبهة على اختلاف مراتبها ويمكن معه الشرك وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، وعنها تعبر بالاسلام في الأكثر ﴿قالت الأعراب آمنة قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾ (١) .

وأوسطها تصديقات لا يشوبها شك ولا شبهة ، ﴿الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ (٢) ، وأكثر اطلاق الايمان عليها خاصة ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ (٣) .

وأواخرها تصديقات كذلك مع كشف وشهود وذوق وعيان ومحبة كاملة لله سبحانه وشوق تام إلى حضرته المقدسة ﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ (٤) وعنها العبارة تارة بالاحسان الاجسان أن تعبد الله كانك تراه ، والاخرى بالايقان ، ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ (٥) .

وإلى المراتب الثلاث الاشارة بقوله عز وجل : ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾ (٦) (٧) .

ولما كان الكفر في مقابلة الايمان فله أيضاً درجات ومراتب لا يمكن الخروج منها جميعاً إلا بعد طي مراتب الايمان جميعاً ولما كان الايمان الكامل الخالص هو التسليم لله تعالى والتصديق بما جاء به النبي (ص) لساناً وقلبا على بصيرة مع امتثال جميع الأوامر والنواهي كما هي .

فمن لم تصل إليه الدعوة النبوية ولو في بعض الأمور لعدم سماعه أو عدم فهمه فهو كافر

(١) سورة الحجرات : الآية ١٤ (٢) سورة الحجرات : الآية ١٥ (٣) سورة الانفال : الآية ٢

(٤) سورة المائدة : الآية ٥٤ (٥) سورة البقرة : الآية ٤

(٦) قال الطبرسي (قد) في مجمع البيان : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح » اي اثم و حرج « فيما طعموا » من الخمر والميسر قبل نزول التحريم ، وفي تفسير أهل البيت (ع) فيما طعموا من الحلال ، وهذه اللفظة صالحة للاكل والشرب جميعاً « اذا ما اتقوا » شربها بعد التحريم « وآمنوا » بالله « و عملوا الصالحات » أي الطاعات « ثم اتقوا » أي داموا على الاتقاء « وآمنوا » أي داموا على الايمان ؛ « ثم اتقوا » بفعل الفريض « وأحسنوا » بفعل النوافل وذكر (ره) فيه وجوهاً اخر فراجع « والله يحب المحسنين » أي يريد ثوابهم واجلالهم و اكرامهم و تيجيلهم .

(٧) سورة المائدة : الآية ٩٣

بحسبه كفر جهالة ، وهو أهون الكفار عذاباً بل أكثرهم لا يرون عذاباً وإليهم الإشارة بقوله سبحانه : ﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾ (١) .

ومن وصلت إليه الدعوة فلم يسلم ولم يصدق ولو ببعضها إما لاستكبار وعلو أو لتقليد للأسلاف وتعصب لهم أو غير ذلك فهو كافر بحسبه كفر جحود وعذابه عظيم وإليهم الإشارة بقوله سبحانه : ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ (٢) .

ومن وصلت إليه الدعوة فصدقها بلسانه وظاهره لعصمة ماله ودمه أو غير ذلك من الأغراض وأنكرها بقلبه وباطنه لعدم اعتقاده بها فهو كافر كفر نفاق ، وهو أشدهم عذاباً وعذابه اليم وإليهم الإشارة بقوله سبحانه : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ (٣) إلى قوله : ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ (٤) .

ومن وصلت إليه الدعوة فاعتقدتها بقلبه وباطنه لظهور حقيقتها لديه وجحدتها أو بعضها بلسانه ولم يعترف بها حسداً أو بغياً وعتواً وعلواً أو تقليداً أو تعصباً أو غير ذلك فهو كافر كفر تهود ، وعذابه قريب من عذاب المنافق وإليهم الإشارة بقوله عز وجل : ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ (٥) وقوله تعالى : ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ (٦) وقوله : ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ (٧) .

ومن وصلت إليه الدعوة فصدقها بلسانه وقلبه ولكن لا يكون على بصيرة من دينه أو لسوء فهمه مع استبداده بالرأي أو عدم متابعتة للامام أو نائبه المقتفى أثره حقاً وإما لتقليد وتعصب للاباء والأسلاف المستبدين بأرائهم مع سوء أفهامهم أو غير ذلك فهو كافر كفر ضلالة ، وعذابه على قدر ضلالته وما يضل فيه من أمر الدين وإليهم الإشارة بقوله عز وجل : ﴿قل يا أهل الكتاب

(١) سورة النساء : الآية ٩٨ (٢) سورة البقرة : الآية ٦ - ٧ (٣) سورة البقرة : الآية ٨ - ١٠

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٠ (٥) سورة البقرة : الآية ١٤٦ (٦) سورة البقرة : الآية ٨٩

(٧) سورة البقرة : الآية ١٥٩

لا تغلوا في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق ﴿١﴾^(١) حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾^(٢) وبقول نبينا (ص) حيث أخبر عن زمان يأتي بعده اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا^(٣) .

ومن وصلت إليه الدعوة فصدّقها بلسانه وقلبه على بصيرة واتباع للامام أو نائبه الحق إلا أنه لم يمتثل جميع الأوامر والنواهي بل أتى ببعض دون بعض بقبج ما يفعله ولكن لغلبة نفسه وهواه عليه فهو عاص ، والعصيان لا ينافي أصل الايمان ، ولكن ينافي كماله وقد يطلق عليه الكفر وعدم الايمان إذا أتى بالكبائر كما في قوله عز وجل : ﴿والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾^(٤) وقول النبي (ص) (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)^(٥) .

وذلك لأن ايمان مثل هذا لا يدفع عنه استحقاق أصل العذاب ودخول النار وإن دفع عنه استحقاق الخلود فيها فحيث لا يفيد في جميع الأحوال فكأنه مفقود أو نقول : يسلب عنه الايمان ما دام على بطنها ثم يعود إليه كما في رواية اخرى .

إذا تقرر هذا فاعلم أن كل من جهل أمراً من امور دينه بالجهل البسيط فله عرق من كفر الجهالة ، وكل من أنكر حقاً واجب التصديق لاستكبار أو هوى أو تعصب فله عرق من كفر الجحود ، وكل من أظهر بلسانه ما لم يعتقد بباطنه وقلبه لغير غرض ديني كالتقية في محلها أو نحو ذلك أو عمل عملاً اخروية لغرض دنيوي فله عرق من النفاق ، وكل من كتم حقاً بعد عرفانه أو أنكر ما لم يوافق هواه وقبل ما يوافق فله عرق من التهود ، وكل من استبدّ برأيه ولم يتبع امام زمانه أو نائبه الحق أو من هو أعلم منه في أمر من امور دينه فله عرق من الضلالة ، وكل من أتى حراماً أو شبهة أو تواني في طاعة مصرأ على ذلك فله عرق من الفسوق والبصيان .

ومن أسلم وجهه لله في جميع الامور من غير غرض وهوى واتباع إمام زمانه أو نائبه الحق آتياً بجميع أوامر الله ونواهيه في غير تواني ولا مداهنة فإن أذنب ذنباً استغفر من قريب وتاب أو زل قدمه استقام وأتاب ، فهو المؤمن الكامل الممتحن ، ودينه هو الدين الخالص وهو الشيعي

(١) سورة النساء : الآية ١٧١ (٢) سورة المائدة : الآية ٨٧

(٣) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٥ (٤) سورة آل عمران : الآية ٩٧

(٥) العوالي : ج ١ ص ٤٠ ح ٤٢٧ و ص ١٦٧ ح ١٨٤

حقًا والخاصي صدقا بل هو من أهل البيت إذا كان عالما بأمرهم متحملا لسرهم كما قالوا : (سلمان منا أهل البيت)^(١) .

المقالة العاشرة

في البرزخ وما يتعلق به ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ المؤمنون / ١٠٠ .

كلمة

فيها إشارة الى معنى البرزخ

البرزخ هي الحالة التي تكون بين الموت والبعث وتكون الروح في هذه المدة في بدنها المثالي الذي يرى الانسان نفسه فيه في النوم وفي الحديث النبوي (ص) : (النوم أخ الموت)^(٢) كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون ، وقال الله سبحانه : ﴿الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾^(٣) .

روي بإسناده عن الكاظم (ع) انه قال في قصة لمنكري المعاد من الامم الماضية : (فحدث الله فيهم الأحلام ولم يكن قبل ذلك ، فأتوا نبيهم فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك فقال (ع) إن الله تعالى أراد ان يحتج عليكم بهذا هكذا تكون أرواحكم إذا متم وإن بليت أبدانك تصير الأرواح إلى عقاب حتى يبعث الله الأبدان)^(٤) .

وبإسناده الصحيح عن الصادق (ع) (انه قيل له : يروون ان ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش فقال : لا ، المؤمن اكرم على الله من ان يجعل روحه في حوصلة طير ولكن في ابدان كابدانهم)^(٥) .

وفي رواية اخرى عنه (ع) (فاذا قبضه الله صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون ، فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا)^(٦) .

وفي خبر آخر (ان الأرواح على صفة الاجساد في شجرة في الجنة تتعارف وتتساءل ، فاذا قدمت الروح على الأرواح يقول : دعوها فانها قد أفلتت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ج٢ ص٦٤ ح٢٨٢ (٢) العوالي : ج٤ ص٧٣ ح٤٧

(٣) سورة الزمر : الآية ٤٢ (٤) الكافي : ج٨ ص٩٠ ح٥٧

(٥) الكافي : ج٣ ص٢٤٤ ح١ (٦) الكافي : ج٣ ص٢٤٥ ذيل ح٦

فلان وما فعل فلان فان قالت لهم : تركته حياً ارتجوه ، وإن قالت لهم : قد هلك قالوا : قد هوى هوى^(١) و زاد في بعضها يقولون : (ربنا أقم لنا الساعة وانجز لنا ما وعدتنا والحق آخرنا بأولنا)^(٢) .

وسئل عن أرواح المشركين فقال : (في النار يعذبون يقولون : ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا)^(٣) .

وباسناده (ان الميت يزور أهله^(٤) في كل يوم أو يومين أو ثلاثة أو جمعة أو شهر أو سنة على قدر منزلته وعمله ، فينظر إليهم ويسمع كلامهم ، ويرى المؤمن ما يحب ويستتر عنه ما يكره ، ويرى الكافر ما يكره ويستتر عنه ما يحب)^(٥) .

كلمة

فيها اشارة الى ان الصورة البرزخية هي الطينة التي خلق منها الانسان

يشبه أن يكون الكناية عن هذه الصورة البرزخية الباقية بعد الموت ما عبر عنه بالطينة أو بعجز الذنب في الأخبار فعن الصادق (ع) (أنه سئل عن الميت هل يبلى جسده قال : نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فانها لا تبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة^(٦))^(٧) .

(١) قال في مجمع البحرين : وقولهم هوى هوى أي هلك هلك ومنه كم من دنف نجا وصحيح قد هوي أي مات وهلك وقال في الوافي : هوى : سقط الى اسفل .

(٢) الكافي : ج٣ص٢٤٤ح٣ (٣) الكافي : ج٣ص٢٤٤ح٤ (٤) الكافي : ج٣ص٢٤٥ح١

(٥) قال بعض الاعلام من المعاصرين ايداه الله : جمع بعض علماء السنة في عصرنا وهو فريد وجدي مما ذكره حكما الافرنج قصصا كثيرة في زيارة ارواح الموتى لاهله مع قرائن كثيرة تدل على صحة تلك القصص ودلالاتها على بقاء الروح بعد فناء الجسد وعنوان هذا الكتاب « على اطلال المذهب المادي » وهو كتاب ممتع خدم به مصنفه اهل الدين .

(٦) كما في الكافي : ج٣ص٢٣٠ و٢٣١ باب أن الميت يزور اهله :

قال في الوافي : لعل المراد بطينته التي خلق منها بدنها المثالي البرزخي اللطيف الذي يرى الانسان نفسه فيه في النوم ، وقال العلامة المجلسي (قد) في الجزء الثالث من البحار : مستديرة أي بهيئة الاستدارة أو متبدلة متغيرة في أحوال مختلفة ككونها رميماً وتراباً وغير ذلك فهي محفوظة في كل الاحوال وهذا يؤيد ما ذكره المتكلمون من ان تشخص الانسان انما هو بالاجزاء الاصلية ولا مدخل لسائر الاجزاء والعوارض فيه .

(٧) الكافي : ج٣ص٢٥١ح٧

وكان استدارتها كناية عن انتقالها من حال إلى حال من الدوران بمعنى الحركة وإنما لا تبلى لأنها لا تقبل البلى .

وفيه عن السجاد (ع) (وإن الله خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وجعل خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك ، وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين فمن ذلك يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ، ومن هنا تصيب المؤمن السيئة ومن هنا تصيب الكافر الحسنة وقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه) (١) .

أراد بعليين ما يعم الملكوتين ، فان قلوب النبيين من الملكوت الأعلى أعني عالم العقول والأرواح ، وأبدانهم من الملكوت الأسفل أعني عالم النفوس والأشباح وأراد بسجين عالم الملك وإنما لم يتعرض لذكر الأبدان العنصرية للنبيين لأنه لا علاقة لهم بها فكأنهم وهم في جلايب من هذه الأبدان قد نقضوها وتجردوا عنها لعدم ركونهم إليها وشدة شوقهم إلى النشأة الأخرى .

وإنما نسب خلق أبدان المؤمنين إلى ما دون ذلك لأنها مركبة من هذه ومن هذه لتعلقهم بهذه الأبدان العنصرية ما داموا فيها ، وإنما نسب خلق قلوب الكفار إلى سجين لأنهم لشدة ركونهم إلى العالم الأدنى الذي هو بمنزلة السجن وإخلاصهم إلى الأرض بشرائهم ، كأنهم ليس لهم من الملكوت نصيب لاستغراقهم في الملك .

والخلط بين الطينتين إشارة إلى تعلق الأرواح البرزخية بالأبدان العنصرية بل نشؤها منها شيئاً فشيئاً فكل من النشاطين غلبت عليه صار من أهلها فيصير مؤمناً حقيقياً أو كافراً حقيقياً أو بين الأمرين على حسب مراتب الإيمان والكفر .

وفي الحديث النبوي (ص) (ينشئ الله النشأة الآخرة على عجز الذنب الذي يبقى من هذه النشأة الدنيا) ، فعليه تركب النشأة الآخرة .

ولعل الوجه في هذه الكناية أن الصورة البرزخية بكاملاتها آخر ما يكتسب من البدن العنصري فيصح التعبير عنها بعجز الذنب الذي هو مؤخر البدن وعليه يقوم البدن .

وفي رواية أخرى (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب) (٢) ، وفي تفسير أبي محمد

(١) بصائر الدرجات : ص ٣٥ ح ٥ والكافي : ج ٢ ص ١٢٠ ح ١ (٢) صحيح مسلم : ج ٤ ص ٢٢٧ .

العسكري (ع) عند قوله تعالى : ﴿فلنأخذن من أذنهم بالذنب﴾ (١) ، قال أخذوا قطعة وهي عجز الذنب الذي خلق منه ابن آدم وعليه يركب إذا أعيد خلقاً جديداً (٢) .

وإلى هذا نظر من أول عجز الذنب بالنفس ومن كني عن الباقي بعد الموت بالجواهر الفرد الذي لا يتجزى نظر إلى تجرد هذه الصورة عن المادة .

كلمة

فيها إشارة إلى سؤال القبر ونعيمه وعذابه

روي عن أمير المؤمنين (ع) (أن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة مثل له ما له وولده وعمله ، فإلتفت إلى ماله فيقول : والله إني كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك ! فيقول : خذ مني كفنك قال : فإلتفت إلى ولده فيقول : والله إني كنت لكم محبباً وإني كنت عليكم محامياً فما لي عندكم ؟ فيقولون : نوديك إلى حفرتك فنواريك فيها ، قال : فإلتفت إلى عمله فيقول : والله إني كنت فيك لزهاداً وإن كنت عليّ لثقيلاً فما لي عندك ؟ فيقول : أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى اعرض أنا وأنت على ربك .

قال : فان كان لله ولياً أتاه أطيّب الناس ريحاً واحسنهم « احبهم خ ل » منظرأ واحسنهم ريشاشا(٣) فقال : ابشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم فيقول له : من أنت؟ فيقول : أنا عمك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة ، وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله ان يعجله .

فاذا ادخل قبره أتاه ملكا القبر يبجران أشعارهما ويخذان الارض بأقدامهما وأصواتهما كالرعد القاصف(٤) وأبصارهما كالبرق الخاطف(٥) فيقولان له : من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول : الله ربي وديني الاسلام ونبيي محمد (ص) فيقولان له : ثبتك الله فيما يحب ويرضى وهو قول الله تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (٦) ثم يفسحان له في قبره(٧) مدّ بصره ، ثم يفتحان له بابا إلى الجنة ، ثم يقولان له : نم قرير العين

(١) سورة البقرة : الآية ٧٣ (٢) البرهان : ج ١ ص ١٠٩ .

(٣) الريش والرياش واحد وهو ما ظهر من اللباس الفاخر . م . (٤) رعد قاصف في صوته تكسر المفردات .

(٥) خطف الشيء : استلبه بسرعة البرق البصر : ذهب به . السمع : استرقه المنجد . (٦) سورة ابراهيم : الآية ٢٧

(٧) وعن المجلسي اعلى الله درجته في مرآت العقول : لعل المراد بالقبر عالم البرزخ كما مر ، ويقال فسح له يفسح بالفتح فيهما اي وسع له ، والفسحة بالضم : السعة : والمراد بمدّ البصر مداه وغايته التي ينتهي اليها .

نوم الشاب الناعم فإن الله تعالى يقول : ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً﴾ (١).

قال واذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقيح من خلق الله زياً ورياً وأنتنه ريحاً فيقول : ابشر بنزل من حميم وتصلية جحيم ، وانه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يجسوه ، فاذا ادخل القبر أتاه ممتحناً القبر فالقيا عنه اكفانه ثم يقولان له : من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول لا أدري فيقولان : لا دريت ولا هديت فيضربان يا فوخه بمرزبة (٢) معهما ضربة فما خلق الله تعالى من دابة إلا وتدعر (٣) لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج (٤) حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها (٥) وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره ، وأنه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر (٦) وفي كثير من الاخبار أنه يسأل عن امامه أيضاً .

وعنه (ع) (والله لا يبغضني عبد أبداً يموت إلا رأني عند موته حيث يكره ، ولا يجنبي عبد أبداً فيموت على حبي إلا رأني عند موته حيث يحب) (٧) .

وفي رواية عن الباقر (ع) (ورسول الله (ص) باليمين) (٨) وعن الصادق (ع) (في الميت تدمع عيناه عند الموت قال : ذلك عند معاينة رسول الله فيرى ما يسره) (ثم قال : اما ترى الرجل يرى ما يسره وما يحبه فتدمع عينه لذلك ويضحك) (٩) (وفي خبر آخر فيقول له رسول الله (ص) : أما ما كنت ترجو فهوذا امامك وأما ما كنت تخاف فقد امتنت منه) (١٠) .

حافظ

شب رحلت هم از بستر روم تا قصر حور العين اگر در وقت جان دادن تو باشی شمع بالينم

(١) سورة الفرقان : الآية ٢٤ .

(٢) الارزبة والمرزبة مشددتان أو الاولى فقط عصبية من حديد واليافوخ هو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره كذا في القاموس . وفي « المنجد » اليافوخ الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل وهو فراغ بين عظام جمجمته في مقدمتها وأعلاها لا يلبث ان تلتقي فيه العظام .

(٣) الذعر بالضم الخوف ذعر كعنى فهو مذعور وبالفتح التخريف كالاذعار والفعل كجعل وبالتحريك الدهش وكصدر الامر المخوف . ق .

(٤) الزج بالضم : الحديدية التي في اسفل الرمح ويقابله السنان . والقنا : الرمح جمع قناء كجبل وجبال المنجد .

(٥) وعن العلامة المجلسي في مرآة العقول : الحيات والعقارب اما مثالية تلدغ الاجساد المثالية أو هي المتولدة من القبر تلدغ الجسد الاصلي وتتألم الروح بذلك ونقل بعد ذلك عن الشيخ البهائي « ره » : فلعل عدد هذه الحيات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والرياء والحسد وساير الاخلاق والملكات الردية فانها تتشعب وتنوع أنواعاً كثيرة وهي بعينها تنقلب حيات في تلك النشأة .

(٦) الكافي : ج ٣ ص ٢٣١ ح ١

(٧) الكافي : ج ٣ ص ١٣٢ ح ٥ (٨) الكافي : ج ٣ ص ١٣٢ ح ٥ (٩) الكافي : ج ٣ ص ١٣٣ ح ١٠ (١٠) الكافي : ج ٣ ص ١٣٣ ح

وفي كثير من الروايات عبّر عن الملكين بالمنكر والنكير ، ويخطر بالبال أن المنكر عبارة عن جملة الأعمال المنكرة التي فعلها الانسان في الدنيا فتمثلتا في الآخرة بصورة مناسبة لها مأخوذ مما هو وصف الافعال في الشرع أعني المذكور في مقابلة المعروف .

والنكير هو الانكار لغة ولا يبعد أن يكون الانسان إذا رأى فعله المنكر في تلك الحال أنكره ووبخ نفسه عليه فتمثل تلك الهيئة الانكارية او مبدؤها من النفس بمثال مناسب لتلك النشأة فإن قوى النفس ومباي آثارها كالحواس ومباي اللمم تسمى في الشرع بالملائكة .

ثم إن هذا الانكار من النفس لذلك المنكر يحملها على أن تلتفت إلى اعتقاداتها وتفتش عنها أهي صحيحة حسنة حقّة أم فاسدة خبيثة باطلة ؟ ليظهر نجاتها وهلاكها ويطمئن قلبها .

وذلك لأن قبول الأعمال موقوف على صحة الاعتقاد بل المدار في النجاة على ذلك كما هو مقرر ضروري من الدين ، وإليه اشير بقوله (ص) : (حَبَّ عَلَيَّ حَسَنَةٌ لَا تَضُرُّ مَعَهَا سَيِّئَةٌ وَبَغُضَّ عَلَيَّ سَيِّئَةٌ لَا تَنْفَعُ مَعَهَا حَسَنَةٌ) (١) .

ثم قد ثبت أن صور تلك النشأة وموجوداتها كلها حيّة مدركة ولا مية فيها وكلّ حيّ مدرك يحب نفسه ويحب أن يكون مقبولا غير مردود فكان المفتش عن الاعتقاد إنما هو الملكان حيث صار ذلك غرضاً لهما بهذا الاعتبار .

وأيضاً فإن النفس أقرب إلى الاعتقاد من العمل إليه فكأنها عالمة به فينبغي أن يكون مسؤولة عنه لما بينه وبينها من الاتحاد ، والملكان سائلين لما بينهما وبينه من المباينة ويؤيد هذا سكوته (ع) عن العمل المنكر واقتضاره على ذكر العمل الصالح وتسميته الملكين في الاخبار بقعيدي القبر حيث يشعر بالمصاحبة وعدم السؤال إلاّ عن المؤمن المحض والكافر المحض ، فإن من لا يهتم بالدين فهو بمعزل عن ذلك إلى غير ذلك من الاشارات .

وأما أشعارهما التي أحاطت بهما ، وجرّأ بها الأرض فيشبه أن يكون كناية عن ظلمة المنكر التي تعلوه وتلازمه ، وخذهما الأرض باقدامهما كأنه كناية عن انتزاعهما من أرض البدن بهيئة وسطوة ، والرعد القاصف كناية عن الصوت العايل (الهايل خ ل) الذي يعترى الانسان حين يفجأه هول عظيم ويهجم عليه داهية غير مأمولة ، والبرق الخاطف كناية عن النور الذي به يبصران ما يبصران من ذلك ويميزان الحق من الباطل فيما هنالك .

(١) العوالي : ج ٤ ص ٨٦ ح ١٠٣ .

كلمة

فيها اشارة الى معنى الروح الباقية بعد البدن وانها تُسأل

قد تبين من تضاعيف ما ذكر أن الروح الباقية بعد موت البدن العنصري هي التي تكون في قالبه البرزخي أو هي عين القالب البرزخي ذلك لتخصص السابقين بروح القدس التي هي فوق البرزخ كما مر في الثالثة من الرابعة .

وهذا القالب البرزخي هو الذي يتصرف فيه الروح في هذه النشأة العنصرية أيضاً وبتوسطه في هذا البدن المحسوس أو هو الروح بعينه ، وعلى التقديرين فحياته ذاتية وهو متولد من هذه الأجسام الترابية ، وهذا البدن العنصري بمنزلة قشر وغلاف له ، فاذا نزل الانسان من مركبه الكثيف المحلول الفاني ركب البدن المكتسب اللطيف الباقي عرياناً عن لباس هذه النشأة منتبهاً عن نومه فيسأل فيجيب .

فان كان من السعداء سار في بساتين الملكوت قائلاً ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، وإن كان من الأشقياء وقع في الهاوية والبرهوت قائلاً : ربنا سمعنا وابصرنا فارجعنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ، ومن لم يكن من السعداء ولا من الأشقياء ترك في سكراته حتى يبعث من غير سؤال .

فعن الصادق (ع) قال : (لا يسأل إلا من محض الايمان محضاً أو محض الكفر محضاً)^(١) وفي رواية اخرى (والآخرون يلهون عنهم)^(٢) (٣) وفي لفظ آخر (لا يعجز بهم)^(٤) .

محض الايمان أي اخلصه عن شوائب الشرك باكماله واتقانه والاهتمام بشرايطه وأركانها والسعي في تربيته وتقويته طول عمره ، واستكشاف أسرارها وتنميته أيام دهره فان من هذا شأنه لا يموت إلا والايمان أكبر همّه والدين أجل شأنه فاذا سئل عنهما أجاب بالصواب فيفتح له إلى الجنة باب .

وكذلك من محض الكفر وأخلصه عن شوايب الايمان واهتم به وسعى في تربيته وتقويته بجذاله أهل الحق طول عمره ونصبه العداوة لأئمة الدين أيام دهره ، فانه لا يموت إلا والكفر

(١) الكافي : ج٣ ص٢٣٦ ح٤

(٢) اي لا يلتفت اليهم يقال : لهى عن الشيء اذا سلى عنه وترك ذكره وأضرب عنه ، الوافي

(٣) الكافي : ج٣ ص٢٣٥ ح١ (٤) الكافي : ج٣ ص٢٣٧ ح٨

أكبر همّه والنفاق أعظم مهمه فإذا سئل عن الايمان وهو أعداء أعدائه وأعداء أهله تلجلج لا محالة لسانه فتقطع (فتتبع خ ل) عن الجواب فيفتح له إلى النار باب .

وإنما لا يلتفت إلى الباقيين لأنهم ليسوا بأهل لمثل هذا السؤال ، فإن من لم يكن اهتم بأمر دينه ما عاش ، بل كان اهتمامه مقصوراً في أمر المعاش وغرته الحياة الدنيا عن الآخرة فهو حريّ بأن تدهشه سكرات الموت وتذهله غمرات الفوت إلى أن يجعل الله له مخرجاً .
ومما يدلّ على بقاء الرّوح بعد مفارقتها البدن قوله عزّ وجلّ : ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (١) .

ونادى النبيّ (ص) (الأشقياء المقتولين يوم بدر : يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، ثم قال : والذي نفسي بيده إنهم لا سمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب) (٢) ، ومثله عن أمير المؤمنين (ع) في قتلى وقعة جمل .

عن الصادق (ع) (أن الرّوح مقيمة مكانها روح المؤمن في ضياء وفسحة ، وروح المسيء في ضيق وظلمة ، والبدن يصير تراباً) (٣) ، وروي أنه قال : وبها يؤمر البدن وينهى ، ويشاب ويعاقب ، وقد تفارقه ويلبسها الله تعالى غيره كما تقتضيه حكمته .

عن (ع) (مثل المؤمن وبدنه كمثل جوهرة في صندوق إذا اخرجت الجوهرة منه طرح الصندوق ولم يعبأ به ، وقال : إن الأرواح لا تمازج البدن ولا تداخله وإنما هي كالكلل للبدن محيطة به) (٤) .

عن (ع) (أنه سئل عن الرّوح قال : هي من قدرته من الملكوت) (٥) وفي الحديث النبوي (ص) (الأرض لا تأكل محل الايمان) (٦) وفي حديث آخر (انكم خلقتم للبقاء لا للفناء) (٧) . وفي لفظ آخر (خلقتم للابد وإنما تنقلون من دار إلى دار) (٨) (٩) .

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٩ - ١٧٠ (٢) سيرة ابن هشام : ج ٢ ص ٦٣٩ .

(٣) الاحتجاج : ج ٢ ص ٩٨ (٤) بصائر الدرجات : ص ٤٨٣ ح ١٢

(٥) تفسير العياشي : ج ٢ ص ٣١٧ . (٦) علم اليقين : ج ٢ ص ٨٣٦ (٧) عن الاعتقاد ص ٧٥ كما في البحار : ج ٦ ص ٢٤٩

(٨) قال العلامة المجلسي اعلا الله مقامه في الثالث من البحار : اعلم ان الذي ظهر من الايات الكثيرة والاخبار

(٩) عن الاعتقاد ص ٧٥ كما في البحار : ج ٦ ص ٢٤٩ .

مشوى

از جمادى مردم ونامى شدم وز نما مردم ز حيوان سر زدم
مردم از حيوانى وآدم شدم پس جه ترسم كى زمردن كم شدم
حمله ديگر بميرم از بشر تا بر آم از ملايك بال وبر
از ملك هم بايدم جستن زجو كل شىء هالك إلا وجهه
بارديكر از ملك قربان شوم آنچه اندروهم نايد آن شوم
پس عدم كردم چون از غنون گويدم كانا إليه راجعون

كلمة

فيها اشارة الى معنى الصور والنفخ

قد ورد في الحديث النبوي (أنه قرن من نور يلتقمه إسرافيل ووصفه بسعة وضيق وورد أن فيه ثقباً بعدد الأرواح)^(١) .

قال بعض أهل المعرفة إنه كناية عن الحفرة اليرزخية التي ينتقل إليها الأرواح بعد الموت فإن القرن واسع وضيق ولا شيء أوسع من الخيال لحكمه على كل شيء وعلى ما ليس لشيء فإنه يتصور العدم المحض ولا شيء أضيق منه إذ ليس في وسعه أن يتخيل أمراً إلا بصورة ولم يسعه أن يجرد المعاني عن المواد اصلاً فيرى العلم في صورة لبن ، والشرع في صورة قيد إلى غير ذلك مما يرى في النوم وغيره .

وأما كونه من نور فإن النور سبب الكشف والظهور جعل الله هذا الخيال نوراً يدرك به تصوير كل شيء فنوره لا يشبه الأنوار وبه يدرك التجليات وهو نور عين الخيال لا نور عين الحسن .

= المستفيضة والبراهين القاطعة هو أن النفس باقية بعد الموت اما معذبة ان كان ممن محض الكفر ، أو منعمة ان كان ممن محض الايمان ، او يلهى عنه ان كان من المستضعفين ويرد اليه الحياة في القبر اما كاملاً أو الى بعض بدنه كما مر في بعض الاخبار ويسأل بعضهم عن بعض العقائد وبعض الاعمال ويناقب بحسب ذلك ، وتضغط اجساد بعضهم وانما السؤال والضغطة في الاجساد الاصلية « الى ان قال » ثم تتعلق الروح بالاجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجن والملائكة المضاهية في الصورة للأبدان الاصلية فينعم ويعذب فيها ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الاصلية لسبق تعلقه بها ، وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه واتساع القبر وضيقه وحركة الروح وطيرانه في الهواء وزيارته لأهله الخ .

(١) لنالي الأخبار: ج ٥ ص ٥٣ .

قال: إذا قبض الله الأرواح من هذه الأجسام الطبيعية حيث كانت أودعها صوراً جسدية هي مجموع هذا القرن النوري فجميع ما يدركه الانسان بعد الموت في البرزخ من الامور إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن ، وهو إدراك حقيقي ومن الصور هناك ما هي مقيدة عن التصرف ومنها ما هي مطلقة كأرواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا ومنها ما يتجلى للنايم في هذا الدار في حضرة الخيال التي هي فيه وهو الذي يصدق رؤياه .

قال : وأعلاه الضيق وأسفله الواسع وكذلك خلقه الله فانه يتصور الحق فمن دونه من العالم ولا شك أن الحق يتسع ويتكرر بقدر ما تنزل إلى أن يصل إلى الاشخاص .

وقال : والنفخة نفختان نفخة تطفي النار ونفخة تشعلها ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ، وبالنفخة الاولى تموت الاجساد وتحى الأرواح ، وبالنفخة الثانية يقوم قياما بالحق لا بذواتها ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، والنفخة من قبل الحق وان كانت واحدة لاحاطته بجميع ما سواه لكنها بالنسبة الى الخلايق نفحات متعدّدة حسب تعدّد الاشخاص كما أن الازمنة والأوقات المتمادية ههنا إنما هي ساعة واحدة بالقياس إليه وما أمر الساعة إلا واحدة ، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة .

قال : إن الميت يجد في البرزخ اللذات والآلام التي يستصحبها الصور الحاصلة له من العلم والعمل في الخير والشر وتصير فيه محكمة ذاتية ، فحاله في هذه المدة كحال النطفة في الرحم والبذر في الأرض يتنب ويثمر ويختلف عليه أطوار النشأة إلى أن يتولد يوم القيامة بالنفخة الاسرافيلية ويفيق من صعقته ويخرج من هيئته المحيطة به كما يخرج الجنين من القرار المكين ﴿لتركين طبقاً عن طبق﴾^(١) فالموت ابتداء البعث^(٢) .

(١) سورة الانشقاق : الآية ١٩ .

(٢) قال الطبرسي (ره) في مجمع البيان في تفسير سورة الكهف : واختلف في الصور فقيل : هو قرن ينفخ فيه ، وقيل : هو جمع صورة فان الله سبحانه يصور الخلق في القبور كما صورهم في أرحام الامهات ثم ينفخ فيهم كم نفخ وهم في ارحام امهاتهم ؛ وقيل أنه ينفخ اسرافيل الصور ثلاث نفحات : فالنفخة الاولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق التي يصعق من في السماوات والارض بها فيموتون ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم .

وقال العلامة المجلسي (قد) في الجزء الثالث من البحار : وأما الصور فيجب الايمان به على ما ورد في النصوص الصريحة وتأويله بأنه جمع للصورة كما مر من الطبرسي وقد سبقه الشيخ المفيد فهو خروج عن ظواهر

المقالة الحادية عشرة

في نشؤ الآخرة من الاولى ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون﴾ الواقعة / ٦٢ .

كلمة

بها يتبين كيفية هذا الانتشاء

قال أهل المعرفة إن الانسان إنما يتكون وينمو ويتم خلقته باستحالات وانقلابات نظراً على مادته ولا يمكن ذلك إلا بحرارة غريزية محللة وتلك الحرارة مستفادة من حركات الأجرام الفلكية المسخرة بأمر ربها واشعتها كما ثبت في مقامه ثم إن استكمال نفس الانسان بحسب كلتي قوتيهِ النظرية والعملية إنما يتم بالحركات البدنية والفكرية والحركة تحتاج إلى الحرارة فهما متصاحبتان لا ينفك إحداهما عن الاخرى ، وكما أن جميع الحركات في هذا العالم ينتهي إلى حركات الأفلاك سيّما الفلك الأقصى ، فكذلك جميع الحرارة الغريزية والاسطقسية ينتهي إلى أضواء الكواكب سيّما ضوء الشمس كما يظهر عند التفتيش والاعتبار والاستقراء .

ثم ان كل مادة متصوّرة بصورة أدنى إذا انتقلت إلى أن تلبس صورة أعلى فذلك إنما يكون بان يحصل لها بصورتها الاولى شبه التعفن والهضم والانكسار كالحبة المدفونة في الأرض ، فما لم تضعف صورتها الجمادية ولم تتعفن باستيلاء الحرارة عليها لم تقبل صورة نباتية ، وكذا القياس في انتقالات النطفة في أطوارها النباتية والحيوانية ، وهكذا الحكم في الترقيات الواقعة في النفس فانها مسبوقة بانكسارات وانهضامات نفسانية ومنشؤها الحركات البدنية والنسك الدنيوية والحركات الفكرية في النسك العقلية والكل منوط بحركات الأفلاك والكواكب بأضوائها .

فالكاملات العلمية والعملية للنفس التي بها تحصل حياتها الاخرية وبها يتم نعيمها وغذاؤها وطعامها وشرابها في الجنة إنما تحصل بحرارة الطبيعة الدنيوية ، وكذلك النقضانات والانحرافات التي تحصل لنفوس أهل النار بالعرض ، فهذا العالم بمنزلة مطبخ تنضج فيه أطعمة أهل الجنة وأهل النار وتصلح مأكولاتهم بحرارة الحركات السماوية وأشعة الكواكب ، فان أعمال بني آدم هي مواد أغذيتهم التي بها نشؤ نفوسهم وأبدانهم الاخرية .

الآيات بل صريحها واطراح للنصوص الصحيحة الصريحة من غير حاجة ، وقد قال سيدا الساجدين صلوات الله عليه في الدعاء الثالث من الصحيفة الكاملة : واسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الاذن وحلول الامر ، فيتبه بالنفخة صرعي رهائن القبور .

فكلما كانت أعمال أهل الجنة في هذه الدنيا أتم اعتدالا وأكثر نضجاً من جهة الرياضات الدنيوية والمتاعب البدنية في سبيل الله كانت أغذيتهم وفواكههم وأشربتهم النفسانية الاخروية أوفق وأتم صلوحاً وأشد تقوية للحياة الباقية وكلما كانت أعمال أهل النار هنا أشد انحرافاً عن العدالة ومنهج الشريعة كانت أغذيتهم وفواكههم وأشربتهم النفسانية الاخروية أشد ايلاماً وأكثر تعذيباً .

وكما أن انحراف المزاج عن الاعتدال في الطبيعة يورث حرارة الحمى الشديدة كذلك الانحراف عن العدل في الأخلاق والأعمال والعلوم يورث حرارة نار جهنم وليس لنار جهنم هذا الاشراق والتلألؤ الذي نراه في هذه النار الدنيوية ، لأن هذه ليست ناراً محضة بل هي نار ونور وأما النار المحضة فتمامها أنها محرقة موزية نزاعة .

وقد تبين ممّا ذكرنا أن الجنة والنار انما تنشأتان من النفس الانسانية ، وهما حالتان في موضوعها وحالتان لها وتحداثان لكل نفس بحدوثها وبلوغها سن التمييز وتعمران بأعمالها ومدركاتهما وأخلاقها وملكانها التي تحصل لها من أول العمر إلى آخره .

روي (ان النبي (ص) كان قاعداً في المسجد فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا ، فقال النبي (ص) : أتعرفون ما هذه الهدية ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : حجر القي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدية فما فرغ من كلامه إلا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال (ص) : الله أكبر فعلمت علماء الصحابة أن هذا الحجر هو ذلك المنافق وأنه منذ خلقه الله يهوي في جهنم وبلغ عمره سبعين سنة ، فلما مات حصل في قعرها (١) ، قال الله تعالى : ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ (٢) .

وممّا ذكرنا ظهر أيضاً أنّ الحنة والنار مشهودتان لنا اليوم من حيث المحل لا من حيث الصورة فنحن في احدهما نتقلب على الحال التي نحن عليها ولا نعلم أننا فيها ، لأن الصورة الدنيوية تحجبنا عن الاخروية التي تجلّت لنا فيها قال الله سبحانه : ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين﴾ (٣) وقال عز وجل : ﴿ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ (٤) وقال جل ذكره ﴿ان الابرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم يصلونها

(١) الترغيب والترهيب : ج ٤ ص ٤٧٦ ح ٤٤ (قريب منه) . وعلم اليقين : ج ٢ ص ١٠٠٢ .
(٢) سورة النساء : الآية ١٤٥ . (٣) سورة التكاثر : الآية ٥ - ٧ (٤) سورة العنكبوت : الآية ٥٤

يوم الدين وما هم عنها بغائبين ﴿^(١) يعني في الدنيا ، فان الأمر بالعكس وانها هي الغائبة عنهم وهم فيها من حيث المحل لا من حيث الصورة .

وقال تعالى : ﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ ^(٢) وفي الحديث النبوي (ص) (الذين يشربون في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطونهم نار جهنم) ^(٣) .

وفي كلام السَّجَاد (ع) (اعلموا أنّ من خالف أولياء الله ودان بغير دين الله واستبدّ بامرّه دون أمر ولي الله كان في نار تلتهب تأكل أبدانا قد غابت عنها أرواحها وغلبت عليها شقوتها ، فهم موتى لا يجدون حر النار ولو كانوا أحياء لوجدوا مضض حر النار فاعتبروا يا أولى الابصار واحمدوا الله على ما هداكم) ^(٤) .

عن الصادق (ع) قال إنّ رسول الله (ص) صلّى بالناس الصّبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفراً لونه . . . نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله (ص) كيف اصبحت يا فلان ؟ قال : أصبحت يا رسول الله موقنا ، فعجب رسول الله (ص) من قوله ، وقال : إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟ فقال : إنّ يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدّنيا وما فيها حتى كأنّي أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلايق لذلك وأنا فيهم وكأنّي أنظر إلى أهل الجنّة يتنعمون في الجنّة ويتعارفون على الأرائك متكئون ، وكأنّي أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون ، وكأنّي الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي .

فقال رسول الله (ص) لأصحابه : هذا عبد نور الله قلبه بالايمان ، ثم قال له : الزم ما أنت عليه فقال الشاب ادع الله لي يا رسول الله أن ارزق الشهادة معك ، فداء رسول الله (ص) فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي (ص) فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر ^(٥) ^(٦)

(١) سورة الانفطار : الآية ١٣ - ١٦ (٢) سورة النساء : الآية ١٠

(٣) الغوالي : ج ٢ ص ٢١١ ح ١٣٩ (٤) تحف العقول : ص ١٨٣ .

(٥) قال المصنف (قد) في الوافي في شرح الحديث : « الخفقة » بالخاء المعجمة والفاء والقاف تحريك الرأس بسبب النعاس « والهاجرة » اشتداد الحر نصف النهار « والعزوف » عن الشيء الزهد فيه « والاصطراخ » الاستغاثة وهذا التنويز الذي اشير به في الحديث انما يحصل بزيادة الايمان وشدة اليقين فانهما يتهيان بصاحبهما الى ان يطلع على حقايق الاشياء محسوساتها ومعقولاتها فينكشف له حجبها واستارها فيعرفها بعين

وفي رواية (انه كان حارثة بن مالك بن النعمان الانصاري)^(١) .

وقد تبين من هذه الكلمة أن لبدن الانسان وروحه حركة طبيعية ذاتية من لدن نشؤه ووجوده ومبدئه إلى آخر بعثه ولقاء بارئه ومعاده ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾^(٢) ويقول عز وجل : ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نبعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة﴾^(٣) إلى قوله : ﴿وانبئت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾^(٤) إلى غير ذلك من نظائره من الايات .

كلمة

فيها اشارة الى صحايف الاعمال والميزان

كل ما يدركه الانسان بحواسه يرتفع منه اثر إلى روجه ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانه مدركاته ، وكذلك كل مثقال ذرة من خير أو شر يعمله يرى أثره مكتوباً ثمة سيما ما رسخت بسببه الهيئات وتأكدت به الصفات وصار خلقاً وملكة ، فان ذلك مما يوجب خلود الثواب والعقاب ، فكل انسان نفسه صحيفة أعماله وهو كتاب منطوق اليوم عن مشاهدة الابصار ، وإنما ينكشف بالموت ورفع ما تورده الشواغل الحسية المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿وإذا الصحف نشرت﴾^(٥) .

فاذا حان حين ذلك وهو يوم تبلى السرائر صار الغيب شهادة والسّر علانية والخبر عياناً فيقال : ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾^(٦) ، ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾^(٧) .

= اليقين على ما هي عليه من غير وصمة ريب أو شائبة شك فيطمئن لها قلبه ويستريح بها روجه ، وهذه هي الحكمة الحقيقية التي من اوتيتها فقد اوتي خيراً كثيراً الخ .

وقال العلامة المجلسي اعلى الله مقامه في البحار على ما في البحار على ما في السفينة : « فعجب رسول الله (ص) اي تعجب منه لندرة مثل ذلك أو اعجبه وسر به « أسهر ليلي » لحزن الآخرة أو للاستعداد لها أو لحب عبادة الله ومناجاته « عجباً للمحب كيف ينام » والاستناد مجازي اي أسهرني في ليلي وكذا « اظماً هو اجري » أي اظماني عند المهاجرة وشدة الحر للصوم في الصيف .

(١) الكافي : ج٢ ص ٥٣ ح ٢ (٢) كما في الكافي : ج ٢ ص ٥٤ ح ٣

(٣) سورة الانشقاق : الآية ٦ (٤) سورة الحج : الآية ٥ (٥) سورة الحج : الآية ٥ - ٧

(٦) سورة التكويد : الآية ١٠ (٧) سورة ق : الآية ٢٢ (٨) سورة الجاثية : الآية ٢٩

فمن كان في غفلة من حساب سرّه فاذا وقع بصره على ذلك والتفت إلى صفحة باطنة وصحيفة قلبه يقول : ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها﴾ (١)

ثم من كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين وكانت معلوماته اموراً قدسيّة واعماله سالحة واخلاقه حسنة فقد اوتي كتابه بيمينه من جهة عليين ، ﴿إن كتاب الابرار لفي عليين وما أدريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾ (٢) ، وذلك لأن كتابه من جنس الألواح العالية والصحف المكرّمة المرفوعة المطهرة بأيدي سفرة كرام بررة ، فليس عليه سوى العرض كما قال سبحانه : ﴿فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه﴾ (٣) إلى قوله : ﴿في الأيام الخالية﴾ (٤) .

ومن كان من الأشقياء المردودين وكانت معلوماته مقصورة على الجرميات وأعماله خبيثة وأخلاقه سيئة فقد اوتي كتابه بشماله من جهة سجّين ، ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجّين وما أدريك ما سجّين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين﴾ (٥) ، وذلك لأن كتابه من جنس الأوراق السفلية والصحاف الحسية القابلة للاحراق ، فلا جرم يعذب بالنار كما قال سبحانه : ﴿وأما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه﴾ (٦) إلى قوله : ﴿لا ياكله إلا الخاطؤون﴾ (٧) .

وأما من اوتي كتابه وراء ظهره فهم الذين اوتوا الكتاب فبنذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فقيّل لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ؛ فانه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور فسوف يدعو ثورا ويصلى سعيراً ، وميزان كل شيء هو المعيار الذي يعرف به قدر ذلك الشيء (٨) فميزان يوم القيامة ما يوزن به قدر كل انسان وقيّمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله ، ﴿لتجزى كل نفس بما كسبت﴾ (٩) .

وليس ذلك إلا الامام المعصوم ، إذ به وباقتفاء آثاره وترك ذلك والقرب عن طريقته والبعد عنها يعرف مقدار الناس وقدر حسناتهم وسيئاتهم ، فميزان كل أمة نبي تلك الامة ووصي نبيها والشريعة التي أتى بها ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك

(١) سورة الكهف : الآية ٤٩ (٢) سورة المطففين : الآية ١٨ - ٢١ (٣) سورة الحاقة : الآية ١٩

(٤) سورة الحاقة : الآية ٢٤ (٥) سورة المطففين : الآية ٧ - ١٠

(٦) سورة الحاقة : الآية ٢٥ - ٢٦ (٧) سورة الحاقة : الآية ٣٧

(٨) قد تقدم من المصنف (قد) في الرابعة من التاسعة تفصيل ذلك فراجع . (٩) سورة الجاثية : الآية ٢٢

الذين خسروا انفسهم ﴿١﴾ ﴿٢﴾ .

روي عن هشام بن سالم قال : (سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ ﴿٣﴾ قال : هم الأنبياء والأوصياء ﴿٤﴾ ، وفي رواية أخرى عنهم (ع) (نحن الموازين القسط ليوم القيامة) ﴿٥﴾ ، وما ورد انه يوزن به الصحف فالمراد بالصحف النفوس الانسانية كما دريت ، وما ورد أن له لسانا وكفتين فتمثيل للمعنى بالصورة كما ورد في ساير نظائره .

عن الصادق (ع) انه قيل له : (أوليس توزن الأعمال ؟ قال : لا ، لأن الاعمال ليست أجساما وإنما هي صفة ما عملوا وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الاشياء ولا يعرف ثقلها أو خفتها ، وان الله لا يخفى عليه شيء ، قيل : فما معنى الميزان ؟ قال : العدل قال : فما معناه في كتابه فمن ثقلت موازينه ؟ قال : فمن رَجَّح عمله) ﴿٦﴾ .

عن أمير المؤمنين (ع) (في قوله تعالى : ﴿فأما من ثقلت موازينه . . . ومن خفت موازينه﴾ ﴿٧﴾ قال : الحسنات ثقل الميزان والسيئات خفة الميزان) ﴿٨﴾ .

(١) قال الطبرسي أعلى الله مقامه في تفسير قوله تعالى : « والوزن يومئذ الحق » من سورة الاعراف ما ملخصه : ذكر فيه اقوال : « احدها » ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه لا ظلم فيها على أحد « وثانيها » ان الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به اعمال العباد « ثالثها » ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة فمن اتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه اي يعظم قدره فقد أفلح ومن اتى بالعمل السيء الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر وقال في كيفية الوزن : واختلفوا في كيفية الوزن لان الاعمال اعراض لا تجوز عليها الاعادة ولا يكون لها وزن فقيل : توزن صحايف الاعمال وقيل : تظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فتراها الناس وقيل : تظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة سيئة وقيل : توزن نفس المؤمن والكافر قال : يؤتى بالرجل العظيم جثة فلا يزن جناح بعوضة .
وقال العلامة المجلسي أعلى الله مقامه في آخر كلامه في باب الميزان من البحار : فنحن نؤمن بالميزان ونرد علمه الى محلة القرآن ولا نتكلف علم ما لم يوضح لنا بصريح البيان والله الموفق وعليه التكلان .

(٢) سورة الاعراف : الآية ٨ - ٩ وسورة المؤمنون : الآية ١٠٢ - ١٠٣

(٣) سورة الانبياء : الآية ٤٧ (٤) معاني الاخبار : ص ٣١ (٥) علم اليقين : ج ٢ ص ٩٤٤ (٦) الاحتجاج : ج ٢ ص ٩٨

(٧) سورة الاعراف : الآية ٨ - ٩ وسورة المؤمنون : الآية ١٢٠ - ١٠٣

(٨) التوحيد : ص ٢٦٨ في الرد على الثنوية . .

كلمة

في المظالم والشفاعة

عن السجاد (ع) (أنه يطرح عن المسلم من سيئاته بقدر ماله على الكافر فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذابا بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة ، فإذا كانت المظلمة للمسلم عند مسلم يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم ، فإن لم يكن للظالم حسنات فإن كان للمظلوم سيئات يؤخذ من سيئات المظلوم فيزاد على سيئات الظالم)^(١).

إن قيل : ما معنى طرح السيئات وأخذ الحسنات والنقايس فيها والزيادات ، وهل هي عبارة إلا عن أعمال وحركات قد انقضت وفنيت وغايتها أن تبقى آثارها في النفوس بعدما ترسخت ولزمت فكيف تنقل من نفس إلى أخرى ؟

قلنا : هذا النقل واقع في الدنيا عند جريان الظلم لكنّه ينكشف في القيامة فيرى الانسان طاعات نفسه في ديوان غيره وما لم ينكشف ذلك له بعد فكانه ليس بموجود له وإن كان موجوداً في نفسه ، فإذا انكشف له وعلمه صار موجوداً له وكأنه وجد الآن في حقّه .

ثم المنقول ليس نفس الحسنات والسيئات بل الأثر الذي يترتب عليهما من تنوير القلب وإظلامه ، وإنما عبّر بهما عن الأثر لأنه المقصود والغاية منهما وبين آثارهما تعاقب وتضاد ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾^(٢) وفي الحديث النبوي (ص) : (اتبع السيئة بالحسنة تمحها)^(٣) (والالام تمحيصات للذنوب)^(٤) ، ولذلك قال النبي (ص) : (إن الرجل ليثاب حتى بالشوكة تصيب رجله)^(٥) ، وقال : (الحدود كفارات لأهلها)^(٦) .

فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسى قلبه ويسوده فيمحو أثر النور الذي في قلبه من طاعته وكأنه أحبط طاعته والمظلوم يتألم وتكسر شهوته ويستتير به قلبه وتفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتباع الشهوات وقد كان قلب الظالم مستتيراً فكانه انتقل النور من قلب الظالم إلى قلب المظلوم .

وهذا وإن لم يكن نقلاً حقيقياً بل هو بطلان أمر من موضع وحدث مثله في موضع آخر

(١) الكافي : ج ٨ ص ١٠٦ (٢) سورة هود : الآية ١١٤ (٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١١ (٤) كما في البحار : ج ٦٤ ص ٢٣٦ وفيه : لا يزال البلاء في المؤمن والمؤمنة في جسده وماله وولده ، حتى يلقي الله وما عليه من خطيئة » وانظر ميزان الحكمة : ج ١ ص ٤٩٠ موضوع « البلاء تمحيصات الذنوب » . (٥) صحيح الترمذي : ج ٤ ص ١٨١ .
(٦) كما في صحيح مسلم : ج ٣ ص ١٣٣٣

إلا أن إطلاق النقل على مثل ذلك استعارة شائعة كما يقال انتقل الظل أو نور الشمس من موضع الى موضع أو ولاية القضاء من فلان إلى فلان .

ويقرب من هذا معنى الشفاعة فانها أيضاً إنما تقع في الدنيا وذلك لأن من استحکم نسبته إلى بعض مقربي حضرة الله في الدنيا لشدة محبته له في الله أو كثرة المواظبة على الاقتداء به أو كثرة الذكر له بالصلاة والتسليم عليه ، أو تالمه بفقدانه أو نحو ذلك فإن ذلك كله يصير سبباً لتنوير قلبه وقربه من الله عز وجل ، وهما بعينهما مغفرة للذنوب وزيادة في الدرجات وإنما حصلتا بوسيلة ذلك الشفيع بل بوسيلة قربه من الله عز وجل وهذا معنى الاذن من الله في الشفاعة فما لم تكن هذه المناسبة لم يتحقق الاذن فلا تحصل الشفاعة .

عن الرضا (ع) قال : (قال رسول الله (ص) : من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله شفاعتي ثم قال إنما شفاعتي لاهل الكبائر من امتي ، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل قيل للرّضا (ع) : يا بن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^(١) قال : لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه^(٢) .
وعن النبي (ص) (إن من امتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر^(٣))^(٤) .

كلمة

فيها اشارة الى الصراط والسيق

قد دريت أن لكل انسان من ابتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جبلية وحركات

(١) سورة الانبياء : الآية ٢٨ (٢) امالي الصدوق : ص ١٦ ح ٤ وعيون اخبار الرضا : ص ١١٢ ح ٣٥

(٣) قال العلامة المجلسي (قد) في البحار في باب الشفاعة ما ملخصه : قال المحقق الطوسي (قد) والحق صدق الشفاعة فيهما اي لزيادة المنافع واسقاط المضار وثبوت الثاني له (ع) بقوله : ادخرت شفاعتي لاهل الكبار من امتي ، وقال النووي في شرح صحيح مسلم قال القاضي عياض : مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح الايات وبخبر الصادق وقد جاءت الاثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبني المؤمنين واجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها لكن الشفاعة خمسة أقسام « اولها » مختصة ببينا « ص » وهو الاذاحة من هول الموقف وتعجيل الحساب « الثانية » في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضاً وردت لنبينا (ص) « الثالثة » الشفاعة لقوم استرجعوا النار فيشفع فيهم نبينا (ص) ومن يشاء الله « الرابعة » فيمن دخل النار من المؤمنين وقد جاءت الأحاديث باخراجهم من النار بشفاعة نبينا (ص) والملائكة واخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث لا يبقى فيها الا الكافرون « الخامسة » الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها .
(٤) البحار : ج ٨ ص ٣٤ .

طبيعية ، فلا يزال ينتقل من صورة إلى صورة حتى يتصل بالعالم العقلي ويلحق بالملا الأعلى إن ساعده التوفيق وكان من الكاملين ، أو باصحاب اليمين إن كان من المتوسطين ، أو يحشر مع الشياطين والحشرات في عالم الظلمات إن ولّاه الطبع أو الشيطان وقازنه الخذلان .

وهذا معنى الصراط المستقيم منه ما إذا سلكه أوصله إلى الجنة وهو ما يشتمل عليه الشرع ، وأنتك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله ، وهو صراط التوحيد والمعرفة والتوسط بين الأضداد في الأخلاق والتزام صوالح الأعمال ، وبالجملة صورة الهدى الذي أنشأه المؤمن لنفسه ما دام في عالم الطبيعة وهو أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، وأظلم من الليل كما ورد في الخبر لا يهتدي إليه إلا من جعل الله له نوراً يمشي به في الناس يسعى الناس على أقدار أنوارهم .

وروي عن الصادق (ع) (أنه سئل عن الصراط ، فقال : هو الطريق إلى معرفة الله عز وجلّ وهما صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة ، وأما الصراط الذي في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه على الصراط في الآخرة فتردّي في نار جهنم) (١) .

وعن الزكي (ع) (٢) قال : (الصراط المستقيم صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما الطريق المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل ، والطريق الآخر طريق المؤمنين إلى الجنة وهو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنة) (٣) .

وعن الصادق (ع) (الصراط المستقيم أمير المؤمنين (ع)) (٤) ، وعنه (ع) (إن الصّورة الانسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير والجسر الممدود بين الجنة والنار) .

أقول فالصراط والمار عليه شيء واحد في كل خطوة يضع قدمه على رأسه أعني يعمل على مقتضى نور معرفته التي هي بمنزلة رأسه بل ويضع رأسه على قدمه أي يبني معرفته على نتيجة

(١) معاني الأخبار : ص ٣٢ ح ١

(٢) المراد منه هو أبو محمد العسكري (ع) والحديث المذكور في تفسيره كما نقله في الوافي .

(٣) عن تفسير الامام العسكري (ع) كما عن البحار : ج ٨ ص ٦٩ ح ١٨ وفي معاني الأخبار ص ٣٣ ح ٤

(٤) معاني الأخبار : ص ٣٢ ح ٢

عمله الذي كان بناؤه على المعرفة السابقة حتى يقطع المنازل ويصل إلى الله وإلى الله المصير .

عن الصادق (ع) (أن الناس يمرّون على الصراط طبقات ، والصراط أدق من الشعر وأحد من السيف فمنهم من يمرّ مثل البرق ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس ، ومنهم من يمر حبوا^(١) ، ومنهم من يمر مشياً ، ومنهم من يمرّ معلقاً قد يأخذ النار منه شيئاً ويترك شيئاً^(٢)) ، وروي (أن مروهم على الصراط على قدر نورهم)^(٣) .

وفي خبر آخر (ان الصراط يظهر يوم القيامة للابصار على قدر المارين عليه فيكون دقيقاً في حق بعض ، وجليلاً في حق آخرين ، وأنهم يعطون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ، ومنهم يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على ابهام قدمه فيضيء مرةً ويطفىء مرةً فإذا أضاء قدام قدمه مشى وإذا طفى قام)^(٤) .

ولما كان الصراط ممدوداً على النار فلا بد لكل أحد من ورود النار كما قال سبحانه : ﴿وان منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾^(٥) و﴿٦﴾ وسئل بعض أئمتنا عن شمول الآية لهم فقال : (جرنها وهي خامدة) .

والسياق عبارة عن تكميل الملائكة النفوس الانسانية باذن الله وقضائه وقدره شيئاً فشيئاً من ابتداء حدوثها إلى أن تبلغ إلى الكمال اللائق بحالها ، فمن يقربها منهم إلى الرحمة والرّضوان فهم ملائكة الرحمة ومن يبعد عن ذلك فهم ملائكة العذاب قال الله عز وجل ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾^(٧) الآيات وقال عز وجل : ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾^(٨) ورد سائق يسوقها إلى محشرها وشهيد يشهد عليها بعملها .

(١) من حبا الولد أي زحف على يديه وبطنه . (٢) امالي الصدوق : ص ١٤٩ ح ٤

(٣) مستدرک الحاكم ، ج ٤ ص ٥٩٠ . (٤) مستدرک الحاكم : ج ٤ ص ٥٩٠

(٥) اي على الركب لا يستطيعون القيام بما هم فيه وتلك جلسة المخاصم والمجادل وفي حديث علي (ع) أنا اول من يجتو على الخصومة ، اي يجلس على الركب وأطراف الاصابع عند الحساب ؛ كذا في مجمع البحرين ، وقال في المفردات : جثى على ركبته يجتو جثواً وجثياً فهو جاث وجمعه جثي نحو باك وبكي ، وقوله عز وجل : ونذر الظالمين فيها جثياً يصح أن يكون جمعاً نحو بكي وأن يكون مصدرأ موصوفاً به .

(٦) سورة مريم : الآية ٧١ - ٧٢ (٧) سورة الزمر : الآية ٧١ (٨) سورة ق : الآية ٢١

كلمة

فيها اشارة الى ابواب الجنة والنار

قال المحقق نصير الملة والدين الطوسي قدس سره : مشاعر حيواني كه بدان اجزای عالم ملك ادراك كنه هفت است پنج ظاهر آن حواس خمس است ودو باطن آن خيال ووهم سات كه يكي مدرك صور تست وديكر مدرك معاني ، چه مفكره وحافظه وذاكره از مشاعر نيستند بلكه أعوان ايشانند وهر نفس كه متابعت هوا كند وعقل رادر متابعت هوا سمخر كرداند ، أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، هريكي از اين مشاعر حيواني سببي باشعد از اسباب هلاك او ، وأضله الله على علم تا حالش اين بود كه ﴿فأما من طفئ وأثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى﴾ .

پس هر يكي از اين مشاعر بمثابه درينداز درهای دوزخ ، لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزؤ مقسوم ، واكر عقل كه مدرك عالم ملكوتست ورئيس آن مشاعر رئيس مطاع باشد ونفس راز هوای او منع كندتا بهر يكي از مشاعر مطالعه آيتی از كتاب الهي در عالم خلقي كه ادرا كش بآن مشعر خاص باشد بتقديم رساند ، وبعقل نیز استماع آيات كلام الهي را از عالم امری تلقى كند بخلاف آن قوم كه ، لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير ، آن مشاعر هشت كانه بمثابه در بهشتات باشد ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى﴾^(۱) .

وقال بعض أهل المعرفة : وللنار أمثلة جزئية هي طبيعة كل احد وهوواه في اولاه واخراه ، وبها أبواب ومشاعر وهي سبعة وهي عين أبواب الجنة ، فانها على شكل الباب الذي إذا فتح إلى موضع انسد به موضع آخر ، فعين غلقه لموضع عين فتحه لمنزل آخر .

وهذه الأبواب مفتوحة على الفريقين أهل النار والجنة إلا باب القلب فانه مطبوع على أهل النار لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، لأن صراط الله أدق من الشعر فيحتاج من يسلكه إلى كمال التلطيف والتدقيق وأنى يتيسر للحمقاء الجاهلين خصوصاً مع الاغترار والاستبداد برأيهم من غير تسليم وانقياد ، فابواب الجحيم سبعة وأبواب الجنة ثمانية ، والباب الذي لا يفتح لهم هو في سور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب .

(۱) سورة النازعات : الآية ۴۰

المقالة الثانية عشر

في البعث والحشر ﴿ثم انكم يوم القيمة تبعثون﴾ المؤمنون / ١٦ .

كلمة

فيها اشارة الى البعث والحشر وفنون الحشر

في تفسير الامام أبي محمد العسكري (ع) (ان الله ينزل بين نفختي الصّور بعد ما ينفخ النفخة الاولى من دوين السماء من البحر المسجور الذي قال الله : ﴿والبحر المسجور﴾^(١) وهي مني كمني الرّجال فيمطر ذلك على الأرض فيلتقي الماء المني مع الأموات البالية فينبتون من الأرض ويحيون^(٢) .

وروي عن الصادق (ع) (أنه قال إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السّماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم^(٣) .

كانهما (ع) اشارا إلى الاطوار البرزخية التي يتم بها البعث والاعادة المشار إليه بقوله عزّ وجلّ : ﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾^(٤) كالاطوار الحملية التي للجنين في بطن امه التي يتم الخلق أول مرّة ، ولهذا شبّه بالمني في الحديث الأوّل ، فقس الاخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة قال الله تعالى : ﴿ياايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾^(٥) إلى قوله : ﴿وان الله يبعث من في القبور﴾^(٦) .

(١) سورة الطور : الآية ٦ (٢) عن تفسير الامام العسكري كما في البحار : ج٦ ص٣٢٩ ح١٣

(٣) امالي الصدوق : ص١٤٩ ح٥ (٤) سورة الانشقاق : الآية ١٩ (٥) سورة الحج : الآية ٥

(٦) لا يخفى أن المعاد الجسماني مما يجب الاعتقاد به ويكفر منكره ، قال العلامة المجلسي (قد) في الجزء الثالث من البحار : اعلم أن القول بالمعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع الملبين وهو من ضروريات الدين ، ومنكره خارج عن عداد المسلمين ، والايات الكريمة في ذلك ناصة لا يعقل تأويلها والاخبار فيه متواترة لا يمكن ردها ولا الطعن فيها .

وقال في كفيته ولنعم ما قال (٧) : الاحوط والاولى التصديق بما تواتر في النصوص وعلم ضرورة من ثبوت الحشر الجسماني وسائر ما ورد فيها من خصوصياته ، وعدم الخوض في امثال ذلك اذ لم تكلف بذلك وربما افضى التفكير فيها الى القول بشيء لم يطابق الواقع ولم تكن معذورين في ذلك ؛ والله الموفق للحق والسداد ، في المبدأ والمعاد .

(٨) سورة الحج : الآية ٧

قال بعض اهل المعرفة : النفخة نفختان نفخة تطفىء النار ونفخة تشعلها فاذا تهيأت صور الخلايق كانت قبيلة استعدادها كالحشيش المحترق وهو الاستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش النار التي كمنت فيه لقبول الاشتعال والصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالأرواح التي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة فتمر على تلك الصور فتطفىء وتمر النفخة التي تليها وهي الاخرى على الصور المستعدة للاشتعال وهي النشأة الاخرى فتشتعل بأرواحها فاذا هم قيام ينظرون .

فتقوم تلك الصور احياء ناطقة بما ينطقها الله ، فمن ناطق بالحمد لله ، ومن ناطق يقول : من بعثنا من مرقدنا ، ومن ناطق بالحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ، وكل ينطق بحسب علمه وحاله وما كان عليه ونسي حاله في البرزخ ويتخيل أن ذلك منام كما يتخيله المستيقظ وقد كان عند موته وانتقاله إلى البرزخ كالمستيقظ هناك وأن الحياة الدنيا كانت له كالمنام ، وفي الآخرة يعتقد أمر الدنيا والبرزخ أنه منام في منام .

وليعلم أن الروح الانساني إنما أوجده الله مذبراً لصورة طبيعية متبدلة سواء كان في الدنيا أو في البرزخ أو في الدار الاخرى ، وحيث كان فالصورة الاولى هي التي اخذ فيها عليه الميثاق ، ثم حشر إلى هذه الصورة الحسية الدنياوية فاذا مات يحشر في صورة اخرى ثم يحشر في الصورة التي يسأل فيها ، ثم بعد السؤال إلى صورة اخرى في البرزخ ينتقل من طور الى طور ثم يحشر في الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار .

فاذا دخل الجنة ورأى فيها من الصور فإي صورة رآها واستحسنها يحشر فيها ولا يستحسن منها إلا ما يناسب صورة التجلي الذي يكون له في المستقبل لأن تلك الصورة هي كالاستعداد الخاص لذلك التجلي ، ومن هنا يمكنك أن تعرف أنك الآن كذلك تحشر في كل نفس إلى صورة الحال التي أنت عليها ، ولكن يحجبك عن ذلك رؤيتك المعهودة وإن كنت تحسن بانتقالك في أحوالك ولكن لا تعلم أنها صور لروحك تدخل فيها في كل آن وتحشر فيها .

والسر فيه أن إدراك الشيء إنما يكون بتصور المدرك بصورة المدرك حين إدراكه له سواء كان بطريق الاحساس أو التخيل أو التعقل ، وذلك لأن الادراك لا بد فيه من نيل المدرك لذات المدرك ، فلو لم يتحدأ فينله إما بخروجه من ذاته إلى ان يصل إليه او بادخاله آياه في ذاته وكلاهما محال .

مشوى

اي برادر توهمين انديشهُ ما بقى تو استخوان وريشهُ

گر بودانديشه ات گل گلشنی و ربود خاری تو هیمه گلخنی
پس توآن هوشی و باقی هوش بوش خوشتن راکم مکن یاوه مکوش

وَاللّٰهُ دَرِ الْقَائِلِ حَافِظٌ

هر دم از روی تو نقشی زنده راه خیال با که گویم که در این پرده چه ها می بینم
ثم إن حشر الخلائق في الآخرة على أنحاء مختلفة حسب أعمالهم وأخلاقهم، فلقوم على سبيل الوفد
﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾^(١) ولقوم على سبيل التعذيب ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ
يُوزَعُونَ﴾^(٢) ولقوم ﴿نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(٣) ولقوم ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٤)

وبالجملة لكلّ أحد إلى غاية سعيه وعمله وما يجهه حتى أنه لو أحب حجراً لحشر معه
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾^(٥) فان تكرر الأفاعيل يوجب الملكات، فكل ملكة
يغلب على الانسان في الدنيا يتصور في الآخرة بصورة يناسبها ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٦) وكلا
شك أن أفاعيل الأشقياء المدبرين إنما هي بحسب مهمهم القاصرة النازلة في مراتب البرازخ
الحيوانية وتصوراتهم مقصورة على أغراض بهيمية أو سبعية أو شيطانية تغلب على نفوسهم، فلا
جرم يحشرون على صور تلك الحيوانات ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حْشُرَتْ﴾^(٧).

وفي الحديث النبوي (ص) (يحشر بعض الناس على صور يحسن عندها القردة
والخنازير)^(٨) وفيه أيضاً يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا، ومشاتنا، وعلى
وجوههم)^(٩).

والسّر في ذلك أن لكل خلق من الاخلاق المذمومة والهيئات الرديّة المتمكنة في النفس
صورة نوع من أنواع الحيوانات وبدن يختص بذلك كصور ابدان الاسود ونحوها لخلق التكبر
والتهور مثلاً، وأبدان الثعالب وأمثالها للخبث والروغان^(١٠)، وأبدان القرد ونحوها للمحاكات
والسخرية، والخنازير للحرص والشهوة إلى غير ذلك.

وربما كان لشخص واحد من الانسان عدد كثير من الأخلاق الرديّة على مراتب متفاوتة
فبحسب ذلك تخلف الصور الحيوانية في الآخرة قال الله عز وجل: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١).

- (١) سورة مريم : الآية ٨٥ . (٢) سورة فصلت : الآية ١٩ . (٣) سورة طه : الآية ١٠٢ . (٤) سورة طه : الآية ١٢٤ .
(٥) سورة الانبياء : الآية ٩٨ . (٦) سورة الاسراء : الآية ٨٤ . (٧) سورة التكويز : الآية ٥ .
(٨) لثالي الاخبار : ج ٥ ص ١٠٦ . (٩) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٤٦٧ .
(١٠) راغ روغانا الصيد : ذهب ههنا وههنا . الرجل عن الطريق ؛ حاد عنه وذهب هكذا وهكذا مكرراً وخديعة ، راوغه
صارعه وخادعه . المنجد . (١١) سورة فصلت : الآية ٢٠

كلمة

فيها اشارة الى القيامة ومواقفها وشأن اهلها

عن الصادق (ع) قال في حديث (فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها ، فان للقيامة خمسين موقفا كل موقف مقام ألف سنة ثم تلا : ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾^(١) (٢) وسئل رسول الله (ص) عن طول ذلك اليوم فقال : (والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلحها في الدنيا) (٣) .

عن أمير المؤمنين (ع) (إذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الناس من حفرهم عزلا بهما جرداً مردأً^(٤)) في صعيد واحد يسوقهم النور وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة في المحشر فيركب بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها فيمنعون من المضي فيشتد أنفاسهم ويكثر عرقهم ويضيق بهم امورهم ويشتد ضجيجهم ويرتفع أصواتهم^(٥) الحديث .

وعن الصادق (ع) (مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لرب العالمين مثل السهم في القرب ليس له من الأرض إلا موضع قدمه كالسهم في الكنانة^(٦) لا يقدر أن يزول ههنا ولا ههنا)^(٧) .
وفي كتاب الحسين بن سعيد الأهوازي عن الباقر (ع) (إذا كان يوم القيامة وحاسب الله عبده المؤمن أوقفه على ذنوبه ذنباً ذنباً ثم غفرها له لا يطلع على ذلك ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا)^(٨) .

قال بعض أهل المعرفة إذا مات الخلاق كلهم على اختلاف أنواع موتهم وفنون فنائهم وأصناف هلاكهم على حسب مراتبهم وتوجهاتهم إلى ما فوقهم وحركاتهم إلى غاياتهم ووصولاتهم إلى نهاياتهم ورجوع كل إلى أصله من الاملاك والافلاك والأرواح والنفوس ، واجتمعوا جميعاً على صعيد واحد دفعة واحدة بالنفخة الاسرافيلية كما قال سبحانه : ﴿ ان كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ﴾^(٩) .

فعند ذلك قامت القيامة الكبرى وظهر نور الأنوار وانكشف ضوؤه الحقيقي وتجلي جمال

(١) سورة المعارج : الاية ٤ (٢) الكافي : ج ٨ ص ١٤٣ ح ١٠٨ (٣) مجمع الزوائد : ج ١٠ ص ٣٣٧ .
(٤) قال المصنف (قد) في الشافي : « عزلا » لاسلح لهم « بهماً » ليس معهم شيء « جرداً » لاثياب معهم « مردأً » ليس لهم لحية ، وهذه كلها كناية عن تجردهم عما يباينهم ويغطيهم ويخفي حقايقهم مما كان معهم في الدنيا . (٥) الكافي : ج ٨ ص ١٠٤ ح ٧٩ . (٦) كنانة السهام بالكسر جعبة من جلد لاختب فيها أو بالعكس . ق . (٧) الكافي : ج ٨ ص ١٤٣ ح ١١٠ . (٨) روضة الواعظين : ص ٥٠٢ . (٩) سورة يس : الآية ٥٣ .

الأحدية ولم يبق لأنولر الكواكب عنده ظهور فهي مطموسة الأنوار مطوية السماوات بيمين الحق ﴿يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده﴾^(١) فالتحق كل فرع إلى أصله وكل مستفيض مع مفيضة وكل مستنير مع المنير وجمع الشمس والقمر واتحدت النفوس بالارواح وزالت المبانية بين الارواح والاشباح ورجعت السماوات والارض إلى ما كانتا عليه قبل انفتاقهما من الرق فعادتا إلى مقام الجمعية المعنوية من هذه التفرقة الطبيعية .

وكذا العناصر كلها تنقلب ناراً واحدة غير هذه النار الاسطقسية وتصير الهيولى كلها بحراً مسجوراً ويتصل البرّ بالبحر ويتحد الفوق والتحت وانشقت السماء وانتشرت النجوم وتزول الابعاد والاحجام ويرتفع الحواجز والحوائل ويتحد ذو النور مع النور والفعل بالفاعل فلم يبق من القوى والحواس تأثر ولا للمحسوس بما هو محسوس عين ولا أثر .

﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهيراً﴾^(٢) ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾^(٣) وتشاهد الجبال كالمهن المنفوش لضعف وجودها، ثم تنسف نفساً ﴿فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً﴾^(٤) ﴿وتبدل الأرض غير الأرض فتمدّ مدّ الأديم وتبسط على قدر تسع الخلايق كلها وبرزوا الله الواحد القهار والمتخلصون عند ذلك عن البرازخ يتوجهون إلى الحضرة الربوبية﴾ فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون^(٥) فعدمت عند ذلك الأجال وزالت السنون والساعات ، ولا يبقى إلا الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الامور بلا وقت ولا زمان ولا حيز ولا مكان .

فلا قبل يومئذ ولا بعد ولا هنا ولا هنالك ولا ستر ولا حجاب لان ذلك من لوازم الزمان المقتضي للتغير والمكان الموجب للتكثّر فاذا ارتفعا ارتفع الحجاب وجمع الخلايق دفعة واحدة كلمح البصر أو هو اقرب في أوسع مكان ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، مع أنه يوم الفصل لامتياز الحق من الباطل فيه بخلاف الدنيا لتشابههما فيها يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرون ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وهذا الفصل يقتضي ذلك الجمع ، هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين .

(١) سورة الانبياء : الآية ١٠٤ . (٢) سورة الانسان : الآية ١٣ (٣) سورة الحاقة : الآية ٤ ١ (٤) سورة طه : الآية ١٠٦ - ١٠٧ (٥) قال الطبرسي (قد) في تفسير آية : ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً الخ ، أي ويسالك منكرو البعث عند ذكر القيامة « عن الجبال » ما حالها « فقل » يا محمد « ينسفها ربي نفساً » أي يجعلها بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذريها كتنذرية الطعام من القشور والتراب فلا يبقى على وجه الارض منها شيء « فيذرها » أي فيدع أماكنها من الارض اذا نسفها « قاعاً » أي أرضاً ملساء « صفصفاً » أي أرضاً مستوية ليس للجبل فيها أثر « لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً » أي ليس فيها منخفض ولا مرتفع ، قال الحسن : العوج ما انخفض من الأرض والامت ما ارتفع من الروابي وقيل : لا ترى فيها واديا ولا راية . (٦) سورة يس : الآية ٥١ .

ومن اطلق الله حقيقته عن قيد الزمان والمكان يعرف أن مجموع الزمان وما يطابقه كساعة واحدة هي شأن واحد من شؤون الله مشتمل على شؤون التجليات الواقعة كل يوم وساعة إذ كل يوم هو في شأن ، ولا يشغله شأن عن شأن مع أنه من جهة المخلوقات واختلاف قوابلها واستعداداتها مقداره خمسون ألف سنة .

وكذا مجموع الامكنة الواقعة في كل وقت وأن كنقطة يشتمل على الجميع فكما اتصلت الانات في نظر شهوده واتصلت الامكنة التي في كل آن فعلى هذا القياس اتصلت الأرض الموجودة له الآن مع الأراضي الموجودة في الازال والاباد وهكذا تصير الاراضي كلها ارضا واحدة فيها الخلايق كلها ووضع الكتاب وجيء بالنبیین والشهداء وقضي بينهم بالحقّ ويثابون ريعاقبون .

والذين اتخذت آخرتهم بدنياهم في دار الدنیا كما أخبر عنه أمير المؤمنين (ع) بقوله : (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً)^(١) فتوابهم عين عملهم أعبد الله لا لرغبة ولا لرهبة بل لأنه أهل لأن يعبد وإني أهل لأن أعبد فلا انتظار لهم للقيامة والبعث والثواب ، بل هم عين القيامة والبعث والثواب ههنا ، (بعثت أنا والساعة كهاتين)^(٢) ، وجمع بين سبأتيه بل هم في الجنة من حيث المحل وإن لم يكونوا فيها من حيث الصورة عالمين بها وذلك لقيامهم بذواتهم الفانية عن أنفسهم الباقية بالحق تعالى شأنه .

مشوى

زادة ثانیست أحمد در جهان	صد قیامت بود او اندر عیان
زو قیامت را همی پرسیده اند	کی قیامت تا قیامت راه چند
با زبان حال میگفتی بسی	که زمحشر حشر را پرسد کسی
بهران گفت آن رسول خوش پیام	رمز موتوا قبل موت یا کرام
همچنانکه مرده ام من قبل موت	زان طرف آورده ام این صیت وصوت
پس قیامت شو قیامت را ببین	دیدن هر چیز را شر طست این

وأما أهل الحجاب والارتباب فلا يمكنهم الجمع بين المعرفة بطي السماوات وما يتبعها من الازمنة والحركات يوم القيامة وبين المعرفة بنشرها ههنا والعجب أنهم كما لم يؤمنوا بذلك الطي في هذه الدنيا لاشتغالهم بأحوال الدنيا فكذلك إذا بعثوا في الآخرة أنكروا زمان مكثهم في الدنيا ونشر الحركات فيها لاشتغالهم بأحوال القيامة كما قال الله عز وجل : ﴿ ويوم تقوم الساعة

(١) غرر الحكم : ص ٣٩١ ح ٧٦٥٠ (ط . الوفاء)

(٢) صحيح مسلم : ج ٤ ص ٢٢٦٩ ح ١٣٥ ونوادر الراوندي : ص ٣٦ ح ٣ ث . البلاغ . (ط . البلاغ) .

يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ، وقال الذين اتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴿١﴾ .

ومما ينبّه على بعض ما ذكر ما في تفسير علي بن إبراهيم (عن أبي الحسن الرضا (ع) قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تجريان بأمره مطيعان له ضوءهما من نور عرشه وحرهما من جهنم وإذا كانت القيامة عاد الى العرش نورهما وعاد إلى النار حرهما فلا يكون شمس ولا قمر) (٢) .

كلمة

فيها اشارة الى ميراث الدرجات والدركات وتبديل السيئات والحسنات

قال بعض أهل المعرفة : إن درجات الجنة على عدد دركات النار فما من درج في الجنة إلا يقابله درك من النار ، وذلك ان الانسان لا يخلو إلا أن يعمل بأمر أولاً يعمل ، فان عمل كان له في الجنة درجة معينة لذلك العمل الخاص وفي موازنة هذه الدرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص إذا تركه الانسان درك في النار لو سقطت حصاة من تلك الدرجة لوقعت على خط استواء على ذلك الدرك ، فاذا سقط الانسان من العمل بما امر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه إلى ذلك الدرك .

قال الله تعالى : ﴿فاطلع فرآه في سؤاء الجحيم﴾ (١) فان الاطلاع على الشيء إنما يكون من أعلى إلى أسفل والسواء حد الموازنة على الاعتدال فما رآه إلا في ذلك الدرك الذي في موازنة درجته ، فان العمل الذي نال به هذا الرجل تلك الدرجة تركه هذا الرجل الاخر الذي كان قرينه في الدنيا بعينه ، فانظر هذا العدل الالهي ما أحسنه .

ولما كان الموحد منعه التوحيد ان يكون من أهل النار ، والمشرك قطع به الشرك من دار الكرامة ، فان الجنة خير لا شر فيها ، فجميع جزاء علم المشرك وعمله وقوله الذي لو كان موحداً جوزي عليه في الجنة بحسبه يعطي للموحد الجاهل بذلك العلم المفرط في ذلك العمل التارك لذلك القول .

وجميع جزاء جهل الموحد وتفريطه وتركه لذلك القول الذي لو كان مشركاً لحصل له في النار يعطي لذلك المشرك الذي لا حظ له في الجنة .

(١) سورة الروم : الآية ٥٥ - ٥٦ (٢) تفسير القمي : ج ٢ ص ٣٤٣ (١) سورة الصافات : الآية ٥٥

فاذا رأى المشرك ما كان يستحقه لو كان سعيداً يقول : يا ربّ هذا لي وهو جزء عملي فيقول الله تعالى قد جازيتك على ذلك كله بما أنعمت به عليك من كذا وكذا فيقرر عليه جميع ما أنعمه عليه في الدنيا جزء لمكارم أخلاقه والقول بها والتحريض عليها والعلم بمواقعها دون نعمه الممتنة عليه في خلقه المبتدأة التي ليست بجزء فيزنها المشرك هنالك بما كشف الله له من علم الموازنة فيقول : صدقت فيقول الله تعالى له فما نقضت لك من جزائك شيئاً والشرك قطع بك من دخول دار الكرامة فتزلّ « فتزلّ خ » فيها على موازنة هذه الأعمال ولكن انزل من النار على دركات من نزل على درجات تلك الأعمال فان صاحبها منعه التوحيد أن يكون من أهل هذه الدار فهذا هو من الميراث الذي بين أهل الجنة والنار .

أقول : أشار بالميراث الذي بين الفريقين إلى ما ورد في الآيات والأخبار فقد روي عن النبيّ (ص) (في قوله سبحانه : ﴿اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس﴾^(١)) قال : ما منكم إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ويث أهل الجنة منزله^(٢) .

إن قيل : كيف يعطى المشرك جزءا معصية الموحّد ويعطى الموحّد جزءا طاعة المشرك ؟ وكيف هذا يليق بالعدل ؟

قلنا : ذلك لأن المشرك بحسب مقتضى طبيئته الخبيثة إنما يحنّ وينزع إلى المعاصي بطبعه وسجيئته وضميره معقود على فعلها دائما إن تيسّر له لأنه من أهلها كما قال الله تعالى فيهم : ولورثوا لعادوا لما نهوا عنه ، والأعمال الحسنة غريبة منه ليس صدورها من طبيئته الأصلية .

وهذا بخلاف المؤمن فانه بحسب مقتضى طبيئته الطيبة إنما يرتكب القبيح بكره من عقله ووجل من قلبه وخوف من ربه لأن صدره منه غريب من سجيئته وطبعه الأصلي إذ ليس هو من أهله ولهذا لا يعاقب عليه بل يثاب بما لم يفعل من الخيرات لحنينه إليها وحرصه عليها وعقد ضميره على فعلها دائما إن تيسّر له فان الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى وإنما ينوي كلما

(١) الفردوس اسم من أسماء الجنة ؛ وقيل هو اسم لرياض الجنة ، وقيل هو جنة مخصوصة ، وقال الجبائي معنى الوراثة هنا ان الجنة ونعيمها يؤول إليهم من غير اكتساب كما يؤول المال الى الوارث من غير اكتساب . مجمع البيان « اقول » وأورد « ره » قبل هذا بقليل ما رواه المصنف (قد) في المتن عن النبي (ص) .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١٠ - ١١ (٣) سننه ابن ماجه : ج٢ ص١٤٥٣ ح٤٣٤١

يناسب طبيته الأصلية ويقتضيه جبلته التي خلق عليها قال الله تعالى : ﴿ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلاً ﴾ (١).

وفي الحديث المعصومي (إنما يجمع الناس الرضا والسخط) (٢) فمن رضي شيئاً فكأنما أتى به وإن لم يفعل ، ومن سخط شيئاً فكأنما لم يأت به وإن فعله ، وكما يجازى المشرك بحسناته في الدنيا بالنعم الدنيوية كذلك الموحد يجازى بسئلاته في الدنيا بما يصيبه من الآلام فيها ، ثم بتشديد الموت عليه ، ثم بعذاب البرزخ إن بقي من الجزاء بقية حتى يلقي الله طاهراً مطهراً كما ورد في الايات والاخبار .

حافظ

هست اميدم كه على رغم عدو روز جزاء فيض عفوش نهدد بار گنه بر دوشم
ويدلّ على ما ذكرناه كله ما روينا عن أبي إسحاق الليثي عن الباقر (ع) في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة قال « اعلم خ » : (أن الله عز وجل خلق أرضاً طيبة طاهرة وفجر فيها ماء عذبا زلالا فرائاً سائغاً ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلها فاجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام ثم نضب (٣) عنها ذلك الماء بعد السابع فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الائمة (ع) ، ثم أخذ جلّ جلاله ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ومحبّونا من فضل طينتنا ، فلو ترك طينتكم يا إبراهيم كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن سواء .

قلت : يابن رسول الله ما صنع بطينتنا ؟ قال : مزج طينتكم ولم يمزج طينتنا .

قلت : يابن رسول الله وبما مزج طينتنا ؟ قال (ع) : خلق الله عزّ وجلّ أيضاً أرضاً سبخة خبيثة متنة وفجر فيها ماء اجاجاً مالحاً أسناً (٤) ثم عرض عليها جلت عظمته ولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه فلم يقبلها ، وأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام ثم نضب ذلك الماء عنها ثم أخذ من كدورة ذلك الطين المنتن الخبيث وخلق منه أئمة الكفر والطغاة والفجرة ، ثم عمد إلى بقية ذلك الطين فمزجه بطينتكم ولو ترك طينتهم على حاله ولم يمزج بطينتكم ما عملوا أبداً عملاً صالحاً ولا أدوا أمانة إلى أحد ولا شهدوا الشهادتين ولا صاموا ولا صلوا ولا زكوا ولا حجّوا ولا شبهوكم في الصّورة أيضاً .

(١) سورة الاسراء : الآية ٨٤ (٢) نهج البلاغة : ص ٣١٩ خطبة ٢٠١ (٣) اي نزع ماؤها ونشف

(٤) يقال : اسن الماء بأسن اذا تغير ريحه تغيراً منكراً . المفردات .

يا إبراهيم ليس شيء أعظم على المؤمن ان يرى صورة حسنة في عدو من أعداء الله عز وجل ، والمؤمن لا يعلم أن تلك الصورة من طين المؤمن ومزاجه .

يا إبراهيم ثم مزج الطيبتان بالماء الاول والماء الثاني فما تراه من شيعتنا ومحبينا من رباً وزنا ولواطه وخيانته وشرب خمر وترك صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد فهي كلها من عدونا الناصب وسنخه ومزاجه الذي مزج بطيبته ، وما رأيت من هذا العدو الناصب من الزهد والعبادة والمواظبة على الصلاة وأداء الزكاة والصوم والحج والجهاد وأعمال البر والخير فذلك كله من طين المؤمن وسنخه ومزاجه ، فاذا عرض أعمال المؤمن وأعمال الناصب على الله يقول الله عز وجل أنا عدل لا أجور ومنصف لا أظلم ، وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني ما اظلم مؤمناً بذنب مرتكب من سنخ الناصب وطيبته ومزاجه ، هذه الأعمال الصالحة كلها من طين المؤمن ومزاجه والأعمال الرديئة التي كانت من المؤمن من طين العدو الناصب ويلزم الله تعالى كل واحد منهم ما هو من أصله وجوهره وطيبته ، وهو أعلم بعباده من الخلائق كلهم أفترى ههنا يا إبراهيم ظلماً وجوراً وعدواناً ثم قرأ (ع) : ﴿ معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذا لظالمون ﴾ (١) .

يا إبراهيم إن الشمس إذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان كلها أهو باين من القرصة أم هو متصل بها شعاعها يبلغ في الدنيا في المشرق والمغرب حتى إذا غابت يعود الشعاع ويرجع إليها ليس ذلك كذلك ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ، قال : فكذلك كل يرجع إلى أصله وجوهره وعنصره .

فإذا كان يوم القيامة ينزع الله تعالى من العدو الناصب سنخ المؤمن ومزاجه وطيبته وجوهره وعنصره مع جميع أعماله الصالحة ويرده إلى المؤمن ، وينزع الله تعالى من المؤمن من سنخ الناصب ومزاجه وطيبته وعنصره مع جميع أعماله السيئة الرديئة ويرده إلى الناصب عدلاً منه جل جلاله وتقديست أسماؤه ويقول للناصب لا ظلم عليك هذه الأعمال الخبيثة من طيبتك ومزاجك وأنت أولى بها ، وهذه الأعمال الصالحة من طين المؤمن ومزاجه وهو أولى بها اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب أفترى ههنا ظلماً وجوراً ؟ قلت : لا يا بن رسول الله بل أرى حكمة بالغة فاضلة وعدلاً بيننا وواضحاً .

ثم قال (ع) : أزيدك بياناً في هذا المعنى من القرآن ؟ قلت : بلى يا بن رسول الله ، قال (ع) : أليس الله عز وجل يقول : ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين

(١) سورة يوسف : الآية ٧٩

والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴿١﴾ وقال عز وجل : ﴿والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون﴾ ﴿٢﴾ قلت : سبحان الله العظيم ما أوضح ذلك لمن فهمه وما أعمى قلوب هذا الخلق المنكوس عن معرفته .

ثم قال (ع) بعد كلام من هذا القبيل : يا إبراهيم أزيدك في هذا المعنى من القرآن ؟ قلت بلى يا بن رسول الله قال (ع) : قال الله تعالى : ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾ ﴿٣﴾ يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات وحسنات أعدائنا سيئات يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألوني ، هذا يا إبراهيم من باطن علم الله المكنون ومن سره المخزون ﴿٤﴾ .

وفي تفسير أبي محمد العسكري عن الصادق (ع) في حديث طويل (إن المؤمن يوقف بازائه ما بين مائة وأكثر من ذلك إلى مائة ألف من النصاب فيقال له : هؤلاء فداؤك من النار فيدخل هؤلاء المؤمنون إلى الجنة واولئك النصاب إلى النار) ﴿٥﴾

كلمة

فيها إشارة الى الجنة والنار

الجنة جنتان جنة روحانية للمقربين ، وهي إنما تنشأ من العلوم الحقّة والمعارف اليقينية

(١) سورة النور : الآية ٢٦ (٢) سورة الانفال : الآية ٣٦ - ٣٧ (٣) سورة الفرقان : الآية ٧٠ (٤) هذا الحديث بطوله نقله العلامة المجلسي أعلاه الله مقامه في الجزء الثالث من البحار في باب الطينة والميثاق عن كتاب علل الشرايع وقال في آخره : ثم اعلم ان هذا الخبر امثاله مما يصعب على القلوب فهمه وعلى العقول ادراكه ويمكن أن يكون كناية عما علم الله تعالى وقدره من اختلاط المؤمن والكافر واستيلاء أئمة الجور وأتباعهم على أئمة الحق وأتباعهم ، وعلم أن المؤمنين انما يرتكبون الآثام لاستيلاء أهل الباطل عليهم وعدم تولي أئمة الحق بسياستهم فيعذبهم بذلك ويعفو عنهم ويعذب أئمة الجور وأتباعهم بتسيبهم لجرائم من خالطهم مع ما يستحقون من جرائم أنفسهم .

« اقول » وكم من اختلاف في ألفاظ الحديث بين ما نقله المصنف (قد) هنا وما نقله المجلسي (ره) في البحار وقال المصنف في الوافي في باب طينة المؤمن والكافر : وقد اطلعت على حديث مبسوط في الطينيات وبدء الخلاق جامع لاكثر مقاصدهما تأييد نفسي الا ايراده في هذا المقلم لتضمنه فوايد جمّة ولايضاحه لمهمات هذا الباب ، ثم يورد الحديث بطوله ويقول في آخره : وهذا الحديث رواه الصدوق طيب الله ثراه أيضاً في علل الشرايع على اختلاف ألفاظه ، فعلم من ذلك أن مصدر المصنف غير مصدر البحار والاختلاف نشأ من هذا . وفي تفسير نور الثقلين : ج٤ ص٣٨ . (٦) عن تفسير الامام العسكري (ع) كما عن البحار : ج٨ ص٤٤ ح٤٥ .

الحاصلة للانسان هنا ، فان المعرفة في هذه الدنيا بذر المشاهدة في الآخرة واللذة الكاملة موقوفة على المشاهدة فان الوجود لذيد وكماله الذّ فالمعارف التي هي مقتضى طباع القوة العاقلة من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إذا صارت مشاهدة للنفس كانت لها لذة لا يدرك الوصف كنهها ، ولذا ورد في الحديث (لا عيش إلا عيش الآخرة)^(١) .

عن الصادق (ع) (لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدوا أعينهم إلى ما متع به الأعداء من زهرة^(٢) الحياة الدنيا ونعيمها ، وكانت دنياهم أقل عندهم ممّا يطأونه بأرجلهم ولنعموا بمعرفة الله وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله)^(٣) .

عن نصر بن قابوس (قال : سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل : ﴿ وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾^(٤) قال : يا نصر والله ليس حيث ما يذهب الناس إنما هو العالم وما يخرج منه)^(٥) .

وجنة جسمانية لهم أيضاً ولأصحاب اليمين وهي إنما تنشأ من الأخلاق الفاضلة والأقوال الصادقة والأعمال الصالحة بإبداع النفس الانسانية المتصفة بها الصّور الملذّة من الحور والقصور والغلمان واللؤلؤ والياقوت والمرجان في عالمها وصقعها .

فان للنفس اقتداراً على ذلك باذن الله تعالى ولكنها ما دامت في هذه النشأة لا يترتب عليها آثارها لضعفها واشتغالها بالمحسوسات فاذا قويت وصفت وزالت الشواغل وانحصرت القوى كلها في قوة واحدة ذات تخيل حتى صارت عينا باصرة للنفس ، وقدرة فعالة لها وانقلب العلم مشاهدة فلا يخطر بالبال شيء تميل إليه النفس إلا ويوجد بالحال باذن الله تعالى أي يوجد بحيث يراه رؤية عيان ويحس به إحساساً قوياً لا أقوى منه .

وإليه الإشارة بقوله (ص) : (إن في الجنة سوقا يباع فيه الصّور)^(٦) ، والسّوق عبارة عن اللّطف الالهي الذي هو منبع القدرة على اختلاف الصور بحسب المشية ونيلها بالحسن .

وفي الحديث القدسي (يابن آدم خلقتك للبقاء وأنا حي لا أموت أطعني فيما أمرتك به

(١) احياء علوم الدين : ج٤ ص٩٧

(٢) الزهرة : البهجة والنضارة « الوافي » وفيه بعد قوله : (ع) اولياء الله هكذا ان معرفة الله انس من كل وحشة ، وصاحب من كل وحدة ؛ ونور من كل ظلمة ، وقوة من كل ضعف ، وشفاء من كل سقم « الخ » (٣) الكافي : ج٨ ص٢٤٧ ح٣٤٧ (٤) سورة الواقعة : الآية ٣١ (٥) بصائر الدرجات : ص٢٥ ح٣ (٦) جامع الاخبار : ص ١٧٠

وانته عما نهيتك عنه أجعلك مثلي حيًا لا تموت ، أنا الذي أقول لشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك به أجعلك مثلي إذا قلت لشيء كن فيكون (١) ، فلا يقول أحد من أهل الجنة لشيء كن إلا ويكون ، وفيه (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (٢) ، وفي القرآن : ﴿ فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (٣) .

والنار ناران : نار روحانية تطلع على الأفتدة للمنافقين والمتكبرين والمكذبين وهي إنما تنشأ بوسيلة عالم العقل بسبب فقدان المعارف والكمالات العقلية إما بانكارها وجحودها أو بالحرمان عنها بعد إدراكها والشوق إليها بحسب حصول أضرارها بالجهل المركب وفقدان القوة الهولانية وحصول فعلية الشيطنة والاعوجاج ورسوخ العقائد الباطلة في الوهم وهي مؤلمة جداً واما النقص بحسب الغريزة فلا الم بسببه بل هي بمنزلة الموت والزمانة في الأعضاء من غير شعور بمولم وكلاهما مشتركان في عدم الانجبار في الآخرة إلا أن البلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانة تبرّء ، « بترأخ » فالعذاب لهؤلاء عظيم ولاولئك أليم .

ونار محسوسة لهم ولأهل الكباير على قدر أعمالهم وهي إنما تنشأ بتبعية هذه النشأة الدنيوية بسبب فقدان متاعها بعد حصول الالف له والتعلق به والاخلاد إليه وارتكاب الأعمال السيئة والأقوال الكاذبة والأخلاق الرديئة فان النفس بسبب ذلك تنشئ في عالمها صور مؤذية مناسبة لها من الحيات والعقارب والسّموم واليحموم وغيرها فتأذى بها ولا تقدر على عدم إنشائها .

كما أنها إذا أصابتها في الدنيا مصيبة فكلما يخطر ببالها اغتمت بها وتآذت ولا يمكنها أن تخطرها ولكنها في الدنيا تغفل عنها إحيانا بسبب الشواغل بخلاف الآخرة فإنها لا تغفل عنها لعدم الشاغل وصفاء المحل وقوته وصورته القوي كلها قوة واحدة ذات تخيل فلا يزال يريد مالا يجده ويشتهي ما يضره ويفعل ما يكره ويختار ما يعذبه ويهرب عما يصحبه قائلاً : يا ليت بيني وبينك بعد المشركين فبئس القرين .

إلا أن هذه الهيئات لما كانت غريبة عن جوهر النفس وكذا ما يلزمها فلا يبعد أن تزول في مدة من الدهر متفاوتة حسب تفاوت العلايق في رسوخها وضعفها وكثرتها وقتلتها إنشاء الله فيخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ، ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (١) عذة الداعي : ص ٣١٠ . (٢) العوالي : ج ٤ ص ١٠١ ح ١٤٨ (٣) سورة السجدة : الآية ١٧

ذرة شراً يره^(١) ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢) .

وفي اعتقادات الصّدوق (ره) (روي أنه لا يصيب أحداً من أهل التوحيد ألم في النار إذا دخلوها وإنما تصيبهم الآلام عند الخروج منها ، فتكون تلك الآلام جزءاً بما كسبت أيديهم وما الله بظلام للعبيد)^(٣) .

وبإسناده عن ابن عباس قال : (قال النبي (ص) : والذي بعثني بالحق بشيراً لا يعذب الله بالنار موحداً أبداً وإن أهل التوحيد يشفعون فيشفعون)^(٤) .

عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار)^(٥) .

عن أمير المؤمنين (ع) قال : (ما من شيعتنا أحد يقارف^(٦) أمراً نهيناه عنه فيموت حتى يتلي ببليّة يمحص بها ذنوبه إما في مال أو ولد وإما في نفسه حتى يلقي الله محببنا وماله من ذنب ، وإنه ليبقى عليه شيء من ذنوبه فيشدد عليه موته فتمحص ذنوبه)^(٧) .

وفيه عن عبد الله بن سنان قال : (سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : الحمى رائد الموت وهي سجن الله في أرضه وهي حظ المؤمن من النار)^(٨) .

وعن عمر بن يزيد قال : (قلت لأبي عبد الله (ع) : إني سمعتك وأنت تقول : كل شيعتنا في الجنة على ما كان منهم ، قال : صدقتك كلهم والله في الجنة ، قال : قلت : جعلت فداك إن الذنوب كثيرة كبار ، فقال : أما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النبي ولكني والله اتخوف عليكم في البرزخ ، قلت : وما البرزخ قال : القبر حين موته إلى يوم القيامة)^(٩) .

عفو الهی بکنند کار خویش مژده رحمت برساند سروش
لطف خدا بیشتر از جرم ماست نکته سر بسته چه گوئی خموش

قال بعض أهل المعرفة : إن جهنم ليست بدار حقيقية متأصلة لأنها صورة غضب الله كما

(١) سورة الزلزلة : الآية ٧ - ٨ (٢) سورة النساء : الآية ١١٦ (٣) عن اعتقادات الصّدوق كما في تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٥٤-١٣٥ (٤) التوحيد : ص ٢٩-٣١ (٥) قرَف الذنب واقرَف : عمله ، وقارف الذنب وغيره إذا أدناه ولاصقه وإن شئت قلت إذا أتاه وفعله م . (٦) الحِصَال : ص ٦٣٥ في حديث الأربعمائة (٧) الكافي : ج ٣ ص ١١١ ح ٣ . (٨) الكافي : ج ٣ ص ٢٤٢ ح ٣ .

أن الجنة صورة رحمة الله ، وقد ثبت أن رحمة الله ذاتية واسعة كل شيء والغضب عارضي وكذا الخيرات صادرة بالذات والشورور واقعة بالعرض ، فعلى هذا لا بد أن تكون الجنة موجودة بالذات وجهنم مقدرة بالعرض والتبع .

وأصل جهنم من الدنيا فان مادتها هي تعلق النفس بامور الدنيا من حيث هي الدنيا ، وصورتها هي صورة الهيئات المؤلمة والاعدام والتقايس فهي ليست بدار خالصة بل هي مكدرة مشوبة بهذا العالم ، فكأنما هي هذا العالم انساق إلى الاخرة بسائق القهرمان وزمام التسخير .

وفي الكافي عن النبي (ص) (أخبرني الروح الأمين إن الله لا إله غيره إذا وقف الخلايق وجمع الأولين والآخرين أتى بجهنم تقاد بألف زمام بأخذ بكل زمام مائة ألف ملك من الغلاظ الشداد ، ولها هذة وتحطم وزفير وشهيق أنها لتزفر الزفرة فلولا أن الله تعالى أخرها إلى الحساب لأهلكت الجميع ، ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البر منهم والفاجر ، فما خلق الله عبداً من عباده ملك ولا نبي إلا وينادي يا رب نفسي نفسي وأنت تقول : يا رب أمي أمي)^(١) الحديث .

وإنما تقاد بألف زمام لأنها عالم التضاد فلا يجتمع أجزاءها إلا بأزمة التسخير بأيدي ملائكة غلاظ شداد .

كلمة

فيها اشارة الى الاعراف

الاعراف إن كان اشتقاقها من المعرفة فالأنبياء والأولياء هم العارفون والمعروفون ، والمعروفون للناس في هذه النشأة ، وإن كان من العرف بمعنى المكان العالي المرتفع فهم الذين من فرط معرفتهم وشدة بصيرتهم كأنهم في مكان عال مرتفع ينظرون إلى ساير الناس في درجاتهم ودرجاتهم ، ويميزون السعداء عن الأشقياء على معرفة منهم بهم وهم بعد في هذه النشأة كما أشار إليه أمير المؤمنين (ع) بقوله : (اقسام ربّ العرش العظيم لو شئت أخبرتكم بآبائكم وأسلافكم أين كانوا وممن كانوا وأين هم الآن وما صاروا إليه)^(٢) .

عن الاصبغ بن نباتة قال : (كنت عند أمير المؤمنين (ع) جالسا فجاءه رجل فقال له : يا

(١) الكافي : ج ٨ ص ٣١٢ ح ٤٨٦ (٢) المحجة : ج ٤ ص ٢٠٢ .

أمير المؤمنين «وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم»^(١) فقال له علي (ع) : نحن الأعراف نحن نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه ، وذلك بان الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف الناس حتى يعرفوه ويوحده ويأتوه من بابه ، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه^(٢) .

وبإسناده الصحيح عن الباقر (ع) (أنه سئل عن هذه الآية فقال انزلت في هذه الامة ، والرجال هم الأئمة من آل محمد (ع) قلت : فمن الأعراف ؟ قال : صراط بين الجنة والنار ، ومن شفع له الأئمة من المؤمنين المذنبين نجى ومن لم يشفعوا له هوى)^(٣) .

وفي رواية اخرى عنه (ع) (قال : نحن اولئك الرجال الأئمة منا يعرفون من يدخل النار ومن يدخل الجنة كما تعرفون في قبائلكم الرجل منكم يعرف من فيها من صالح أو طالح)^(٤) .

وأما ما في رواية اخرى عنه (ع) (أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم الأعمال وأنهم لكما قال الله)^(٥) وزاد في رواية : (فان أدخلهم الله النار فبذنوبهم وإن أدخلهم الجنة فبرحمته)^(٦) ، فلا ينافي ما قدمناه من الأخبار ، لأن هؤلاء القوم يكونون مع الرجال الذين على الأعراف وهم مذنبوا أهل زمانهم العارفين وكلاهما أصحاب الأعراف .

يدل على هذا صريحاً ما ورد في رواية اخرى عنه (ع) قال : (الأعراف كئيبان^(٧) بين الجنة والنار يوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده ، وقد سبق المحسنون إلى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه : انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سيقوا إلى الجنة فيسلم عليهم المذنبون ، وذلك قوله : ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلهم الله إياه بشفاعة النبي (ص) والامام (ع) فينظر هؤلاء إلى النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، وينادي أصحاب الأعراف وهم الانبياء والخلفاء رجلاً من أهل النار ورؤساء

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٦ (٢) بصائر الدرجات : ص ١٦ ح ٦

(٣) بصائر الدرجات : ص ١٦ ح ٥ (٤) بصائر الدرجات : ص ١٥ ح ١

(٥) البرهان في تفسير القرآن : ج ٢ ص ١٧ ح ٣ « في تفسير آية ٤٦ »

(٦) البرهان في تفسير القرآن : ج ٢ ص ١٧ ح ٢ « في تفسير آية ٤٦ »

(٧) الكئيب : التل من الرمل ، جمع كئيب وكئبان واكئبه . المنجد .

الكفار يقولون لهم مقرعين : ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كانوا الرؤساء يستضعفونهم ويحتقرونهم بفقرهم ويستطيبلون عليهم بدنياهم ويقسمون إن الله لا يدخلهم الجنة يقول أصحاب الاعراف لهؤلاء المستضعفين عن أمر من أمر الله عز وجل لهم بذلك : ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون^(١) ، أي لا خائفين ولا محزونين ، رواها الشيخ الطبرسي في تفسيره المسمى بالجوامع وروى علي بن إبراهيم في تفسيره ما في معناه^(٢) .

خاتمة

قد روي عن النبي (ص) أنه قال : (افتقرت أمة موسى (ع) على احدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي اتبعت وصية يوشع ، وافتقرت أمة عيسى (ع) على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي اتبعت وصية شمعون ، وستفوق « ستفترق ظ » امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي يتبع وصي علياً^(٣) .

وشكى در اين نيست كه انبياء و اوصياء سلام الله عليهم بجهت هدايت خلق و نجات ايشان مبعوث شده اند ، پس هر كه شيعه ايشان باشد يعنى پيروى ايشان كند و سخن ايشان شنود لأجرم او مهتدى و ناجى خواهد بود چنانكه امام حسن عسكري (ع) فرموده : (و شيعتنا الفرقة الناجية^(٤)) ، و هر كه از متابعت ايشان در باز زند و براهى ديكر رود ضال و هالك ، و حقيقت اين سخن هويد است .

ليكن جمعى كما قيل افسار تقليد از سر بيرون انداخته فطرت اصلى را سر نگون ساخته

(١) البرهان في تفسير القرآن : ج ٢ ص ٢٠ ح ١٩ (في تفسير الآية ٤٦) وفي مجمع البيان : المجلد ٣ الجزء الثامن ص ٦٦

(٢) قال الصدوق (ره) في العقائد كما في البحار : اعتقادنا في الاعراف انه سور بين الجنة والنار عليه رجال يعرفون كلا بسيماهم ، والرجال هم النبي و اوصياؤه (ع) لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكروهم وانكروه ، وعند الاعراف المرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم .

وقال العلامة المجلسي (قد) ما ملخصه : الذي يظهر لي من الايات والاحبار هو أن الله تعالى بعد خرق السماوات وطيها ينزل الجنة والعرش قريباً من الارض فيكون سقف الجنة العرش وتتحول البحار نيراناً فيوضع الصراط من الارض الى الجنة . والاعراف درجات ومنازل بين الجنة والنار وبهذا يندفع كثير من الاوهام والاستبعادات التي تخطر في اذهان أقوام في كثير مما ورد في أحوال الجنة والنار والصراط ومرور الخلق عليه ودخولهم الجنة بعده واحضار العرش يوم القيامة و أمثالها .

(٣) المحجة البيضاء : ج ١ ص ١٩٩ وانظر سند ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٢٢ ح ٣٩٩٢ و ٣٩٩٣ وانظر الخصال : ج ٢ ص ٥٨٤ ح ١٠ وكما في العوالي : ج ٤ ص ٦٥ ح ٢٣ .

اند ، بظواهر نبوت وتوابع آن قانع نباشند واز خود سخن چند بیهوده تراشند ، نه طبعشان گذارد که بآثر تقلید روند نه توفیقشان باشد که بوی تحقیق شنوند ، ﴿مذذبذبین بین ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ (۱)

رباعی

از بهر فساد و جنگ جمعی مردم کردند بکوی گمرهی خود راگم
در مدرسه هر علم که آموخته اند فی القبر یضرهم ولا ینفعهم

و بشومی این قوم اختلاف درامد پدید آمد و باعث حیرت مردمان شد . أما بحمد الله ما را میزانی در دست هست که بآن حق را از باطل جدا توانیم نمود ، و آن کتاب خداست و اوصیای پیغمبر (ص) و علیهم خلفا بعد سلف که تا قیام قیامت باقیند چنانچه آن حضرت فرمود :

(إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) (۲) ، و معنی عدم افتراقهما آن علم الكتاب إنما هو عند العترة ، فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما ، والمرجع في زمن خفائهم وغيبتهم إنما هو إلى أحاديثهم المضبوطة في الاصول المعتمد عليها فمن تمسك بها حينئذ فهو الناجي وإنما أوجب الله سبحانه مودة ذوي القربى على الامة وجعلها أجراً على تبليغ الرسالة ليتولاهم الامة فيتبعوهم بطيب نفوسهم فتحصل بذلك نجاتهم في الآخرة ولكن اكثر الناس لا يشكرون .

قال أمير المؤمنين (ع) : (الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج (۳) رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق) (۴) .

وقال الصادق (ع) : (يغدو الناس على ثلاثة أصناف : عالم ، ومتعلم ، وغشاء (۵) فنحن

(۱) سورة النساء : الآية ۱۴۳ (۲) إكمال الدين : ص ۲۳۷ ح ۵۴

(۳) الهمج بالتحريك جمع همجة : وهي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها ، والرعا : الاحداث الطغام من العوام والسفلة وأمثالهم ، والنعيق : صوت الراعي بغنمه ويقال لصوت الغراب أيضاً ، والمراد انهم لعدم ثباتهم على عقيدة من العقائد وتزلزلهم في أمر الدين يتبعون كل داع ويعتقدون بكل مدع ويخطون خبط العشواء من غير تمييز محق ومبطل ، والركن الوثيق : هو العقائد الحققة البرهانية اليقينية التي يعتمد عليها في دفع الشبهات ودفع مشقة الطاعات ، كذا في البحار الجزء الاول منه .

(۴) الغشاء بضم المعجمة والهاء المثناة ما يحمله السيل من الزبد والوسخ اريد به اراذل الناس وسقطهم . الوافي .

(۵) نهج البلاغة : ص ۴۹۶ حکمة ۴۱۷ .

العلماء ، وشيعتنا المتعلمون ، وسائر الناس غناء (١) .

وقال (ع) : (اغد^(٢) عالما أو متعلما أو مستمعاً أو محباً لهم ولا تكن الخامس فتهلك) (٣) .

فالفرقة الناجية هم المتعلمون على سبيل النجاة ومن الحق بهم من المستمعين والمحبين لهم فان من أحب قوماً فهو منهم ويحشر معهم وأما العالم الرباني فهو فوق الناجي والمراد بمحبة من يحب وبغض من يبغض محبة حقيقة ومقامه وبغضهما كما أن تصوّره في نفسه دون شخصه الجزئي .

يدل على ذلك ما روي عن الباقر (ع) قال : (لو أن رجلاً أحبّ رجلاً لله لأثابه الله على حبه إياه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار ولو أن رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه إياه وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنة) (٤) .

وفيه عنه (ع) (إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك فان كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته فبيك خير والله يحبك ، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من أحب) (٥) .

وفيه عن الصادق (ع) قال : (إن الرجل ليحبكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخل الله الجنة بحبكم وإن الرجل ليبغضكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله ببغضكم النار) (٦) .

ولا يخفى أن الحب والبغض من جهة الطاعة والمعصية يرجع إلى محبة المقام والحقيقة وبغضهما دون الشخص الجزئي ولا سيما إذا لم ير المحب والمبغض محبوبه ومبغوضه وإنما سمع بصفاته وأخلاقه ومن هنا نحكم بنجاة كثير من المخالفين الواقعيين في عصر خفاء إمام الحق المحبّين لأنتمنا صلوات الله عليهم وإن لم يعرفوا قدرهم وإمامتهم .

كما يدل عليه قول أمير المؤمنين (ع) في حديث أشعث بن قيس في كلام طويل قال (ع) (وأما الثلاثة أبو ذر والمقداد وسلمان فثبتوا على دين محمّد وملته وملة إبراهيم حتى لقوا الله

(١) الكافي : ج١ ص٣٤ ح٤

(٢) اغد من الغد وبالضم بمعنى سير أول النهار نقيض الرواح وإهمال العين كما ظن تصحيف . الوافي .

(٣) العوالي : ج٤ ص٧٥ ح٥٨ (٤) الكافي : ج٢ ص١٢٧ ح١٢

(٥) الكافي : ج٢ ص١٢٦ ح١١ (٦) الكافي : ج٢ ص١٢٦ ح١٠

يرحمهم الله فقال الأشعث : إن كان الأمر كما تقول لقد هلكت الامة غيرك وغير شيعتك ، قال : فان الحق والله كما أقول وما هلك من الامة إلا المنافقين المكابرين المجاهدين المعاندين ، فأما من تمسك بالتوحيد والاقرار بمحمد (ص) ولم يخرج من الملة ولم يظاهر علينا الظلمة ويشك في الخلافة ولم يعرف أهلها وولاتها ولم ينكر لنا ولاية ولم ينصب لنا عداوة فان ذلك مسلم ضعيف يرجى له الرحمة من ربه ويتخوف عليه ذنوبه .

عن الصادق (ع) (قيل له أرايت من صام وصلى واجتنب المحارم وحسن ورعه ممن لا يعرف ولا ينصب فقال : ان الله يدخل اولئك الجنة برحمته)^(١) .

وعن الحسن بن علي (ع) أنه قال في كلام له : (فمن أخذ بما عليه أهل القبلة الذي ليس فيه اختلاف ورد علم ما اختلفوا فيه إلى الله سلم ونجى من النار ودخل الجنة ، ومن وفقه الله ومن عليه واحتج عليه بأن نور قلبه بمعرفة ولاية الأمر من أئمتهم . ومعدن العلم أين هو فهو عند الله سعيد والله ولي)^(٢) .

ثم قال (ع) بعد كلام : (إنما الناس ثلاثة : مؤمن يعرف حقنا ويسلم لنا ويأتم بنا فذلك ناج محب لله ولي ، وناصب لنا العداوة يتبرأ منا ويلعننا ويستحل دماءنا ويجحد حقنا ويدين الله بالبراءة منا فهذا كافر مشرك فاسق ، وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما يسبوا الله عدواً بغير علم ، ورجل أخذ بما لا يختلف فيه ورد علم ما أشكل عليه إلى الله تعالى مع ولايتنا ولا يأتم بنا ولا يعادينا ولا يعرف حقنا فنحن نرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنة فهذا مسلم ضعيف)^(٣) .

وقال رجل للصادق (ع) : (إنما نتبرأ من قوم لا يقولون ما نقول ، فقال : يتولونا ولا يقولون ما تقولون ؟ قال : نعم ، قال : وهوذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نتبرأ منكم قال وهوذا عند الله ما ليس عندنا افتراه أطرحنا ؟ ثم قال : فتولوهم ولا تبروا منهم إن من المسلمين من له سهم ، ومنهم من له سهمان ، ومنهم من له ثلاثة أسهم)^(٤) الحديث بطوله رواه في الكافي وقد مر ما في معناه في كلمة مراتب الايمان والكفر .

والدليل على هذا من كتاب الله عز وجل قوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾^(٥) ، و ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴾^(٦) ، ﴿ وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم

(١) المحاسن : ج ١ ص ١٥٨ كتاب الصفوة والنور ح ٩٤ .

(٢) الاحتجاج : ج ٢ ص ٦ (١) الاحتجاج : ج ٢ ص ٧ (٢) الكافي : ج ٢ ص ٤٢ ح ٢٤

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ (٦) سورة الطلاق : الآية ٧

حتى يبين لهم ما يتقون ﴿^(١)﴾

قال الصادق (ع) : (ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم)^(٢) وسئل (ع) من لم يعرف شيئاً هل عليه شيء ؟ (قال : لا)^(٣) وهذا واضح بحمد الله فمن ليس له سبيل إلى التحقيق فعليه بالتقليد وبه نجاته وعليه محياه ومماته وليس له الخوض فيما لا يعنيه ولا التعمق فيما لا يهديه .

قال حجة الفرقة الناجية نصير الملة والدين محمّد بن الحسن الطوسي طاب ثراه في بعض رسائله : اعلم أيّدك الله أيها الأخ العزيز إن أقل ما يجب اعتقاده على المكلف ما هو ترجمة قول لا إله إلا الله محمّد رسول الله (ص) : ثم إذا صدّق الرّسول فينبغي . أن يصدّقه في صفات الله واليوم الآخر وتعيين الامام المعصوم كل ذلك بما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد وبرهان ، أما في الآخرة فبالإيمان بالجنة والنار والحساب وغيره وأما في صفات الله فبأنه حي قادر عالم مريد متكلم لبس كمثلته شيء وهو السّميع البصير .

ولا يجب عليه أن يبحث عن حقيقة هذه الصفات وأن الكلام والعلم وغيرهما حادث أو قديم ، بل لو لم يخطر هذه بباله ومات مات مؤمناً ولا يجب عليه تعلم الأدلة التي حررها المتكلمون ، بل مهما خطر في قلبه تصديق الحق بمجرد الإيمان من غير دليل وبرهان فهو مؤمن ، ولم يكلف رسول الله العرب بأكثر من ذلك وعلى هذا الاعتقاد المجمل أكثر العرب وأكثر الناس إلا من وقع في بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام وحديثه ومعنى الاستواء والنزول وغيره فهو إن لم يأخذ ذلك بقلبه وبقي مشغولاً بعبادته وعملاً . فلا حرج عليه وإن أخذ ذلك بقلبه فإنما الواجب عليه ما اعتقده السّلف .

يعتقد في القرآن الحدوث كما قال السّلف : القرآن كلام الله مخلوق ، ويعتقد أن الاستواء حق والإيمان به واجب والسؤال عنه مع الاستغناء عنه بدعة والكيفية غير معلومة ، ويؤمن بجميع ما جاء به الشرع إيماناً مجملًا من غير بحث عن الحقيقة والكيفية وإن لم يعتقد ذلك وغلب على قلبه الشك والاشكال فإن أمكن إزالة الشك بكلام قريب من الافهام أزيل : وإن لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضياً فذلك كاف ولا حاجة إلى تحقيق الدليل ، فإن الدليل لا يتم إلا بذكر الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن أن يتشبث بالمخاطر والقلب فيظنها حقة لقصوره عن إدراك جوابها إذ الشبهة قد تكون جبليّة والجواب دقيقاً لا يحمل عقله

(١) سورة التوبة : الآية ١١٥ (٢) الكافي : ج ١ ص ١٦٤ ح ٣ (٣) الكافي : ج ١ ص ١٦٤ ح ٢

ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش وعن الكلام فيه ، وإنما زجروا ضعفاء العوام وأما أئمة الدين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات ومنع العوام عن الكلام بجري مجرى منع الصبيان عن شاطئ الدجلة خوفاً عن الغرق ، ورخصة الأقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صفة السباحة إلا أنّ ههنا موضع غرور ومزلة قدم ، وهو :

أن كل ضعيف في عقله يظنّ أنه يقدر على إدراك الحقائق كلها وأنه من جملة الأقوياء ، وربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون ، والصواب منع الخلق كلهم إلا الشاذ النادر الذي لا تسمح الأعصار إلا بواحد منهم أو اثنين ، من تجاوز سلوك مسلك السلف في الايمان للرسول والتصديق المجمل بكل ما أنزل الله تعالى وأخبر به رسول الله (ص) فمن اشتغل بالخوض فقد أوقع نفسه في شغل شاغل إذ قال رسول الله (ص) حيث رأى أصحابه يخوضون بعد أن غضب حتى احمرت وجنتاه : أفبهذا امرتم ؟ تضربون كتاب الله ببعض انظروا فما أمركم الله به فافعلوا وما نهىكم عنه فانتهاوا .

فهذا تنبيه على منهج الحق واستيفاء ذلك شرحناه في كتاب قواعد العقائد فاطلبه منه انتهى كلامه رحمه الله .

وفي نهج البلاغة (قال رجل لأمير المؤمنين (ع) صف لنا ربنا لنزداد له حباً وبه معرفة : فغضب (ع) ثم صعد المنبر فخطب خطبة جليلة قال فيها : فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضيء بنور هدايته ، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي (ص) وأئمة الهدى اثره فكل علمه إلى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك ، واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب ، فلزموا الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً^(١) فاقصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين^(٢) .

أشار (ع) في كلامه هذا إلى قوله عز وجل : ﴿يقولون آماناً به كل من عند ربنا﴾^(٣) .

(١) هذا الحديث رواه العلامة المجلسي أعلى الله مقامه في الجزء الثاني من البحار عن تفسير العياشي بتفاوت يسير الى قوله رسوخاً وقال في شرحه : الاقتحام : الهجوم والدخول مغالبة ، والسدد جمع السدة وهي الباب المغلق « انخ »

(٢) نهج البلاغة : ص ١٢٤ خطبة ٩١ (٣) سورة آل عمران : الآية ٧

شعر

قدم برون منه از جهل یاز خاصان شود که کر میانه کزینی سراب و تشنه لبی است
ولنختم الكتاب حامدين لله مصليين على خاتم النبیین وأهل بيته المعصومين وسائر الأنبياء
والأولياء وملائكة الأرض والسماء أجمعين .

لما كان ينبغي أن تكون الكلمات المشتمل عليها مقالات هذا الكتاب المسمى « بقرة
العيون » مضمونا بها على غير أهلها ناسب أن تقلب « نلقب خ » المقالات بمكنونة الكلمات
الذي هو تاريخ تأليفها سنة ١٠٨٨ ثمان وثمانون بعد ألف من الهجرة النبوية (ص) .
وفرغ من تصحيحه وتذييله العبد : « السيد ابراهيم الميانجي » عفي عنه وعن والديه في أواخر
شهر محرم الحرام سنة ١٣٧٩
والحمد لله رب العالمين

٣ مِصْبَاحُ الْأَنْظَارِ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب مجموع فيه كلام الناصح العالم والوافد الصالح وهو يسمّى مصباح الأنظار ومن عمل بما فيه أمن من عذاب النار ورضي عنه الجبار وصلى الله على سيدنا محمد المختار وآله وأصحابه الأخيار .

وروي بالإسناد الصحيح أن وافداً وفد على عالم من علماء أمة رسول الله (ص) فلما نظر الوافد إليه رأى رجلاً جسمه لا يشبه اسمه فسلم عليه فرد السلام ، فأطال الوافد الوقوف وأطال العالم السكوت فقال الوافد : إن لكل طالب حاجة فقال العالم : ولكل حديث جواب ، فقال الوافد : صدقت لأن الله تعالى يقول ﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾^(١) ، فعلم العالم أن الوافد يريد منه علماً فقال إن العلم بحر عميق ، فقال : ولكل بحر سفينة ينجو بها ركبها ، قال العالم : وما سفينة بحر العلوم ؟ فقال الوافد : المعرفة ، فقال العالم : المعرفة اسم أو رسوم ؟ فقال الوافد : اسم ورسوم فقال العالم : كم رسوم المعرفة ؟ قال الوافد : تعرف نفسك وتعرف ربك وتعرف دينك وتعرف دنياك وتعرف آخرتك فاذا عرفت ذلك فلا حاجة لك إلى غيره .

قال العالم : كيف تعرف نفسك ؟

فقال الوافد : أعرف حديثها وأعرف ضعفها وأعرف فاققتها وأعرف عجزها وجهدها في طاعة ربها وأحملها على الخوف كي أرى خوفها واحتمالها للأذى بأرضها وأحشها على الطلب لما فيه نجاتها وأصرفها من الكذب إلى الصدق ومن الطمع إلى الورع ومن الشك إلى اليقين ومن الشرك إلى الإخلاص وأخرجها من محبوبها في الدنيا وأربطها في الفقر حتى تنال كرامة الله تعالى في الآخرة .

قال : فكيف تعرف ربك ؟

(١) سورة الانبياء : الآية ٧

قال : أعرف بما عرف به نفسه من الوجدانية ولا اشبهه بشيء من البرية لا يحدّ بالحدود ولا يوصف بالصفات إذ هو سبحانه وتعالى خالق كلّ صفة وموصوفات .

قال : فكيف تعرف دينك ؟

قال الوafd : أعرفه بالشريعة التي سنّها رسول الله (ص) وبالمحكم من التنزيل وشهادة علانية العقول وهي على ثلاثة وجوه واعتقادها وسبيلها واضح وطالبها رايح قد بهر دليلها وشهد لها بالصدق من ذوي العلم عقولها فتذكرنا مؤنة الطلب بهذا الاحتجاج وقطع عنا علايق الاعوجاج حتى ما بقي في ذلك ميل ولا اختلاج لقصدت عند ذلك بينة صحيحة حتى عرفت الأصل والفرع فوجدت ذلك واضحاً مبيناً وفي كتبهم مشروحا معينا كلاما مبرهنا قد حملوا رضاء الله عنهم عبو ذلك ونقله حافظين فيه الامانة وأوضحوا فرع ذلك وأصله مجتنبين الغش والخيانة قد شيّدوا بنيانه وعظّموا سلطانه واثبتوا في العقول برهانه ؛ فليس لأحد من بعدهم مطلب ، ولا لمسترشد من دونهم مذهب ، ولا عاقل في غير مذهبهم يرغب .

فقال : فكيف تعرف دنياك ؟

قال الوafd : أعرف فناها وتقلبها في غرورها وخدعها وخزيتها ونظرت وميزت فاذا الدنيا تفر طالبها وتقتل صاحبها وتفرق ما جمع وتغيّر ما صنع وعرفت أنها تفعل بي مثل ما فعلت بالاولين . قال : فكيف عرفت الآخرة ؟

قال : عرفت أنها دار باقية فيها الحساب والعقاب والمجازاة والثواب يبلغ أمدّها ويطيّل أمدّها فريق في الجنة وفريق في السعير ، فمن كان في أصحاب الجنة فشاب لا يكبر ، وغني لا يفتقر وقادر لا يعجز وعزيز لا يذلّ وحَيّ لا يموت في دار القرار في نعيم وسرور وقصور وحوور راضية وقطوف دانية ، وأنهار جارية وملك لا يزول ونعيم لا تحصي صفته ، ومن كان من اهل النار فحمل ثقيل ، ومقام طويل ، وبكاء وعويل ، وخشوع ضئيف ، وقلب خفيف ، في دار جهد وبلية وهمّ وغمّ ورزية ، وعذاب لا ينقطع حيث السلاسل والاغلال ، وقبود الاكبال ، والضرب والصياح والعوالم ، وأكل الزقوم وشرب الحميم ، ونفحات السموم وظهور المكتوم ، ولباس القطران ، وزفرات النيران ، والخزي والهوان داخلها محسور وواردها مضرور ، وساكنها مدحور وصاحبها مقهور واللابث فيها مهجور .

قال العالم : كيف يصنع من وعد بهذين الدارين إن نظر إلى النار ونظر ما وعد الله فيها لأهلها ، ثم ينظر إلى الجنة وقصورها وما أوعد الله فيها من النعيم المقيم والفواكه والأزواج من

البحور الحسان ، والأكاليل والتيجان ، والأنهار الجارية ، والأثمار الدانية ، والسرر المصفوفة ، والزرايب المبتوثة ولباسها وفرشها وحجراتها وطعامها وشرابها ودوام ذلك فيها ، فيخاف أن لا يكون من أهلها فهنالك تتابع زفراته ، وتكثر حسراته وتفيض عبراته ، ويطيع ربّه ويعصي هواه ، ويترك دنياه ويطلب آخرته ويعلم يقيناً أن إلى الله المصير .

قال : فلما انتهى الكلام منهما إلى هذا الحد وعلم العالم أنه ذو فطنة ونباهة ونبالة ، ونظر وتميز ، ورغب في طلب منالته سأله لينظر معرفته .

قال العالم : من أين ؟

قال الوافد : من فوق الأرض ومن تحت السماء ، قال العالم : كم لك ؟ قال : كذا وكذا سنة قال له العالم : ما ترى ؟ قال : أرى أرضاً وسماء وما بينهما ، قال : فما ترى في السماء ؟ قال : أرى شمساً تحرق ، وقمرأً يشرق ، ونجوماً تظهر ، وماء يهبط ورياحاً تذرّي وسحاباً يجري ، وطيراً يهوي ، وليلاً ونهاراً ، وآيات البريات .

قال العالم : فما ترى في الارض ؟ قال الوافد : أرى بحراً وأبحاراً ، وسهولاً وأوعاراً وتراباً وأحجاراً وأثماراً وأنهاراً وقراراً .

قال العالم : فكم الدنيا ؟ قال الوافد : ليل ونهار ، قال العالم فكم الخلق ؟ قال : ذكر واناث قال العالم ! فكم الناس ؟ قال الوافد : الناس اربعة : واحد فيه خير وشر والثاني شرّ بلا خير والثالث خير بلا شر والرابع لا خير فيه ولا شر .

قال العالم فكم الناس وما هم بعد ذلك ؟ قال الوافد : نيل وسفل ، فلا النبل لهم قدر عند السفل ولا السفل لهم قدر عند النبل ، قال العالم : فكم الكلام ؟ قال الوافد : اربعة : خطاب ، وجواب ، وخطأ ، وصواب .

قال العالم : فيمن العجب ؟ قال الوافد : في سبعة قال العالم : من هم ؟ قال الوافد : عبد عرف الله وعصاه ، ومن عرف الشيطان واطاعه ، ومن عرف الدنيا فجمع لها ؛ ومن ذكر الموت فطابت نفسه ، ومن عرف الاخرة فبغضها ، ومن عرف الجنة فلم يرغب إليها ، ومن عرف النار فلم يرهبها .

قال العالم : فما خير الأشياء ؟ قال الوافد : خير الأشياء الايمان بالله وملائكته والكتاب والنبیین قال العالم : كم شهود الايمان ؟ قال الوافد : أربعة شهود محكم الكتاب ، ومحكم

السنة ، وحجة العقول ، واجماع الامة قال العالم : وما هو؟ قال الوافد : عمل وقول واعتقاد ، قال العالم فكيف ذلك ؟ قال الوافد : قول باللسان واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان ، قال العالم : فما ضد الصدق ؟ قال : الكذب قال : فما ضد العمل ؟ قال : النفاق ، قال : فما ضد الاعتقاد؟ قال : التشبيه .

قال العالم : فما أعظم الأشياء ؟ قال : معرفة الله على حقيقته وهي التوحيد والتفريد والتصديق . ذكر الله على كل حال في الليل والنهار قال العالم : فما أفضل الأشياء ؟ قال الوافد : طلب العلم من العلماء حين يعرف الطلب فيعمل به فمن أظهر مصباح الهدى في قلبه أخلص النية والعمل لرّبه وأنطق الله بالحكمة .

قال العالم : فما أخبث الأشياء ؟ قال الوافد : الجهل لأن في الجهل الهلاك والعطب وأن الجاهل إذا أراد أن يصلح شيئاً أفسده بجهله وقلة علمه ، وهو يجلب الافات ويتولد منه الكبير والطمع والحرص والشهوة والجهل والبخل والسخرية .

قال العالم : فما أقبح الأشياء؟ قال الوافد : اللغو والغيبة والنميمة والخيانة والكذب والزنا والرياء وحب المزاح وحب الفاسق وصحبة المنافق والتهمة والسوء للخلق والظن .

قال العالم : فما أذنس الأشياء ؟ قال الوافد : السؤال للناس ، ومقاربة الانجاس ، والثقة بكل الناس ، وتقرع الاكياس .

قال العالم : فما أنفع الأشياء : قال الوافد حسنة يكون بها عشر أمثالها ، قال العالم : وما هذه الحسنة ؟ قال الوافد : تطعم أخاك المؤمن من جوع أو تكسيه من عري أو تقضي عنه ديناً أو تفرج عنه غمّاً أو تكشف عنه همّاً ، فمن فعل هذا لآخيه المؤمن جاء يوم القيامة ولوجه نور يضيء كنور القمر وتتلقاه الملائكة بالمسرة وتدخله الجنة آمناً ، وأعطاه الله من الثواب ما لا يصفه واصف ولا يحيط به عارف .

قال العالم : فما أضرّ الأشياء ؟ قال الوافد : سيئة تتبعها سيئة قال العالم : فما أطيب الأشياء ؟ قال الوافد : العافية مع المعرفة ووضع الأشياء في مواضعها وفي مجالسة العلماء ومدارسة الحكماء وحضور مجلس الذكر والتفكير في الصنع والمبادرة في أعمال البر وإصلاح ذات البين والتجهيز للرحلة والاستعداد للموت .

قال العالم : فما أهون الأشياء ؟ قال الوافد : إذا نفخ في الصور وبعثر ما في القبور

واجتمعت الخلايق للموقف المتضايق فهنالك الفرع العظيم ، والخطب الجسيم كل انسان يقول نفسي نفسي لا يسأل ذلك اليوم والد عن ولده ولا أخ عن أخيه كل نفس بما كسبت رهينة .

فلما انتهى الكلام منهما إلى ههنا عرف العالم أن الوافد حسن المعرفة جيد الفطنة صحيح اليقين متين الورع كثير الفرع أقبل عليه العالم بوجهه وقال : أيها الوافد الصالح والتاجر الرباح والخليل الصالح : اسأل عما بدا لك يرحمك الله .

فقال الوافد أيها العالم الحكيم الناطق الشفيق الصادق انشر عليّ من مكنون حكمتك علماً ، وزدني من معرفتك نوراً ما ازداد به فهما ، فلعل الذي على قلبي أن يخلص ببركتك وينجلي عني بجود صحبتك .

قال العالم : اجر لك الصّلاح ، ووفق لك الفلاح ، وتيسّر لك النجاح ، وعليك بسبعة أشياء الزمها : أولها المعرفة بالمعروف فهو الله عز وجل والايمان والاسلام والطاعة والعلم والعمل ثم تعرف المعرفة ما هي إذا صرت عارفاً وزدت المعرفة إلى المعرفة فلحقت من المعرفة ما قدرت عليه ، ثم تعرف الايمان ما هو وكيف هو حتى اذا صرت مؤمناً أسلمت للذي آمنت به حتى إذا صرت مسلماً احتجت أن تطيع للذي أسلمت إليه حتى إذا صرت مطيعاً احتجت إلى علم تطيع به ، وتعرف العلم ما هو وكيف هو حتى إذا صرت عالماً احتجت أن تعمل بما علمت ، ثم تعرف العلم ما هو وكيف هو وما ثمرته وإلى ما يوصلك وما عايدت نفعه .

قال الوافد : أيها العالم بين لي العمل (المعرفة خ) ما هو وكيف هو ؟

قال العالم : أما ما هو فإصابة الأشياء بأعيانها ووضعها في مواضعها ومعرفتها على حقايقها ؛ وأما كيف هو فإصابة المعاني فما من شيء إلا له معنا يرجع إليه فإصابة الأشياء بالنظر والتميز والسمع والبصر ، وإصابة المعاني بالتفكر والاعتبار والعقل .

قال الوافد : فما معرفة الله تعالى ؟

قال العالم : هو أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ولا يحوي به مكان ، ولا يحيط به علم ، ولا يتوهمه جنان ، ولا يحويه فوق ، ولا التحت ، ولا الخلف ، ولا الأمام ، ولا اليمين ، ولا الشمال ، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، لا يعلم كيف هو إلا هو ، فتعرفه بهذه المعرفة فيما تفهمه قلبك ، وذلك قوله في محكم كتابه العزيز لنبية (ص) ﴿ قل هو الله أحد الله الصّمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾^(١) ، فتقول كما امرت وتعمل كما علمت

(١) سورة الإخلاص : الآية ١ - ٤

وتشهد كما علمت وتعمل كما شهدت أن الله الواحد القهار الملك الجبار المحيي المميت الحي الذي لا يموت خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير ومالك كل شيء الكائن قبل كل شيء الباقي بعد فناء كل شيء وهو على كل شيء قدير فهذه معرفة الله تعالى بالذكر .

وأما المعرفة بالتفكر والنظر بالقلوب والتميز بالالباب في أعظم قدرة الله تعالى وارتفاعه وعلوه وبقائه وانفاذ أمره وبيان حكمته وحياطة علمه وكثرة خلقه وسعة رزقه وقرب رحمته وجود كرمه وحسن رأفته وجميل ستره وطيب عافيته فله الحمد على ذلك كثيراً .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟ .

قال العالم : الايمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله تعالى ، وآتق في جوارحك حتى لا تستعملها في شيء مما يكرهه منك خالقها ، فتكون قد امتتها من عذاب النار ، ومن الايمان أن تأمن الناس من يدك ولسانك وظنون قلبك ، فاذا فعلت ذلك فأنت مؤمن ، ومن الايمان الرضا بالقضاء والشكر على العطاء والصبر على البلاء ، ومن الايمان المحافظة على الفرائض والمبادرة بالنوافل والفضائل .

ومن الايمان تعلم أن الله حق ، وقوله حق والجنة حق ، والنار حق ، والبعث حق ، والثواب حق ، والحشر حق ، والقيامة والعرض حق ، والحساب حق ، وأن الله على كل شيء قدير ، وأنت منتقل من هذه الدار القانية إلى الاخرة الباقية ، مسؤول عن أعمالك ، موقوف على فعالك ، منكشف سرّك واعلانك ، فتجد ما فعلت قد احضر إليك وأنت اليوم في دار المهلة ومكان الفسحة ، فلا تذهب أيامك سدى ، واعمل فيها بطاعة ربك وعلق قلبك في ملكوت إلهك واجعل دليلك الايمان ، وقرينك التفكير وهمتك الحساب ، وسعيك الثواب ، وجليسك الكتاب وأملك الرجاء وسريرتك الوفاء ، وسيرتك الحياء ، وفاقتك الرحمة ، وعملك الطاعة ، وطلبك النجاة ، وسؤالك المغفرة ، وسبيلك الرضا ، وخوفك العقاب ، ورغبتك الثواب ، وخلقك العفاف ، وعزيمتك الكفاف ، فمن سلك هذه الطريقة سبق ، ومن تكلم بمثل هذه صدق ، وهي عروة فمن تعلق بها استوثق والحمد لله رب العالمين .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الاسلام ، وهو أن تسلم للذي آمنت به ، ومن الاسلام أن تسلم أعمال الطاعات ، فاذا علمت ذلك سلمت من النار ، وسلم الخلق منك ويكون إسلامك بالظاهر والباطن حتى لا يخالف قولك فعلك ولا فعلك يخالف قولك ، فيكون ظاهرك باطنك وباطنك

ظاهره ، وكون موقناً بالوحدانية ، مقرأً بالربوبية ، معترفاً بالعبودية ، مجللاً بالعظمة ، هائبا للجلالة ، فرحا بالسكون ، محباً للطاعة ، طالباً للرضا ، خائفاً للغضب ، راغباً في الجزاء ، رهاباً للعذاب ، مؤدياً للشكر ، مداوماً على الذكر ، معتصماً بالصبر ، عاملاً بالفكر فهذا عمل الباطن .

وأما عمل الظاهر : الاجتهاد في أداء الفرائض والسنة والفضائل والنوافل ، والنهي عن المنكر وقراءة القرآن ، ومن السنة الختان ، وصلاة العيدين ، وحلق العانة وتنف الابطين وتقليم الاظفار ، وقص الشارب والسواك ، ومن الفضائل صيام رجب وشعبان وأيام البيض ويوم عاشوراء ويوم عرفة والخميس .

قال الوافد : ما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : وراء ذلك المواصلة والمعونة والمواساة والمواخاة في الله والمحبة لأوليائه الله تعالى ، والبغضة لأعداء الله ، وصلة الرحم ، والرحمة لليتيم ، ومعاونة الضعيف ، وتعليم الأولاد ، وانصاف الزوجة فيما لا تنالك عنه وهي ناظرة إليك وفي تعليمها والامر لها فيما لا يبد لها منه والنهي لها فيما لا حاجة لها فيه ، والزامها لمنزلها وطول الحجاب ، وتفصيل الأبواب وتعليم الحكمة والصواب ، مع لزوم العفاف ، والرضا بالكفاف ، والصيانة لها عن التبرج والعوج والأبواب ، والشوق إلى دور المسلمات ، فويل لهاتكات الستور ، ولجات كل محظور الناقلات الكلام الزور ، الجالبات للفحشاء والفجور ، المبغضات للنعمة ، والمدخلات على المسلمين التهمة ، والمفرقات للالفة ، والداعيات للكشفة .

ولقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال : إن أجد إلى منزلي مائة لص يسرقونه أهون علي أن أجد فيه عجزاً ما أعرفها ، ومن ذلك انصاف الخادم فيما لا يقدر عليه ، والرفق به والنهي له عن ما لا حاجة له به ، وصيانة الدابة فيما تحتاج إليه ، والرفق بها فيما لا تقدر عليه ، فهذا الأمر بالمعروف .

وأما النهي عن المنكر فمن المنكر الفعل السيء ؛ وقول الفواحش ، والكذب والنميمة ، ومن الفعل القتل والزنا ، ومن النية الرياء والكبر والحسد والبغضاء والفحشاء ، ومن الفعل أخذ أموال الناس سرّاً وجهراً ، ومن القول الغيبة والنميمة وشهادة الزور .

قال الوافد : بينها لي يرحمك الله تعالى حتى أعرفها وأعمل بها .

قال العالم الطاعة اتباعك لما أمر الله به ، واجتنابك لما نهاك الله عنه ، وذلك على

وجيهين شيء لم تعرفه ، وشيء قد عرفته ، تعرف مالك وما عليك فيما نهاك الله عنه ، فعليك فيما قد علمت التوبة والرجوع والانابة والتضرع ، ولك في ذلك المعرفة فانك إذا خفت من ربك تبت إليه وتعلم الايمان ما هو وكيف هو .

قال الوافد : ما هو يرحمك الله ؟

قال العالم : أما « ماظ » هو فمعرفة الذنب وشهادة الرب وأما كيف هو فوجل القلب ودمع العين فان لم تكن كذلك فلست بخايف فيما قد علمت ، وأما الذي لم تعلمه فعليك منه الرهبة والتقوى وإذا اتقيت الله لم يجدرك حيث نهاك وإذا خفته لم يفقدك حيث أمرك ، فان الله يراك ورعلم سرّك ويسمع كلامك ، فهنالكَ ترهبه وتخافه حتى كأنك تراه .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : وراء ذلك التقوى ، قال : وما التقوى ؟ قال : تحفظ لسانك وعينك ويدك وفرجك وظنون قلبك ، فلا تنظر بعينك إلى ما لا يحل لك فإنّ النظرة الواحدة تزرع في القلب الشهوة وهي سهم من أسهم إبليس ، وتحفظ لسانك عن الكلام فيما لا يعينك فان اللسان سبع إذا أطلقته أكلك ، وهلاكك في طرف لسانك فلا تقل ما لا يحل لك فان لم تفعل ذلك فما اتقيت الله تعالى ، ولك في ذلك المغفرة والرحمة وذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾^(١)

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : القيام بما أمرك الله به حتى تعرف عملك وتضع كلّ شيء منك في موضعه ، وتعريف خطاه وصوابه ويكون العمل تابعا للعلم مطيعاً له ويكون فيه الرغبة واليقين والاخلاص والمحبة والحياء والاستقامة ، وتعرف الرجاء ما هو وكيف هو ومن ترجو .

قال الوافد : بين لي ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : هو أن يكون رجاك الله في كل امورك لديناك وآخرتك ولا يكون رجاك للناس أكثر من رجاك لله فتحبط أعمالك ويبطل أجرك فإنّ الله تعالى يقول وقوله الحق : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾^(٢) فتقوم كما أمرك الله سبحانه وتعالى به ظاهراً وباطناً ، فان الظاهر الجلي يدللك على الباطن الخفي ، ويكون قلبك متعلقاً

(١) سورة طه : الآية ٨٢ . (٢) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

بمن ناصيتك بيده ، ورزقك عليه ، ورخاك وشدتك وعافيتك وبلواك ومحياك ومماتك ودينائك .
وأخرتك ، فترجو للشدة كما ترجو للرخاء ، وترجو للأخرة كما ترجو للدنيا ، وتخاف ربك كما
تخاف من الموت والفقر .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟ قال : الرغبة تعرف ما هي وكيف هي .

قال : بينها لي يرحمك الله تعالى ، قال : إن الرغبة في التطوع بعد الوفاء بما أمرك الله به
فإنك إذا رغبت ازددت الخير خيراً ، وإن لم ترغب لم تزد وأنت متطوع ولست براغب ، وأما
كيف هي فالتضرع عند الدعاء ، فإنك إذا تضرعت ولم ترغب كان دعاؤك بلا رغبة ، وذلك قوله
عز وجل : ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾^(١) فمن خاف وتضرع رحمه الله
وأجابه .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : وراء ذلك اليقين ، قال : وما اليقين ، قال : صاحب اليقين يعلم أن العلم
متصل بالنية ، فكلما حضر قلبه علم أن الله قد علمه فيلحقه الخوف ويسارع بالتوبة قبل أن
يعمل الذنب ، فتوبته مقبولة ، وذنبه غير مكتوب ، وإنما يكتب ذنبه المواظب عليه ولم يتب
منه .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الاخلاص في الدين ، وهو في القول والعمل والاعتقاد قول خير وعمل خير
واعتماد خير أما سمعت قال الله تعالى : ﴿ ألا الله الدين الخالص ﴾^(٢) قال : بين لي ذلك يرحمك
الله ، قال العالم : هو أن يعلم العبد أنه بين يدي الله عز وجل ، يراه ويسمع كلامه ويعلم ما في
نفسه ويجعله أملاً ، ويكون الطاعة عمله ، ولا يغيب مشاهدته زالت الدنيا من عينه وتعلقت
الأخرة في قلبه ، فقيامه طاعة ، وقوله تفقه وسكوته فكرة ، قد قطع قوله بعمله ، وقطع أمله
بأجله ، وخرج من الشك إلى اليقين ، فقلبه وجل ، ودمعه عجل ، وصوته ضعيف ، وكلامه
لطيف ، وثقله خفيف ، وحركته احسان ، وتقلبه ايمان ، وسكوته امان .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

(١) سورة الاعراف : الآية ٥٥ (٢) سورة الزمر : الآية ٣

قال العالم : تحب الحق وبغض الباطل ، فان حب الباطل يدخل النار ، وحب من أحب الله قريباً كان أو بعيداً .

قال الوافد : وما حب من أحب الله قريباً كان أو بعيداً ؟ قال العالم : يسوؤك ما يسوؤه ، ويضرك ما يضره ، ويسرك ما يسره ، ويدخل السرور عليه ، فان كان أعلم منك تعلمت منه ، وإن كنت أعلم منه فعلمه واحفظ حضرته وغيبته ووااسيته وأعتته وجعلت ذلك لله وفي الله ولا تكن من ذلك متى وإلى متى .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله : قال العالم : الحياء ، قال : بينه لي ، قال العالم : ذلك على ثلاثة وجوه ، وهو :

أن يعلم العبد أن طاعة الله عليه واجبة وأن رزقه على الله أفلا يستحي العبد أن يراه حريصاً على رزقه كسلانا عن طاعته ، يمر على قوم أجسامهم معافا ، وعقولهم ثابتة ، وقلوبهم آمنة ، ونفوسهم طيبة ، قد أحسن الله لهم أفلا ينظرون إلى شيء من قدرة الله ولا إلى نعمه فيشكرون ، ولا إلى من كان من قبلهم فيعتبرون ، ولا إلى ذنوبهم فيستغفرون ، ولا إلى ما وعدهم الله في الآخرة فيحذرون أفلا يستحي من آمن بالله أن يراه الله مع اولئك مقيماً ، لا بثأساكناً ومؤانسا حاضراً مجالساً .

وأما الثاني فان الله أعطى ورضي يعطي وهو راض أفلا يستحي العبد أن يرضى برضاء ربه عند عطاءه لا يرضى برضاه عند العطاء .

وأما الثالث فان الله يرضى لعبده الجنة ويأمره بالعمل الصالح لما يصلح له من الخير ، فيعمل العبد ما لا يرضى الله له ويكره ما يرضيه الله له من الجنة ولا يترك المعاصي والشورور ويرضى ما لا يرضى له ، ويكون له ولد يحبه ويريد له الدنيا وربما قبضه الله اليه وهو له ولي أفلا يرضى العبد برضاء الله كما رضي أو لا بعطاء الله وهو يعلم أن موت ولي الله خير من حياته في هذه الدنيا الفانية المحشوة هموماً وغموماً وبغضاً وخصصاً وشوروراً .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الاستقامة أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^(١) .

(١) سورة الاحقاف : الآية ١٣

قال الوافد : بين لي ذلك يرحمك الله .

قال العالم : الاستقامة هي أن ترى الدنيا قيامة ، فلا تلتفت إليها كرامة ولا تبالي فيها بالملامة ، الاستقامة تؤدي صاحبها إلى السلامة المستقيم صادق ، وبالاخلاص ناطق ، وعمله في خضوع ، وقلبه في خشوع ، وروحه في رجوع ، وسروره في نزوع ، وجسمه سقيم ، وقلبه سليم مقيم بلا التفات يداوم على المراقبات ، ملازم على الاجر مدمن على الزجر ، تارك للهوى ، مقيم على الوفاء ، حريص على التقى ، مجتهد في الصفا ، ليله قائم ، ونهاره صائم ، ألف مؤالف صابر عاكف ، تام الصّحبة دائم المحبة ، مجيب غير مغيب ، معروض غير متعوض ، مطيع غير مذيع ، طالب راهب ، مسلم متسلم ، مقر لا منكر ، محتقر متواضع غير مستكبر ، مقبل غير مدبر .

وعلامة المستقيم أن يستقيم به كل معوج ، ويسلك به خير منهج ، ويكون عالما يهتدي به ودليلا يقتدي به ، ولا يكون ممن يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟ قال : أما علمت أن الدنيا شدة ورخاء قال : بلى ، قال : فليكن حالك في الشدة كحالك في الرخاء .

قال : بين لي ذلك يرحمك الله ، قال : أليس في الرخاء حساب ؟ قال : بلى قال أيهما أحب إليك الثواب أم الحساب ؟ قال : بل الثواب ، قال : أما علمت بأنك في وقت الشدة ترجو الرّخاء وفي وقت الرخاء تخاف الشدة ، وذلك قوله تعالى : ﴿ان مع العسر يسراً﴾^(١) فتعرف حدّ الشدة فتكون راجيا للرخاء ، وتعرف حدّ الرّخاء فتكون خائفا عن الشدة فالشدة والرخاء يعتقبان فاعتد إلى الحالين جميعا ولست أعني لك شدة الدنيا ولا رخائها إنما اعنيك بذلك الآخرة ، الدنيا سجن المؤمنين وجنة الكافرين .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الرضاء بالقضاء ، والصبر على الأذى ، والشكر على العطاء .

قال الوافد : وما الشكر ؟

قال العالم : الشكر سبعة أشياء ، قال : وما هي ؟ قال : الخلق ، والملك ، والرزق ،

(١) سورة الشرح : الآية ٦

والعافية ، والعلم ، والقدم ، والقدرة ، فتنظر إلى اثبات عقلك وتمام خلقك فتحمد الله على ذلك كثيراً .

ثم تنظر إلى الملك كم من زوج غيره الله والله مالك كل شيء وأنت مالك فتحمد الله على ذلك كثيراً .

ثم تنظر إلى مالك وولدك وطعامك وشرابك ولباسك ونومك وإيقاظك ، وتنظر إلى اختلاف الليل والنهار كيف يقربان البعيد ويقلبان الجديد ، ثم تنظر إلى العافية والى كل شيء تخاف على نفسك في ليلك ونهارك مما تراه ومما لا تراه أنه لا يدفع ذلك ولا يصرفه ولا يكفيك ما تراه وما لا تراه إلا الله سبحانه وتعالى فتحمد الله على ذلك كثيراً .

ثم تنظر إلى المصائب التي تصيب بها الناس في ابدانهم المركبة عليهم فتعلم أن في تركيبك مثل ما في تركيبهم فتحمد الله الذي ستر عليك مما ظهر على غيرك من العلل والآفات .

ثم تنظر إلى من كان من قبلك وإلى من هو كائين في دنياك وآخرتك .

ثم تنظر إلى القدم فتعلم أنه قديم لم يزل ولا يزول ، ثم تنظر إلى القدر فتعلم أنه قادر سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ، ثم تنظر إلى العلم فتعلم أن الله قد علم ما هو كائين قبل أن يكون ، ثم تنظر إلى ما سخر لك الله من جميع الخلق وذراً وبراً من السماء التي زينها بالكواكب والشمس والقمر وأجرى ذلك المنافع للخلق ، وما جعل في الرياح والسحاب وما جعل من ذلك في الارض الحيوان المسخر المقهور المنقاد إلى المنافع فتحمد الله على ذلك كثيراً .

قال الوafd : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الصبر على قضاء الله وما جاء من عند الله حمدت الله على ذلك وسلمت الامر لله ورضيت بقضاء الله وحمدت الله عليه ولم تسخط ذلك

قال الوafd : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : تنظر من بعد ذلك إلى نفسك وتعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان من نطفة تقع في رحم مظلم فتقيم في الرحم أربعين يوماً يجعلها علقة ، ثم يجعلها ذكراً أو انثى فتكون فيه لتسعة وتسعين يوماً ، ثم يخلق الله العروق والعظام والعصب ثم يصيره الله تعالى بعد ذلك التمام مائة وسبعين يوماً ، وذلك أربعة آلاف ومائة واثنين وخمسين ساعة ، فجمع حمل الولد التمام حمل امه كاملة أشهره وأيامه وساعاته .

أما أشهره تسعة أشهر كل شهر ثلاثون يوماً ، وأيامه مائتان وسبعون يوماً ، وساعاته ستة آلاف وأربع مائة وثمانون ساعة فهذه أيام الولد كاملة أشهره وأيامه وساعاته في تركيبه الحرارة والبرودة واليبوسة واللين ، والدم حارّتين ، والمرة الصفراء حارة يابسة ، والمرة السوداء باردة يابسة ، والبلغم بارد رطب .

وتركيب الانسان اثني عشر وصلة وله مائتان وثمانون وأربعون عظما وله ثلاث مائة وستون عرقا ، فالعروق تسقي الجسد ، والعظام تمسكها ، والعصب يشدها ، ولكل يد أحد وأربعون عظما ، والعضد عظم ، والترقوة ثلاثة أعظم ، وللرجل ثلاثة وأربعون عظما ، للقدم من ذلك خمسة وثلاثون عظماً ، وللساق عظامان ، وللركبة ثلاثة عظام ! وللورك عظامان ، وكذلك الرجل الأخرى .

وللصلب ثمانية عشر عظما ، ولكل جنب سبعة أضلع ، وللرقبة ثمانية أعظم ، وللرأس ستة وثلاثون عظما ، للاسنان من ذلك اثنان وثلاثون عظما .

وطول الأعماء سبعة أذرع ، فسبحان خالق الانسان خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربيكم لا إله إلا هو حتى إذا جاء أوان خروجه من بطن أمه إلى الأرض لم يقدر أحد على خروجه أبداً ولو اجتمعت الانس والجن ما أحسنوا ذلك ، فسبحان الذي أخرجه سوياً لا يعرف أحداً ، وأسأل رزقا وجعل الله رزقه في صدر أمه لبنا يغذيه به لضعفه وقلة بطشه .

حتى إذا جل عظمه وكبر لحمه وقطع سنه وطحن ضرسه وبتشت يده ومشى على قدميه وعلم أن الله خالقه وأنه أوصل اليه رزقه في بطن أمه وبعد خروجه من مهده نسي ذلك وجحدته وجعل يطلب رزقه من مخلوق مثله قتل الانسان ما أكفره ، وما علم أن الذي رزقه في ضعفه هو ميرزقه في وقت قوته أما سمع ما قال الله تعالى في كتابه لنبيه (ص) : ﴿ لا نستلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾^(١) أما سمعت قول الله تعالى : قال عزّ من قائل : ﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون فربّ السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾^(٢) .

أما سمع قول رسول الله (ص) حيث قال : « لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها » ، وقال : « كم من هرب من رزقه كما تهرب من الموت لادرکه رزقه كما يدركه الموت » وقيل لأمير المؤمنين علي (ع) (يا أمير المؤمنين من أين يأتي الرزق إلى الانسان قال : من حيث يأتيه الموت) .

(١) سورة طه : الآية ١٣٢ (٢) سورة الذاريات : الآية ٢٢ - ٢٣

قال الوafd : أيها العالم الحكيم أخبرني ما أفضل ما أعطي العبد ؟

قال : العقل الذي يعرف به نعمة الله ويقيمه على شكرها ، وقام بخلاف الهوى حتى عرف الحق من الباطل والضّر من النّفْع والحسن من القبيح .

قال الوafd : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الايمان ، وحقيقة الايمان الاخلاص رصّدق النية حتى إذا عملت عملا صالحا لم تحب أن تذكره وتعظم من أجل عملك ولا تطلب ثواب عملك إلا من الله ، فهذا هو اخلاص عملك ، فان عملت عمل واجب واحببت ان تذكره وتعظم من أجله فقد تعجل ثواب من غير الله لم يبق لآخرتك منه شيء .

قال الوafd : فما تقول في المناجاة ؟

قال العالم : لا تكن المناجاة إلا على الرجاء والمصافاة ، بقلب سليم من الافات ، والظنون والغيبات ، ثم يقول إلهي إن لم أكن لحقك راعياً لم أكن لغيرك داعياً ، وإن لم أكن في طاعتك سابقاً لم أكن لأعدائك مطابقاً ، وإن لم أكن لك عابداً لم أكن لاياتك معانداً ، وإن لم أكن لك واجداً لم أكن لغيرك ساجداً وإن لم أكن للخيرات مسارعاً لم أكن لباب الخطايا قارعاً ، وإن لم أكن لحدودك حافظاً لم أكن بكلام السوء ناطقاً ، وإن لم أكن في سبيلك مجاهداً لم أكن لدليلك جاحداً .

إلهي كيف يصفيك من لا يأتيك ، وكيف يرجوك من لا يتقرب اليك أنا المتخلف عن أقراني ، أنا الضعيف في اركانني أنا الفريد بحفرتي عن اخواني سيدي قد أتيتك بفاقتي ، وجئت اليك لما عدت طاقتي أنت العالم بجرمي المطلع على ظلمي ، المحصي خطيئتي ، الشاهد على كربتي الناظر اليّ في خلوتي .

إلهي كسدت طاعتي وحسرت بضاعتي ، وخسرت تجارتي ، ولم اتزود من حياتي وقد قربت وفاتي .

إلهي إن لم تقبلني فأين الملجأ وإن لم تغفر لي فأين الملجأ للعبد إلا مولاه ذهب آيامي ، وبقيت آثامي ابتداني بتفضيله ، واكرمني بطوله .

ما الحيلة اعضائي ذليل ما الحيلة حزني طويل ، ما الحيلة احساني قليل ، ما الحيلة وليس لي سبيل .

لا حيلة غير الرجوع ، والتضرع والخضوع ، والاقبال والاياب ، وتعفير الوجه في التراب ، والتذلل عند الباب وقراءة آيات الكتاب ، والسجود لرب الارباب ، وترك الاشتغال بالاشغال ، والاقبال على مقدر الارزاق والاجال ، وترك المعارضة ورفض المناقضة ، وحنين وحرقات ، وانين وزفرات ، وله سهر دايم ، وليل قايم ونهار صائم ، وقلب هايم ، ووعظ لايم ، فرار بلا قرار ، فراق كل محبوب ، والبين عن كل مسلوب .

الحيلة أن تخضع حتى تسمع ، ويخاف القلب ويخشع ، وتعبر العين وتدمع ، اقرع الباب يأتيك الجواب .

قال الوافد : لقد سمعت لذيذ المناجاة كيف يصنع ذلك وقد تمكن في قلبي حتى اقلعه واحسمه .

قال العالم : من أوجعته علتة أظهر عند الطبيب زلته ، وابدأ إليه شكيتته ، من عدم مراده ، قلق فؤاده ومن قلق فؤاده بان منه رقاده ، ارفع خواطر القلب إلى الرب فهو يجلي الكرب ، ويغفر الذنب ارفع حوائجك إلى ربك كما ترجوه بغفران ذنبك اكتب قصة الاعتذار ، بقلم الافتقار امش إلى باب الجبار بقدم الاضطرار ، في وقت الأسحار وارفع يديك بالاستغفار .

قال : فما تقول في البكاء .

قال العالم : لأن تبكي وأنت سليم خير من أن تبكي وأنت سقيم ، وفي النار مقيم بين اطباق الجحيم والشيطان لك قرين وخصيم .

واعلم أنك دخلت الدنيا عند خروجك من بطن امك وانت باكيا عابساً ، فاجتهد أن تخرج منها ضاحكا مستبشراً ان تبكي في الطريق خير من أن تبكي وانت في الحريق ، البكاء مع السلامة خير من البكاء مع الملامة ، اليوم ينفع البكاء لو بكيت ندماً وغداً لا ينفع البكاء لو بكيت وانشد يقول :

ادم البكاء قبل المعاينة خير من البكاء يوم المعاينة

ابك لضعف فافتك إبك لقلّة طاقتك ، ابك لكثرة معاصيك ، ابك لعظم مساويك ، ابك لافلاسك ، ابك لبعد اناسك ، ابك لقلّة عمرك ، ابك لقلّة حيلتك ، ابك لعدم وسيلتك ، ابك

لكثرة وزرك ، ابك لثقل ظهرك ، ابك لفساد أمرك ، ابك لظلام قبرك ، ابك لقسوة قلبك ، ابك لمضي دهرك ، ابك لانقطاع حياتك ، ابك لغربتك في لحدك ، ابك لتوديع دارك ، ابك لاستقبال أهوالك .

قال الوافد : كيف اصنع إذا لم استطع البكاء ولم تدمع العين ؟

قال العالم : ما جمود العين إلا بقساوة القلب ، وما قساوة القلب إلا بكثرة الذنوب ، وما كثرة الذنوب إلا برضا العيوب ، وما رضا العيوب إلا بكثرة الذنوب . جمود العين من قلة الدين وقال في ذلك يقول بعد الصلاة على الرسول :

تزد من حياتك للممات ولا تغتر في طول الحياة
اترقدوا لمنايا طارقات كأنك قد امننت من البيات
أتضحك أيها العاصي وتلهو ونار الله تضرم للعصات
فيا قلبي فلم تزد رجوعاً واعراض عن عصاة ذوي العصات

ثم قال : تبتغي صفات الفؤاد مع بقاء المراد ، تضيع الاصول بتركيب الفصول ، ثم تطمع بالوصول ، وأنت لا تتبع ما جاء به الرسول تطلب الزاد مع كثرة الرقاد ، وقلة الاجتهاد ، تطلب المساعدة ، مع قلة المجاهدة ، إن هذا من علامات المباحدة ، لن تنال الاماني إلا بترك الغاني ، لا بالكسل والتواني ، أسهر العيون ، تصبح غير مغبون ، لن تنال الجنان إلا بصفاء الجنان ، وخالص الايمان ، وقراءة القرآن ، وتوحيد الرحمن ، واطعام الطعام ، ورحمة الأيتام ، وكثرة القيام ، وطول الصيام ، من طالت مناجاته ارتفعت درجاته ، وقلت في القيامة فزعاته .

قال الوافد :- بما ينال العبد جنة الخلود ؟

قال العالم : بحفظ الحدود ، وبذل الركوع والسجود ، ومن اراد الامان فليخلص الايمان ، ويفعل الاحسان ، ويقرأ القرآن ، لن ينال جنة النعيم إلا من أتى الله بقلب سليم ، لن ينال من الله المزيد إلا من يصدق بالتوحيد، وكثرة التمجيد للواحد الحميد ، من أراد البر فلا يكتسب الوزر ، ومن أراد العطاء صبر على الأذى والبلاء .

لن تنال شهوات الآخرة إلا بترك شهوات الدنيا ، لن تنال النعيم إلا بترك النعيم ، لن تنال معانقة الحور إلا بصلاح الامور ، ومجانبة الشرور ، ورفض المحذور ، لن ينال الشفاعة إلا من قام لأخيه المؤمن النفاة ، وحافظ على صلاة الجماعة ، واطعام الايتام في المجاعة ، من أحب

الشرب من حوض الرسول فترك كلام الفضول ، ويثبت فيما يقول ، فإنه لا بد مسؤول .

قال الوafd : صف لي الحياء ، .

قال العالم : من عمل برياء فقد منه الحياء ، وحجب الضياء ، وتبكرت عليه الدنيا ، وعاش في الدنيا يهودياً ، وحشر مجوسياً .

قال الوafd : كيف أنال حلاوة الطاعة ؟

قال العالم : بترك الحلاوة ، ولا ينال حقايق المعاني إلا بترك الأمانى ، ولا يتمكن في قلبك الخوف والوجل إلا برفض الدنيا وقصر الأمل ، وإخلاص العمل وترك الكسل .

قال الوafd : صف لي الورع .

قال العالم : لن تنال الورع إلا بكثرة الخوف والفرع ، واختيار الجوع على الشبع ، وترك الشهوات والطمع ، وصفا عند ذلك قلبك ونلت السهر والقيام ، وقربت من ذي الجلال والاكرام ، وملكت نفسك ، وواقفت نفسك ، ورضي عنك الرب ، وغفر لك الذنب .

واعلم أنك لا تنال من الله البرّ والسلامة إلا بالصبر والاستقامة ، ولا تنال حقايق الرجاء إلا بالانقطاع إلى الله والالتجاء ولا تنال الكرم والتفضيل إلا بالدوام والتذليل ، ولا تنال الراحة في الآخرة إلا بترك الراحة في الدنيا وكثرة البكاء والنياحة ، ولا تنال الرياسة إلا بالحراسة والعيانة ، ولا تنال مجاورة الأبرار في دار القرار إلا بترك الأوزار ، ولا يخشع القلب ويلين إلا بالتفكير والتبيين ، ولا تأمن الخوف إلا بترك عسى وسوف ، ولا تنال الفضل إلا باهمال الشغل ، ولا ينقى القلب مع بقاء شيء من الذنب ، ولا يدرك صفى الهم من في قلبه من الدنيا هم ، ولا يزول عنك الهم ما دام لك في الدنيا خصم ،

من انفق مما يحبّ فهو حق المحبّ ، من ترك ما كان مالكا دخل الجنة وثوابه مضاعف ، من عمل بما أقول شفيع له الرسول ، من عمل بغير ما أقول لم يكن عمله مقبولا ، من لم يندم على معصيته أخذته زبانية النار بناصيته ، من قصر الطاعات حرم الصالحات ، من نافس في الخيرات ارتقى الدرجات ، من اعتبر بالليل فجمع بالنهار ومن سهى بالنهار فجمع بالليل ، من ركب الظنّ غبن أيّ غبن ، من ركب فرس الاماني عثر في ميدان التواني ، التاجر بمال غيره مفلس .

قال الوafd : كيف المجاهدة في المباحة والوحدة والصبر على المحنة والشدة ؟

قال العالم : من لاعبادة له لا زاد له ولا عقبي له ، اقرع الباب يأتيك الجواب ، من أمل العظيم وهب الجسيم ، من أراد الجود أدام السجود ، من لا سجد له لا جود له ، من لا ندامة له لا كرامة له من لا خير فيه لا خير عنده ، خير البضاعة الطاعة ، من همّ بالطاعة نجى ، من فزعات الساعة ، لا بد من سهر الاسحار ، وقيام الليل وصيام النهار .

إذا أردت الجنة فاسجد وتضرع ، واطمأ وتجوّع ، واسهر وتطوّع ، وتذلل وتخشع ، وتفرد وتوحد ، واضجع وتجرد ، اذا أردت أن تنال فضل الواحد الأحد اترك الأثام تأمن الصولة ، واعمل صالحا تكن صاحب الدولة ، واهجر الحرام تصل وأنت سالم ، من اكثر النحيب لم يكن عليه رقيب ، ومن دعا اجيب وكان له من كل خير نصيب ، من رغب إلى الله أعطاه ، ومن اكتفى به كفاه ، ومن استغنا به اغناه ومن لجأ إليه آواه .

قال الوafd : كيف اكون ذاكراً وأنا لا أسلم من الغفلة ؟

قال العالم : لا تقع العلة إلا فيمن اكثر الغفلة ، من غفل وقع في الزلل ، إذا أردت السعادة فودّع الوسادة ، وجالس أهل الزهادة ، وأكثر العبادة ، عجباً ممن يستريح وقد بان وباله ، وجميع ما كان في الله تلفه كان على الله خلفه ، اجتهد تجد ، واخلص تخلص ، اتبع الرسول وابشر بالوصول ، من اتصل وصل ، ومن اكثر الجدال نال خير منال ، وكفي الشدة والاهوال ، من خالف هواه كانت الجنة مأواه .

قال الوafd : فما حيلة من دنى من الباب فمنعوه الحجاب فلم يصل إلى الاحباب ؟

قال العالم : حيلته ملازمة القلق والاكتئاب ، والحزن والانتحاب ، والفرق والانتداب ، حتى يأذن له الاحباب ، ويفتحوا له الباب ، اذا اردت في الجنة الوقوف فاكثر في المساجد العكوف ، فانك تأمن من كل مخوف ، كم من متردد لا يؤذن له ، وطارق لا يفتح بابيه ، وكم من طامع في ثوابه ، هو من أهل عذابه .

قال الوafd : فكيف الوصول ؟

قال العالم : تصل الليل بالنهار ، وتتضرع في غسق الاسحار ، وتسبح بالعشي والابكار ، وتتعود الندم والاستغفار ، لعل الله يخفف عنك ثقل الأوزار ، ويحرم بدنك على النار .

قال الوafd : كنا صبيان فلعبنا ، فصرنا شبان فسكرنا ، فصرنا كهولا فكسلنا ، فصرنا شيوخاً فعجزنا وضعفنا فمتى نعبد الله ربنا ، عطلنا الشباب بالجهالة ، وأذهبنا العمر في البطالة فأين الحجة والدلالة ؟

قال العالم : من غفل في وقت شبابه ندم في وقت خضابه « خطابه خ ل » الشاب لا يصبر على الصواب ، ويندم عند الخضاب « الخطاب خ ل » ما أحسن الشاب في المحراب إلى متى العصيان ، إلى متى متابعة الشيطان ، إلى متى التجري على الرحمن إلى محضر لباس القطران ، وتهتد مالك الغضبان ، وضرب الزبانية والاعوان ، ألا تفر من يوم الفاني إلى يوم الباقي وتتخلص من الهوان واللوام .

أيها المغرور بشبابه المسرور باصحابه المحتال بأثوابه ، أما تحذر يوم عذابه ، وتخاف شديد عقابه ، كم من وجه صبيح ، وخذّ مليح ، وبدن صحيح ، ولسان فصيح أصبح في العذاب يصيح ، بين أطباق النار لا يستريح .

وكم من شباب ينظر الحبيب ، عاجله الموت وأحل به النحيب ، كم من مسرور بشبابه عاجله الموت من احبابه إلى قبره وترابه ، أيها الشاب الجهول إلى التراب منقول ، وعلى النعش محمول ، وعن اعمالك مسؤول ، ما لك لا ترجع ، ما لك لا تفزع ، ما لك لا تخضع ، اه من يوم يقول فيه المولى : عبدي شبابك فيم أبليته ، وعمرك فيما افنيته ، فلا تنظر إلى الشباب وطراوته ، ولا تغتر في حسنه وملاحته ، ولكن انظر صرعته وندامته .

ما أحسن الاناب بالشباب ، وما أقبح الخضاب بمن قد شاب وما تاب ، ما بقاء الشيخ في الدهر الا كبقاء الشمس على القصر في وقت العصر ، الشيب داعي الموت وناعي الفوت الشيب يأذن بالفراق ، ويخبر بالطلاق ، الشيب ظاهره وقار ، وباطنه ازدجار ، الشيب يكدر المنا ، ويكثر العناء ، الشيب كسل في كسل ، وعلل في علل وملل في ملل ، وخلل في خلل ، وآخره تقرب الأجل ، وقطع الأمل .

فلما بلغ كلام الوافد إلى هذا الحد قال له العالم : ما أسوأ عبد أقرب منه الأجل وهو يسيء العمل ، ما أسوأ عبد ظهر فيه الخجل وهو يكثر الزلل ، من شابت ذوائبه خفت حبايه ، أين الاستعداد ، أين تحصيل الزاد ، وانت للذنوب تعتاد ، وقد ناداك المناد ، أين الرجوع الى الله أين المشتري نفسه من الله ، أين النادم من ذنبه ، اين الباكي على أمسه ، أين المستعدّ لرمسه ، أين الطالب للثواب ، أين الخائف للعذاب .

ألا ترجعون إلى الهدى ألا تقبلون إلى الله ، ألا تخافون من عذاب الله ، ألا تطمعون في ثواب الله ، ألا تقتدون بأولياء الله ، ألا تتوبون من الذنوب ، الا ترجعون عن العيوب ألا تندمون على ما أسلفتم ، ألا تعرفون لما تقتفون ، ألا تستغفرون لما اجرتهم .

أما للقلوب أن تخشع ، أما للعيون أن تدمع ، أما للصدور أن تجزع ، أما للعاصي أن يفرع من الذنوب ، أما للخاطي أن يرجع عن العيوب ، أما تعلم أيها العاصي أنه لا تخفى خافية على علام الغيوب أما تعلم أنك مأخوذ مطلوب ، ومتعتع في النار مسحوب ، أما تعلم أنك مفارق لكل صديق ودمعك على خدك مسكوب ، أما تخاف وانت عن رحمته محجوب ، وعلى وجهك في النار مكبوب ، فياله من جسد متعوب ، ودمع مسكوب وقلب وعقل مرعوب .

قال الوافد : كيف الاحتيال في الخلاص ؟

قال العالم : أما تعتبر أما تزدجر ، أما تستغفر ، أما لك فيمن مضى عبرة ، أما في احد ثلك فكرة إلى متى هذه الجفوة والفترة إني أخاف عليك من القسوة والحسرة ، فكم هذه الغفلة الامرة ، والقسوة الحاضرة ، أما تغتنم أيامك ، أما تمحو آثامك أما تكفر أجرامك ، أما تحذر ما قدماك ، أنسيت ما أمامك ، أما تتبه من رقادك ، أما تتأهب لمعادك ، أنسيت اللحد وضيقه ، أغفلت عن البعث والنشور يوم يظهر كل مستور ، ويحصل ما في الصدور .

إلى متى تعلق بالآيمان الكاذبة ، وتضيع الحقوق الواجبة ، أفنسيت الأحياء فلم تعتبر ، وغيبتهم المقابر فلم تزدجر . ما للناس لا يرجعون ، يوعظون فلا يعقلون ، يتهون فلا ينتهون ، ينادون فلا يسمعون ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، يقولون ما لا يفعلون يأملون ما لا يبلغون ، وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ، وإذا امروا بالطاعة لا يطيعون ، ويجمعون ما لا يأكلون ولا يلبسون ، بل هم يكذبون ويسرفون ، وينافقون ويحلفون ويخالفون ويرأون ويخلون فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون ويجمعون ما لا يأكلون وبينون ما لا يسكنون ، لا من الله يخافون ، ولا عند المعاصي يستحيون ، ينامون نوم البهائم ثم شربه ، ويأخذون فيه بالجرائم ثم يصبحون على خلاف ما يسمعون ، همومهم دنيّة ، وأعمالهم ردّيّة ، وأحوالهم غير مرضيّة .

قال الوافد : كيف يصنع من أصبح مع هؤلاء ؟

قال العالم : يرضى صاحباً ، ويعتزل عنهم جانباً ، ويل لمن له ذنب وثناء مشهور ، وهو عند الله مشبور ، ظاهره بالخير معروف ، وباطنه بالدنيا مشعوف وهو عن باب الله مصروف ، وثيابه أبيض من الحليب ، وقلبه مثل قلب الذيب ، باطنه من التقوى خراب ، وهو يطمع في الثواب ، وهو في الدنيا سكران من غير شراب ، ظاهره فيه سيماء الصالحين ، وباطنه فيه سيماء الجاحدين ، مقالته مقال الأبدال ، وأفعاله فعال الجهال ، فاولئك من المطرودين عن باب ربّ

العالمين ، يسوفون التوبة ، ويلبسون ثياب الزاهدين ، ويضمرون أسرار الظالمين

ألا وإن أبعد الناس من الله من نظر الى عيب أخيه المسلم ولم ينظر إلى عيب نفسه إن رأي لأخيه المسلم حسنة سترها ، وإن رأى سيئة نشرها ، فذلك جزاؤه جهنم وبئس المصير ، من لم يميز بين الحلال والحرام اسرعت إليه أسهم الانتقام ، من تأسف على شيء من الدنيا لم تفته كثرة نزعته عند موته .

قال الوافد : صف لي الهالك المشق .

قال العالم : هو الذي يتأسف على رزق لم يأت ، ويتنظر مالا وربما لا يستوفيه ، يخاف شره ، ولا يرجي خيره ، يظهر خيره ، ويكتم شره ، وهو مرتبط بالنفاق ، معانق بالشقاق ، شين الاخلاق ، قليل السؤال ، قرين المحال كثيره قليل رضي بالقليل ولا سلك طريق النجاة ، ولا يخاف المفاجأة ظاهره مع أهل الدين ، وباطنه مع المنافقين قد باين الفرقان ، وأغضب الرحمن ، فقلبه لا يخشع ، وعينه لا تدمع ، ونفسه لا تشبع قد اثر العمى على الهدى ، وبدل الدين بالدنيا ، وفي ذلك يقول بعد الصلاة على الرسول :

مضى عمري وقد حصلت ذنوب وعز علي اني لا أتوب
يظهر للجمال لنا ثياب وقد صدت لقسوتها القلوب
وأعربنا الكلام فما لحنا ونلحن في الفعال فلا نصيب

قال الوافد : اسأل الله تعالى سلوك طريق الأخيار ومجانبة طريقة الفجار .

قال العالم : إن الله سبحانه وتعالى قد تبين لعباده طريق الهدى ، وحذرهم المخاوف والردى بعث إليهم رسولاً ، وجعل القرآن لهم دليلاً ، وركب فيهم عقولا ، أمرهم ونهاهم وخبرهم ومكنتهم وأعد لهم ثواباً وعقاباً ، فمن أطاع أوفاه ثوابه ، ومن عصاه فله عقابه ، وإياك والظلم والعدوان ، والاقدام على الزور والبهتان ، وعليك بالعدل والانصاف ، والتذلل والألطف ، ولا تظلم أحداً فإن الظالم نادم ، الظلم يخرب الدار ، ويفرد الجار ، من أكبر المصائب والخسرات ، المأخوذ يوم القيامة بالتبعات يوم لا شفيع يشفع ، ولا دعاء يرفع ، ولا عمل ينفع ، لا ينفع الظالم ندمه ، وقد زل به قدمه ، وقد شهدت عليه جوارحه ، يا حسرة الظالم يا وبهه .

قال الوافد : كيف الاعتبار ؟

قال العالم : انظر إلى أهل الدنيا جمعوا كثيراً ، وأملوا طويلاً ، وعاشوا قليلاً هل تسمع لهم حساً ، أو ترى لهم في القبور انسا ، سكنوا في التراب وتغايبوا عن الاحباب ، ولم يسلموا من العقاب ، حملوا ثقيلاً ، وعانوا ويلاً ، وصارت النار لهم منزلاً ومقيلاً ، ومضت عليهم جهنم بكرة وأصيلاً ، لا يطيقون قبلاً ، ولا يسمعون جميلاً ، ولا يرجون تحويلاً ، ولا يملون عويلاً ، أين الذين شيدوا العمران ، وشرفوا البنيان ، وعانقوا النسوان ، وفرحوا بالاولاد ، وجمعوا الديوان ، وتملكوا البلاد ، وغلقوا الابواب فأقاموا الحجاب .

أما رأيت كيف دارت عليهم الدوائر ، وخلت منهم المكاسر ، وتعطلت منهم المنابر ، وضمتهم المقابر ، وغيبتهم الحفائر ، وتمزقت جلودهم ورجفت قلوبهم ، قصورهم خراب واجسادهم تراب ، أين ملوكهم ، أين خيلهم ، أين مواليتهم ، أين أنصارهم ، أين عددهم أين وزراؤهم ؛ أين ندماؤهم ، أين أموالهم أصبح غنيهم فقيراً ، وأميرهم حقيراً .

هل بقي الذكر إلا لمن أطاع مولاة ، ورفض في رضاء الله دنياه ، وخالف من خوف الله هواه وقدم الخير لعقباه ، فدخل دار السرور ، وكفاه الله كل محذور ، دار فيها الأمان ، والحدور الحسان ، والاكاليل والتيجان ، والوصائف والغلمان ، والانهار الجارية ، والاثمار الدانية ، والنعمة الوافية ، والسرر المصفوفة ، والموائد المعروفة : والفرش المفروشة ، والاكواب الموضوعة والخيام المضروبة ، والقصور المنصوبة ، تلك دار اليقين ، ومحل الصالحين ، وماوى المؤمنين ، وذلك شعر يقول :

تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يا ظلم
وحق الله إن الظلم شؤم وما زال المسيء هو الملموم
إلى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
سل الايام عن امم تفانت فتخبرك المنازل والرّسوم
تروم الخلد في دار المنايا وكم قد رام قبلك ما تروم

قال أيضاً في ذلك شعر تقول بعد الصلاة على الرسول :

اعادك ما له لتقوم فيه بطاعته وتعرف فضل حقه
فلم تشكر لنعمة ولكن قويت على معاصيه برزقه
تبارزه بها يوماً وليلة وتستحيي بها من شر خلقه

ثم قال : ما أسوأ حال من يصلي ويصوم ، ويسهر ويقوم ، ثم يحفر لأخيه المسلم بئراً ،

ولا يدري أنه يقع فيه قال : اغتنم ركعتين زلفا إلى الله إذا كنت فارغا مستريحا وإذا هممت بأمر الباطل فاجعل مكانه تسييحا .

قال الوافد : كيف التواضع ؟

قال العالم : عجا ممن خلقه الله من نطفة ، ورزقه من غير كلفة ، كيف لا يلزم التواضع والعفة ، وعجبا ممن خلق من ماء مهين ، كيف يغتر بمال وبنين ، وعجبا ممن أصله من التراب والطين ، كيف لا يتواضع للفقراء والمساكين ، كيف يضحك ويعجب ، ويلهو ويضطرب ، ويفتخر ويلعب ، والقبر منزله ، والتراب وسادته لا يعتبر ولا يستغفر ، بعد الغنى الفقر ، وبعد العمارة الخراب ، كيف من أوله من تراب ، وأوسطه ريح في جراب ، وآخره ميتة في خراب ، كيف يفرح بالمنى من هو عرض للفناء ، كيف يطمع بالسرور من تعجلته المنية للقبور ، وكيف يفرح بمضاجعة النواهد من يضاجع الدود غداً في الملاحد .

أيها المعتجب بالدنيا وشبابه ، المختال في مراكبه وثيابه ، المفتخر بأهله وأصحابه ، انظر إلى المنقول من أترابه إلى ظلمة اللحد وترابه ، أيها المفتخر برجاله وأمواله ، المعتجب بأحواله وأشغاله ، انظر المقبور وتفكر في حاله ، أيها المتطاول بعشائره وأحبابه ، المسرور بعلمه وآدابه ، انظر إلى المنغص في شبابه المختطف من بين أحبابه ، هل منع عنه حجاب ، أو تبعته أصحابه .

أيها الجامع أنواع العلوم ، هل تعلم ما سبق لك في المعلوم ، أتدري مقبول أنت أم محروم ، محمود عند ربك أم مذموم ، يا صاحب العلم والافادة . أمعك خبر من الشقاوة والسعادة ، أيها الناظر في الدقائق ألك أمان من البوايق ، هل علمت بالحقايق ، حتى رضي عنك الخالق ، ما حيلتك إن هتك سترك غداً ففي هذا شهد الخلايق .

قال الوافد : اخبرني (من ظ) المكين في ذلك اليوم ؟

قال العالم : المكين في ذلك اليوم من أخذ من هذا اليوم لذاك اليوم العظيم ، المكين من أتى الله بقلب سليم ، المكين من عرف الحق المبين ، القوي الشجاع من عرف الملك المطاع .

قال الوافد : فمن الحقير في ذلك اليوم ؟

قال العالم : الحقير من كان من رحمة الله فقير ، ومن هو للذنوب أسير ، الخاسر البائس

من هو من رحمة الله ايس ، السقيم من هو في النار مقيم ، الحزين من كان له الشيطان قرين ،
يا صاحب الحسن والجمال ، والذخاير والأموال يا كثير الاشتغال كأنني بقلبك كم هذا العجز
والضلال ، كيف تطيق السلاسل والاعلال ، ما أسوأ حالك إذا لم تقدم لنفسك في حياتك ، يا
صاحب الاموال الكثيرة ، كأنني بك قد صرت فقيراً ، يا ذا العز والمملكة كيف بك في دار
المهلكة ، يا ذا العساكر والجنود كيف تصنع بنار الوقود .

قال الوafd : من المالك في ذلك اليوم الهويل ؟

قال العالم : من رضي عنه الجليل ، الطريف من هو عن الحرام عفيف ، العاقل من لم
يكن عن الله غافل يستقبح من المؤمن كبره ويستحسن من المؤمن فقره حقيق بالتواضع من
يموت ، وبالبذل ما يقوت ، والمؤمن من دنياه تقوت ومعاشه قوت ، قال في ذلك شعر يقول بعد
الصلاة على الرسول :

صنيع مليكننا حسن جميل فما أرزاقنا عنا تفوت
وشعر اخر

فيا هذا سترحل عن قريب إلى قوم كلامهم السكوت
قال الوafd : كيف هنأنا بالعيش في هذه الدنيا ، وهذا أفعالها في أهلها .

قال : بناؤنا للخراب ، وأعمارنا للذهاب ، ودهرنا إلى انقلاب ، والموت يتبدد الاحباب ،
ويفرق الاصحاب ، وينزل الملوك من القصور والقباب إلى القبور والتراب كل ما عملنا محدود
عليه حفظه أعمالنا محفوظة ، وأنفسنا مقبوضة ، وسيئاتنا على عقولنا معروضة ، لنا من كاسات
الموت شراب ، ولنا من بعده سوء الحساب .

طوبى لمن له في الطاعة اكتساب حتى ينال في الاخرة الثواب ، والويل لمن له العقاب
والحساب والعذاب الموت يدخل باب أخرجه الموت فرداً إذ لم يكن له باب ، اه واغفلناه من
اكتساب الخيرات ، ولم نستعد للممات ، لا بد لنا من الحساب ، لا بد لنا من العقاب ، لا بد
لنا من العرض على ملك الجبار .

غفلنا عن الانتخاب ، غفلنا عن الاكتياب ، غفلنا عن الازفة ، غفلنا عن الواقعة ، غفلنا
عن القارة ، لم نذكر الندامة ، لم نذكر القيامة ، لم نخف الطامة ، ما أغفلنا عن الزلزلة ، ما
أجرأنا على الخالقة ، ما اكفرنا بالرازق ، يا ويل كل منافق ، انا راجعون ومسؤولون وموقوفون ،

فهل لنا مفر ، هل لنا مستقر ، لا ملجأ لنا من الله ، لا مهرب لنا من الله ، العاقل يترك الهوى
وفي ذلك يقول بعد الصلّاة على الرّسول :

لو ان عيننا وهمتها نفسها ان المعاد مصوّر لم يطرف
حتم الفناء على البريّة كلهم والنّاس بين مقدم ومخلف

قال الواقد : صف لي الراغب ؟

قال العالم : أقل الرّاغب ، واترك الواجب ، ما لله طالب ، ولا للعباد راهب ، ولا طالب
في ثوابه راكب ، ولا عن الذنوب تائب ، ولا فتى نفسه لله واهب ، بل مدمع كادب ، فانك
للخلق مجانب ، مهمل السنة والواجب ، معانق الخلائق مواهب ، اما البكاء على أمثالنا
فواجب ، قبل الوقوع في العذاب الواصب ، بين الحيات والعقارب نفس عن الباب طريد ،
وقلب من النشاط يريد ، وعمل من المرید بعيد ، كان الفؤاد صخرة أو حديد ، أيها القلب
الشريد ؛ أما يكفيك الزجر والتّهديد ، أما سمعت الوعد والوعيد ، ليلك عطالة ، ونهارك غفلة ،
ودهرك مهلة ، ليس لك من الجهل نقلة أما تخاف سوقف الذلة ، أما عرفت فعلك كله ، أي ليلة
لك ، أي يوم لك ، أي صلاة لك أي صوم لك ، إلى كم الغفلة والنّوم ، إلى كم تتبع عادات
القوم ، إلى كم تحوم في المعاصي حوم ، كأنني وقد أوقفت في موقف الكوم ، على أي عهد
أوفيت ، على أي وعد الله قمت ، على أي توبة وصلاح لله رمت ، هل صليت لله مخلصاً أو
صمت ، هل قعدت في رضاء الله أو قمت .

كأنني بك قد ندمت على بطالتك ، وتأسفت على ترك طاعتك ، وبكيت عند هجوم
ساعتك ، وخسرت في تجارتك وبضاعتك ، ولم تنتفع بفصاحتك وبراعتك ، وذهبت منك قوتك
وشجاعتك .

قال الواقد : وعدنا الله الرحمة في كتابه .

قال العالم : حمة الله قريب من المحسنين إذا عملت بالرضا عفى عنك ما مضى وحرّم
لحمك على الدود النار ، إذا نظر ستر ، وإذا رحم غفر ، عظيم فضله ، صادق قوله ، عليم
رحيم بالكرم موصوف ، وبالرحمة معروف ، العبد ينشره ، والرّب يستره ، يكافي ريعافي ويشفي
عبده ، ويوفي وعده ، كم قبيح فعلناه ستره ، وكم رزق لنا يسره أفرغ تحت جوابه ، إقرأ كتابه ،
ارجع اليه يمن بالقبول ، واقرب إليه يحسن بالوصول .

ما ضاع من قصده ، وما جاع من عبده ، ولا خاب من أمله ، ولا خسر من عمل له ، بايه لا يغلق ، وحكمه لا يسبق ، وجاره لا يغرق ، القلوب من خوفه تبرأ ، والصّدور من هيئته تعلق ، والرجاء بعفوه يعلق .

من نجاهه انجاه ، ومن اتقاه وقاه ، من التجأ إليه نصره ، ومن استغنى به ستره ، ومن قصده قبله ، ومن طلبه وجده ، ومن عبده فضله ، ومن تاجر به اربحه ، ومن امله فرحه ، ومن سأله منحه ، ومن شكره ذكره ، ومن استهداه وفقه ، ومن توكل عليه رزقه ، ومن سأله أعطاه ، ومن توالاه والاه ، ومن استأنس لذكره لم يخب ومن تخلى لطاعته نال ما يجب ، إليه المفر ، وعنده المستقر ، من للفقير والغني ، والضعيف والقوي ، من للذليل والعزیز ، من للعبد إلا سيّده ، وأين يوجد إلا عنده .

قال الوافد : كأني بالقيامة قد قامت .

قال العالم : كأني بالشاب المليح ، وهو بالنار يصيح ، طريح بمقامها ، كم شيخ كبير في العذاب المستطير لم ترحم شيبته ، ولم تكشف ولم تقبل معذرتة ، قد اطعم الضريع وسقي الحميم ، وعري وجاع وقرب للعذاب ومدد ، وضرب بالمقلع وهدد ؛ وغلق بالسّلاسل وجلد ، ونزل في ادراك النار واقرد ، واطرد من الرحمة وبعد ، وسطل في النار ومهد ، وغلظ عليه العذاب وجدد .

فويل له من توابت النيران ، وغضب مالك الغضبان ، هذا جزء من زينت وعصيت ، وأخطأت وتعديت وتوانيت ، ألم تنته من العيب ، ألم تتعظ بالثيب ، بالمعاصي جاهدت ، وبنفسك خاطرت ، ما صلاح أظهرت ، وللفساد والنفاق أسررت .

هذا جزء من أساء وظلم العباد ، هذا جزء من ترك صلاته وأطال الرقاد ، هذا جزء من أضع الصلاة ولم يهتم بها في الاوقات ، هذا جزء من تركها وتبع الشهوات هذا جزء من عصي في الخلوات .

قال الوافد : كيف يستريح بالدنيا من وعد بهذه المصائب ؟

قال العالم : من ارتكب المحارم واكتسب المآثم دخل هذه الدار وخذل في عذاب النار ، يا من عصى الملك العلام ، واختلى بالمعاصي في الظلام ، يا من ذنوبه لا تحصى ، وعيوبه لا تنسى ، وذنبه لا يعفى ، اخساً فيها يا مطلوب يا مكروب ، يا كثير الذنوب ، افسدت في الدنيا

دينك ، وضِيَعَت فيها حظك ، يا كثير القبائح ، يا كثير الرياء ، يا قليل الحياء ، يا مغبون يا مشبور
يا من اطمأن بدار الغرور ، يا من قدم مغرور ما حجتك في يوم النشور ، ما تركن في
صلاحك ، ما أغفلك عن أخذ زادك ، مهلا عن التفريط ، مهلا عن التخليط ، مهلا اقبل البين
والفراق ، يوم التفت الساق بالساق قبل حمل ما لا يطاق .

قال الوافد : عجبا من هذه الدّنيا ما امكرها ، ما أخدعها ، ما أجورها ، ما أدبرها ، ما
أقل نفعها ، ما أكثر ضرّها إلى كم اغتر بمالي ما أغفلني عن عمالي ، ما أقبح أفعالي ، إلى كم
خوف ولا اخاف ، كم اغرق اصر على الذنوب ولا انصرف ، كم يمهلني ربّي ولا اعتبر ، وإلى
متى توبتي أسوف ، غفلت عن الطاعة ، وكفرت بالنعمة نسيت الجريمة واستعملت النميمة .

قال العالم : اعترف بذنبك ، وارجع إلى ربك ، واندم على فعلك ، ولا تستقل القليل ،
ولا تنم الطويل ، فان أظلم النَّاس من ظلم نفسه ، وأضيع النَّاس من ضيَع يومه وأمسه وأسرف
الناس من أسرف في « واسرق النَّاس من سرق عن ظ » صلاته ، وأبخل النَّاس من امنن بركاته ؛
اذل النَّاس من أساء عمله في خلوته ، أجد النَّاس من غلب شهوته ، اغفل النَّاس من ضيَع حياته ،
أندم النَّاس من ضيَع ساعته ، من أمل الله أعطاه ، من سأل الله بلغ سؤاله ، أحمَد النَّاس من حمد
ذكره ، وأكثر شكره ، من رضي بالقضاء ، تسلى عما مضى كيف لا يهتم ولا يغتم من لا يدري
العمل بما يختم ، كيف يهنأ برفاده ، كيف يتوسد وساده كيف يسكن نفسه وفؤاده ، وهو لا
يدري من أهل الشقاوة أم من أهل السعادة .

قال العالم : لا تقصر في عمل الأخيار ، ولا تسلك سبيل الفجار ، ولا تكسب الاوزار ،
واطمع ربك بالليل والنهار ، ولا تجوع ولا تشبع وتورع ولا تطمع ، وخف واحذر ، فممنزلك
القبر ، وثوبك الكفن ، كيف يلهو بالملاهي من بين يديه الدواهي ، كيف يكسب الآثام من وكل
به الملائكة الكرام ، وكيف يفرح من غداً عليه يصرح والدود والهوام يطرح ؛ كيف يفرح ويسر
من يموت ويقبر .

قال الوافد : ما لي لا اخفف حملي ، ما لي لا احقق شغلي ، ما لي لا اترك جهلي ما لي
لا اتبع عقلي ، ما لي لا اجتهد ، ما لي لا احذر ، ما لي لا أحرم إلى متى أقول غداً أو بعد
غد ، اما أعلم أن مسكني اللحد ما اقسى فؤادي نسيت معادي ، ما أقل زادي ما اقرب
سفري ، وكتب خطري .

الآن ينزل الموت ، الآن ينقطع الفوت ، الآن أسمع الصوت ، الآن يغلق الباب ، الآن

افارق الاحباب ، الآن اتقل إلى التراب ، الآن احضر إلى الحساب ، الآن اخطر الى البلاء ، ما لي لا انتهي عن الهوى ، مالي لا اتبع الهدى ، لا بد من سفر ، لا بد من خطر ، لا بد من موت ، لا بد من فوت ، لا بد من عرض الملك الفرد ، لا بد من القبر ، لا بد من الحشر ، لا بد من النشر ، لا بد من حسرة ، لا بد من عبرة ، لا بد من زوال ، لا بد من ارتحال ، لا بد من الجزاء على الأفعال .

خنت بالعينين ، اصغيت بالاذنين ، أخذت الحرام باليدين ، مشيت الى المعاصي بالرجلين ، حركت بالكذب الشفتين ، قطعت الرّحم وعقت الوالدين ، عرضت عن مولاي واتبعت هواي ونسيت ما بين يدي ، عطفت عما اساق إليه ، لم اذكر من أعرض عليه ، كاني وقد منعت الخطاب بلساني ، وسلبت القوى من اركاني ، ونزع روعي وادرجت في اكفاني فويل لي من ملائكة يشهدون عليّ بما ضيعت ، ويحفظون ما صنعت ، فيا كربتاه ، ويا غمتاه ، ويا حزنه ، واغصّته ، واسوأ حالته . وانشد يقول :

والصحيح اضحى يعود سقيماً وهو ادنى من الامور البعيد
وصبّي من بعدهم لحقوهم ضلّ عنهم نزولهم والصعد
ابن اهل الديار من قوم نوح ثم عاد من بعدهم وثمود
بين ماهم على النمارق والد بابيج صاروا إلى تراب اللحود
ثم لم ينقص الحديد ولكن بعد ذلك الوعد ثم الوعيد

قال فاجابه العالم يقول بعد الصلاة على الرسول :

افنيت عمرك ادباراً واقبالا لا تتقي النفس تبغي الاهل والمالا
فانموت هول فكن ما عشت ملتسما من هوله حيلة ان كنت محتالا
املت بالجهل عمراً ليس تدركه والعمر لا بد ان يفنى ولو طال
كم من ملوك مضاريب الزمان بهم فاصبحوا عبرا فينا وامثالا

قال الوافد : جد في الصّلاة يرحمك الله .

قال العالم : الصّلاة صلة بين العبد والرّب ، وستر للعيب وكفارة للذنّب ، الصّلاة صلة بلا مسافة وطهارة كل خطيئة ، الصّلاة مواصلة ومصافاة وامر ومناجاة المصلي يقرع باب الله ويظمع في ثوابه وهو على بساط الله عز وجل .

إذا كبر العبد تكبيرة الاحرام تساقطت الاوزار ، وإذا توجّه العبد إلى القبلة فقد بدا من نفسه الخضوع والذلة ، واتبع الشرع والملة ، وإذا فرغ العبد من الصلوة كفر الله عنه سيئاته وخطيئته ، واجزل عطيته ، إذا خلص العبد من القراءة والتلاوة سطع في قلبه النور والحلاوة وإذا قرأ الفاتحة أدرك الصفقة الرابعة ، وإذا اتبعها بالسورة كثر في الآخرة سروره ، وكفاه الله محذوره ، وإذا انحنى للركوع فقد أظهر لله الخضوع ، وإذا قام للاعتدال نفى عنه الاشتغال ، وإذا هوى للسجود فقد خرج من الجحود ، واستحق من الله الجود ، وإذا انهدم على التمام سلمت عليه الملائكة الكرام وبشروه بدار السلام .

الصلوة شرح الصدور وفرج من جميع الامور ، الصلوة نور في الفؤاد وسرور يوم المعاد ، الصلوة للقلوب منهاج وللارواح معراج ، الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويؤمن صاحبها من تكبير ومنكر ، الصلوة تغني الافلاس وتلبس العبد الاناس ، الصلوة قرة العين وجلاء الدّين ، المصلي على بساط المولى يناجي الملك الاعلى .

الصلوة ضياء في الصدور ، وفسحة في القبور ، ورفيقه في الحشر والنشور ، الصلوة تجوز على الصراط وتورث صاحبها النشاط ، الصلوة تنزع فساد القلوب وتكفر الذنوب ، الصلوة تسهل العسير وتمحو الذنب الكبير ، الصلوة توسع الأرزاق وتطيب الاخلاق ، الصلوة تقرب العبد إلى المولى ويؤمن من البلوى ، من لزم المحراب قرع الباب ، ومن قرع الباب أتاه الجواب ، صحة الودادة ، لزوم المساجد للعبادة .

الصلوة تخفف الأوزار وتوقى صاحبها من النار ، أقرب ما يكون إلى ربّه من سجده وقام ، وصلاه وصام ، لو علم المصلي لمن يناجي لما التفت في صلاته ، من سهى في صلاته فقد ضيّع أشرف أوقاته ، اخضع لرّبك في الصلوة ذليلاً واذكر وقوفك في الحساب طويلاً ، لو علمت بين يدي من تقوم ، كنت تلازم على بابه وتدوم .

عجباً لمن يناجي القاهر كيف يخطر في قلبه الخواطر ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل ، وترد إذا غفل ، عفر وجهك في التراب فلعله يفتح لك الباب احضر في الصلوة باطنك كما تحضر ظاهرك ، طهر قلبك كما تطهر ثيابك .

عجباً ممّن يسأل الخلق وباب مولاه مفتوح لكل سائل . عجباً ممّن يتذلل للعبيد وله عند سيّده ما يريد ، من أطال القيام أزال الله عنه الأوزار والآثام ، من أخر الصلوة في الأوقات من غير علّة من العلات حرم الخيرات والصالحات ، من ترك الصلوة إلى الليل جلّ به الويل ، من

حافظ على الصلوات تابعت إليه الخيرات ، ورفعت له الدرجات ، وصرفت عنه النقمات .

من لم تكن الصلاة من باله وعزمه ، لم يبارك له في رزقه ، وتركه الله بهمه ، من ضيع صلاته لم تقبل حسناته ، وكثرت عند الموت سكراته ، من غفل عن الصلاة والذكر ضيق عليه في القبر ؛ الصلاة عماد الدين ، وتمامها صحة اليقين .

قال الوافد : ما للذي يقوم الليل صف لي ثوابه .

قال العالم : من قام الليل وسهر نجاه الله من الأمر العسير ، من خاف البليات لم تغلبه السيئات ، من حذر الحمام شرد عنه المنام ، من اغتنم الليالي والأيام لم يقطعها بالبطالة والمنام ، من ألف الوطا والمهاد ، خرج إلى الآخرة بغير زاد ، من تعود للوسادة بحود « كذا » حق العبادة ، من خاف اللحد لم ينم على الخد ، من عصى مولاه كانت الجحيم مأواه ، من فزع من يوم القصاص تضرع إلى ربه بالاخلاص ، من علم ان الى ربه مرجعه هجر في الليل نومه ومضجعه ، من غلب على قلبه الحزن منع من عينيه الوسن ، من تحقق الافلاس شرد عنه النعاس ، من علم أن الله من يدعوه لم يزل يخافه ويرجوه ، فان الله تعالى يقول :

هل من داع فاجيب ، هل من مطيع فاثيب ، هل من متقرب فاني منه قريب، هل من تائب فاني تائب عليه ، هل من متوكل فأسوق الرزق إليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من مستعين فأعينه ، هل من مستجير فأجيره .

يا أهل الليل ابشروا بالسرور والحمد يا أهل الليل كفيتمكم جميع الأهوال يا أهل الليل تقرّ اعينكم عند انقضاء الاجال ، يا أهل الليل اكثروا التضرع والابتهاال فقد اطلع عليكم الكبير المتعال ، يا أهل القرآن تهجدوا بالقرآن ، يا أهل القرآن معكم التنزيل والبيان ، من سهر بالليل وقام وتجوّع وصام كان مقامه بالقيامة خير مقام .

يا أهل الليل قد غلقت الملوك أبوابها وطاف عليها حجابها ، وطلبت كل صحبة أصحابها ، وارخى أهل المعاصي استارها ، والملك الجبار يقول يا عبادي يا أهل ودادي ابشروا بودادي والثواب في معادي .

قال الوافد : ما اجرأ العباد على المعاصي فلم يخافوا الأخذ بالنواصي كم تغفل وتنام ، وتظلم الايتام ، كأنني بك قد عجلتلك الحمام ، وأنت غافل في المنام يا من هو مقيم على القبائح والاثام ، أما تخاف انقطاع الايام وحلول الحمام ، وشهادة الملائكة الكرام .

وقال العالم : في الليل يقرع باب الوهاب في الليل خلتوة الأبواب في الليل تقبل توبة من تاب ، في الليل يستغفر من كذب واغتتاب ، في الليل يعمر القلب الخراب في الليل يأتي الجواب . الليل لأهل الصلاة والمحراب ، يا أهل الاسحار لكم الأنوار فاقبلوا على الاستغفار ، في صلاة الليل النجاة من الويل ، في المناجاة نجاة هلموا فهو ذو الاجابة ، اقبلوا فهو ذو الانابة ؛ اعملوا بالصواب ، يفتح لكم الباب .

اسألوا الأمان يا أهل الايمان ، تضرعوا إلى الحبيب فهو من المتضرعين قريب ارجعوا إليه يكن لكم من كل خير نصيب ، عليكم بالسهر فانكم على سفر الادلاج يا صاحب المنهاج ، البكور البكور ، يا من يريد السرور ، الاسحار يا كثير الاوزار .

قال الوafd : صف لي فضل الصيام والقل من الطعام .

قال العالم : من اكثر الصيام تقل عنه الآثام ، قال الطعام تسبق إلى القيام ، من شبع من الطعام غلب عليه المنام ، ومن غلب عليه المنام قعد من القيام ، الشبع يظهر الروح ، ويترك القلب مقروح الجايح عفيف خفيف ، والشبعان عاكف على الكنيف من كان شابعاً كان للشيطان متابعاً ، الشبع يكسب الوجع ، ويذهب الورع ، ويكثر الطمع ألا إن الصوم جنة من النار ، ورضاء للجبار ، من أطاع ضرسه أضاع نفسه التجوع في الفؤاد نور ، وفي المعاد سرور ، من استعمل القصد استغنا عن الفصد ، من قنع شبع ، ومن شبع طمع ؛ من اشفق على نفسه لم يتبع ضرسه ، من اطاع اسنانه هدم اركانه ، كم من قناعة ات بخير بضاعة ، لا مجاعة مع القناعة .

قال الوafd : صف لي المراقب ؟

قال العالم : من راقب الله في الخلوات أجاب له الدعوات ، بالمراقبة توثر المحاسبة ، راقب مولاك في الليل إذا دجاك ، وفي النهار إذا اضاك ، يعصمك عن هواك ، أكثر نظر الله اليك ولا تنس الطاعة عليك ، أما تعلم أن الرب إليك ناظر وعليك في كل الأمور قادر ، أما تعلم أن مولاك يراك ويسمع نداءك ونجواك ، ويعلم منقلبك ومشواك ، أرخيت عليك الاستار ، واخفيت ذنوبك عن الجبار ، وبارزته بالمعاصي الكبار ، وجمعت الذنوب والاوزار ، وشهد عليك الليل والنهار والملائكة الحضار .

اما تخاف الخلود في النار إلى كم تستتر عن أعين الناظرين وشاهدك أقدر القادرين ، كم تخاف من المخلوق وتستخفي ، ولا تخاف من الخالق ولا تستحيي كم تنقض العهود وتستخف

بالسجود وتجترى على المعبود ، كم رآك الله على المعاصي وستر ، واطلع منك القبائح وما نشر ، وغطى عليك وما تشهر ، أما تذكر صالح أمرك أنسيت فضايح سرّك ، أما تخاف من ذنوبك ، أما تزدجر عن عيوبك ؛ أغفلت عن الداهية ، ولم تخف الهاوية ؛ أمنك من لا تخفى عليه خافية ، وقد اطلع عليك مناراً ، واسبل عليك أستاراً .

لو شاء لأمطر عليك الحجارة من الهواء ، وسلب منك العطاء ، وكشف عنك الغطاء وشهرك لعباده ، وضيق عليك بلاده ، وبدل اسمك ، وغير جسمك ، لكنه ستر عليك في الدنيا ، ماذا تعتذر إليه في الآخرة هب أنه تجاوز وعفى ، وقد نقضت ما عاهدك عليه ، ووفى ، ألم تستحيي من خالق الأرض والسماء ، ألم تستحيي من الحفظة الكرام ، ألم تخف من الإيصال والإيظام وفي ذلك يقول بعد الصلاة على الرسول :

يا من شكى حافظات خلوته حين خلاء العباد ما فطنوا
لهم يهتك الستر إذا خلوت به

قال الوafd : صف لي فضل الانفاق وقبح البخل .

قال العالم: ما لك من مالك إلا ما لبست فأبليت ، وأكلت فأفانيت ، وتصدّقت فأبقيت ، من حبس درهمه جمع في القلب همه ، البخل ادواء الداء والكرم انفع الدواء ، ما يثقل الميزان إلا الاحسان إلى الاخوان ، والنجاة في قراءة القرآن ، ما احبط العمل ، فمنكم التغافل والكسل ، من لزم السماحة لم يعدم الراحة ، البخيل في الدنيا مذموم ، وفي الآخرة محروم ، تملك البلاد بالفرسان ، وتملك القلوب بالاحسان ، من بذل ماله نال أماله ، من جاد بكسوته فقد بلغ مروته ، من أخرج فضل الأموال نجى في الآخرة من الأهوال .

قال الوafd : كيف أصنع بالنفس حتى ترجع عن شرّ عاداتها ؟

قال العالم : لا ترجع النفس عن عاداتها أبداً أبداً وليس منها اقلاع ولا رجوع إلا بالقهر والغلب والجهاد والخوف ، وبالعلم والمعرفة والزهد تحبس النفس عن شرّ عاداتها ، ولا يدرك ذلك منها إلا بصدق الإرادة والصبر والمعالجة وكثرة الخوف والعمل بالصواب ، فإذا ظفرت بها حتى تردّها إلى طاعة الله ورضائه وقضيت لذلك فاشكر الله ، واعترف له بالطاعة إذ جعل ذلك بتوفيقه لك .

فينبغي لك من بعد ذلك أن تقطع عين الهوى وتضمّ اذنك وتخرج التخاليط والافات من

امكنه أهدي لها عنه وتغلب هواك وتحذر الغلط والنسيان ووسوسة الشيطان ، وتحذر التواني والعجز واعلم يقينا أنك لا تظفر بذلك من نفسك إلا بالقهر وتمنعها الرغبة والحرص والكبر والرياء والحسد والرياسة والبخل وطول الامل والتقلب في طلب الشهوات ومحبة الدنيا ، والتصنع للناس والمحمدة منهم وارك الغش والخيانة وخوف الفقر والطلب لما في أيدي الناس ، ولا تنسى الموت وارك الغفلة والشح والسفاهة .

فاذا ظفرت على ذلك واتقنته عن نفسك فاشكر الله كثيراً فقد شكر سعيك ، فعند ذلك تصح أعمالك غير أن النفس لا تصلح حتى تكدها وتقهرها وتجهدها لأنها أمارة بالسوء والفحشاء والشر والفتنة والافات ، وهي خزانة إبليس منها خرج وإليها يعود ، وهي تريد لصاحبها تسعة وتسعين بابا من أبواب الطاعات تظفر به في كمال المائة فكيف يسد السبيل العريض من لا يغرق مجراه ، وكيف يعرف من ذلك من لا يعرف عدوه ودينه ، وكيف يعرف عدوه ودينه من لا يختلف إلى العلماء ، ولا يخاطب الحكماء ، ولا يجالس الصالحين .

فاذا اردت النجاة فتعلم العلم من العلماء ، وخذ الحكمة من الحكماء ، ولا تنشد على نفسك مرة وترجي اخرى ، ولكن اقبل إليها بعزم صحيح ، وورع شحيح ، وصبر ثخين ، واثرتين ، حتى تمنعها عن شهواتها ، وتردها عن شر عاداتها .

ثم اجمع المرافك إلى وسط يعني القلب فان القلب يحكم على الجوارح ولا تحكم الجوارح على القلب ، ولا يتم لك عمل ولا يخلص لك إلا بهذه الصفة .

فالعين تغمضها عن الحرام فانها جاسوس القلب ، ثم الاذان تمنعها ان يوعيان الشر والخنا والنمايم والكذب ، ثم اللسان خاصة تنزهه عن الكذب والغيبة والمجادلة والفضول والمقاولة والشبهات فانها معدن أقدار النفس وهو ترجمان القلب . ثم البطن احفظها ان تدخلها الحرام والسحت والشبهة فان القلب نور وصفاه من طيب ذلك وأما الفرج فما دمت حابساً لبطنك من الامتلاء والشبع فانت قادر على حفظها .

قال الوافد : كيف يكون المزيد للعبادة .

قال : يكون يجوز في الملكوت الأعلى ثم يمنع نفسه عن شر عاداتها وشهواتها فان لم يكن كذلك فانه مغرور فيما هو فيه وعين يستحق لما يدعي ، ومحال أن يطير الطائر في الهوى وهو مربوط بحجر ثقيل ، كذلك القلب أن يصعد في الملكوت الأعلى وهو مربوط في الافات ،

محفوف بالرغب في الدنيا ، مشعوف بحبها وقلة الخوف لما هوأت .

واعلم أن مقام أولياء الله لا يقوم به إلا الصالحون ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فيه خبر العالم وما جرى له مع الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

روي عن علي بن أبي طالب (ع) قال : كنت جالساً ذات يوم في جامع الكوفة وإذا بصيحة عظيمة عالية قد ارتفعت فقال الامام (ع) لقنبر يا قنبر امض واتني من هذه الصحبة بالخبر ، فمضى قنبر وغاب ساعة ثم اقبل إلى الامام (ع) وقال : يا مولاي هذا عالم قد نصب له كرسيّ وحوله مائة وستين محبرة يكتبون عن لسان جبرائيل عن رب العالمين فقال : يا قنبر امض اليه وقل له : أنت عالم ، فمضى قنبر فأخبره بما قال الامام (ع) فسكت ساعة ورفع رأسه وقال : نعم أنا عالم ولكن مثل الذي انفذك لا ، قال : فرجع قنبر إلى الامام (ع) وأخبره بما قال العالم قال : صدق العالم امض إليه وقل له : بأي شيء تعرف رجلك من قدميك ؟ قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي قال العالم : أعرف رجلي من قدمي بقوله عز وجل : ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام﴾^(١) يؤخذ الرجل بلحيته والامرأة بشعرها .

قال قنبر : فمضيت إلى مولاي (ع) فأخبرته بما قال العالم ، قال : صدق العالم امض إليه وقل له : أخبرني عن اذنك على أي شيء مركبه ، وعينك على أي شيء هي مركبه ، والقلب على أي شيء هو مركبه ، والانف على أي شيء هو مركبه ؟

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، قال : الاذن مركبه على الكبد تسمع الاذن ويعاد الكبد ، والعين مركبه على القلب تنظر العين ما يشتهي القلب ، والانف مركبه على الروح يشتم الانف ما تشتهي الروح .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي وأخبرته بما قال العالم ، قال (ع) : صدق العالم امض إليه وقل له : أين موضع العقل منك ، وأين موضع الحشمة منك ، وأين موضع الحلاوة منك ، وأين

(١) سورة الرحمن : الآية ٤١

موضع التواضع منك ، وأين موضع الضحك منك ، وأين موضع الخفة منك ، وأين موضع الغضب منك ، وأين موضع الضعف منك ، وأين موضع الرّاحة منك ، وأين موضع الفصاحة منك ، وأين موضع القوة منك .

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وحدثته بما قال مولاي (ع) ، فقال : أمّا العقل في الدماغ ، وأمّا الحشمة والحس في العين ، وأمّا الرّاحة في الأنف ، وأمّا الفصاحة في اللسان ، وأمّا التواضع في العقل ، وأمّا الحلاوة في الحلق ، وأمّا الضحك في الطحال ، وأمّا الخفة في الرية ، وأمّا الغضب في الكبد ، وأمّا الرحمة في القلب وأمّا القوة في الكتفين ، وأمّا الضعف في الساقين .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي فأخبرته بما قال العالم ، قال صدق : العالم امض إليه وقل له أخبرني عن شيء ونصف شيء وكل شيء ولا شيء ، قال قنبر : فمضيت إلى العالم وقلت له ما قال مولاي (ع) قال : فأما الشيء الرجل المؤمن ، وأمّا نصف شيء فالمنافق ، وأمّا الذي لا شيء فالكافر ، وأما كلّ شيء قوله تعالى : ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حي﴾^(١) وهو زينة كلّ شيء .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي (ع) فأخبرته بما قال العالم ، قال : صدق العالم امض إليه وقل له ما اوطا وطا وما ادفا غطا وما خير زاد .

قال قنبر : فرجعت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، قال العالم : أمّا اوطا وطا فهو الأمن ، وأمّا ادفا غطا فهو موضع يجد القلب فيه راحة ، وأمّا خير الزاد التقوى لقوله تعالى : ﴿فان خير الزاد التقوى﴾^(٢) .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي فأخبرته بذلك فقال (ع) : صدق العالم امض إليه (وقل ظ) ما شيطان قائمان ، وشيطان ساعيان ، وشيطان مختلفان ، وشيطان متباغضان ؟

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، فقال العالم : أمّا الشيطان القايمان فهما السماوات والأرض ، وأمّا الشيطان الساعيان فهما الشّمس والقمر ، وأمّا الشيطان المختلفان فهما اللّيل والنهار ، وأمّا الشيطان المتباغضان فهما الدنيا والآخرة .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي وأخبرته بما قال العالم ، قال : صدق العالم امض اليه وقل

(١) سورة الانبياء : الآية ٣٠ (٢) سورة البقرة : الآية ١٩٧

له : أخبرني عن شيء ما ولد وله ولد ؟

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، قال : هي ناقة صالح خلقها الله تعالى من جبل وخلق لها فصيل من ذاك الجبل فعادت تمضي إلى الحي فتسقيهم اللبن فعقرها قداره وثمود لعنهم الله ، فأتى الفصيل إلى صالح (ع) وقال : يا نبي الله امي قتلها قداره وثمود لعنهم الله تعالى ، ثم دخل الجبل الذي خرج منه فهي الذي لم تولد ولها ولد .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي (ع) وأخبرته بما قال العالم ، قال : صدق العالم امض إليه وقل له : أخبرني عن شيء خلقه الله واحتاج إليه ، وعن شيء خلقه الله وسأل عنه ، وعن شيء خلقه الله واشتراه ، وعن شيء خلقه الله وأنكره .

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، قال أما الذي خلقه الله واحتاج إليه قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون﴾^(١) ، وأما الذي خلقه الله واشتراه فأنفس المؤمنين قوله تعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾^(٢) ، وأما الذي خلقه الله وسأل عنه فهي عصا موسى (ع) لقوله تعالى : ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى﴾^(٣) ، وأما الذي خلقه الله فانكره فقوله تعالى : ﴿إن انكر الاصوات لصوت الحمير﴾^(٤) .

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع)^(٥) ، قال : صدق العالم امض إليه وقل له أي شيء يصلح الدين ، وأي شيء يفسد ، وأي شيء أحسن في الدنيا وأي شيء اوحش في الدنيا .

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، قال : يصلح الدين الورع ، ويهلك الدين الطمع ، وأحسن ما خلق الله ابن آدم وهو حي ، وأوحش ما يكون إذا مات .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي (ع) وأخبرته بما قال العالم ، قال : صدق العالم امض إليه وقل له : أخبرني عن واحد ليس له ثان ، وعن ثان ليس له ثالث ، وعن ثالث ليس له رابع ،

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ - ٥٧

(٢) سورة لقمان : الآية ١٩ (٣) سورة التوبة : الآية ١١١ (٤) سورة طه : الآية ١٧ - ١٨

(٥) كذا في النسخة والظاهر ان تكون هكذا : قال قنبر فرجعت الى مولاي (ع) وأخبرته بما قال العالم (الخ)

وعن رابع ليس له خامس ، وعن خامس ليس له سادس ، وعن سادس ليس له سابع ، وعن سابع ليس له ثامن ، وعن ثامن ليس له تاسع ، وعن تاسع ليس له عاشر ، وعن عاشر ليس له حادي عشر ، وعن حادي عشر ليس له ثاني عشر وعن ثاني عشر ليس له ثالث عشر ؟

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، فوثب قائماً على قدميه ، وقال : اصبر عليّ ساعة وقال : يا أهل الكوفة من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي ، فانا أحمد بن الأزرق قرأت في الكتب سبعين عاما وما سئل عن هذه المسائل إلا نبي أو وصي ، ثم قال : سأبين لك يا قنبر وأسير معك إلى صاحبك .

فأما الأول الذي ليس له ثان فهو الله عز وجل ، وأما الثاني الذي ليس له ثالث آدم وحواء ، وأما الثالث الذي ليس له رابع فالطلاق ، وأما الرابع الذي ليس له خامس فهم الملائكة الموكلين بالعرش ، وأما الخامس الذي ليس له سادس فهي الخمس صلوات ، وأما السادس الذي ليس له سابع فهو الستة أيام الذي خلق الله السماوات والأرض ، وأما السابع الذي ليس له ثامن فهي السبع سماوات ، وأما الثامن الذي ليس له تاسع فهي الثمان الذي دعا فيها موسى (ع) ، وأما التاسع الذي ليس له عاشر فهي التسع آيات التي انزلت على بني اسرائيل ، وأما العاشر الذي ليس له حادي عشر فقولته تعالى والشفع والوتر ، وأما الحادي عشر فهم اخوة يوسف وأما الثاني عشر فهم الأئمة ، وإن شئت أشهر السنة .

ثم نزل من أعلى المنبر وأتى مع قنبر إلى أمير المؤمنين (ع) ، فانكب على قدميه وقبلها وقال : يا مولاي لو علمت أنك في هذا المكان ما جئت إليه ثم صلى صلاة الظهر مع الامام وقال : يا مولاي ادع إلي ربك أن يقبض روحي في هذه الساعة فرفع الامام رأسه إلى السماء وقال : الهي أنت العالم بما قال عبدك العالم ، فسجد العالم سجدة فأطال فيها السجود فحركه وإذا هو قد مات .

فغسله أمير المؤمنين (ع) وكفنه وصلى عليه ، والحمد لله رب العالمين تم بالخير .

كتاب فيه خبر الاصمعي

قال : خرجت إلى الحاج إلى بيت الله الحرام وإلى زيارة النبي (ص) فبينما أنا أطوف حول الكعبة ، وكانت ليلة مقمرة وإذا بصوت أنين وحنين وبكاء ، فتبع الصوت وإذا أنا بشاب

حسن الوجه ظريف الشاميل ، وعليه ذوايب وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول :

يا سيدي ومولاي قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حي قيوم ، إلهي غلقت
الملوك أبوابها وقام عليها حجابها ، وحراسها ، وبابك مفتوح للسائلين ، فما أنا ببابك ، انظر
برحمتك يا أرحم الراحمين ، ثم أنشأ يقول :

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم وكاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربّي حزينا دائماً تملقا فأرحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف فمن يجود على العصاين بالنعم

ثم قال : رفع رأسه إلى السماء وهو ينادي إلهي وسيدي أطعتك بمشيئتك فلك الحجة
علي باظهار حجتك إلا ما رحمتي وعفوت عني ولا تخيبني يا سيدي ، ثم قال : إلهي وسيدي
الحسنات تسرك والسيئات ما تضرّك ، فاغفر لي وتجاوز عني في ما لا يضرّك ثم أنشأ يقول :

ألا أيها المأمول في كل حاجة شكوت إليك الضر فأرحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
فزادي قليل لا أراه مبلغني على الزاد أبكي أم على بعد سفرتي
أتيت بأعمال قباح رديّة فما في السورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي منك وأين مخافتني

قال الأصمعي : وكان يكرر هذه الأبيات حتى سقط مغشياً عليه فدنوت منه لأعرفه فإذا هو
زين العابدين ابن الحسين بن عليّ (ع) .

قال الأصمعي : فأخذت رأسه ووضعته في حجري وبكيت فقطرت قطرة من دموعي على
خده ففتح عينيه وقال : من هذا الذي أشغلني عن ذكر ربّي ؟ قلت : يا مولاي عبدك وعبد أجدادك
الأصمعي فما هذا الجزع والفرع والبكاء والالين وأنت من أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة
وقوله تعالى ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(١) .

قال : فاستوى قاعداً وقال : هيهات هيهات يا اصمعي إن الله تعالى خلق الجنة لمن

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٣

أطاعه ولو كان عبداً حبشياً ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً أما سمعت قوله تعالى ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم﴾^(١) قال الاصمعي : فتركته على حاله يناجي ربه (٢).

قد تم طبع الكتاب بعون الله الملك الوهاب في المطبعة المباركة الاسلامية بطهران وتم تصحيحه بيد العبد : « السيد ابراهيم الميانجي » عفي عنه وعن والديه ، في شهر صفر المظفر ١٣٧٩ والحمد لله كما هو أهله .

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٠١

(٢) المناقب لابن شهر آشوب : ج ٤ ص ١٥٠ .

الفهرس

٥	كلمة المحقق
١١	كتاب الحقائق فيه ستة مقالات
	المقالة الأولى: في ما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلاث ابواب :
١٢	الباب الاول : في العلم وفيه اثني عشر فصل
١٣	الفصل الاول : في العلم وفضيلته
١٥	الفصل الثاني : العلم علمان
١٩	الفصل الثالث : العلم المقصود للعمل
٢٠	الفصل الرابع : في علم الفقه والتفقه في الدين
٢٥	الفصل الخامس : في النهي عن المناظرة والمجادلة
٢٧	الفصل السادس : في علم الكلام
٢٨	الفصل السابع : الجدال التي هي احسن والتي ليست بأحسن
٣٠	الفصل الثامن : العلم النافع وعلاماته
٣٢	الفصل التاسع : في آداب المعلم
٣٣	الفصل العاشر : الاخلاص بالعلم لله
٣٤	الفصل الحادي عشر : في آداب المتعبد
٣٦	الفصل الثاني عشر : في ذم اهل البدع والاهواء
٣٨	الباب الثاني : في العقايد وفيه خمسة فصول
٤٠	الفصل الاول : في الثقليين
٤٣	الفصل الثاني : في طريق فهم العقايد

٤٥	الفصل الثالث : أقل ما يجب اعتقاده
٤٧	الفصل الرابع : في الاسرار التي يكتتمها العلماء
٤٨	الفصل الخامس : في تقليد العوام للعلماء
٤٩	الباب الثالث : في معرفة النفس وفيه سبعة فصول
٥٠	الفصل الاول : في الغضب والشهوة
٥٠	الفصل الثاني : تركيب الانسان من اربع شوائب
٥٢	الفصل الثالث : نتائج الانقياد للشهوة والغضب
٥٤	الفصل الرابع : القلب مثال قبة لها ابواب
٥٥	الفصل الخامس : مكائد الشيطان
٥٦	الفصل السادس : في القلب لمتان
٥٧	الفصل السابع : في ان الهم بالفعل يؤاخذ به أم لا

المقالة الثانية

	في مساوي الاخلاق وتهذيبها وفيها اربعة ابواب :
٥٩	الباب الاول : في معنى الخلق وتهذيبه وفيه ثلاث فصول
٦١	الفصل الاول : في ان الطباع هل تتغير ام لا
٦٢	الفصل الثاني : تهذيب الاخلاق بالمجاهدة
٦٤	الفصل الثالث : في عيوب النفس والبصيرة بها
٦٥	الباب الثاني : فيما يؤدي الى مساوي الاخلاق وفيه ثلاث فصول
٦٧	الفصل الاول : الاعتدال في شهوتي البطن والفرج
٦٩	الفصل الثاني : في اللسان وآفاته
٧١	الفصل الثالث : في الكذب والغيبة
٧٣	الباب الثالث : في الغضب وفيه سبعة فصول
٧٦	الفصل الاول : دوافع الغضب
٧٧	الفصل الثاني : علاج الغضب
٧٩	الفصل الثالث : الحقد من نتائج الغضب
٨٠	الفصل الرابع : الحسد من نتائج الحقد
٨١	الفصل الخامس : معنى الحسد

٨٢	الفصل السادس : منشأ الحسد حب الدنيا
٨٣	الفصل السابع : الحسد من الامراض العظيمة
٨٥	الباب الرابع : في الرياء والمعجب وعلاجهم وفيه تسعة فصول
٨٧	الفصل الاول : الرياء في العبادة
٨٩	الفصل الثاني : الرياء في امور أخرى
٨٩	الفصل الثالث : في الكبر وعلاجه
٩١	الفصل الرابع : في التكبر
٩٤	الفصل الخامس : الشفاء من الكبر
٩٦	الفصل السادس : في العجب
٩٧	الفصل السابع : أفات العجب
٩٨	الفصل الثامن : الاعجاب بأسباب التكبر
٩٩	الفصل التاسع : علاج العجب

المقالة الثالثة

		في ذم الدنيا والاعتزاز بها وفيها خمسة أبواب :
١٠١	الباب الاول : في معرفة الدنيا والآخرة وفيه فصلان
١٠٢	الفصل الاول : ما يبقى مع العبد عند الموت
١٠٤	الفصل الثاني : اعيان الدنيا
١٠٥	الباب الثاني : فيما ورد في ذم الدنيا وفيه فصلان
١٠٩	الفصل الاول : في ذم الدنيا ومضار التعلق بها
١١٠	الفصل الثاني : بعض الأمثلة التي وردت في صفة الدنيا
١١٢	الباب الثالث : في حب المال وفيه ستة فصول
١١٣	الفصل الاول : المال محمود ومذموم
١١٤	الفصل الثاني : فوائد المال وأفاته
١١٧	الفصل الثالث : الفقر محمود مع القناعة
١١٨	الفصل الرابع : النجاة من غائلة المال
١٢٠	الفصل الخامس : الخلاص من الدنيا بالزهد
١٢٢	الفصل السادس : في الجود والبخل

١٢٣	الباب الرابع : في ذم حب الجاه وفيه أربعة فصول
١٢٧	الفصل الاول : طرق الكمال
١٢٨	الفصل الثاني : يعرض الجاه ضرورة في بعض الاحيان
١٢٩	الفصل الثالث : في حب المدح والثناء
١٣٠	الفصل الرابع : في حب الجاه والمدح والثناء
١٣٣	الباب الخامس : في ذم الغرور وفيه ثلاث فصول
١٣٥	الفصل الاول : في فرق المغترين
١٣٨	الفصل الثاني : من المغترين أهل الذكر والتصوف
١٤٠	الفصل الثالث : من المغترين أرباب الأموال

المقالة الرابعة

في مكارم الاخلاق وتحصيلها وفيها ستة أبواب :

١٤٢	الباب الاول : في فضيلة الصبر وفيه ثلاث فصول
١٤٤	الفصل الاول : في الصبر وأقسامه
١٤٦	الفصل الثاني : الصبر في المصائب
١٤٨	الفصل الثالث : الطريق الى تحصيل الصبر
١٤٨	الباب الثاني : في الرضا وطريق تحصيله وفيه خمسة فصول
١٥٠	الفصل الأول : الحب والصبر يورثان الرضا
١٥١	الفصل الثاني : في الرضا وان الدعاء غير مناقض له
١٥٣	الفصل الثالث : في الشكر وطريق تحصيله
١٥٦	الفصل الرابع : الشكر ايضاً نعمة من الله
١٥٧	الفصل الخامس : النعم إما دنيوية أو إما دينية
١٥٨	الباب الثالث : في الرجاء والخوف وفيه ستة فصول
١٦٠	الفصل الاول : حال من غلبه الخوف
١٦١	الفصل الثاني : الرجاء لله يجب ان يكون اقوى من الخوف
١٦٣	الفصل الثالث : في الرجاء المحمود
١٦٤	الفصل الرابع : الخوف من الله على مقامين
١٦٨	الفصل الخامس : في الخائفين

١٧٠	الفصل السادس : اسباب سوء الخاتمة
١٧٤	الباب الرابع : في المحبة والانس وفيه ثمانية فصول
١٧٨	الفصل الأول : المحبة بعد المعرفة والادراك
١٨١	الفصل الثاني : اجل اللذات واعلاها
١٨٢	الفصل الثالث : في عدم جواز رؤية الله بالعين والبصر
١٨٣	الفصل الرابع : في طريقة تحصيل المحبة
١٨٥	الفصل الخامس : درجات المحبة وآثارها على النفس
١٨٦	الفصل السادس : في الانبساط والادلال
١٨٨	الفصل السابع : معن محبة الله للعبد
١٨٩	الفصل الثامن : أظهر الموجودات هو الله سبحانه
١٩١	الباب الخامس : في اليقين والتوكل وفيه اربعة فصول
١٩٣	الفصل الاول : عظم شأن اليقين ودرجاته
١٩٤	الفصل الثاني : التوكل باب الرزق والرحمة
١٩٦	الفصل الثالث : التوكل يبني بقوة القلب واليقين
١٩٧	الفصل الرابع : تحصيل الاسباب لا ينافي التوكل
٢٠١	الباب السادس : في الصدق واداء الامانة فيه فصل واحد
٢٠٣	الفصل الاول : الصدق صدق القلب واللسان

المقالة الخامسة

في العبادات وأسرارها وفيها سبعة أبواب :

٢٠٥	الباب الاول : في النية والاخلاص وفيه ستة فصول
٢٠٧	الفصل الاول : النية خير من العمل
٢١٠	الفصل الثاني : النية إما واحدة وإما متعددة
٢١٠	الفصل الثالث : النية غير داخلة تحت الاختيار
٢١٢	الفصل الرابع : الاخلاص
٢١٤	الفصل الخامس : في نية الحج والتجارة معاً
٢١٤	الفصل السادس : مفتاحه القبول والرضا
٢١٥	الباب الثاني : في الطهارة والنظافة وفيه اربعة فصول

٢١٦	الفصل الاول : طهارة النفس والبدن
٢١٧	الفصل الثاني : التطيب بالسواك
٢١٨	الفصل الثالث : الوضوء للطهارة
٢٢٠	الفصل الرابع : طهارة البدن لطهارة النفس
٢٢١	الباب الثالث : في الصلاة والذكر وفيه ثلاثاً وعشرين فصل
٢٢٣	الفصل الاول : الخشوع في الصلاة
٢٢٥	الفصل الثاني : ست جمل تتم بها حياة الصلاة
٢٢٧	الفصل الثالث : احضار القلب في الصلاة
٢٢٩	الفصل الرابع : فيما يجب ان تشعر به عند الاذان
٢٣٠	الفصل الخامس : فيما يجب ان تشعر به عن الوضوء والطهارة
٢٣١	الفصل السادس : فيما يجب ان تشعر به عند دخول المسجد
٢٣٢	الفصل السابع : في الاستقبال في الصلاة
٢٣٣	الفصل الثامن : القيام في الصلاة
٢٣٣	الفصل التاسع : التكبير في الصلاة
٢٣٤	الفصل العاشر : النية في الصلاة
٢٣٥	الفصل الحادي عشر : دعاء الاستفتاح للصلاة
٢٣٦	الفصل الثاني عشر : الاستعاذة
٢٣٧	الفصل الثالث عشر : قراءة الحمد والسورة
٢٣٩	الفصل الرابع عشر : القيام والخشوع
٢٣٩	الفصل الخامس عشر : الركوع
٢٤٠	الفصل السادس عشر : السجود
٢٤٢	الفصل السابع عشر : التشهد
٢٤٣	الفصل الثامن عشر : السلام
٢٤٤	الفصل التاسع عشر : الصلاة الخالصة من الآفات
٢٤٤	الفصل العشرون : صلاة الجمعة
٢٤٥	الفصل الحادي والعشرون : صلاة العيدين
٢٤٦	الفصل الثاني والعشرون : صلاة الآيات
٢٤٦	الفصل الثالث والعشرون : التعقيب والدعاء وآداب الداعي

٢٤٩	الباب الرابع : في تلاوة القرآن وفيه تسعة فصول
٢٥١	الفصل الاول : الاستعداد لقراءة القرآن والتأمل في معانيه
٢٥٢	الفصل الثاني : على قارئ القرآن مراعاة امور
٢٥٣	الفصل الثالث : التعظيم
٢٥٤	الفصل الرابع : التفهم
٢٥٥	الفصل الخامس : التخلي عن موانع الفهم
٢٥٦	الفصل السادس : التخصيص
٢٥٧	الفصل السابع : التأثير
٢٥٩	الفصل الثامن : الترقى
٢٦٠	الفصل التاسع : التبري
٢٦١	الباب الخامس : في الزكاة والمعروف وفيه ستة فصول
٢٦٣	الفصل الاول : في المعروف
٢٦٤	الفصل الثاني : السرفى ايجاب الزكاة
٢٦٥	الفصل الثالث : آداب المنفق
٢٦٩	الفصل الرابع : آداب الأخذ
٢٧٠	الفصل الخامس : عدم السؤال من غير حاجة
٢٧١	الفصل السادس : للجسد زكاة
٢٧٢	الباب السادس : في الصوم وفيه فصلان
٢٧٥	الفصل الاول : درجات الصوم وآدابه
٢٧٧	الفصل الثاني : الصوم ينقى النفس
٢٧٧	الباب السابع : في الحج وفيه خمسة فصول
٢٧٩	الفصل الاول : ما ينبغى للحاج عند توجهه الى الحج
٢٨١	الفصل الثاني : ما ينبغى للحاج إذا دخل مكة
٢٨٣	الفصل الثالث : فيما يجب ان يشعر به المرء عند اوان مناسك الحج
٢٨٥	الفصل الرابع : في زيارة المدينة
٢٨٦	الفصل الخامس : في فضل زيارة النبي والأئمة (ع)

المقالة السادسة

	في سائر الأعمال الصالحة وفيها خمسة أبواب :
٢٨٩	الباب الاول : في التوبة وفيه سبعة فصول
٢٩٠	الفصل الاول : التوبة بالندم على الذنب
٢٩٢	الفصل الثاني : عمومية وجوب التوبة
٢٩٤	الفصل الثالث : كل توبة صحيحة مقبولة
٢٩٥	الفصل الرابع : اقسام الذنوب
٢٩٨	الفصل الخامس : الذنوب الصغيرة بوابة الذنوب الكبيرة
٣٠٠	الفصل السادس : نتائج ارتكاب الذنوب
٣٠٢	الفصل السابع : فيما يجب أن يفعله التائب
٣٠٣	الباب الثاني : في المحاسبة والمراقبة وفيه فصلان
٣٠٤	الفصل الاول : معنى المحاسبة
٣٠٦	الفصل الثاني : مراقبة العبد لنفسه
٣٠٧	الباب الثالث : في التفكير والتدبير وفيه فصلان
٣٠٩	الفصل الاول : الاتعاظ بما مضى من الدنيا
٣١٠	الفصل الثاني : معرفة الله بالقلب
٣١١	الباب الرابع : في ذكر الموت وقصر الامل وفيه اربعة فصول
٣١٢	الفصل الاول : انواع الناس
٣١٣	الفصل الثاني : فوائد ذكر الموت
٣١٤	الفصل الثالث : فوائد قصر الأمل
٣١٥	الفصل الرابع : اسباب طول الأمل
٢١٧	الباب الخامس : في الاخاء والالفة وفيه فصلان
٣١٩	الفصل الاول : أقسام الحب والمصاحبة
٣٢٢	الفصل الثاني : أنواع الاخوان
٣٢٥	خاتمة الكتاب
٣٢٨	صورة خط المصنف

٣٣٢ المقدمة
	من المقالات الاثني عشرة المشتملة كل مقالة على خمس كلمات :
٣٣٣ المقالة الاولى : في معرفة الله تعالى
٣٣٣	١ - كلمة بها يجمع بين امتناع المعرفة والرؤية وبين امكانها
٣٣٥	٢ - كلمة بها يجمع بين المنع من التفكير والكلام فيه سبحانه وبين الحث على المعرفة
٣٣٧	٣ - كلمة بها يجمع بين ظهوره سبحانه وخفائه
٣٣٩	٤ - كلمة فيها اشارة الى الطريق الى معرفة الله
٣٤١	٥ - كلمة بها يتبين انه لا سبيل الى اكتناه ذاته والاحاطة به جل جلاله
٣٤٢ المقالة الثانية : في صفاته واسمائه سبحانه
٣٤٢	١ - كلمة فيها اشارة الى الصفات وانها عين الذات باعتبار وغيرها باعتبار
٣٤٤	٢ - كلمة فيها اشارة الى تأويل ما يوهم التشبيه من الصفات
٣٤٥	٣ - كلمة فيها اشارة الى اسمائه سبحانه ومظاهرها
٣٤٧	٤ - كلمة فيها اشارة الى كيفية تربية الاسماء للمخلوقات
٣٤٧	٥ - كلمة يتبين معن قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها
٣٤٩ المقالة الثالثة : في الصنع والابداع
٣٤٩	١ - كلمة فيها اشارة الى اصول العوالم والنشآت
٣٥٠	٢ - كلمة فيها اشارة الى انتشاء المخلوقات من العقل باذن الله تعالى
٣٥٤	٣ - كلمة فيها تمثيل مراتب الخلق في حدوده من الله تعالى
٣٥٦	٤ - كلمة في معن العرش والكرسي
٣٥٧	٥ - كلمة في معنى أركان العرش وقوائمه وحملته
٣٥٨ المقالة الرابعة : في النفوس والاشباح
٣٥٨	١ - كلمة فيها اشارة الى لمية النفي والاشباح وانيتها
٣٦١	٢ - كلمة يجمع بين تقدم النفوس على الاجساد وبين حدوثها بحدوث الاجساد
٣٦٢	٣ - كلمة بها يتبين ان للانسان نفوساً عديدة وان بعضها يختص بالخواص
٣٦٤	٤ - كلمة في شأن العالم العلوي وترقيات النفس الانسانية اليه
٣٦٦	٥ - كلمة في علة تنزل الأرواح من الملكوت الاعلى

- المقالة الخامسة : في حدوث العالم ٣٦٧
- ١ - كلمة بها يتبين معن الحدوٲ ومعنى ثبوته للعالم ٣٦٧
- ٢ - كلمة بها يتبين انقضاء الزمان عن الله وعن ابتداء العالم ٣٦٨
- ٣ - كلمة فيها تمثيل لكيفية صدور العالم من الله عز وجل ٣٧٠
- ٤ - كلمة فيها اشارة الى تجدد الخلق مع الانات ٣٧٢
- ٥ - كلمة في كيفية ارتباط حادث الزماني بالقديم ٣٧٤
- المقالة السادسة : في القضاء والقدر ٣٧٦
- ١ - كلمة في معنى القضاء والقدر وسر القدر ٣٧٦
- ٢ - كلمة في نفي الجبر والتفويض واٲبات امر بين امرين ٣٧٨
- ٣ - كلمة في الفرق بين الأمر الارادي والامر التكليفي وان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ٣٨٣
- ٤ - كلمة بها بجمع بين مدخلية الاسباب الخارجة في الأفعال وبين الفراغ من الامر وبها يتبين ما يتبع ذلك ٣٨٧
- ٥ - كلمة بها ينكشف سر المحو والاثبات واسناد التردد والبداء الى الله تعالى في الروايات .. ٣٩١
- المقالة السابعة : في حجة الله على خلقه ٣٩٣
- ١ - كلمة في بيان اضطرار الخلق الى الحجة وتفاوت درجات الحجج ٣٩٣
- ٢ - كلمة فيها اشارة الى كيفية حصول الوحي وغيره من انواع العلم في قلوب اهلها ٣٩٦
- ٣ - كلمة فيها اشارة الى سادة الانبياء والاصياء واصول الشرائع ٣٩٨
- ٤ - كلمة فيها اشارة الى ان افضل الخلايق « الانبياء خ » نبينا (ص) ثم اوصياؤه الاثني عشر سلام الله عليهم ٤٠٣
- ٥ - كلمة بها يتبين ان الحجة بماذا يعرف ٤٠٦
- المقالة الثامنة : في فتن هذه الأمة بعد نبينا(ص) ٤٠٨
- ١ - كلمة فيها اشارة الى نفاق طائفة من الصحابة في زمان النبي (ص) وارتدادهم بعده .. ٤٠٨
- ٢ - كلمة بها يتبين حقيقة أمر الخلاصة ٤١١
- ٣ - كلمة فيها اشارة الى ارتداد أكثر هذه الأمة بعد نبيا والسبب في ذلك ٤١٥
- ٤ - كلمة فيها اشارة الى علة ضلال جمهور الامة عن نور الأئمة ٤٢٠
- ٥ - كلمة فيها اشارة الى ان اردل المخلوقات صنما قريش عليهما لعائن الله ٤٢٢
- المقالة التاسعة : في العلم والايمان ٤٢٤
- ١ - كلمة في تقسيم العلم والعلماء وانه باي عالم يقتدي ٤٢٤

- ٤٢٨ - كلمة فيها اشارة الى طريق تحصيل الحكمة وقلة أهلها وعداوة العامة لها بجهلها
- ٤٣٠ - كلمة بها يجمع بين الاراء المختلفة في المسائل الدينية
- ٤٣٣ - كلمة في معنى المحكم والمتشابه والتأويل
- ٤٣٦ - كلمة بها يتبين مراتب الايمان والكفر
- ٤٤١ - المقالة العاشرة : في البرزخ وما يتعلق به
- ٤٤١ - كلمة فيها اشارة الى معن البرزخ
- ٤٤٢ - كلمة فيها اشارة الى ان الصورة البرزخية هي الطينة التي خلق منها الانسان
- ٤٤٦ - كلمة فيها اشارة الى سؤال القبر ونعيمه وعذابه
- ٤٤٧ - كلمة فيها اشارة الى معنى الروح الباقية بعد البدن وانها تُسأل
- ٤٤٩ - كلمة فيها اشارة الى معنى الصور والنفخ
- ٤٥٣ - المقالة الحادية عشرة : في نشوء الأخرة من الاول
- ٤٥١ - كلمة بها يتبين كيفية هذا الانتشاء
- ٤٥٤ - كلمة فيها اشارة الى صحايف الاءمال والميزان
- ٤٥٧ - كلمة في المظالم والشفاعة
- ٤٥٨ - كلمة فيها اشارة الى الصراط والسياق
- ٤٦١ - كلمة فيها اشارة الى ابواب الجنة والنار
- ٤٦٢ - المقالة الثانية عشر : في البعث والحشر
- ٤٦٢ - كلمة فيها اشارة الى البعث والحشر وفتون الحشر
- ٤٦٥ - كلمة فيها اشارة الى القيامة ومواقفها وشأن أهلها
- ٤٦٨ - كلمة فيها اشارة الى ميراث الدرجات والدركات وتبديل السيئات والحسنات
- ٤٧٢ - كلمة فيها اشارة الى الجنة والنار
- ٤٧٦ - كلمة فيها اشارة الى الاعراف
- ٤٧٨ - خاتمة الكتاب
- ٤٨٧ - مصباح الانظار
- ٥٢٠ - خير العلم وما جرى له مع الامام عليه السلام
- ٥٢٣ - خير الاصمعي

Princeton University Library



32101 084949443